


# خزانة الأدب

## ولب لباب لسان العرب


تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون


الجزء العاشر


الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

الطبعة الرابعة

١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع

٩٩/١٥/٨٩

الترقيم الدولى .I.S.B.N

977 - 5046 - 60 - 2

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

ت : ٣٣٨٢٤٠ - ٣٣٨٢٤١ - ٠١١/٣٣٨٢٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الثمانمائة [1] :

٨٠١ ( قُتِلنا ونالَ القتلُ مِنّا وربَّما　　يَكونُ على القومِ الكرامِ لنا الظَّفَرْ )

على أنَّ الرَّبَعى زعم أنَّ المضارع بعد ربَّما بمعنى الماضى ، وإنَّما أوّلَه بكان لأنَّ المعنى عليها ؛ إذ مرادُ الشّاعر : إنْ فشا فينا القتلُ فكثيرًا ما قتَلْنا قوماً كراما قبلُ ، فإنّ الحربَ سجالٌ: يومٌ لنا ويومُ علينا . وبهذا يحسُن الاعتذار والتمدُّح ، لا بأنَّه سيحصُل لهم الظَّفر .

وقد تقع ( كان ) فى موضع يكون ، كما قال الشاعر :

فأدركتُ من قد كان قبلى ولم أدَعْ　　لمن كان بعدى فى القصائد مَصْعَدًا [2]

أرادَ : لمَنْ يكون بعدى .

و ( قُتلنا ) بالبناء للمفعول ، و ( نال منه ) بمعنى أوهنَه وفَتَّ فى عضُده . ويقال نال من عدوِّه ينال ، من باب تعب ، نيلاً ، إذا بلغ منه مقصودَه . وهو فى الأصل فعلٌ متعدٍّ .

* * *

---

(١) لم أعثر له على مرجع آخر .

(٢) أمالى المرتضى ٢ : ١٩٩ .

١٩٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الثمانمائة :

**٨٠٢** ( ولقد يكون أخا دمٍ وذبائح [1] )

على أنَّ المضارع مؤوّلٌ بالماضى ، أى ولقد كان .

وإنمَّا أوّلَه بالماضى لأنَّه فى مرثيَة ميّت ، وهو إخبارٌ عن شىء وقعَ ومضَى ، لا إخبارٌ عما سيقع ، لأنّه غير ممكن .

قال ابن الشجَرِىّ ( فى أماليه ) : قال أبو الفتح عثمانُ بن جِنّى : قال لى أبو علىّ : سألت يوماً أبا بكر بنَ السَّرّاج ، عن الأفعال يقع بعضُها موقعَ بعض فقال : كان ينبغى للأفعال كلِّها أن تكونَ مثالاً واحدا ؛ لأنّها لمعنىً واحد ، ولكن خُولف بين صِيغَها لاختلاف أحوال الزمان ، فإذا اقترن بالفعل ما يدلُّ عليه من لفظٍ أو حالٍ جاز وقوعُ بعضها فى موقع بعض . قال أبو الفتح : وهذا الكلام من أبى بكر عالٍ سديد . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا المصراع من قصيدةٍ طويلة عدَّتُها خمسون بيتاً ، لزيادٍ الأعجم ، رثَى بها المغيرة بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، أوردها القالى ( فى ذيل الأمالى ) ، وأورد أكثرها ابن خَلِّكان ( فى ترجمة والده المهلَّب ) وهذه أبياتٌ أربعة من أولها :

أبيات الشاهد

( قُلْ للقوافل والغُزاةِ إذا غزَوْا ... والباكِرينَ وللمُجِدِّ الرائحِ
إنَّ الشجاعةَ والسَّماحة ضُمِّنا ... قبرًا بمَرْوَ على الطَّريق الواضحِ
فإذا مررتَ بقبرِه فاعقِرْ به ... كُومَ الجِلاد وكلَّ طِرْفٍ سابحِ
وأنْضَحْ جوانبَ قبرِه بدمائها ... فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ )

---

(١) الشعراء ٤٣٠ والأغانى ١٤ : ٩٩ وأمالى القالى ٣ : ٨ والمرتضى ٢ : ١٩٩ ، ٣٠١ وابن الشجرى ١ : ٤٥ وابن خلكان فى ترجمة المهلب .

ورَوَيْتُ هذه القصيدةَ للصَّلتان . فقال : هى لزيادٍ الأعجم [١] . انتهى .

والقوافلُ : جمع قافلة ، وهى الرُّفقة الراجعةُ من سفرها إلى وطنها . والغُزاة جمع غازٍ . وبكر بكورا من باب قعد : أسرعَ فى الذَّهاب من أوَّل النَّهار . وأجَدَّ فى الأمر : اجتهد . والرائح : الراجع .

وقوله : « إنّ الشَّجاعة والسَّماحة » إلخ هذا مقول القول . وروى أيضاً : « إنّ السَّماحة والمروءة » . والسَّماحةُ : الجُود والعَطاء . والمروءة : آدابٌ نفسانية تحمل مراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات . يقالَ مَرُؤَ الإنسان ، وهو مَرِئٌ ، كقرُب فهو قريب ، أى ذو مروءة . قال الجوهرىّ : وقد تشدَّد فيقال مُرُوّة . و « ضُمِّنا » بالبناء للمفعول متعدٍّ لمفعولين ، أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير التثنية ، والثانى قبراً . وهو مقلوب لأنَّه يقال ضمَّنت الشيء كذا ، أى جعلتُه محتوياً عليه.وفى القلب هنا نكتةٌ ، كأنَّهما لكثرتهما لا يسعهما القَبر ، فهما اشْتملا على القبر وأحاطا بجوانبه . ومَروٌ ، هنا ، هى مَرْوُ الشَّاهِجَان لا مَرْوُ الرُّوذْ ، وكلاهما فى إقليم خراسان .

قال ابن خلكان : ومن سَرَاة أولادِ المهلَّب أبو فراس المغيرة ، وكان أبوه يقدِّمه فى قتال الخوارج ، وله معهم وقائعُ مشهورة ، أبانَ فيها عن نجدةٍ وصرامة ، وكان مع أبيه فى خراسان ، واستنابه بمروِ الشَّاهجان ، وتوفى فى حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين فى رجب . انتهى .

ورأيت فى هامش ( كتاب الشعراء لابن قتيبة ) قال الشريف : هذا الذى رثاه

---

(١) الذى فى أمالى القالى : « وقرأت قصيدة زياد الأعجم على أبى بكر بن دريد فقال : زياد الأعجم كنيته أبو أمامة . وكان فى كتابى للصلتان ، فقال هو : هى لزياد الأعجم » . فهذا تصحيح من ابن دريد لنسبة الشعر ، واجه به ابن دريد القالى الذى روى أمامه القصيدة زاعما أنها للصلتان .

زياد هو المغيرة بن أبى صفرة [١] ، أخو المهلب بن أبى صفرة . انتهى . والله أعلم .

وهذا البيت استشهد به النحويُّون على أنّه أعاد الضمير إلى المؤنَّثين بضمير المذكَّرين . وكان القياس أن يقول : ضمَّنتا . ١٩٣

وعدَّه ابن عُصفور من قبيل الضرورة .

وقد وجَّهَه الفراء كما نقله السيد المرتضى ( فى أماليه ) قال : ذهب إلى أنَّ الشجاعةَ والسَّماحة مصدرانِ ، والعرب تقول : قِصَارةُ الثَّوب [٢] يعجبنى ، لأنَّ تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل ، وهو مذكر . انتهى .

وقوله : « فإذا مررتَ بقبره » إلخ عقرَ البعيرَ بالسَّيف عقراً ، من باب ضرب ، إذا ضرب قوائمه به ، لا يُطلق العقرُ فى غير القوائم . وربَّما قيل عقرهُ ، إذا نحره . كذا ( فى المصباح ) . والكُوم بالضم : جمع كوماء ، بالفتح والمدّ ، وهى الناقة السَّمينة . والجلاد ، بكسر الجيم : جمع جَلْدة بفتحها وسكون اللام ، وهى أدسم الإبل لبنا . والطِّرف ، بالكسر : الأصيل من الخيل . والسَّابح بالموحدة ، من سبحَ الفرسُ ، إذا جرى . يقال فرسٌ سابح ، إذا جرى بقوّة .

وقوله : ( انضَحْ جوانب ) إلخ النّضح بالحاء المهملة : الرشُّ القليل ، وبالخاء المعجمة : البَلّ : يقال نضخ ثوبَه ، إذا بلَّه ، فهو أبلغُ من الأوّل . قال ابن السيد ( فيما كتبه على كامل المبرد ) : اختُلف فى سببِ عقرهم الإبلَ على القبور ، فقال قوم : إنمَّا كانوا يفعلون ذلك مكافأةً للميِّت على ما كان يعقِر من الإبل فى حياته ، وينحره للأضياف [٣] . واحتجوا بقول الشاعر :

---

(١) ما بعده إلى نهاية النص ساقط من ش .

(٢) فى اللسان : « وقصرَ الثوبَ قِصارة عن سيبويه وقصَّره ، كلاهما حوّره ودقّه . وحرفته القصارة بالكسر أيضا .

(٣) ش : « ونحره للأضياف » .

وانضَحْ جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ

وقد قال قوم : إنَّما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميّت ، كما كانوا يذبحون للأصنام . وقيل : إنَّما كانوا يفعلونه لأنَّ الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت ، فكأنَّهم يثأرون لهم فيها . وقيل : إنَّ الإبل أنفَسُ أموالِهم ، فكانوا يريدون بذلك أنَّها قد هانت عليهم لعظم المصيبة . انتهى .

زياد الأعجم

وزيادُ الأعجم هو من شعراء الدولة الأُموية ، أبو أُمامة زياد بن سَلمى مولى عبد القيس ، أحد بنى عامر . كان ينزل إصطخر ، وكانت فيه لكنة ، فلذلك قيل له الأعجم . قاله ابن قتيبة ( فى كتاب الشعراء ) . وقيل : كانت فى لسانه عُجمة ، ولأجْلها قيل له الأعجم . وقيل لأنَّ مولدَه ومنشأه كان بفارس . وكان جَزل الشِّعر ، وحسنَ الألفاظ ، على لكنتهِ فى لسانه[(١)].

رُوِىَ أنّه دعا غلاماً له ليرسله فى حاجة ، فابطأ عليه ، فلما جاءهُ قال له : مُنْذُ دَأَوتُك إلى أن قلت لَبَّىْ ما كنت تَصْنَأ ؟ يريد : منذ دعوتك إلى أن قلت لبَّيك ما كنت تصنع ؟

قال ابن قتيبة : همَّ الفرزدقُ بهجاء عبد القيس ، فبعثَ إليه زياد : لا تعَجلْ حتَّى أُهدِىَ لك هدَّية . فانتظرَها زماناً ثم بعثَ إليه :

فما ترك الهاجُونَ لى إن هجوته مَصَحًّا أراهُ فى أديم الفرزدق [(٢)]
وما تركوا عظماً يُرى تحتَ لحمهِ لكاسرهِ أبقَوه للمتعــرِّق [(٣)]
سأكسر ما أبقَوه لى من عظامِه وانكُتُ مخَّ الساقِ منْه وأَنتقى[(٤)]

---

(١) فى لسانه ، ساقطة من ش .

(٢) الشعراء ٤٣١ . والمصح : مصدر ميمى ، أراد به الموضع الصحيح .

(٣) ش والأغانى ١٤ : ١٠٤ : « ألقوه » . والمتعرق : الذى يأخذ اللحم عن العظم بأسنانه نهشا .

(٤) انتقى العظم انتقاء : استخرج نقيه ، بالكسر ، أى مخه .

وإنّا وما تُهدى لنا إن هجوتنا لكالبحر مَهما يُلقَ فى البحر يَغرَقِ

فلما بلغه الشعر قال : ليس إلى هجاء هؤلاء مِن سبيل ما عاش هذا العبد . انتهى .

وفى الأغانى : كان المهلّب بن أبى صفرة بخراسان ، فخرج إليه زيادٌ ومدَحه فأمر له بجائزة ، وأقام أياما ، فبينما هو يشربُ مع حبيب بن المهلَّب فى دارٍ له فيها دالِيَةٌ (١) عليها حمامة ، إذ سجعت الحمامة ، فقال :

تَغَنَّىْ أنتِ فى ذممى وعَهدِى وذمّةِ والدي مِنْ أن تُضارى (٢)
فإنّك كلَّما غنَّيتِ صوتاً ذكرتُ أحبَّتى وذكرتُ دارى
وإمّا يقتلوكِ طلبتُ ثأراً يُباءُ به لأنّك فى جوارى (٣)



فقال حبيب : يا غلام هاتِ القوس . فقال زياد : وما تصنع بها ؟ قال : ارمى جارتَك هذه . قال : والله لئن رميتَها لأستعدينَّ الأمير عليك ! فأُتى بالقوس ، فنزع لها (٤) سهماً فقتلها ، فدخل زيادٌ على المهلَّب فحدَّثه الحديثَ فقال المهلَّب:علَّى به . فأُتِىَ بحبيبٍ فقال : أعط أبا أمامةَ ديةَ جارته ألفَ دينار . فقال : أطال الله بقاءَ الأمير ، إنَّما كنت ألعب . فقال : أعطِه كما أمرتُك . فأعطاه وشربَ معه مرّةً ثانية ، فعربد عليه حبيبٌ وقد كان مضطغناً عليه ، فشقَّ قَباء ديباج كان عليه ، فقال :

---

(١) الدالية : المنجنون ، والناعورة يديرها الماء .

(٢) الأغانى ١٤ : ١٠٠ : « إن لم تطارى » . وبين هذا البيت وتاليه فى الأغانى :

وبيتك فاصلحيه ولا تخافى على صُفر مزغّبة صغار

(٣) فى الأغانى : « طلبت ثأرا له نبأ » . ويقال باء فلان بفلان وأباء فلانا بفلان : إذا قتل به وصار دمه بدمه سواء .

(٤) ط فقط : « له » صوابه فى ش والأغانى . أى للحمامة .

لعمرىَ ما الدِّيباجَ خرَّقتَ وحدَه ولكنَّما خرَّقت جِلد المهلَّبِ [(١)]

فأحضر المهلب حَبيباً وقال : صدَق زيادٌ ما خرَقْتَ إلاّ جلدى ، تَبعثُ علىَّ هذا فيهجُوَنى . وأمر لزياد بمال وصرَفه .

وفى تاريخ الذهبى : أنّ زياداً شهد فتح إصطخر مَع أبى موسى الأشعرىّ ، وطال عمره ، وحدَّث عن أبى موسى ، وعبد الله بن عُمر ، وحدَّث عنه طاوسُ وغيره . وله وِفادةٌ على هشام بن عبد الملك . وامتدح عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

* * *

وأنشد بعده

( ربمّا تكرهُ النّفوسُ )

هو قطعةٌ من بيت من قصيدةٍ لأُميَّةَ بن أبى الصَّلت ، وهو :

( ربَّما تكره النّفوسُ من الأمْـ ـرِ له فَرْجةٌ كحلِّ العِقالِ )

وتقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد السابع والثلاثين بعد الأربعمائة [(٢)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الثمانمائة [(٣)] :

٨٠٣ ( فذلِك إنْ يلقَ المنيَّة يلقهَا حميدًا وإنْ يستغنِ يومًا فرُبَّما )

على أنّه قد يُحذَفُ بحذف الفعل بعد ربَّما ، والتقدير : ربَّما يُتوقَّع ذلك .

---

(١) رسم البيت منثورا فى النسختين ، وقد جاء على وجهه فى الأغانى ١٤ : ١٠ وأوله : « لعمرك » . وقد زيد فى ش « لعمرك » بعد البيت إقحاما .

(٢) الخزانة ٦ : ١٠٨ — ١١٩ . وفى ط : « إنما تكره » صوابه فى ش وفيما سبق .

(٣) الهمع ٢ : ٨٨ . وانظر الأغانى ٦ : ٧٧ ، ٨٠ .

وقدَّره بعضهم : ربَّما أعانك ، أو هو معين لك .

والبيت من أبياتٍ أوردها صاحب ( الأغانى ) فى ترجمة ابن جامع ، وهى :

أبيات الشاهد

( لحا الله صُعلوكًا مناهُ وهَمُّه من الدَّهر أن يلقَى لُبوسًا ومَطعَما
ينامُ الضُّحى حتَّى إذا اللَّيلُ جنَّهُ تبيَّتَ مسلوبَ الفؤاد مورَّما
ولكنَّ صعلوكًا يُساوِر همَّه ويَمضى على الهيجاء لَيثاً مصمِّما[1]
فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقهَا حميدًا وإنْ يستغن يومًا فربَّما[2] )

صاحب الشاهد

قال صاحب الأغانى : هذا الشعر يقال إنّه لعروة بن الورد ، ويقال هو لحاتم الطائى ، وهو الصحيح[3] .

أقول : أبيات عروة رائية ، وليست هذه له . ولحاتم قصيدةٌ على هذا الروىِّ وليس فيها هذه الأبيات[4] ، وفيها ما يشبهها وهو :

وليلٍ بهيم قد تسربلتُ هَوْلَه إذا الليل بالنِّكسِ الضَّعيف تجهَّما
ولن يكسِبَ الصُّعلوك مالاً ولا غنى إذا هو لم يركَبْ من الأمر معْظَما
١٩٥ يَرى الخُمصَ تعذيباً وإن يلقَ شُبعةً يبِتْ قلبُه من قلّة الهمِّ مُبْهَما[5]
ولكنَّ صُعلوكاً يُساوِرُ همَّه ويَمضى على الأيام والدَّهرِ مُقدِما[6]

---

(١) فى الأغانى ٦ : ٧٧ والديوان : « ويمضى على الأحداث والدهر مقدما » ، وفى الموضع الثانى من الأغانى كما هنا .

(٢) الأغانى فى الموضعين : « يلقها كريما » .

(٣) ط : « وهو صحيح » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٤) الحق أن الأبيات وردت فى ديوانه ٢٣٩ – ٢٤٠ من صنعة يحيى بن مدرك الطائى ، وكذلك وردت فى ديوانه ١٠٩ من مجموع خمسة دواوين من رواية يحيى عن ابن الكلبى أيضا .

(٥) يقال عنده شبعة من طعام ، بالضم ، أى قدر ما يشبع به مرة .

(٦) انظر ما سبق من تعليق على هذا البيت .

يرى رمحَه ونَبْلَه ومِجنَّه  وذا شُطَب لَيْنَ المَهزَّة مِخْذما[١]
وأحناءَ سرجٍ قاترٍ ولجامَه  مُعِدًّا لدى الهيجاءِ طِرفا مسوَّما[٢]
فذلك إنْ يهلكْ فحُسْنَى ثناؤه  وإن يحَىَ لا يقعدْ ضعيفاً ملوَّما[٣]

ورأيت ( فى ذيل أمالى القالى ) أبياتاً على هذا النَّمط غير معزُوةٍ لقائلها ، وهى :

لحا الله صُعلوكاً اذا نال مَذقةً  توسّد إحدى ساعدَيه فَهوَّما[٤]
مُقيما بدار الذّلِّ غيرَ مناكرٍ  إذا ضِيمَ أغضَى جَفْنَهُ ثم بَرْشَما
يلوذُ بأَذرَاءِ المشاريب طامعاً  يَرى المنعَ والتعبِيسَ من حيثُ يمما[٥]
يضنُّ بنفسٍ كَدَّرَ البؤسُ عَيْشَها  وجُودٌ بها لو صانها كان أحزَما[٦]
فذاك الذى إن عاشَ عاشَ بذلّة  وإن مات لم يَشْهَد له النّاسُ مأتما
بأرضِك فَاعرُكْ جلد جَنبكَ إنَّنى  رأيتُ غريبَ القوم لحماً موضَّما

والله أعلم بقائل أبيات الشاهِد .

---

(١) فى نسختى الديوان : « ترى رمحه » ، وفى ط : « بين المهذة » ، صوابه فى ش . وفى الديوان : « عضب الضريبة » .

(٢) فى نسختى الديوان : « عتاد فتى هيجا وطرفا مسوما » .

(٣) هذا البيت الأخير ساقط من الديوانين .

(٤) للأبيات قصة فى ذيل الأمالى ٣ : ١٧٩ عن الكلبى قال : قتل الشيظم بن الحارث الغسانى رجلا من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلحق بالعراق – أو قال : بالحيرة – متنكرا ، وكان من أهل بيت الملك ، فكان يتكفف الناس نهاره ويأوى إلى خربة من خراب الحيرة ، فبينما هو ذات يوم فى تطوافه إذ سمع قائلا يقول ... » . وأنشد الأبيات التالية .

(٥) الأذراء : جمع ذرى كفتى ، وهو ما يكنك من حائط أو شجر أو نحوه . وفى ط : « بأرزاء » ، صوابه فى ش والأمالى . وفى الأمالى أيضا : « المثاريب » موضع « المشاريب » . والمشاريب : جمع مشرب ، بزيادة الياء فى الجمع .

(٦) ط : « لو هانها » ، صوابه فى الأمالى وفى ش أيضا ، لكن مع أثر تصحيح .

وقوله : « لحا الله صُعلوكا » أى قبَحَه الله وشوَّهه . والصُّعلوك بالضم : مَن لا يملك شيئاً . واللَّبوس : اللِّباس .

وجَنّه الليلُ : ستره . ومورَّماً : متنفِخاً من الغَمّ . يعنى قَبح الله الصُّعلوك الذى يكسَل عن اكتساب ما يَكفيه .

ويُساور : يُواثب . والهَمّ : أوّل العزم ، وهو إرادة الشيء بدون فعِله . والهَمُّ : الحزنُ أيضاً . واللَّيث : الأسد . والمصمِّم : الماضى فى عزمه لا يثنيه شيء .

وقوله : « فذلك » ، أى ذلك الصعلوك الذى يساور همَّه ، ولا يثنيه شيءٌ عن الغَزْو للغنائم ، إن أدركتْهُ المنيّةُ قبل بلوغ الأُمنيَّة لقيَها محمودًا ، إذْ كان قد فعل ما وجبَ عليه ، وأقام عذره فى مطلوبه باستفراغ الوُسع فى السَّعى له . وإن نال الغنى يوماً فكثيرا ما يُحمد أمره . فالمحذوف بعد ربَّ هو ما ذكرناهُ بعدَ كثيراً . وهو المناسب للمعنى ، لا ما تقدَّم .

وخبر قوله : « ولكِنَّ صعلوكا » محذوف ، يقدَّر بعد تمام البيت ، أى وهو المدعوُّ له بالخير والممدوح عند النَّاس ، بدليل ما قبله ، وهو « لحا الله صُعلوكا » إلخ ، فإنّه ضدٌّ له ، وتكون الجملتان يُساور ، ويمضى ، صفتين لصعلوك ، ويكون قوله : « فذلك إن يلقَ » إلخ تفصيلاً [١] لجهة الدُّعاء والمدح . فذلك مبتدأ ، والجملة الشرطية خبره .

وقال شراح الحماسة ( منهم المرزوقى ) : قوله : إن يلق المنية خبرُ قوله ولكنَّ صعلوكاً ، كما لو انفرد عن قوله فذلك ، لكنّه لما تراخى الخبَرُ عن المخبر عنه وتباعد المقتضَى عن المقتضِى له أتى بقوله فذلك ، مشيراً به إلى الصعلوك ، فصار إنْ يلق خبراً عنه . وساغ ذلك لأنَّ المراد بالأوَّلِ والثانى شيءٌ واحد . هذا كلامه .

---

(١) ش : « تفصيل » ، صوابه فى ط .

وقد وقع هذا البيت فى شعر عروة بن الورد بقافية رائيَّة كذا :

* وإن يستغن يوماً فأجدرِ *

أى إن نال الغنى يوماً فما أحقَّه بذلك وما أَلْيَقَه به . وقد استشهد به شُرّاح الألفية وغيرُهم على أنَّ أجْدِرْ صيغة تعجُّب ، حذف منه المتعجَّب منه حذفاً غير قياسىّ ، إذ لا يجوز ذلك فى أفعِلْ به ، إلاّ إذا كان معطوفاً على آخر مذكور معه المتعجَّب منه ، كقوله تعالى : ﴿ أسمِعْ بهم وأبصر [(١)] ﴾ أى وأبصر بهم . وكذلك التقدير فى البيت . وأجدِرْ به أى بالاستغناء . وقال العينى : به أى بِكونه حميدا . فتأمَّلْ . ١٩٦

صاحب الشاهد

وهذا البيت آخر قصيدةٍ لعروة بنِ الوَرْد ، اختار منها أبو تمام ثمانية أبيات أوردها ( فى الحماسة ) ، وهى :

أبيات الشاهد

لحا الله صُعلوكاً إذا جَنَّ ليلُه ... مُصافِى المُشاشِ آلِفاً كلَّ مَجزَرِ[(٢)]

يَعُدُّ الغنى من نفسه كلَّ ليلة ... أصابَ قِراها من صديقٍ ميسَّرِ

ينام عِشاءً ثم يصبحُ ناعِساً ... يحتُّ الحصا عن جَنْبِه المتعفِّرِ

يُعين نساءَ الحىّ ما يَستَعِنَّه ... ويُمسِى طليحاً كالبَعير المحسَّرِ[(٣)]

ولكنّ صعلوكا صفيحةُ وجهه ... كضوء شِهاب القابس المتنوِّرِ

مُطِلاًّ على أعدائه يزجُرونه ... بِساحَتِهمْ زَجْرَ المنيح المشهَّرِ

إذا بعدوا لا يأمنون اقترابَه ... تَشوُّفَ أهلِ الغائب المتنظَّرِ ١٩٩

فذلك إنْ يلق المنية يَلْقَها ... حَميداً ، وإن يستغنِ يوماً فأجدرِ

---

(١) الآية ٣٨ من سورة مريم .

(٢) وكذا فى الحماسة ٤٢١ بشرح المرزوقى . وفى ش : « مضى فى المشاش » . وهذه هى رواية الديوان ٩٣ .

(٣) فى النسختين : « ما يشبعنه » ، صوابه فى الديوان .

وقولِه : « لحا الله صُعلوكاً » إلخ قال المرزوقى : لحا الله : كلمة تُستعمل فى السبّ ، وأُصله اللَّوم والقَشْر . يقول : زاد الله فقراً لكلِّ فقير يرضَى من عَيشه بأن يطوفَ فى المجازر إذا أظلم الليل ، ويلتقطَ المُشاشَ منها ، كأنّه يُصافيها ويلازمها حُبًّا . وإنَّما قال هذا على وجه الإنكار ، أى لِمَ يَقنعُ بذلك ، ومالَهُ يُسِفُّ لمثل هذه المطامع الخسيسة ، ولا يطلُب معالىَ الأمور . والمشَاش : كلُّ عظمٍ هشٍّ دسِم . ومُصافِى المشاش صفة لصعلوك ، والإضافة لفظية وسكن الياء من مصافى ضرورة . والمَجزَر بفتح الزاء وكسرها : الموضع الذى ينحَر فيه الإبل [١] .

وقوله : « يَعدُّ الغنى » الخ يقولِ : لفرحه بما يناله من كسْبِه الدنىء يعُدُّ إذا أصاب القِرى لدى صديق وُلدتْ له شِياةٌ فاتَّسع اللبن عنده ، الغنىَ حاصلاً عنده . والميسَّر : ضدُّ المجنِّب ، يقال يسَّر الرّجُل ويَسَّرت غَنمُه ؛ وجَنّب الرجلُ ، إذا قّلت الحَلُوبَةُ فى إبله وغنمه . وأضافَ القرى إلى ضمير الليلة مجازًا ، والمرادُ قراهُ فيها .

وقولهُ : « ينام عِشاء » ، إلخ يقول : ينام هذا الصعلوك لدناءة همّته واستيلاء الكسل عليه ومكسبِه قُبُلَ الليل [٢] ؛ لأنّ هِمَّته [٣] فى راحته وحرصِه على ما يسدُّ جوعَه به [٤] ثم يأتى الصَّباحُ عليه وهو ناعس بعدُ ، غير قاضٍ حاجتَه من الرُّقاد ، ولا ضَجرٍ فى مُضْطجَعِه [٥] بالتساقط ، ينفى عن جنبه ما لَصِق به من الحصا والتراب ، لأنَّه نام بلا وِطاء . وقوله : « يَحُتُّ الحصا » أى يُسقِطه ، فهو قريبٌ من يَحُطّ . والعَفَر : التراب .

---

(١) ط : « ينحر فيه الإبل » .

(٢) قبل الليل : أوله . وعند المرزوقى : « على نفسه ومكسبه قبل الليل » .

(٣) فى النسختين : « نهمته » ، صوابه فى المرزوقى .

(٤) فى المرزوقى : « جوعته به » .

(٥) ط : « فى مضغه » ، صوابه فى ش . وعند المرزوقى : « فى مضجعه » .

وقوله : « ولكن صُعلوكا » إلخ صفحة الرجل وصفيحته : عُرض وجهه ، أى ضوء صفحة وجهه . يقول : ولكنّ فقيراً مشرق الوجه (١) صافىَ اللون لا يتخَشّع لفقره ، فكأنّ ضوءَ وجهه ضَوءُ القابس ، أى ذى القبس أى النار . والمتنوِّر : المستضىء بضوء النار .

وقولُه : « مِطلاًّ على أعدائه » إلخ أطلّ على كذا:أوفَى عليه . والمنيح : قِدحٌ لا نَصيبَ له . يقول : ولكن الفقير المضىء الوجه ، الذى يسعى فى غِناهُ فيشرف على أعدائه غازياً ، وهمْ يزجرونه وقتاً بعد وقت ، كما يُزجَر هذا القِدْحُ فى خروجه ، ومع ذلك يُردّ . قال التّبريزى : كان الأيسار يَقِفون عند المُفِيض فيتكلّم كلُّ واحدٍ منهم كأنّه يخاطب قِدحه فيأمُرُهُ بالفوز ، ويزجره من أن يخِيب ، فذلك زَجْرُهُ . ١٩٧

وقولُه : « إذا بعُدوا » إلخ يقول : لا يأمنونه وإنْ بعدُوا ، بل يتشوّفونه تشوُّف الغائب المنتَظَر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٢) :

٨٠٤ ( وبلــدةٍ ليسَ بها أنــيسُ إلاّ اليَعافيـرُ وإلاّ العِيسُ )

على أنّ الواو فى ( وبلدة ) واو ربَّ ، وبلدةٍ مجرورة بربَّ المحذوفة .

---

(١) ش فقط : « شرق الوجه » .

(٢) فى كتابه ١ : ١٣٣ ، ٣٦٥ . وانظر معانى الفراء ١ : ٤٧٩ والأشناندانى ٣٣ والمقتضب ٢ : ٣١٩ ، ٣٤٧ / ٤ : ٤١٤ ومجالس ثعلب ٣١٦ ، ٣٥٢ والإنصاف ٢٧١ ، ٣٧٧ وابن يعيش ٢ : ٨٠ ، ١١٧ / ٧ : ٢١ / ٨ : ٥٢ والشذور ٢٦٥ والعينى ٣ : ١٠٧ والتصريح ١ : ٣٥٣ والهمع ١ : ٢٢٥/ ٢ : ٤٤ والأشمونى ٢ : ١٤٧ وديوان جران العود ٥٣ .

وكذا أنشدهُ سيبويه ( فى باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف ) على أنّ بلدةٍ جُرّ بإضمار رُبّ . وجعَل هذا تقويةً لإضمار الفعل مع قوّته ، إذْ جاز إضمار حرف الجر مع ضعفه . والواو عنده حرف عطف ، غير عوضٍ من رُبَّ ، إلاَّ أنّها دالّة عليها ، وأُضمِرت لذلك وهى عنده غير عوض من رُبّ . وقد أوضحَه ابن الأنبارى ( فى مسائل الخلاف ) وبيَّنه بدلائل : أنّ ربَّ محذوفة وأنَّ الجرَّ بها ، وأنّ الواو للعطف لا لأنّها عوضٌ عنها . وحقَّق أن ربَّ حرفٌ لا اسمٌ ، خلافاً للكوفيِّين فى المسألتين .

وأنشده سيبويه ثانياً ( فى باب ما يختار فيه النصب لأنَّ الآخِر ليس من نوع الأوّل ، من أبواب الاستثناء ) قال : النصب لغة الحجاز ، وذلك ما فيها أحدٌ إلا حماراً ، جاءُوا به على معنى ولكنَّ حمارا ، وكرِهوا أن يُبدِلوا الآخِر من الأول فيصيِرَ كأنّه من نوعه . وأمّا بنو تميم فيقولون:لا أحد فيها إلا حمارٌ ، أرادوا : ليس فيها إلاَّ حمارٌ ، ولكنَّه ذكر أحدً توكيدًا ، ليُعلم أنْ ليس بها آدمىٌّ ثم أبدلَ ، فكأنه قيل : ليس فيها إلاَّ حمارٌ ، وإنْ شئتَ جَعلتَه إنسانها كقولك : مالى عتابٌ إلاَّ السَّيف . ومثل ذلك :

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاَّ اليَعافيرُ ... البيت

فاليعافير بدلٌ من أنيس .

وكذا أورده الفراء ( فى تفسيره ) عند قوله تعالى : ﴿ إلاَّ قوْمَ يونسَ [١] ﴾ شاهداً للإبدال فى الاستثناء المنقطع ، على لغة تميم .

وكذا أوردَهُ صاحب ( الكشاف ) عند تفسير قوله تعالى ﴿ قل لا يَعْلَمُ مَنْ فى السمواتِ والأرض الغيبَ إلاَّ الله [٢] ﴾ .

---

(١) من الآية ٩٨ فى سورة يونس .

(٢) الآية ٦٥ من النمل .

والبَلْدة : القطعة من الأرض ، ومطلقُ الأرض . و ( الأنيس ) : مَن يؤنَسُ به من النّاس . و ( اليعافير ) جمع يَعفورٍ ، وهو ولد الظَّبية ، وولدُ البقَرة الوحشيَّة أيضا . وقال بعضهم : اليعفور تَيس الظِّباء . والعيس : إبلٌ بيضٌ يخالط بياضَها شُقرة ، جمع أعيس ، والأنثى عيساء .

صاحب الشاهد

والبيتان من رجزٍ لجِران العَوْد ، وأوّلُه :

أشطار الشاهد

( قد ندَعُ المنزلَ يالَميسُ يَعتسُّ فيه السَّبُعُ الجَرُوسُ
الذِّئبُ أو ذُو لِبَدٍ هَموسُ وبلدةٍ ليس بها أنيسُ
إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العِيسُ وبقَرٌ مُلمَّعٌ كُنُوسُ
كأنّما هنّ الجوارى الميسُ )

هذا ما رأيته فى ديوانه . وقال شارحه محمد بن أبى القاسم بن عُروة [١] الأزدى : لمَيس : اسم امرأةٍ . ويَعتَسُّ : يطلُب باللَّيل ما يأكلُه . والجَروس ، بالجيم : فَعُول من الجَرْس ، وهو الصَّوت الخفىّ . والذِّئبُ بدلٌ من السَّبُع . وذو لبِدٍ : الأسد . ولِبَدَ ، بكسر ففتح : جمع لِبدة بكسر فسكون ، وهو ما بين كتفيه من الوبر المتلبِّد . والهموس : الخفيف الوطء . ويروى :

* بسابساً ليس بها أنيس *

١٩٨

بدل قوله : « وبلدة ليس بها أنيس » ، فلا شاهد فيه ، وهو جمع بَسْبَس ، وهو القفر . والملمَّع : الذى فيه لُمَعٌ جمع لمُعة ، وهى بياضٌ وسواد . والكُنوس : المتّخذة كِناسا . والكِناس : مأوَى الظباءِ وبقر الوحش . والجوارى : جمع جارية . والمِيس : جمع مَيْساءَ ، من المَيْس ، وهو التبختُر فى المشْى .

ورأيت ( فى أمالى ثعلب ) هذا الرجزَ هكذا غير معزوٍّ لأحد :

دارٌ لليلى خَلَقٌ لبيسُ ليس بها من أهلها أنيسُ
إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العِيسُ وبقرٌ مُلَمَّعٌ كُنوسُ

---

(١) ط : « عذرة » ، وأثبت ما فى ش ، وهو الوجه .

والخَلَق : الدائر الدّارس . واللَّبيس : المتَلبِّس (١) على من كان يعرفه فلا يتحقَّقه .

ورأيته أيضا ( فى كتاب أبيات المعانى ) بخط أبى الفتح بن جنّى ، وعليه إجازةٌ بخط أبى على الفارسى ، كتبها لابن جنىّ لمَّا قرأهُ عليه ، وهو تأليف أبى عثمانَ الأُشناندانىِّ سعيد بن هارون ، من رواية ابن دريد كذا :

يا ليتنى وأنتِ يالميسُ     فى بلدٍ ليس به أنيسُ

إلا اليعافير وإلاَّ العيس

وعلى هاتين الروايتين لا شاهدَ فيه .

جران العود

وجران العوذ لقب شاعرٍ من بنى ضِنَّةَ بن نمير بن عامر بن صعصعة . والجران ، بكسر الجيم . والعَوْد بفتح العين المهملة وسكون الواو وآخره دال مهملة ، هو المسنُّ من الإبل .

كتب ياقوتُ بن عبد الله الحموىّ ( فى حاشية مختصرِ جمهرة ابن الكَلبىّ ) : ومن بنى ضِنَّة بن نمير : جران العَودِ الشاعر ، واسمه عامر بن الحارث بن كُلْفة ، وقيل كَلَدة . وإنّما سمِّى جرانَ العَود لقوله يخاطب امرأتيه :

عَمَدتُ لعَـودٍ فالتحيتُ جِرانَـه     ولَلكَيسُ أمضى فى الأمور وأنْجَحُ

خُذَا حذراً يا ضَرَّتَــىَّ فإنَّنــى     رأيتُ جران العَود قد كادَ يصلحُ (٢)

والجِران : باطن العنق الذى يَضعُه البعير على الأرض إذا مدَّ عُنُقَه لينام ، وكان يُعمل منه الأسواط . فهو يهدِّدهما . انتهى .

---

(١) المتلبس : المختلط ، وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « الملتبس » .

(٢) ط : « قد كان » .

وكتب أيضا فى الهامش الداخل : ومن بنى ضِنّة بن نُمير جرانُ العَود ، صاحبُ الضَّرَّتين اللتين ضربَتاهُ ، وخنَقتاه ، فعمَد إلى جَمَلٍ فنحره وسَلخَ جرانه ، وهو جِلدُ ما بين اللَّبّة إلى اللَّحيين من باطنٍ ، ثم مرَّنه وجعل منه سوطا ، وهو يقول :

عَمَدت لعود فالتحيتُ جرانه ... البيتين .

فسمِّى جرانَ العود ، وذهبَ اسمُه فلا يعرف . انتهى .

وضِنّة بكسر المعجمة وتشديد النون .

قال ابن قتيبة ( فى كتاب الشعراء ) كان جران العود والرحّالُ خِدْنين [١] ، فتزوَّج كلُّ واحدٍ منهما امرأتين ، فلقيا منهما مكروهاً ، فقال جران العَود قصيدةً يذمّهما ويشكو منهُما ، تقدَّم منها بيتان . ومنها :

ألاَ لا تغُرَّنَّ امــرأً نوفليَّــةٌ ... على الرأس بَعدى أو ترائبُ وضَّح [٢]
ولا فاحمٌ يُسقَى الدِّهانَ كأنّه ... أساوِدُ يُزهِيها لعيَنِكَ أبطحُ
وأذنابُ خَيلٍ عُلِّقت فى عقيصةٍ ... ترى قُرطَها من تحتها يتطوَّحُ

وفيها يقول :

جرت يومَ جئنا بالرِّكاب نزُفُّها ... عُقابٌ وتَشحاجٌ من الطير مِتْيَحُ
فأمّا العُقاب فهى مِنّا عُقوبةٌ ... وأمّا الغرابُ فالغريب المطوَّحُ
هى الغولُ والسِّعلاةُ حَلقِىَ منهما ... مكدَّحُ ما بين التَّراقى مجرَّحُ
خُذا نِصفَ مالى واتركا لىَ نصفَه ... وبِينَا بذّمٍ فالتعــزُّبُ أروَحُ

١٩٩

(١) الخدن ، بكسر الخاء ، وكأمير أيضا : الصاحب . وفى ش : « حدثين » ، تحريف .
(٢) انظر الحيوان ٤ : ٢٤٦ .

وقال الرحَّال :

فلا باركَ الرحمن فى عَود أهلِها عَشيَّةَ زفُّوها ولا فيكَ من بَكْرِ

ولا الزَّعفرانِ حينَ مسَّحنَها به ولا الحلي منها حين نِيطَ إلى النَّحرِ[1]

ولا فُرش ظُوهِرْن من كلِّ جانبٍ كأنِّىَ أُطوَى فوقهنَّ من الجَمرِ

فياليتَ أنَّ الذئبَ خلَّل دِرعَها وأن كان ذا نابٍ حديدٍ وذا ظُفرِ

وجاءوُا بها قبلَ المَحاقِ بليلةٍ وكان مَحاقاً كلُّه ذلك الشّهرُ

لقد أصبح الرحّالُ عنهنَّ صادفاً إلى يوم يلقى الله فى آخر العُمرِ

وقوله : « وكان محاقا كله ذلك الشهر » فيه إقواء ، وروى :

* وكان محاقاً كلُّه آخرُ الشَّهرِ *

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الثمانمائة [2] :

٨٠٥ ( رسمِ دارٍ وَقَفتُ فى طَلَلِهْ كِدتُ أقضى الحياةَ من جَلَلِهْ )

على أن رسماً مجرورٌ بربّ المحذوفة ، وهو شاذٌّ فى الشعر كما بيَّنه الشارح المحقِّق .

صاحب الشاهد

وهو مطلع قصيدةٍ لجميل بن مَعْمرٍ العُذْرىّ . وبعده :

( مُوحِشاً ما تَرى به أحدًا تَنسِج الرِّيح تُرْبَ مُعتدِله )

---

(١) ط : « مسحتها » ، صوابه فى ش .

(٢) أمالى القالى ١ : ٢٤٦ والسمط ٥٥٧ والخصائص ١ : ٢٨٥ / ٣ : ١٥٠ وسر الصناعة ١ : ١٤٩ والإنصاف ٣٧٨ وابن يعيش ٣ : ٢٨ ، ٧٩ / ٨ : ٥٢ ورصف المبانى ١٥٦ ، ١٩١ ، ٢٥٤ ، ٣٨٧ والمغنى ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٨٢ والعينى ٣ : ٣٣٩ والتصريح ٢ : ٢٣ والهمع ١ : ٢٥٥ / ٢ : ٣٧ ، ٧٢ وديوان جميل ١٨٧ .

إلى أن قال :

أبيات الشاهد

( يا خليلــــىَّ إنَّ أمَّ جُبَير حينَ يدنو الضَّجيعُ من غَلَله[١]

روضةٌ ذات حَنْوةٍ وخُزامَى جاد فيها الرَّبيعُ من سَبَلِـه

بينما نحنُ بالأراكِ معـــاً إذْ بدا راكبٌ على جَمَلـه

فتأطَّـــــرتُ ثم قلتُ لها أكرمِيـه حُيِّـيتِ فى نُزُلـهِ

فظَلِلْنـا بنَعْمـةٍ واتَّكأنـا وشَرِبنـا الحلالَ من قُللـه

قَد أصونُ الحديث دونَ أخٍ لا أخاف الأذاةَ من قِبَلِـه

وخليـلٍ صافـيتُ مرتضيـاً وخليـلاً فارقتُ من مَلِلـه

غيــرَ بغضٍ له ولا مَلَــقٍ غير أنِّى أشَحْتُ من وَجَلِه[٢] )

وقوله : ( رسْمِ دار ) إلخ الرسم : ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار ، كالرَّماد ونحوه . و ( الطَّلَل ) : ما شخَص من آثارها كالوتِد والأثافىّ ، وإضافته إلى ضمير الرسم بتقدير مضاف ، أى طلل دارِه ، وقيل ينبغى أنْ يراد بالرَّسم هنا الأثر أو بقيَّته لإضافة الطلل إلى ضميره إن لم تُجعَل الإضافةُ لأدنى ملابسة . وجملة ( وَقفتْ ) فى محل الصِّفة لرسم . و ( كدت ) جواب رُبَّ . وكاد من أفعال المقاربة . و ( أقضى الحياة ) خبر كاد ، من قضيت الشيء إذا أدّيته . وروى : « كدت أقضى الغداة » مِنْ قضَى فلانٌ ، إذا مات . والغَداةَ : ظرفٌ بمعنى الضَّحوة . وقال الدماميني : الغداة ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . وقوله : ( من جَلله ) بفتح الجيم ، فيه تفسيران قال القالى ( فى أماليه ) : قرأت على أبى

٢٠٠

(١) ط : « أم جسير » وكذا فى الديوان . وأثبت ما فى ش والسمط ٥٥٧ . وفى الأغانى ٧ : ٧٤ : « أم حسين » .

(٢) الملق : عدم الصدق فى الود . وفى الأغانى والديوان : « ولا لاجتناب » .

بكر بن دريد ( فى كتاب الأبواب للأصمعى ) فعلت ذلك من جلل كذا ، أى من عِظَمه فى صدرى . وقال أبو نصر : فعلت ذلك لجلَلِكَ وجَلالِك ، أى لعظمتك فى صدرى . وأنشد الأصمعىُّ لجميل :

* رسمِ دارٍ وقفتُ فى طلله * .... البيت

ورَوِيتُ من غير هذا الوجه تفسيرَ من جَلِله : من أجْله . ويُقال : فعلت ذلك من أجْلك وجَلَلك وجَلالك . وأنشد الأصمعىُّ فى جَلالك :

وغيدٍ نَشاوَى من كرًى فوق شُزَّبٍ من اللَّيل قد نبهتُهمْ من جَلالِكِ[1]

أى من أجلك . انتهى .

وقال ابن السكيت ( فى كتاب الأضداد ) : يقال فعلته من أجلك أى من أجل عظَمتك عندى . قال جميل :

* كدت أقضى الغداةَ من جلله *

أى من عظَمته فى صدرى .

وبهذا المعنيين ذكره ابن هشام ( فى جلل ، من المغنى ) .

وبما نقلنا يضمحلُّ كلام الدمامينى ليس بمعنى العِظَم حتَّى يفسَّر به ، وإنّما هو بمعنى العظيم . فلو قيل أراد من عِظَم أمره فى عينى لكان مناسباً . انتهى .

وأىّ فرق بينَ مِنْ عظَمِهِ ومن عِظَمِ أمره ، وهل هما إلاَّ سواء .

وأعجب من هذا قول ابن المُلاّ : وقعَ فى الصِّحاح تفسير الجَلل فى البيت بالعِظَم لكن لا على أنّه اسمٌ جامد ممَّا الكلام فيه ، بل على أنّه من الجليل بمعنى العظيم . انتهى .

---

(١) فى الأمالى : « من جلالكا » .

ولا يخفى أنّ كليهما جامد ، والمادة متّحدة ، ومعناهما متقارب ، والجلَلُ يأتى بمعنى الجليل والعظيم ، كما قال الشاعر[١] فى قتل قومِه أخاه :

فلئن عفوتُ لأعفُوَنْ جَلَلاً ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عظمِى

ويأتى بمعنى الحقير كقول امرئِ القيس فى قتل أبيه :

* ألا كلُّ شيءٍ سواهُ جلَلْ [٢] *

قال القالى ( فى أماليه ) هناك : الجلل : اليسير . وقال أبو نصر : والجلل : العظيم أيضاً . وكان الأصمعىُّ يقول : الجلل : الصغير اليسير ، ولا يقول الجللَ للعظيم [٣] . والجُلَّى : الأمر العظيم . وجُلُّ كلِّ شئ : العظيم منه . انتهى .

وأراد باليسير الحقير فإنّه الغالب . وقوله : مُوحشاً حال ، وجملة « ما ترى به أحدا » صِفة كاشفة له . وقوله : « تنسج الرِّيح » إلخ نَسْج الريح [٤] : هبوبُها من جهاتٍ شتَّى ، فتثير التُّرابَ فتغطِّى المعالم فلا تُعرَف . والتُّرب بالضم : لغة فى التراب ، وفيه حذف مضاف أى تُرب مكانه المعتدِل . وروى : « تمسح الريح » ، يقال مسحته الريح إذا غيَّرتْه .

وأم جُبَير [٥] بضم الجيم . والغَلَل ، بفتح الغين المعجمة واللام : داء . وقال العينى : هو الماء بين الأشجار . وروضة خبر لإنّ . والحنوة [٦] بفتح المهملة

(١) هو الحارث بن وعلة ، كما فى الحماسة ٢٠٤ بشرح المرزوقى واللسان ( جلل ) .

(٢) صدرُه كما فى ديوان امرئ القيس ٢٦١ واللسان ( جلل ) :

* لقتل بنى أسد ربها *

(٣) فى الأمالى : « الجلل العظيم » .

(٤) ش : « تنسج الريح » .

(٥) ط : « أم جسير » بالسين . وانظر ما سبق فى الحواشى .

(٦) ط : « الحنوة » باسقاط الواو .

وسكون النون : نبتٌ طيِّب الريح . والخُزامى بضم المعجمة والقصْر هو خِيرِىُّ البَرِّ . والسَّبَل بفتحتين : المطر .

وقوله : « بينما نحنُ بالأراك » قال أبو عبيد البكرى ( فى معجم ما استعجم ) :

٢٠١ هو موضع بعرفة . روى مالك بن علقمة بن أبى علقمة عن أمِّه ، أنَّ عائشة أمّ المؤمنين كانت تنزل بعرفة بنَمِرَة ، ثم تحوَّلت إلى الأراك فالأراكُ من مواقف عرفة من ناحية الشام ، ونَمِرة من مواقف عرفة من ناحية اليمن . انتهى .

وزعم العينى ، وتبعه السُيوطى ، أنَّ الأراك هنا هو الشجر المعروف .

وهذا البيت أورده ابن هشام ( فى بحث ما الكافّة ، من المغنى ) .

وقوله : « فتأطَّرتُ » أى ملت نحوه ، من تأطَّر الرُّمح ، إذا تثَنَّى . والنُّزُل ، بضمتين : طعام النَّزيل الذى يُهيَّأ له .

وقوله [١] : « فظللنا بنعمةٍ » إلخ واتَّكأنا مهموز ، قال ابن قتيبة : معناه طَعِمنا وأكلنا ، من قوله تعالى : ﴿ وأعتَدَتْ لهنّ متّكأ [٢] ﴾ أى طعاما . وقال البيضاوىّ وقيل متّكأ طعاماً أو مجلسَ طعام ، فإنَّهم كانوا يتَّكئون للطَّعام والشراب تترّفاً ، ولذلك نُهِىَ عنه . قال جميل :

* فظلِلنا بنَعمةٍ واتكأنا * البيت

وقيل المتكأ : طعام يُحَزُّ حزًّا . كان القاطع يتّكئُ عليه بالسكين . انتهى .

والحلال على لفظ ضدِّ الحرام . قال العلامة الشيرازىّ : هو النبيذ ، وسماه حلالاً على وجه الخلاعة .

---

(١) وقوله ، ساقطة من ش .

(٢) الآية ٣١ من سورة يوسف .

ولا يخفى [١] أنَّ حمله على ظاهره أنسَبُ ، لأنَّ قائله مؤمن ، وكان فى عرفةَ فى موسم الحجّ . ويبعُد أن يكون على ما قاله الشيرازى .

وأغرب من هذا ما قاله الخَضِر المَوصلىّ : ويجوز أن يكون تسميتُه بالحلال على رأيِ من يراه حلالا كالحنَفِيَّة مثلاً . هذا كلامه ، ولا يخفى قُبحه .

والقِلل : جمع قُلَة ، وهو إناءٌ للعرب كالجَرَّة .

وقوله : « غير أنِّى أشحت من وَجَلة » أشاح بالشين المعجمة والحاء المهملة بمعنى حَذِر وخاف .

وترجمة جَميل العُذرىّ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والستين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

* وقاتِم الأعماقِ خاوى المخترَقْ *

على أنَّ ( ربَّ ) المحذوفة بعد الواو تَجُرُّ فى الشعر ، وقاتم مجرورٌ بها .

قال الأصمعى : القُتْمةُ : الغبْرة . وأسود قاتم . أى ربَّ بلدٍ مُغْبَرّ و ( الأعماق ) : جمع عمقٍ بفتح العين وضمها ، وهو ما بعُد من أطراف المفاوز . و ( الخاوى ) : الخالى . و ( المخترق ) بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخَرْق وهو الشَّقّ ، استُعمل فى قَطع المفازة . تقول : خرقت الأرض ، إذا قطعتَها . ومُخْترَق الرياح ونحوها : ممرُّها .

---

(١) الكلام من هنا إلى « لا يخفى » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزانة ١ : ٣٩٧ – ٣٩٨ .

وهذا البيت من أُرجوزةٍ لرؤبة تقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الثمانمائة [٢] :

٨٠٦ ( فإنْ أَهلِكْ فذى حَنَقٍ لظاهُ     علىَّ تَكاد تلتهبُ التِهابا )

على أنّ ( ربَّ ) المحذوفة بعد الفاء ، تعمل الجرَّ فى الشعر . و « ذى حنقٍ » مجرور بها .

قال ابن جنى ( فى إعراب الحماسة ) : ذى مجرورة بربَّ ، أى فربَّ ذى حنَق . وحَذَفها للعلم بموضعها ، كقول الآخر :

ورسمِ دارٍ وقفتُ فى طَلَلِهْ     كدتُ أقضِى الغداةَ من جَلَلِه [٣]

أى وربَّ رسم دار . وهَذا يدفع قول أبي العباس إنّ الواو فى نحو قوله :

* وبلدٍ تَحسبَه مكسوحا [٤] *

هى التى جَرّت بلدًا لمَّا خَلفَتْ ربّ فكانت عوضاً . ألا ترىٰ أنَّه قال : « فِذى حَنَق » أى فربّ ذى حنق . ولا يقول أحد إنّ الفاءَ عوضٌ من ربّ . وقولَ الآخر [٥] :

---

(١) الخزانة ١ : ٧٨ – ٨٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٤٣ والمغنى ١٦٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٤٤

(٣) وكذا جاء البيت بالخزم فى إعراب الحماسة ، بزيادة الواو فى أوله .

(٤) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٤٦٥ و ٣ : ١٢٨ من نسختنى . وفى ط : « يحسبه مكسوما » ، وفى ش : « تحسبه مكوما » ، صوابهما ما أثبت من سيبويه وإعراب الحماسة . والمكسوح : المكنوس .

(٥) هو رؤبة . ديوانه ١٥٠ . وانظر معجم الشواهد .

* بل بلدٍ ملءُ الفجاجِ قَتَمه *

ولا يدّعى أحد أنّ بل عوضٌ من ربّ . فإذا صحَّ هذا وثبت فى الفاء وبل ، كانت الواو محمولة على حكمه . انتهى .

ورواية بيت جميل بالخزم ، وهو زيادة الواو فى أوله هنا ، روايةٌ غير مشهورة ، وبها يخرج البيت عن الوزن . ٢٠٢

و ( لَظَاهُ ) مبتدأ والهاء ضمير ذى حنق . وجملة ( تكاد تلتهب ) خبره ، وكلٌّ منهما مسند إلى ضمير مؤنث يعود إلى اللَّظَى ، فهما بالمثناة الفوقيّة . وجوز الشمُنّى بالمثناة التحتية مسندَين إلى ضمير مذكر يعود إلى اللَّظى ، لاكتسابه التذكير من الضمير المضاف إليه . و ( علىّ ) متعلق بتلتهب ، وقيل متعلق بلظاه ، لما فيه من معنى الاشتداد والتوقُّد . وفيه نظر ، لأنَّ المعنى ليس عليه . واللَّظى : النار ، استعيرَتْ للحَنَق بفتح المهملة والنون ، وهو الغيظ ، وقيل شِدّته . وهلك جاء من بابى ضرب وعلمَ.و ( ذو ) بمعنى صاحب ، والفاء معها للربط للجواب بالشرط ، فإنّها تجب مع كلِّ جواب لا يصحُّ وقوعه شرطا ، والجواب هنا فى الحقيقة هو جواب ربّ ، وهو « مخضت » أوَّل البيت الآتى . وإنّما قدِّمت ربّ عليه لأنَّ لها الصَّدر ، وربَّ تحذف بعد الفاء مطلقاً سواء كانت فاء الجواب كما هنا ، أو عاطفة كما فى قول امرئ القيس :

فمثلِكِ حُبلَى قد طرقتُ ومرضعٍ ... فألهَيْتُها عن ذى تمائِمَ مُحوِلِ

قال ابن هشام ( فى بحث الفاء من المغنى ) : السادسة ، أى من المسائل التى تكون فيها الفاء رابطةً للجواب حيث لا يصحُّ أن يقع شرطا : أن يقترن بحرف له الصَّدر ، كقوله :

* فإن أهلِك فذى حنقٍ * .... البيت

لما عرفت من أنّ ربّ مقدّرة ، وأنّها لها الصَّدْر . انتهى .

وقوله : « لها الصدر » جواب سؤال مقدّر ، وهو أنّ جواب الشرط فى مثل هذا إنّما هو جواب ربّ ، وهو فعل ماض يجب معه ترك الفاء ، فكيف وجبت الفاء ؟ أجاب بأنّ ربَّ لمَّا وجب تقديمُها على جوابها لصَدارتها كانت فى الظَّاهر هى الواقعة جوابَ الشرط ، وهى لا تصحُّ أن تقع شرطاً ، فوجب أن تقترن بالفاء وَفاءً بمقتضى الضابط .

ولم أر أحدًا من شُرّاح المغنى بيَّنَ معنى قوله : « وأنها لها الصدر » .

وقال الإمام المرزوقى ( فى شرح الحماسة ) ، وتبعه جميع شُرّاحها : فإنْ قيل : إنّ الفاء فى جواب الجزاء إنّما تجىء إذا خالفَ الجملةُ التى تكون جزاءً الجملةَ التى تكون شرطاً ، بأن تكون مبتدأً وخبرا ، فكيف يكون تقديرهما بعد الفاء هنا ؟ قلت : يكون التقدير : إن أهلِك [(١)] فالأمر والشأن ربَّ ذى حنق بهذه الصفة فعلتُ به كذا . فقوله ربّ ذى حنق خبر المبتدأ الذى أظهرناه . انتهى .

وفيه نظر من وجهين :

الأول : لا ينحصر وجوبُ اقتران الفاء بالجملة الاسمية الواقعة جوابا لشرط ، بل الحصر فى ستّ صور ، كما بيَّنها صاحب المغنى .

الثانى : أنَّ ربَّ لها الصَّدر ، لا تقع خبر مبتدأ أبدا ، إذ العامل فى الخبر هو المبتدأ ، ولم يسمع تقدُّم عاملٍ لها عليها . على أنّ قوله هذا لا يصحُّ مع قوله : إنّ مخَضْتُ فى البيت الآتى جوابُ ربَّ . فتأمَّل .

---

(١) ش : « إن هلك » ، صوابه فى ط وشرح الحماسة التى يطابقها النص هنا تمام المطابقة .

والعجبُ من السيوطى حيث تبعه ( فى شرح أبيات المغنى ) فقال : قوله فذى حنق إلخ جواب الجزاء ، والتقدير : إن أَهلك فالأمر والشأن ربَّ ذى حنق .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من أبياتٍ ثمانيةٍ لربيعةَ بن مقرومٍ الضبى ، أوردها أبو تمام ( فى الحماسة ) ، وهى :

أبيات الشاهد

أخوك أخوك مَنْ يدنو وترجو مَوَدَّتَهُ وإنْ دُعِىَ استجابا

إذا حاربتَ حاربَ مَن تُعادِى وزاد سلاحُه منكَ اقترابا

وكنتُ إذا قرينى جاذَبَتْهُ حِبَالى مات أو تَبِع الجذابا

٢٠٣

فإن أَهلِكْ فذى حنق ... ................. البيت

مَخضتُ بدلوه حتَّى تحسَّى ذَنُوبَ الشَّرِّ ملأى أو قُرَابا

بمثلىَ فاشهَدِ النَّجوَى وعالِنْ بىَ الأعداءَ والقومَ الغِضابا (١)

فإنَّ المُوعِدِىَّ يرَوْنَ دونى أسودَ خَفِيَّةَ الغُلْبَ الرِّقابا

كأنَّ على سواعدهنَّ وَرْسًا علا لونَ الأشاجعِ أو خِضابا )

قوله : « أخوك أخوك من تدنو » إلخ قال المرزوق : أخوك مبتدأ ، وكرِّر تأكيدًا ، ومن يدنو خبره . والمعنى : مُخالِصك فى الأُخوَّةِ والوّد مَنْ يقرُب مكانُه منك ، وتحسُن شفقته منك ، وإن استغثت به لملمَّةٍ أغاثك . ويجوز أن يكون مَنْ يدنو ، أرادَ به قُربَ النُّصح والشَّفقة ، لا تَقارُبَ الدارِ .

وقال ابن جنى : لك فى أخوك الثانى أن تجعله بدلاً ، وأن تجعله خبر الأوّل ، إنَّما يستحق أن تدعوَ الرجلَ أخاك إذا كان أخاك فى الحقيقة ، كقولك : فعلتُه إذ الناسُ ناسٌ ، ثم أبدل منه مَنْ يدنو . انتهى .

---

(١) هذا البيت وتالياه انفرد بروايتهما التبريزى ، ولم يروها المرزوق . وسينبه على ذلك البغدادى فى أواخر الشرح .

وقال التبريزى : ويجوز أن يجعل أخوك الثانىَ خبراً للأوّل ، كقوله :

فقلت له تجنّبْ كلَّ شيءٍ يُعابُ عليكَ إنَّ الحُرَّ حرُّ

وأما قول الآخَر :

سلامٌ ، هى الدُّنيا قروضٌ ، وإنّما أخوك أخوك المرتَجَى فى الشدائِدِ

فهو مثل الأوّل . وإن شئت جعلتَ أخوك الثانى توكيدًا وجعلت المرتجى خبراً . وإن شئت جعلت أخوك خبرًا والمرتجى نعتاً له ، ويكون قوله من يدنو مِنَ البيانِ الداخلِ فى صفتهِ ، بدلاً من قوله أخوك الثانى . فهذا المعنى يحتمل أن يكون حثًّا على إكرام الغريب إذا نصَحَ ، كما قال الأعشى :

فإنَّ القريب من يقرِّبُ نفسَه لَعمرُ أبيك الخيرِ لا مَنْ تنسَّبا [(١)]

ويجوز أن يكون وَصاةً بالأخ المناسب ، وإخباراً أنّ المؤاخىَ بغير النسب لا يُنتفَع بإخائه . هذا كلامه .

وقوله : « إذا حاربتَ » إلخ قال المرزوقى : يجوز أن يكونَ هذا متّصلا بما قبله ، والضمير فى حاربَ لأخوك ، ومَن تعادى مفعول حاربت . والمعنى إذا حاربتَ منْ تُعادِى حاربَ هذا المؤاخى معك ، وزاد نُصرتَه وعُدَّته منك قربًا ، مادمت محاربا . ويجوز أن يكون منقطعا مما قبله ، ويكون مثلاً مضروبا ، فيقول : إذا كاشفت عدوّك [(٢)] بَعثَهُ ذلك على مكاشفتك ، وازداد عُدّته من الكيدِ وغيرِهِ منك دنوًّا . وإذا جاملته وداجيته [(٣)] بقىَ على ما ينطوى عليه مساتراً لا مجاهرًا .

---

(١) ديوان الأعشى : ٨٨ .

(٢) عند المرزوقى : « إذا كاشفت عدوك ، وأبديت صفحة ما تضمره من السوء له » .

(٣) المداجاة : المساترة بالعداوة . ط : « وراجيته » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

وزاد التبريزى : أراد أنّك إذا حاربت قُربَ منك ومعه سلاُحه ، ليعينك . فذكر قُرب السلاّح ليدلّ على أنّه أراد إعانته على عدوّه . ولو ذكر أنّه بقرّب نفسه منه لم يدلّ على ذلك ، لأنّه يجوز أن يقرب منه ولا يُعينه .

وقوله : « وكنت إذا قربني » إلخ يقول : إذا جاذبنى قرين لى حَبلاً بينى وبينه ، فإمّا أن ينقطع دون شأوِى إلى الجذاب فيهلك ، وإمّا أن يتبع صاغرا فينقاد .

وقوله : ( فإنْ أهِلك ) إلخ هذا الكلام تسلٍّ عن العيش بعد قضاء حاجته وإدراك ثأره ؛ ولولا ما تسَهَّلَ له من ذلك لكان لا يسهل عليه انقطاع العمر ، ولو مات لمات بغُصَّة . فيقول : إن أمت فربّ رجل ذى غيظ وغضَب ، تكاد نار عداوته تتوقّد توقداً ، أنا فعلت به كذا .

٢٠٤

وقوله : « مخضت بدلِوه » إلخ هذا جوابُ ربّ . يقول : ربَّ إنسان هكذا أنا حرَّكت [(١)] بدلوه التى أدلاها فى الأمر الذى خُضنا فيه حتّى ملأتها . وجعل الدلو كنايةً عن السبب الذى جاذَبَهُ فيه ، والطَّمع الذى جرَّأه عليه . قال : فتحسَّى دلو الشر مملوءةً أو قريبة من الامتلاء . وقُراب المَلءِ : أن يقارب الامتلاء . ويقال قِراب ، بكسر القاف وضمها . والمعنى . جعلت شِرْبه من الشرّ شِرْباً مرْوِياً . فكأنَّ المراد أنَّ هذا المعادِىَ الممتلئَ غَيظًا لمَّا ألقى دلوَه يستقى بها الماءَ من بئرى ، ملأتُها شرّا ، وجعلتُه سُقياهُ . والمخض ، بالخاء : تحريك الدلو فى البئر ليمتلئ . والذَّنوب : الدلو التى يكون لها ذَنَب ، وهى هنا مثل . يقول : جنيتُ عليه الشرّ حتى مَلّه .

وقوله : « بمثلي » هذا البيت وما بعده لم يقع فى أصل المرزوق حتّى يشرَحه أى جاهرْ بمثلى الأعداءَ وكاشفهم ليكفُّوا عنك ، فمِثْلي يصلح لدفع المكاره .

---

(١) ش : « إذا حركت » ، صوابه فى ط والمرزوق .

وقوله : « فإن الموعديّ » قال التبريزى : يريد الغُلْب رقابا ، وانتصابه على التشبيه بالضارب الرجل .

وقوله : « كأن على سواعدهنّ » ، أى كأنَّ على سواعدِ هذ الأسودِ الورسَ أو الخضاب ، من كثرة [ ما افترست [1] ] الفرائس . والأشاجع : عُروق ظاهر الكفّ ، والواحد أشجع .

وربيعة بن مقروم : شاعرٌ مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الستمائة [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الثمانمائة [3] :

٨٠٧ ( بل بلَدٍ ذى صُعُدٍ وأصبابْ )

على أنّ ربَّ المحذوفةِ بعد بَلْ ، تعمل الجرَّ فى الشعر .

و ( البَلَد ) : القَفْر . و ( الصُّعُد ) بضمتين . جمع صَعود بفتح أوّله ، وهو المرتفع من الأرض ، خلاف الهَبُوط . و ( الأصباب ) بفتح الهمزة : جمع صَبَب بفتحتين ، وهو ما انحدَر من الأرض .

صاحب الشاهد — والبيت من أرجوزةٍ طويلةٍ لرؤبة بن العّجاج ، ذكر فى أوّلها أنّ امرأته لامَتْه على كبره وعجزه ، لكثرة أسفاره ، ومدح نفسه بأشياء : منها أنّه لا يَسفَهُ على النّاس ، ولا يَحقِد عليهم . إلى أن قال :

---

(١) التكملة من ش وشرح التبريزى ٢ : ١١٩ .

(٢) الخزانة ٨ : ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٣) المغنى ١٣٨ والأشمونى ٢ : ٢٣٢ وأراجيز البكرى ١٦١ واللسان ( صبب ٦ ) وديوان رؤبة ٦ .

أبيات الشاهد

( سَيعرِفون الحقَّ عند المِيجابْ دَعهْم سيَلقَوْنَ أَعَدَّ الحُسَّابْ
والأمر يقضَى فى الشَّقا للخُيَّابْ بل بلدٍ ذى صُعُدٍ وأَصبابْ
قطعتُ أخْشَاه بعَسْفِ جوّابْ [1] بكلِّ وجناءَ وناجٍ هِرجابْ )

والمِيجاب بالجيم : الميعاد الذى وَجَب لهم . وأعدّ : أفعل تفضيل . والحُسَّاب : جمع حاسِب . والشَّقاء : خلاف السعادة . والخُيّاب ، بالضم : جمع خائب ، وهو الخاسر .

وقوله : ( بل بلدٍ ) الخ بل هنا للإضراب والانتقال ، وهذا يشبه الاقتضاب ، وهو انتقالٌ من كلامٍ إلى آخر من غير مناسبة ، وليست بل هنا عاطفةً كما زعم الشّارح .

ثم وصف البلدَ بصعوبة المسالك ، وكثرة المهاوِى والمهالك ، فى تسعة أبيات إلى أن قال : « قطعت أَخشاهُ » إلخ مِن قطعَ الطّريقَ بمعنى سلكه وتجاوزَ [2].

٢٠٥

وهو جواب ربّ.وأخشاه : أهولُه وأخوفه ، وهو أفعل تفضيل ، والضمير راجعٌ للبلد ، والباء فى قوله بعَسْفٍ متعلّقة بقطعت ، وهو مضاف إلى جوّاب . والعسف : سلوكُ الأرض على غير الجادَّة . والجَوّاب : مبالغة جائب ، من جاب الأرض يجُوبها جَوبا ، إذا قطعها ، أراديه البعير .

وقوله : « بكلِّ وجناء » الخ بدل من قوله بعسفٍ جوّاب.والوَجْناء : الناقة الشَّديدة . وناج : اسم فاعل من نجا ينجو نَجاءً ، إذا أسرعَ . والناجيِة : الناقة السَّريعة تنجو بمن ركبها ، والبعير ناجٍ . والهِرجاب بالكسر والجيم : البعير الطويل الضّخم ، وكذلك النّاقة .

---

(١) ش : « قطعت أحشاه » بالحاء المهملة ، هنا وفى الشرح التالى ، وصواب الرواية هنا بالخاء المعجمة كما هو مقيد فى شرح البغدادى .

(٢) كذا فى النسختين ، بدون هاء الضمير .

وترجمة رؤبة تقدّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الثمانمائة [٢] :

٨٠٨ ( وليلةِ نحسٍ يَصْطَلِى القوسَ ربُّها    وأقطُعَهُ اللاَّتى بها يَتَنَبَّلُ )

على أنّ واو ربّ إن كانت فى أثناء القصيدة فهى للعطف على سابقٍ كهذا البيت ، فإنَّه من أواخر قصيدة لاميّة للشَّنفرَى ، والواو فيه للعطف ، والمعطوف عليه متقدِّم عليه بثلاثة وثلاثين بيتا .

وينبغى أوّلاً أنْ نُبيّن المعطوفَ قبل المعطوف عليه ، فنقول : إنّ ليلةٍ مجرورة بربَّ المحذوفةِ ، وهى حَرفٌ زائدٌ صناعةً عند الجمهور ، لا يتعلّق بشىء ، وجوابُها أوّل البيت بعدها ، وهو :

أبيات الشاهد

( دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصحبتى    سُعارٌ وإرزيزٌ ووَجْرٌ وأفكَلُ
فأيَّمتُ نسواناً وأيْتمْتُ إلْدةً    وعُدْتُ كما أبدأتُ والليلُ أليَلُ )

فدَعَسْتُ هو جواب ربّ . قال الخطيب التّبريزى فى شرحه : دعَسْت : دفعت دفعاً بإسراع وعجلة . يقول : سرَيْت على هذه الحال ، فَليلةٍ مجرورةٌ لفظاً منصوبة محلاًّ على الظرفية لدعَسْت ، أى سريت ليالىَ كثيرة من مثل هذه الليلة . ولا يجوز أن يكون مفعولاً به لدعست ، لأنّه فعل لازم .

وهذه الصورةُ خارجةٌ عن قول ابن هشام ( فى المغنى ) إنّ مجرور ربَّ فى نحو : ربّ رجلٍ صالح عندى ، رفعٌ على الابتداء ، وفى نحو : ربَّ رجلٍ صالح

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٢ .

(٢) الشاهد من لامية العرب المشهورة .

لقيت ، نصبٌ على المفعوليّة ، وفى نحو : ربَّ رجلٍ صالح لقيته رفع أو نصب كما فى : هذا القيته . انتهى .

فليلةٍ ظرفٌ لدعست ، وقُدِّمت عليه لأنَّها جُرّت بربِ الواجبة التصدُّر . فالمعطوفُ [1] بالواوِ هو دعستُ لا ليلة ، لِمَا بيَّنَّا . وجملة دعستُ إحدَى[2] الجمل المعطوفات ، والمعطوف عليه بعد عشرين بيتاً من أوّل القصيدة ، وهو :

( أُدِيمُ مِطالَ الجُوع حتَّى أُمِيتَه وأَضرِبُ عنه الذِّكرَ صفحاً فأُذهَلُ )

وأُديم هو المعطوف عليه عدّة جملٍ من أحوال افتخَرَ بها الشاعرُ ، ساقها مسَاق المباهاة بها والتمدُّح .

أولها : افتخاره بصبره على الجوع ، وهو خمسة أبيات .

ثانيها : افتخارِه بما يسدُّ الرمق من القُوت ، وهو عشرة أبيات أولها : « وأغدو على القُوت الزَّهيد » .

ثالثها : افتخاره بسبقِه القطَا إلى المنهَل ، وأنَّها لا تشرب إلاّ سُؤْره ، وهو ستّة أبياتٍ أولها : « وتشرب أسارى القطا » .

رابعها : افتخاره بأنه إذا نام لا فراشَ له إلاّ الأرضُ ، ولا وسادةَ له إلاّ ذراعُه ، مع استطراد شيءٍ آخر ، وهو تسعة أبيات أوَّلها :

* وآلَفُ وجهَ الأرض عند افتراشها *

خامسها : افتخاره بأنّه لا يجزع من فقْرٍ ، ولا يَبطَر من غِنًى ، وهو ثلاثة أبيات ، وهى : ٢٠٦

(١) ش : « كالمعطوف » ، صوابه فى ط .

(٢) فى النسختين : « أحد » .

( وأُعـدِمُ أحيانًـا وأَغْنَـى وإنّمـا يَنالُ الغِنـى ذو البُعْـدَةِ المتبـذِّلُ
فلا جَزِعٌ من خُلَّـةٍ متـكشِّفٌ ولا مَرِحٌ تحت الغِنَـى أتخيَّـلُ
ولا تَزدِهى الأجهالُ حلِمِى ولا أُرى سَؤُولاً بأعقاب الأقاويل أُنمِلُ )

* وليلةِ نحسٍ يصطلى القوسَ رُبُّها *

فإن قلت : لم عطفتَ على الأبعد ولم تعطفْه على الأقرب ؟ قلت : الأصل فى المعطوفات أن تُعطف على الأوّل ما لم يكن مانعٌ ، كأنْ يكون العاطف حرفا مُرتِّبا كالفاء وثُمَّ ، وحينئذ يكون العطف على الأقرب .

فإن قلت : إنّ جملة أديم استئنافيَّة لا محلّ لها من الإعراب ، فأىُّ تشريك للعاطف بالعطف عليها ، إذ التابع كلُّ ثانٍ أعرِبَ بإعرابِ سابقِه من جهةٍ واحدة ؟ قلتُ : هذا فيما إذا كان للمعطوف عليه إعراب ، وأمّا إذا لم يكن له إعراب فهو ما قاله السيِّد ( فى شرح المفتاح ) : فائدة العطفِ بالواو فيما لا محلَّ له من الإعراب هى التشريكُ والجمعُ بين مضمونَى الجملتين فى التحقُّق بحسب نَفْس الأمر .

فإن قلتَ : اجتماعُهما واشتراكهما فى ذلك التحقُّق معلومٌ بدون الواو ، لدلالة الجملتين على تحقُّق مضمونهما فى الواقع ، فيجتمعان فيه قطعاً . قلت : ما ذكرتَه إنّما هو بدلالة عقلّيةٍ ربَّما لم تكن مقصودةً ، فبالعطفِ يتعيَّن القصد إلى بيان الاجتماع ، وتتقوَّى الدلالة العقليَّة بالوضعيَّة ، ويندفع أيضاً توهُّم الاضراب عن الجملة الأُولى إلى الثانية . انتهى .

وقال فى الهامش أيضًا ما نصُّه : يعنى أنّك إذا قلت : زيدٌ قائم وعمروٌ قاعد [1] فقد دلَّ الجملتان على تحقُّق مدلوليهما فى الواقع ، فيُفهم اجتماعهُما فيه

---

(١) ش : « قائم وقاعد » ، صوابه فى ط .

بلا حاجةٍ إلى الواو . فأجاب بأنَّ هذه دلالةٌ عقليّة يجوز أن تكون مقصودة وأن لا تكون ، فإذا أُتى بالواو تعيَّن القصد وتأيَّدت الدَّلالة ، فاندفع توهُّم الإضراب فيما يحتمله ، فكأنّه قيل : اجتمع قيامُ زيد وقعود عمرو فى الواقع . ومنهم من جَعَلَ دفْعَ توهُّمِ الإضراب هو المقصُود الأصليُّ من العطف فى هذا الباب . وليس بذاك . فإذا قيل : اكسُ زيدًا وأطعِمْه ، كان المعنى : اجمعْ بينهما . فتأمَّلْ . انتهى .

وقد خلا ( المغنى ) وشروحه عن هذه الفائدة ، ومحلُّها هى الجملة التابعة لجملةٍ لا محلَّ لها من الإعراب .

وجوَّز الزمخشريُّ وغيره ( فى شرح هذه القصيدة ) أن يكون جملة أديم خبر مبتدأ محذوف ، أى أنا أديم.وعليه فلا إشكال .

وقد شرحنا ثمانية أبياتٍ من أوَّل هذه القصيدة فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) وقد شُرِح أربعة أبيات أُخَرَ بعدها فى الشاهد السادس والعشرين بعد السبعمائة (٢) . وقد شُرِح البيت المعطوف عليه مع خمسة أبياتٍ فى الشاهد الخامس والعشرين بعد السبعمائة .

وبيت « وتشرب أسآرى القَطا » . قد شُرِح مع خمسة أبياتٍ فى الشاهد السابع والخمسين بعد الخمسمائة (٣) .

ولنشرحْ هنا هذه الأبياتَ الستة فنقول :

---

(١) الخزانة ٣ : ٣٤١ — ٣٤٣ .

(٢) الخزانة ٩ : ١٩٧ — ٢٠٠ .

(٣) الخزانة ٧ : ٤٤٧ — ٤٥١ .

قوله : « وأُعدِم أحياناً » إلخ أعدَم الرّجُل يُعدِمُ إعداماً ، إذا افتقرَ ، فهو مُعدِم وعديم . وأَغْنَى مِن غنيَ من المال غِنيً ، من باب رضى . قال الزَّمخشرى : أعدم الرجلُ بالألف ، إذا صار ذا عُدْم ، كأجرب الرجل صار ذا إبل جَرْبَى . وعَدِم متعدٍ ، وهذا عكسُ القاعدة . وفيه نظر . والبِعْدة ، قال الزمخشرى : بضم الباء وكسرها : اسمٌ للبُعد ، يقال بيننا بعدةٌ من الأرضِ والقرابة . والمتبذِّل : الذى لا يصون نفسه .

٢٠٧

وقوله : « فلا جزِعٌ » إلخ هذا تفريعٌ ممَّا قبله ، وجَزِعٌ خبر مبتدأ ، أى أنا جزع . والخَلّة بفتح المعجمة : اختلال الحال بالفَقْر . والمتكشِّف : الذى يَظهَرُ فقرُه . والمَرِح ، بكسر الراء : الشديد الفرح . والتخيُّل : التكبُّر . وتحت ظرفٌ لمرح ، ويجوز أن يكون لأتخيَّل .

وقوله : « ولا تزدهِي الأجهال » إلخ الازدهاء : الاستخفاف . والأجهال : جمع جَهِلٍ ، وهو قليل ، والكثير جَهُول . والحِلم ، بالكسر : الأناة والوقار . ولا أُرَى بالبناء للمفعول ، من رؤية العين . وسَؤُولاً : حالٌ ، أى ذو سؤال ، وجملة أُنْمِلُ صفة لسئوول ، والباء متعلقة بأُنْمِلُ. يقال : أنمَلَ الرّجلُ إنمالاً إذا نَمَّ ونَقَلَ الكلامَ على وجه الإفساد . والنُّمْلَة ، بالضم : النَّميمة .

وقوله : ( وليلة نحسٍ ) إلخ النحس : ضدُّ السَّعد . قال الخطيب التّبريزى والزَّمخشرى : أراد به البَرْد . وجملة يصطلى القوسَ ربُّها فى موضع الصفة لليلة ، وربُّها أى صاحبها فاعلٌ مؤخَّر . والقوسَ منصوبٌ بنزع الخافض ، لأنّه يقال اصطليت بالنار ، فهو على حذف مضافٍ أيضا ، أى يَصطلى بنار القوس . والقوس مؤنَّثٌ سماعىّ ، ولذا أعاد ضميرَها مؤنّثا . والاصطلاء هو التدفُّؤ بالنار ، وهو أن يجلس البَردانُ [1] قريباً منها لتصلَ حرارتُها إليه . و ( أقطُعَه ) بالنصب

---

(١) لم أجد من نص على هذه الصفة من أصحاب المعاجم المتداولة .

عطفاً على القوس ، وهو جمع قِطْع بكسر القاف وسكون الطاء ، وهو سهمٌ يكون نصلُه قصيراً عريضا . و ( يتنبَّل ) : يرمى بها . وإذا اصطلى الأعرابيُّ بقوسه وسِهامه لشدّة البرد فليس وراءَ ذلك فى الشِّدّة شىء .

وقوله : « دعستُ على غَطْش » إلخ الغَطْش ، بفتح المعجمة وسكون المهملة هو الظُّلمة ، من قوله تعالى : ﴿ وأغْطَش لَيْلها [1] ﴾ أى أظلمه . والبَغْش بفتح الموحدة وسكون المعجمة : المطر الخفيف . وجملة « وصحبتى سُعار » إلخ حال من التاء فى دَعست . والصُّحبة بالضم : مصدر صَحِبه يصحَبُه ، وأراد به الصاحب . والسُّعار بضم السين المهملة بعدها عين مهملة ، وهو حرٌّ يجده الإنسان فى جَوْفه من شدة الجوع والبرد . والإرزيزُ بكسر الهمزة وسكون المهملة ، قال صاحب الصحاح : هى الرِّعدة . وقال التبريزى : إرزيز إفعيل ، يكون من شيئين من الارتزاز أى الثبوت ، يريد أنّه يجمد فى مكانه من شدة البرد ، ومن الرِزّ ، وهو صوت أحشائه من الشدَّة . والوَجرْ ، بفتح وسكون الجيم بعدها راء مهملة ، قال التبريزى : هو الخَوْف ، ومنه يقال أنا أوجَرُ منه ، أى أخْوَف منه . ووجِرْتُ منه بالكسر ، أى خِفت . والأفكل : أفَعل . قال صاحب الصحاح : هى الرِّعدة ، ولا يبنى منه فعل ، يقال أخذه أفكلٌ ، إذا ارتعد من بَرد أو خوف ، وهو منصرف ، فإن سمِّيت به رجلا لم تصرفه فى المعرفة للتعريف ووزن الفعل وصرَفته فى النكرة . وعلَى هذا فمعنى الإرزيز ما ذكره التبريزى . قال الزمخشرى : وموضع « ليلة نحس » نصب بدعست أى دَعست فى ليلة نحس . ويجوز أن يكون دعست صفةً لليلة والعائد محذوف ، أى دعست فيها ، ويكون جواب ربَّ محذوفا وهو تعمَّدت أو قَصدت . و « على غَطْش » موضعه حال ، أى داخلاً فى ظلمة ومطر .

---

(١) الآية ٢٩ من النازعات .

وقوله : « فأيَّمتُ نِسواناً » هو معطوف على دَعست ، أى جعلت النساء أيامَى ، جمع أيِّم كسيِّد ، وهى التى لا زوجَ لها . و « أيتمت إلدة » أى جعلت الأولاد أيتاما . يريد أنّه قتل أزواج النساء وآباءَ الأولاد . وإلدة ، بكسر الهمزة أصله ٢٠٨ وِلدة ، جمع وليدٍ ، وهو الصبىّ . قاله صاحب الصحاح .

قال التبريزى : يقال وِلْدةٌ وإلدة ، إذا كانت الواو مكسورة قلبتها همزة مكسورةً إن شئت وكذلك إذا كانت الواو مضمومةً قلبتها همزة مضمومة ، كما قالوا فى وُجوه أُجوه فهذا مطَّرد فيها . انتهى .

وقال المُعْرب [(١)] : إبدال الواو المكسورة همزةً قليلٌ غير مطّرد ، بخلاف المضمومة .

وقوله:« وعُدْتُ كما أبدأت » قال التبريزى : أبدأت : ابتدأت ، يقال من أين أبدأ الرّكبُ ، أى من أين ابتدأ وطلَع . وأليَلُ : ثابت الظُّلمة جدًّا مستحكِم . يقال نهار أنهَرُ ، وشهرٌ أشهَرُ ، ودهرٌ أدْهَرُ إذا كمل . انتهى . وقال صاحب الصِّحاح : وليلٌ أليَلُ ، أى شديد الظلمة . قال المعرِب : الكاف فى كما نعتٌ لمصدر محذوف ، وما مصدرية أى عدت عوداً كإبدائى . وجملة والليل أليل حالٌ من التاء فى عُدت .

والشَّنفرَى : شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين [(٢)]

* * *

(١) أى معرب لامية العرب ، ولم يصرح باسمه كما سبق فى ٩ : ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ولعله العكبرى فإن له شرحا على اللامية ومنه مخطوطتان بدار الكتب المصرية .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٤٣ — ٣٤٥ .

وأنشد بعده :

( أشارت كُليبٍ بالأكُفِّ الأصابعُ )

على أنّ كليبا مجرور بإلى محذوفةٍ ، وهو شاذ . وهذا عجزٌ وصدرُه :

* إذا قيل أىُّ الناسِ شرٌّ قبيلةً *

وتقدّم شرحه مفصّلا فى الشاهد السادس بعد السبعمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

( تبيَّنَنْ ها لَعَمْرُ الله ذا قسماً )

على أنّه إذا جىء بها التنبيهِ [٢] بدلاً من حرف القسم فلابدَّ من مجىء « ذا » بعد المقْسَمِ به ، سواء كانت لفظة الجلالة مفردةً مجرورة بالحرف المقدّر ، نحو : لاها اللّهِ ذا ، وإى ها اللّهِ ذا ، أى والله فيهما ، أو كانت مجرورة بإضافة لَعَمْر إليها نحو :

* تبيَّنَنْ ها لعمرُ الله ذا قسماً *

قال سيبويه ( فى باب ما يكون [ ما [٣] ] قبل المحلوف به عوضاً من اللفظ بالواو ):قولك : إى ها الله ذا ، تثبت ألف ها ؛ لأنَّ الذى بعدها مدغَم ، ومن العرب من يقول : إى هالله ذا ، فيحذف الألف التى بعد الهاء ، ولا يكون فى المقسَم به إلاّ الجّر ؛ لأنَّ قولهم : ها صار عوضاً من اللفظ بالواو ، فحذفت

(١) الخزانة ٩ : ١١٣ – ١١٨ .

(٢) ش : « بهاء التنبيه » ، صوابه فى ط .

(٣) التكملة من ش وسيبويه ٢ : ١٤٥ .

تخفيفا على اللسان . ألا ترى أنَّ الواو لا تظهر ههنا كما تظهر فى قولك : واللهِ . فتركُهُم الواوَ البتّةَ يدلُّكَ أنّها ذهبَتْ من هذا تخفيفا على اللسان ، وعوضت منها ها [١] . ولو كانت تذهب من هنا كما تذهب من قولهم : اللهِ لأفعلنَّ ، إذاً لأدخلتَ الواو . وأمَّا قولهم ذا فزعم الخليل أنّه المحلوف عليه ، كأنه قال : إى واللهِ للأمرُ هذا ، فحُذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم ، وقدم ها كما قدَّم قوم ها هو ذا ، وها أناذا . وهذا قول الخليل . وقال زُهَير :

تعلَّمَنْ ها لعَمْرُ اللهِ ذا قسماً فاقصِد بذَرْعِك وانظُرْ أين تنسلِكُ

ومن ذلك قولهم : آللهِ لتفعلّن ، صارت الألف ههنا بمنزلة ها ثَمَّ . ألا ترى أنّك لا تقول أَوَ اللهِ،كما لا يقولون : ها واللهِ ، فصارت الألف ههنا وها يعاقبان الواو ، لا يثبتان جميعا [٢] . وقد تُعاقِب ألفُ اللام حرفَ القسم ، كما عاقبته ألف الاستفهام وها ، فتظهر فى ذلك الموضع الذى يسقط فى جميع ما هو مثله للمعاقبة ، وذلك قولك : أفأللهِ لتفعلَّن . ألا ترى لو قلت [٣] أفوَ اللهِ ، لم تثبت [٤] ؟ وتقول : نَعَم اللهِ لتفعلَّن وإى اللهِ لتفعلّن ، لأنهما ليسا ببدل . ألا ترى أنّك تقول : إى واللهِ ونَعَمْ واللهِ . ٢٠٩

انتهى كلامُ سيبويه ، وإنّما نقلناه برُمّته لتعرف ما فى كلام الشارح من الخلل .

قال الأعلم : الشاهد فيه تقديم « ها » التى للتنبيه على ذا ، وقد حال بينهما بقوله « لَعَمْرُ اللهِ » ، والمعنى : تعلّمَنْ لعمر الله هذا ما أُقسِمُ به . ونصب قسماً

---

(١) ش : « هاء » .

(٢) فى سيبويه : « ولا يثبتان جميعا » .

(٣) سيبويه : « ألا ترى أنك إن قلت » .

(٤) فى النسختين : « لم يثبت » ، وأثبت ما فى سيبويه .

على المصدر المؤكِّدِ ما قبله ، لأنَّ معناه أقسم ، فكأنّه قال : أُقسم لعمر الله قسماً . ومعنى تعلَّمنْ اعلْم ، ولا يستعمل إلاّ فى الأمر . وقوله : فاقصِدْ بذرعك ، أى اقصِدْ فى أمرك ولا تتعدّ طَوَرك [١] . ومعنى تنسلك : تندخل . يقول هذا للحارث بن وَرْقاء الصَّيْدَاوىّ ، وكان قد أغار على قومه وأخذ إبلاً وعُبُداً ، فتوعَّده بالهجاء إنْ لم يردَّ عليه ما أخذ منه .

وقد تقدَّم شرح هذا مفصَّلا فى الشاهد الثانى عشر بعد الأربعِمائة [٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٨٠٩ . ( فقلتُ يَمِينَ اللهِ )

هو قطعة من بيت وهو :

( فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعدًا ولو قَطَعُوا رأسى لَدَيكِ وأوصالى )

على أنّ ( يمين الله ) روى مرفوعا ومنصوبا بالوجهين . أما الرفع فعلى الابتداء والخبرُ محذوف ، أى لازمى ونحوُه . وأمّا النصب فعلى أنّ أصله : أحلف بيمين الله ، فلمّا حُذف الباء وصلَ فعلُ القسم إليه بنفسه ، ثم حُذف فعل القسم وبقىَ منصوباً به .

---

(١) ش : « تبعد طورك » ، صوابه فى ط .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٥١ .

(٣) فى كتابه ٢ : ١٤٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٢٦ وأصول ابن السراج ١ : ٥٢٩ والجمل ٨٥ والخصائص ٢ : ٢٨٤ وابن الشجرى ١ : ٣٦٩ وابن يعيش ٧ : ١١٠ / ٨ : ٣٧ / ٩ : ١٠٤ والمغنى ٦٣٧ والعينى ٢ : ١٣ والتصريح ١ : ١٨٥ والهمع ٢ : ٣٨ والأشمونى ١ : ٢٢٨ وديوان امرئ القيس ٣٢ .

وأجاز ابنا خروف وعُصفورٍ أنْ ينتصبَ بفعل مقدَّر يصلُ إليه بنفسه ، تقديره أُلزمُ نفسى يمينَ الله . ورُدَّ بأنّ أُلزِمُ ليس بفعل قسم ، وتضمين الفعل معنى القسم ليس بقياس .

وجوَّز النحاس خفضَه أيضاً بالباء المحذوفة . ولم يذكر ابن مالك ( فى تسهيلِهِ ) فى نحو هذا إلاّ النصب ، قال : وإن حُذِفا معاً نصب المقسَم به . يعنى إنْ حُذِف فعلُ القسم وحرفُ الجر نُصب المقسَم به . وهو أعمُّ من أن يكون المقسَم به لفظ الجلالة أو غيرها .

قال الأعلم : النصب فى مثل هذا على إضمار فعلٍ ، أكثَرُ فى كلامِهم من الرَّفع على الابتداء . وأنشدُه سيبويه بالرفع وقال : هكذا سمعناهُ من فصحاء العرب .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، مطلعها :

* ألا عِمْ صباحاً أيُّها الطَّللُ البالى *

وقد شرحنا من أوَّلها فى الشاهد الثالث من أول الكتاب [1] عشرين بيتا إلى قوله :

أبيات الشاهد

( سموتُ إليها بعد ما نامَ أهلُها سُموَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ
فقالت : سَباكَ اللهُ إنّك فاضِحِى ألسْتَ تَرى السُّمَّارَ والنّاسَ أحوالِي
فقلت يمين الله أبرح قاعـدا ...................... البيت )

والسموّ : العلو ، وأراد به النهوض . يقول : جئتُ إليها ليلاً بعد ما نام أهلُها . والحَبابَ ، بالفتح : النُّفَّاخات التى تعلُو الماء ، وقيل الطرائق التى فى الماء كأنّها الوشْى . وسَبَاكَ : أبعدَك وأذهبَك إلى غُربة . وقيل : لعنَك الله . وقال

(١) الخزانة ١ : ٥٦ – ٦٩ .

أبو حاتم : معناهُ سلَّط الله عليك مَن يَسْبيكَ . والسُّمَّار : المتحدِّثون بالليل فى ضَوء القمر ، جمع سامر . وأحوالى : فى أطرافى .

وقوله : ( أبرح قاعدًا ) أى لا أبرح قاعدًا . فلا محذوفة من جواب القسم باطِّراد ، كما يأتى فى الشرح . وروى أيضاً :

* فقلت يمينَ الله ما أنا بارحٌ *

فلا حذف . وروى أيضا :

* فقلت لها تالله أبرحُ قاعدًا * ٢١٠

فلا شاهد فيه هُنا وإن كان فيه شاهدٌ من جهة حذف لا . وبه أورده ابن هشام ( فى المغنى ) و ( شرح الألفية ) .

وأبرح فعل ناقص ، وقاعدًا خبره . والأوصال : المفاصل ، وقيل مجتمع العظام . وجمعُ وِصْل بكسر الواو وضمها : كلُّ عظم لا ينكسر ولا يختلط بغيره . كذا فى القاموس .

وترجمة امرىء القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين [1] .

* * *

وأنشد بعده :

( كِلاَ مَركبيها تحتَ رِجلَيكَ شاجِرُ )

أورده مثَلاً لاستبعاد أن يكون همزة أيمن في الأصل مكسورة ، ثم فتحت تخفيفا ، إذ هو مشكل ، سواء قدّرتَها زائدةً أم أصليَّةً . فإنْ قدَّرتَها زائدة لزم أن

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .

يكون وزن إيمن إفعُلاً بكسر الهمزة وضم العين ، وهذا الوزن غير موجود ، لا فى الأسماء ولا فى الأفعال . وإن قدَّرتها أصلية لزم أن يكون وزنه فِعْلُلاً بكسر الفاء وضم اللام الأولى ، وهذا الوزن أيضا غير موجود كذلك . فهو مشكلٌ على كلِّ اعتبار ، فلا يصح فرضُ كونها مكسورةَ فى الأصل .

ويجب أن تكون همزةَ وصل أصلها السكون ، كما هو أصل كلّ همزة وصل ، فإذا احتيج إلى تحريكها بأن يبتدأ بها فى النُّطق حرِّكت بالكسر لدفع أصل التخلص من التقاء الساكنين . وكذلك همزة أيمن وضعت ابتداءً ساكنة فى الدَّرج ، ولمَّا ابتدئَ بها حركت بالكسر ، ثم عرض لها كثرة الاستعمال ففتحت تخفيفا .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدرُه :

( فأصبحتَ أنّى تأتِها تبتئسْ بها )

وهو من شعرٍ للبيد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة [(١)]. يقول : من أىِّ جانبٍ أتيتَ هذه الناقة ، وجدت كِلا مركبَيْها شاجراً ، دافِعاً لك . و ( تبتئس ) يصبك منها بؤس ، أى كيفما ركبتَ منها التبس عليك الأمر . و ( شاجر ):ملتبس . ومَركباها : ناحيتاها اللتان تُرام منهما . يريد أنّها شموسُ إذا ركبها الراكبُ رمَته عن ظهرها . يخاطب رجلاً بأنّك ركبتَ أمراً لا خلاصَ لك منه ، فأنت بمنزلة من ركب ناقةً صعبة ، لا يقدِرُ على النُّزول عنها سالماً ، لأنَّ رجليه قد اشتبكا برِكابَيْها ، وكلا مركبيها لا يستقرُّ عليه ، إن ركبَ على مَركبها المقدَّم وهو الرَّحْل وجدَه مَركباً صعبا ، وإن ركب على مَركبها المؤخَّر وهو الكَفَلُ مال به وصرعَه .

* * *

---

(١) الخزانة ٧ : ٩١ — ٩٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الثمانمائة [١] :

٨١٠ ( بِدِينِكَ هلى ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى )

على أنّ جوابَ قسم السؤال يكون استفهاماً . فإنَّ قوله ( هل ضممت ) إلخ جوابُ القسم الذى هو قوله ( بدينك ) ، وهو قسم سؤال ، ويقال له القسم الاستعطافى ، يُستعطف به المخاطب [٢] .

وفى جَعله هذا قَسَماً تابعٌ لابن مالك . قال أبو حيّان : لا نعلم أحداً ذهب إلى تسمية هذا قسَما إلاّ ابنَ مالك . وفى بعض شروح الكتاب ، وقد ذكر عَمرَّتك وعَمرَك وقِعْدَك وقَعِيدك ما نصُّه : وزعم بعض النحويِّين أنّ هذه أقسام . فابنُ مالك وافق مَنْ قال بذلك . وأمَّا أصحابنا فالجملة القسَمية لا تكون إلاّ خبرّيةً عندهم . انتهى .

ويؤيّده أنّ ابن جنى قال : القسم جملة إنشائية يؤكَّد بها [٣] جملةٌ أخرى . فإنْ كانت خبرية فهو القسَم لغير الاستعطاف ، وإن كانت طلبية فهو الاستعطاف . انتهى .

٢١١

وأغرب ابنُ عصفور فى قوله ( فى شرح الجمل الصغير ) : والقسم كلّ جملة أُكِّد بها جملةٌ أخرى ، كلتاهما خبرية .

والصواب أنّ جملة القسم إنشائية لا خبريّة [٤] كما قال ابن جنّى وغيره . واعتُذِر عنه بأنَّ مراده أنَّ الجملتين إذا اجتمعتا كان منهما كلامٌ محتملٌ للصدق والكذب .

---

(١) ديوان المجنون ٢٨٦ والأغانى ١ : ١٦٩ والمنصف ٣ : ٢١ وابن يعيش ٩ : ١٠٢ والمغنى ٥٨٤ .

(٢) ش : « تستعطف به المخاطب » .

(٣) فى ط : « يؤكدها » ، صوابه فى ش . وسيأتى قوله : « قد أكد بها جملة أخرى » .

(٤) ط : « لا جوابية » ، صوابه فى ش .

ثم قال ابن عصفور بعد تعريفه : فإذا جاء ما صورتُه كصورة القسم وهو غير محتمل للصّدق والكذب حُمِل على أنّه ليس بقسَم ، نحو قول الشاعر [١] :

بالله ربِّكَ إنْ دخلتَ فقل له هذا ابنُ هَرْمة واقفاً بالبابِ

وقول الآخر :

بدينكَ هل ضمَمْتَ إليكَ ليلى وهَلْ قبَّلتَ قبلَ الصُّبح فاها

قال : فلا يكون مثلُ هذا قسماً ، لأنَّ القسم لا يُتصوَّر إلا حيثُ يتصوَّر الصِّدق والحِنْث .

وقال ( فى شرح الإيضاح ) : وأما هذان البيتان فليسا بقَسَمين ، لأن الجملتين غير محتملتين للصِّدق والكذب ، وإنّما المراد بهما استعطافُ المخاطَب ، والتقدير : أسألك بدينك ، وأسألك بالله . إلاّ أنَّهم أضمروا الفعلَ لدَلالةِ المعنى عليه . وقد يحذفون الباء وينصبون فى الضَّرورة ، نحو قوله :

أقُول لبوّابٍ على باب دارها أمِيرَكَ بلِّغها السّلامَ وأبشرِ

قال : ويدلُّك على أن قولك : بِالله هل قامَ زيد ، وبالله إن قام زيد فأكرمْه ، وأشباهه ليسَ بقسم ، ثلاثةُ أشياء :

أحدها : أنّه لم يجيءْ فى كلام العرب وقوعُ الحرف الخاصّ بالقسم نحو التاء والواو موقع الباء ، فلم يقولوا : تا لله هل قام ، ولا : والله إن قام زيد فأكرمْه .

ثانيها : إنّهم إذا أظهروا الفعل الذى يتعلق به الباء لم يكن من أفعال القسم ، لا يقال : أقسم بالله هل قام زيد .

---

(١) هو ابن هرمة ، كما يفهم من نص الشعر . انظر ديوان ابن هرمة ٦٧ والصناعتين ٦٨ وابن يعيش ٩ : ١٠١ وشروح سقط الزند ٤٢٤ ورصف المبانى للمالقى ١٤٦ .

ثالثها : أن القَسم لا يخلو من حِنث أو بِرّ ، ولا يصحُّ ذلك إلّا فيما يصح اتصافه بالصِّدق والكذب . انتهى .

وقوله : « إنَّ مثل هذا استعطاف وليس بقسم » هو الظاهر ، ولا شكَّ أنَّ كونه قسماً غير مذُوق ، لكن كلام ابن هشامٍ ظاهرهُ يعطى أنّه سمّاهُ قسماً استِعطافيا ، وذلكَ أنّه لما ذكر قول أبى على « القسم جملة يؤكَّد بها الخبر » قال : ليس كلُّ قسمٍ يؤكِّد الخبر ، وقد تقدَّم أنَّ الباء يُقسَمُ بها على جهة الاستعطاف ، نحو : باللهِ أحسنْ إلىَّ . قال : ومنه أقسمت عليك لتفعلنَّ كذا ، وأقسمت عليك إلَّا فعلت ، وأقسمتُ عليك لمَّا فعلتَ . قال سيبويه : وسألت الخليل عن قولهم : أقسمت عليك لمَّا فعلت ، وإلاَّ فعلت ، لم جاز هذا فى هذا الموضع ، وإنَّما أقسمت هنا كقولك واللهِ ؟ فقال : وجه الكلام لتفعلنَّ ، ولكنَّهم أجازوا هذا لأنَّهم شبهوه بنَشدْتك الله ، إذ كان فيه معنى الطلب . يريد أنَّ العرب تقول : نَشَدْتك اللهَ إلاّ فعلت ، ومعناه سألتك بالله ، وقالوا : إلاَّ فعلَت بمعنى إلاّ أن تفعل ، وتحقيق المعنى : لا أطلب منك إلاّ أنْ تفعل ، فدخلها معنى النفى ، فصلحت ( إلاّ ) لذلك . وتقول فى الاستفهام : آللهِ لَتقومَنَّ . قال : فكلُّ هذا ليس بتأكيد ، ولذلك تستفهم بعد اليمين فتقول : باللهِ أقام زيد ؟ لأنَّ المعنى هنا أخبرنى . قال : وقد مَنَع من هذا أبو على فقال : لا يجوز فى القسم الذى هو استعطافٌ فى الحقيقة : تاللهِ هل قمتَ ، لأنّه ليس بمقسم . انتهى كلامه .

٢١٢

ومقتضاه إن القسَم قَسمان قسم يُقَصد به التوكيد ، وقسم يُقصَد به الاستعطافُ والسؤال . وفى تسمية ما يقصد به الاستعطاف قسماً نظر ، وكيف يتصور قسمٌ دون جوابٍ لا ملفوظ به ولا مقدَّر . ولهذا سأل سيبويه بأنّ أقسمت يقتضى جوابا ، ولمَّا فعلتَ ليس بجواب ، فكيف جاز ؟ وأجابه الخليل بأنَّهم شبهوه بنشدتك الله ، إذ كان فيه معنى الطلب . فأفاد أنَّ القسم ليس بمراد فى المشبَّه كما أنَّ ذلك غير مرادٍ فى المشبَّه به .

فما ذكره ابن عصفور أقرب ، وهو كلام أبى علىّ كما ظهر من نقل ابن هشام .

واعلمْ أنّه يقال نشدتك بالله ونشدتك اللهَ على نزع الخافض والنصب ، ومعناه سألتك بالله وطلبت منك به ، لأنّهم يقولون : نشد الرجل الدابّةَ إذا طلبها ، فهو فعلٌ لازم .

وقال ابن مالك ( فى شرح التسهيل ) : معنى قول القائل نشدتك الله : سألتك مذكّراً الله . ومعنى عمَّرتك الله : سألتُ الله تعميرك [١] ، ثم ضمّنا معنى القسم الطلبى .

قال أبو حيان ( فى شرحه ) : إنْ عنى المصنفّ أنّه تفسير معنىً لا إعرابٍ فممكن ، وإنْ عنىَ أنّه تفسير إعرابٍ فليس كذلك ، بل نشدتك الله انتصابُ الجلالة فيه على إسقاط الخافض ، فنصبه ليس بمذكّرٍ [٢] . وأمّا عمرتك الله فلفظ الجلالة فيه منصوب بإسقاط الخافض أيضا ، والتقدير : عمَّرتك بالله ، أى ذكّرتُكَ تذكيراً يَعمُر القلب ولا يخلُو منه . انتهى .

ولا يخفى أنّه أراد تفسيرهما لغة قبل أن يضمّنا ما ذكره . وقوله : « ثم ضمّنا » ، يدفع أن يكون أراد تفسير الإعراب .

وعمَّرتك الله بتشديد الميم . واستعملوا عَمْرَك اللهَ بدلاً من اللفظ بعمَّرتُكَ الله . قال الشاعر :

عَمركِ اللهَ يا سعادُ عِدِينى بعضَ ما أَبتغى ولا تؤيسينى [٣]

---

(١) ط : « سألتك الله تعميرك » ، صوابه فى ش .

(٢) أى سألتك مذكرا الله ، كما مر .

(٣) ش : « تؤسينى » .

وقال آخر :

يا عمركِ اللهَ ألاَّ قلتِ صادقةً      أصادقاً وصَفَ المجنونُ أم كَذِبا (١)

وقال الأخفش ( فى كتابه الأوسط ) : أصله أسألك بتعميرك الله ، وحذف زوائد المصدر والفعل والباء ، فانتصب ما كان مجروراً بها . قالوا : ويدلُّ على صحة قول الأخفش إدخال باء الجر عليه . قال ابن أبى ربيعة :

بعمـرِكَ هل رأيْتَ لها سمِّيـا      فشاقَكَ أم لقِيتَ لها خَدِينا (٢)

قال ناظر الجيش : ويدلّ له أيضا قولهم : لعمرك إنَّ زيدا قائم ، وقال تعالى : ﴿ لعمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكرَتِهم يَعْمَهون (٣) ﴾ التقدير : لعمرك قَسمى ، فكان العَمْر نفسه هو المقْسم به ، فليكن هو المقسَمَ به فى نحو عمرك الله ، ويكون الأصل : بتعميرك الله . ويمكن أن يقال إنَّ من نصب عمرَك الله على المصدر ، وقال عَمَّرك الله تعميراً ، لم يجعله قسَمًا ، وإنَّما يكون قسماً على قول الأخفش ، وهو قَسمٌ طلبىٌّ على رأى من لا يُثْبته ، ومسئولٌ به على رأى من لا يثبته .

وأجاز المبرد والسيرافى أنْ ينتصب على تقدير القسم ، كأنه قيل : أُقسم عليك بعَمرِكِ الله ، والأصل بتعميرك الله ، أى بإقرارك له بِالدّوام والبقاء ، ويكون محذوفَ الجواب ، فتكون الكاف فى موضع رفع . والظاهر من كلام سيبويه أنّه مصدر موضوعٌ موضعَ الفعل على أنّه مفعول به .

٢١٣

قال أبو حيان : والاسم المعظَّم فى عمرك الله ينصَب ويرفَع . أمَّا النصب فقد قال صاحب ( اللباب ) : فى إعرابه وجهان :

---

(١) البيت ينطق أنه للمجنون . وهو فى ديوانه ٨٣ والأغانى ٢ : ٣ والهمع ٢ : ٤٥ وتزيين الأسواق ٥٧ . وفى الأغانى : « ويروى نشدتك الله » . وروى أيضا : « أصدقت صفة المجنون أم كذبا » .

(٢) فى ديوان عمر ٣٩٥ : « بربك هل أتاك لها رسول » .

(٣) الآية ٣٢ من سورة الحجر .

أحدهما : أنّ التقدير : أسألك تعميرك الله ، أى باعتقادك بقاء الله ، فتعميرك مفعول ثان ، واسم الله منصوب بالمصدر .

والثانى : أنْ يكونا مفعولين ، أى أسال الله تعميرك .

وأما الرفع فقد ذكر ابن مالك عن أبى علىّ أنَّ المراد عمرَّك الله تعميرا ، فأضيف المصدر إلى المفعول ورفع به الفاعل .

وكذا تقدَّم عن الأخفش ، فقد اتَّفق قولاهما على أنّ اسم الله تعالى مرفوعٌ بالمصدر على الفاعليَّة ، ولكنْ أبو عليٍّ يرى أنّ نصب عمرك على المصدر ، والأخفش يرى أنّه منصوب على نزع الخافض ، ولهذا كان الفعل الذى يقدِّره أبو على : عمَّرتك ، والفعل الذى يقدِّره الأخفش : أسالك . وأمَّا قِعدك الله بكسر القاف وفتحها ، ويقال قَعيدَك الله أيضاً ، فهما منصوبان بتقدير : أقسم ، بعد إسقاط الباء ، وهما مصدران بمعنى المراقبة كالحِسّ والحسيس ، وقيل وصفان كخِلّ وخليل ، بمعنى الرقيب الحفيظ ، فالمعنيُّ بهما هو الله تعالى ، والله بدلٌ منهما ، وعلى الأوّل منصوب بهما . وهو الجيِّد إذْ لم يسمع أنَّهما من أسماء الله تعالى .

وبقى على الشارح المحقق ذكر عزَمْتُ وأقسمت ؛ فإنَّهما يستعملان فى قَسَم الطلب . وأمَّا استعمال لعمركَ فى قسم السُّؤال فلم أره . وقوله :

* بدينِكَ هل ضممتَ إليكَ ليلى *

هذه الباء عند من لم يثبت قَسم السؤال اسمها باءُ الطَّلَب ، ويجوز ذكر متعلقها كنشدتك بالله ، وأسالك بالله . وحذفه أكثر ، ومنه هذا البيت .

قال ابن مالك ( فى التسهيل ) : ويُضمر الفعل فى الطلب كثيراً ، استغناءً بالمقسم به مجروراً بالباء ، ويختصُّ الطلب بها . انتهى .

ولو كانت للقسم لجاز أن يقال : أحلف بالله قمْ ونحوه . وقد تحذف الباءُ مع المتعلَّق فى الشعر كما تقدَّم .

و ( ضممتَ إليك ) أى عانقتَها وحَضنتها . وقوله :

* قُبيل الصبح أو قبَّلتَ فاها *

روى بدله :

* وهل قبَّلتَ بعد النَّوم فاها *

يريد : هل قبّلته [1] وشمِمتَ طِيب رائحته ، فى وقتِ تغيُّرِ الأفواه . وخصَّ ما بعد النوم لأنَّ الأفواه تتغير حينئذ . والمراد تحقيق طِيب نكهتها . وبعده :

( وهل مالَتْ عليك ذُؤابتاها كمثِل الأُقْحوَانِ على ندَاها )

وروى بدله :

( وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليلَى رَفيفَ الأُقْحُوان على نَداها )

رَفّت ، بفتح الراء المهملة ، من رفّ لونه يَرِف بالكسر رفيفاً ورَفًّا ، إذا بَرَق وتلألأ . أراد شدَّة سواد شَعرها . والرَّفيف يُوصف به خُضرة النباتِ والأشجار ، قال الشاعر :

* فى ظلِّ أحوى الظِّلّ رفَّافِ الورَقْ *

وصحَّفه ابنَ المُلاَّ ( فى شرح المغنى ) بجعل المهملة معجمةً فقال : الزَّفيف إهداء العروس إلى بعلها . وغفَل عن قوله رفَيف الأقحوانة ، وهى البابونَج . وقيَّدها بكونها فى نداها لأنَّها لا أعطرَ مَنها فى تلك الحالة . والقُرون : الذوائب ، جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء .

---

(١) ط : « قبلت » ، وأثبت ما فى ش .

صاحب الشاهد والبيتان أوردهما الأصفهانى [١] ( فى الأغانى ) ونسبهما إلى المجنون بن الملَّوح من بنى عامر ، وقال :

٢١٤ مرَّ المجنون ذاتَ يومٍ بزوجِ ليلى وهو جالسٌ يصطلى فى يوم شاتٍ ، وقد أتى ابنُ عَمٍ له فى حىِّ المجنونِ لحاجةٍ ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

بربِّكَ هل ضممت إليكَ ليلى قُبيلَ الصُّبْحِ أو قبَّلت فَاها [٢]
وهل رفَّت عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأُقحوانةِ فى نداهــا

فقال : اللهمَّ إذْ حلَّفتنى فنَعْم . قال : فقَبض المجنونُ بكلتا يديه من الجمر قَبضتين ، فما فارقهما حتَّى سقط مغشيًّا عليه ، وسقط الجمر مع لحم راحتيه [٣] فقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله متعجّبا منه . انتهى .

وزاد ابن جنى ( فى شرح تصريف المازنى ) بيتاً بعدهما ، وهو :

كأنّ قرَنفُلاً وسحيقَ مِسكٍ وصَوبَ الغادياتِ شَمِلْنَ فاها [٤]

وتقدَّمت ترجمة مجنون بنى عامر فى الشاهد التسعين بعد المائتين [٥] .

* * *

وأنشد بعده :

( قعيدكِ أن لا تُسمِعينى مَلاَمَةً )

---

(١) ش : « الأصبهانى » ، يقال أصفهان وأصبهان .

(٢) فى المنصف : « إليك سعدى » وكذا : « قرون سعدى » فى البيت التالى ، ولم ينسب الشعر .

(٣) ط : « راحته » ، وأثبت ما فى ش والأغانى ١ : ١٦٩ .

(٤) شمله يشمله : عمه وغشيه .

(٥) الخزانة ٤ : ٢٢٩ — ٢٣٣ .

هو صدر ، وعجزه :

( ولا تَنكئى قَرْحَ الفؤاد فيِيجعا )

على أنّ أنْ فيه زائدة ، والجواب إنَّما هو النهى . وهذا جوابُ سؤالٍ مقدَّر ، وتقديره : أنك ذكرتَ أنَّ جواب قسم السؤال أن يكون أمراً أو نهياً أو استفهاماً أو مصدَّرا بإلاَّ أو لمَّا ، وهذا ليس أحد تلك الخمسة . فأجاب بأنّ أنْ زائدة ، والجواب هو النهى . وهذا وإن أمكنَ هنا فلا يتأتَّى فى نحو:نشدتك بالله أن تقوم .

وقد اعتبره غيرُه ، قال أبو حيان ( فى شرح التسهيل ) : إنَّ الجواب يكون بأحد ستة أشياء ، وهى الاستفهام ، والأمر ، والنهى ، وإلاّ ، ولمَّا ، وأنْ . ومثَّل له بما ذكرنا .

ولم يذكرا تصدُّر الجواب بإن الشرطية نحو :

* بالله ربِّكَ إن دخلتَ فقُلْ له * البيت [١]

والظاهر أنَّ إنْ إذا حلَّت هذا المحلّ يجب أن يكون جوابُها فعلاً طلبيًّا كما فى البيت ، لأنَّ الطلب هو المقصود من هذا الكلام ، وجملة الشرط ليس فيها طلب ، فتعيَّن أن يشتمل [٢] جُملة الجزاء عليه . وليس المراد بالطَّلب هنا أن يكون بصيغته ، بل المراد به أن يكون الجواب مطلوبا للمتكّلم ، سواء كان الطلب بالصِّيغة أم بغيرها مما يفيده سِياقُ الكلام ، ولذلك جَعلوا من صُورَ المسألة نشدتك إلاّ فعلّت أو لمّا فَعلت ، وقالوا : المعنى فيه : ما أسألك إلاّ أن تفعل ، أو ما أطلب منك إلاّ أن تفعل .

---

(١) البيت لابن هرمة ، كما سبق فى ص ٤٢ ، وعجزه :

* هذا ابن هرمة واقفا بالباب *

(٢) كذا بالياء فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية .

وزاد الشارح المحقق على أبى حيّان وقوع اللام فى الجواب ، نحو : بالله لتفعَلّن . وقد أورده الشارح هنا مكرّراً مرَّتين مع قرب ما بينهما .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةِ متمم بن نويرة الصحابى ، رثَى بها أخاه مالكَ بن نُويرة . وقد تقَدَّم الكلام عليه وعلى عَمّرتك وعَمْرَك وقِعدَك وأمثالها ، فى المفعول المطلق فى الشاهد الخامس والثمانين وما بعده [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الثمانمائة [٢] :

٨١١ ( لِأُورِثَ بَعدِى سُنّةً يُقتدَى بها وأجْلُو عَمَى ذِى شُبْهةٍ إنْ توهَّما )

على أن اللام فيه لام الابتداء ، دخلت على المضارع للتوكيد ، وليست فى جواب قسم .

قال ابن هشام ( فى المغنى ) : اختُلف فى هذه اللام الداخلة على المضارع ، فأجازه ابن مالك والمالقى وغيرهما . زاد المالَقىُّ الماضىَ الجامد ، نحو : ﴿ لبئسَ ما كانوا يَعْمَلون [٣] ﴾ . وبعضُهم المتصرِّفَ المقرونَ بقد ، نحو : ﴿ ولقَدْ كانوا عاهَدُوا الله مِن قبْل [٤] ﴾ ، ﴿ لقَدْ كانَ فى يُوسُفَ وإخوتِه آياتٌ [٥] ﴾ والمشهور أنَّ هذه لام القسم . ٢١٥

وقال أبو حيان فى : ( ولقد علمتم ) : هى لام الابتداء ، مفيدةٌ لمعنى التأكيد ، ويجوز أن يكون قبلها قسَم مقدر وأن لا يكون . انتهى .

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣ — ٥٥ .
(٢) الأصمعيات ٢٤٦ ومختارات ابن الشجرى ٣٣ وديوان المتلمس ٣٩ نسخة الصيرف .
(٣) الآية ٦٢ من سورة المائدة .
(٤) الآية ١٥ من سورة الأحزاب .
(٥) الآية ٧ من سورة يوسف .

ونصَّ جماعةٌ على منع ذلك كلّه . قال ابن الخباز ( فى شرح الإيضاح ) : لا تدخل لام الابتداء على الجمل الفعلية إلاّ فى باب إنّ . انتهى .

وهو مقتضى كلام ابن الحاجب ، وهو أيضاً قول الزمخشرى ، قال فى تفسير : ﴿ ولسوف يُعْطِيكَ ربّك [١] ﴾ : لام الابتداء لا تدخل إلاّ على المبتدأ والخبر . وقال فى ﴿ لأقسِمُ [٢] ﴾ : هى لام الابتداء دخلت على مبتدأ محذوف ، ولم يقدِّرْها لامَ القسم ، لأنَّها عنده ملازمة للنون . وكذا زعم فى : ﴿ ولسَوْفَ يُعطِيكَ ربُّك ﴾ .

وقال ابن الحاجب : اللام فى ذلك لام التوكيد ، وأمّا قول بعضهم إنّها لام الابتداء وإنَّ المبتدأ مقدَّر بعدها ففاسد من جهات : إحداها [٣] : أنَّ اللام مع الابتداء كقَدْ مع الفعل وإنّ مع الاسم ، فكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقيان بعد حذفهما ، كذلك اللامُ بعد حذف الاسم . والثانية : أنّه إذا قدر المبتدأ فى نحو : لسوف يقوم زيد ، يصير التقدير : لزيد سوف يقوم . ولا يخفى ما فيه من الضّعف . والثالثة : أنّه يلزم إضمارٌ لا يحتاج إليه الكلام . انتهى .

وقول الشاعِر ( لأُورِثَ ) مضارع مبنى للفاعل ، وهو ضمير المتكلم متعدّ إلى مفعولين ، تقول : ورث زيدٌ المال ، فتعديه بالهمزة إلى اثنين ، وتقول أورثته المال ، أى أكسبْته إيّاه ، والمفعول الأوّل هنا محذوف ، والتقدير : لأُورِثَ النّاسَ ، وسُنّةً المفعول الثانى . و ( السُّنّة ) : السيرة حميدةً كانت أو ذميمة ، وهى

---

(١) الآية ٥ من سورة الضحى .

(٢) الآية الأولى من سورة البلد . وهى قراءة البزى من طريق أبى ربيعة وقنبل . إتحاف فضلاء البشر ٤٢٨ .

(٣) ش : « أحدهما » ، تحريف .

الطريقة . وجملة ( يُقتدَى بها ) بالبناء للمفعول صفة لسنّة . و ( أجلُوَ ) معطوفٌ على أورثَ ، من جلَوت السيف ونحَوه ، إذا كشفتَ صدأه جِلاءً بالكسر والمد . و ( العَمَى ) هنا : عمى القلب ، مستعارٌ للضلالة ، والعلاقة عدمُ الاهتداء . و ( الشُّبهة ) : الظن المشتبِه بالعلم ، ذكره أبو البقاء [١] . وقال بعضُهم : الشُّبهة : مشابهة الحق للباطل والباطل للحقّ من وجهٍ إذا حقّق النظرُ فيه ذهب . و ( انْ توهَّمَ ) الألف للإطلاق ، ويجوز فى أنْ الكسرُ والفتح ، وفاعل توهَّم ضمير ذى شبهة ، ومفعوله محذوفٌ للتعميم . والتوهُّم : الخطأ فى درك الشىء . ويقال توهَّمت ، أى ظننت .

صاحب الشاهد

وهذا البيت للمتلمِّس ، وهو شاعرٌ جاهلى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والستين بعد الأربعمائة [٢] .

والبيت من قصيدةٍ عدّتها تسعةَ عشر بيتاً ، أوّلُها :

أبيات الشاهد

( يعيِّرنى أُمِّى رجالٌ ولا أرى ... أخَا كرمٍ إلاَّ بأنْ يتكرَّما

ومَن كان ذا عِرضٍ كريمٍ فلم يصُنْ ... له حسباً كان اللئيمَ المذَمَّما

أحارِثُ لو أنّا تُساطُ دماؤنا ... تزيَّلْنَ حتّى ما يمسَّ دمٌ دما [٣]

أمنتفِلاً من آل بُهثة خِلتَنى ... ألا إنّنى منهمْ وإن كنت أينما [٤]

ألاَ إنّنى منهمْ وعِروضىَ عِرضُهمْ ... كذى الأنفِ يحمى أنفَه أن يُهشَّما

---

(١) فى كليات أبى البقاء ٢٥٤ : « والشبهة هو أن لا يتميَّز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه » . فلعل النص من كتاب له آخر .

(٢) الخزانة ٦ : ٣٤٥ – ٣٥٢ .

(٣) ويروى : « إنّا لو تُساط » ، و « تزايلن » .

(٤) ط : « أمنتقلا » بالقاف ، وهى رواية الحماسة البصرية ١ : ٤١ ومختارات ابن الشجرى ٣١ . وأثبت ما فى ش مع أثر تغيير ، لأنه المطابق لما سيأتى من شرح . وفى شرح المختارات : « ويروى : أمنتفلا . يقال انتفل من ذلك الأمر وانتفى منه . ويقال للرجل يرمى بشىء : انفُل ذلك عن نفسك » .

ولو غيُر أخوالى أرادُوا نقصتى جَعلتُ لهم فوقَ العرانينِ مِيسمِا
وهل لىَ أمٌّ غيرُها إنْ تركتها أبى اللهُ إلاّ أن أكونَ لها أبنَما
وما كنتُ إلاّ مثلَ قاطِعِ كفِّهِ بكفٍّ له أخرى فأصبحَ أجذْما
فلما استقادَ الكفَّ بالكفِّ لم يجدْ له دَرَكاً فى أن تبينا فأحجَما
يداهُ أصابت هذه حَتْفَ هذه فلم تجِدِ الأخرى عليها مقدَّما[1]
فأطرقَ إطراقَ الشُّجاع ولو يرى مَساغاً لنابيه الشُّجاعُ لَصمَّما[2]
وقد كنتَ ترجو أنْ أكونَ لعَقْبكم زَنيماً فما أُجْرِرْتُ أن أتكلَّما[3]

لأورثَ بعدى سنّة ............ .................... البيت )

٢١٦

قال جامع ديوانه أبو الحسن الأثرم : قال أبو عبيدة : كان سبب هذه القصيدة أنَّ المتلمس كان فى أخواله بنى يشكر ، يقال إنّه وُلِد فمكثَ فيهم ، حتَّى كادوا يَغلبون على نسبَه ، فسأل عمروُ بنُ هندٍ ملكُ الحيرة يوماً الحارثَ بنَ التّوأم اليشكريَّ عن نسب المتلمس ، فقال : يَزعم أنَّه من بنى ضُبيعِة أضجَم . فقال عمرو : ما هو إلاَّ كالساقط بين الفِراشَين . فبلغ ذلك المتلمسَ فقال هذه القصيدة .

والمتلمس اسمُه جرير بن عبد المسيح ، أخو بنى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار .

وقوله : ( أحارث ) منادى . وتُساط : تُخلَط . وتزيّلن : افترقن . والمنتفل[4]

(١) ط : « فلم يجد » ، صوابه فى الديوان و ش مع أثر تصحيح فيها .

(٢) هذا البيت من الشواهد النحوية . انظر ابن يعيش ٣ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ٧٩ .

(٣) يخاطب الحارث بن التوءم اليشكرى . وفى الديوان والأصمعيات : « وقد كنت أرجو أن أكون لعقبهم » . وفى الأصمعيات بعده : « زعيما » أى سيِّدا .

(٤) ط : « والمنتفل » بالقاف ، وأثبت ما فى ش . وانظر ما سبق فى الحواشى .

والمنتفى والمتبرى سواء . وبُهثة [١] هو ابن حَرب بن وهب بن جُلَىّ بن أحمس بن ضُبيعة بن نزار . و « إن كنت أينَما » أى حيثُ ما كنت .

وقوله : « جعلتُ لهم فوقَ العرانين » ، يقول : هجوتهم هجاءً يَلزمُهم لزومَ المِيسم للأنف . والأجذم : المقطوع إحدى يديه يقول : لو هجوتُ قومى كنت كمن قطع بيده يدَه الأخرى . والزَّنيم : الملصَق بالقوم وليس منهم . والإجرار : أن يُشقَّ لسانُ الفصيل لئلاّ يرضع أمَّه . انتهى .

وبقى أبياتٌ من القصيدة لا حاجَة لنا بها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الثمانمائة [٢] :

٨١٢ ( وقَتيلِ مُرّة أثأرنَّ فإنّه فِرغٌ وإنّ أخاهُم لم يُقْصَدِ )

على أنّه قد يخلو المضارع عن اللام استغناءً بالنون كما هنا ، والأكثر لأثأرنَّ ، بهما جميعا .

وهذا كقول ابن مالك ( فى التسهيل ) : وإن كان أوّلُ الجملة مضارعاً مثبَتاً مستقبَلا غيرَ مقارِنٍ حرفَ تنفيسٍ ولا مقدَّمٍ معموله ، لم تغْنِه اللامُ غالبا عن نون التوكيد . وقد يُستغنَى بها عن اللام . انتهى

ومثله لأبى علىّ ( فى التذكرة ) قال : جاء بالنون وحذف اللام ، لأنَّ النون تدلُّ عليه .

---

(١) فى الاشتقاق ٣٠٧ أن اشتقاق بهثة من قولهم : تبهَّث فى وجهه ، إذا أظهر له بشرا .

(٢) الضرائر ١٥٧ والهمع ٢ : ٤٢ والحماسة بشرح المرزوق ٥٥٨ وديوان عامر بن الطفيل ١٤٥ .

وذهب ابن عصفور ( فى كتاب الضرائر ) إلى أنَّ حذف اللام ضرورة . وتبعه ابن هشام ( فى المغنى ) فقال : حذف لام لأفعلنّ يختص بالضَّرورة . وأنشد البيت .

وهذا مذهب البصريِّين ، والأوّل مذهب الكوفيِّين كما بيَّنه الشارح المحقِّق .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لعامر بن الطُّفيل العامرىّ ، تقدم شرحُ أبياتٍ من أوّلها فى الشاهد الثامن والستين بعد المائة [1] . وقبل هذا البيت :

( ولأثـــأرنَّ بمالكٍ وبمالك وأخرى المَرَوْراة الذى لم يُسنَدِ )

وقوله:« ولأثارنَّ » اللام فى جواب قسم مقدّر ، أى والله لأثأرنّ ، أى لآخذنّ بثأرهم وأقتُلنَّ بهم من بنى مُرّة بن عوفٍ الذُّبيانى . والثَّأر بالهمزة ويخفّف : الذحْل ، يقال : ثأرت القتيلَ وثأرت به ، من باب نفع ، إذا قتلتَ قاتله . والمَرَوْراة ، بفتح الميم والراءين المهملتين وسكون الواو بينهما : أجبُلٌ لأشجعَ بن رَيْث بن غَطَفان . وأراد بأخى المروراة الحكم بنَ الطُّفيل العامرىّ ، وهو أخو عامر بن الطفيل ، خنق نفسَه تحت شجرةٍ بالمروراة خوفاً من الأسر ، كما يأتى بيانه . وقوله : « الذى لَمْ يُسْنَد » أى لم يدفن ، بل أكلتْه السِّباع والطيور .

٢١٧

وقوله : ( وقتيل مُرّة أثأرَنَّ ) إلخ قال ابن الأنبارى ( فى شرح المفضليات ) : رواه الضبّى بخفض قتيل ، ورواه الحرمازى بنصبه ، ورواه الأثرم برفعه .

أمّا الأوّل فعلى أنَّ الواو للقسم ، وقتيل مُقسَم به ، وأراد به أخاه الحكم بنَ الطُّفيل ، وأعاده مبهَماً تفخيما له . ومُرَّة : أبو قبيلة ، وهو مُرّة بن عوف بن

(١) الخزانة ٣ : ٧٤ — ٨٠ .

سَعْد [١] بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان ابن مُضر . وقول ابن المُلاّ ( فى شرح المغنى ) : مرّة : قبيلة من قريش ، كلامُ مَنْ لم يصل إلى العُنقود . وأثأرنَّ جواب القسَم ، ومفعول أثأرنّ محذوف ، والتّقدير : أثأرنّه أوْ أثأرنَّ به [٢] . وعلى هذا يكون الاستشهاد . وإن كانت الواو للعطف على مالك ، فأثأرنَّ تأكيد لقوله : لأثأرنّ .

وأمّا النّصب فعلى العطف على محلِّ ، مالك ، وأثأرنّ تأكيد لذلك ، وقيل مفعول بفعلٍ يفسره أثأرنّ . ولا يجوز أن يكون مفعولاً له لأنَّ المؤكّد لا يتقدَّم علَيْهِ معمولُه [٣] .

وأما الرفع فعلى الابتداء ، وجملة أثأرَنَّ خبره والعائد محذوف ، أى أثأرنّ به أو أثأرنّه . والتأكيد على هذا شاذٌّ . والضمير فى فإنّه راجع لِقَتيل .

و ( فِرْغ ) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بعدها معجمة : الهَدَر ، يقال ذهَب دمُ فلانٍ فِرغا وهَدَرا ، إذا لم يُقتَل قاتله .

وقال ابن الأنبارىّ : روى « فَرَعٌ » أيضًا أى بفتح الفاء والعين المهملة ، وهو الرأس العالى فى الشَّرَف . قال صاحب الصحاح : يقال هو فرعُ قومِهِ للشَّريف منهم . وضمير الجمع فى ( أخاهم ) لمرّة باعتبار كونه حيًّا ، وأراد بأخيهم سِنانَ بنَ أبى حارثة المرى ، أو الحارثَ بنَ عوف ، فإنّ أحدَهما كان رئيس بنى مُرة .

قال ابن الأنبارىّ : وقوله ( لم يُقصَد ) : لم يقتل ، يقال أقصدت الرجلَ ، إذا قتلته .

---

(١) فى النسختين : « سعيد » ، صوابه من الاشتقاق ٢٨١ والجمهرة ٤٨١ والمعارف ٤٠ ونهاية الأرب للقلقشندى ٢٨٨ .

(٢) ط : « وأثأرن به » .

(٣) ط : « على معموله » ، صوابه فى ش .

وروى بدله ( فى مغنى اللبيب وغيره ) : « لم يثأرِ » ؛ وهو خطأ معنًى وقافية .

يوم الرقم

وهذا الشعر قاله عامر بن الطفيل بعد يوم الرَّقَم بفتح الراء والقاف [١] ، وهو ماءٌ لبنى مُرّة ، وهو يومٌ [٢] كان لغَطَفانَ على بنى عامر [٣] . قال ابن الأنبارىّ : أغار بنو عامر على غَطفان بالرَّقَم ، فلَقُوا غِلمة من أشجع بن رَيْث بن غطفان فقتلُوهم ، ثم استبطن عامرُ بنُ الطُّفيل بنى عامر فى الوادى ، فأغاروا على بنى فزارة بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، فأصاب بنى سفيان بن غُراب ابن ظالم بن فزارة ، وأتى الصَّريخُ بنى فَزارة ، فركبوا هم وبنو مُرّة بن عوف ، وعلى بنى فزارة عُيَينة بنُ حِصْنٍ ، وعلى بنى مُرّة سِنان بن أبى حارثة ، ويقال الحارث بن عوف ، فانهزمت بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، وأقبل عامر بن الطُّفيل منهزماً حتّى دخل بيتَ أسماء بنتِ قُدامة الفزارى ، وهى حديثةُ عهدٍ بعُرْس ، وزوجُها شَبَث بن حَوْطٍ الفزارىّ ، ومضت بنو جعفر فدخلوا فى شعابٍ لا يَدرُون ما هى ، فلما انتَهْوا إلى أقصى الوادى لم يجدوا مَنفَذًا ، وأقبلت غطفانُ حتّى وقفوا على فم الوادى ، فقال لهم عيينة : قِفوا فإنّ القومِ منصرفون إليكم . فلمّا لم يجدوا منفذًا انصرفوا ، فقال بعضهم لبعض : إنّه لن يُنجيَكم اليوَم إلاّ الصِّدق ، فارموهم بنواصى الخيل . ففَعلوا فقُتل يومئذ من بنى جعفر : كنانةُ والحارثُ ابنَا عُبَيدة بن مالك بن جعفر ، وقيسُ بن الطُّفيل بن مالك . فلمَّا خرجت بنو جعفرٍ من الشِّعب خرج عامرٌ من بيت أسماء ، فرجع زوجُها فقال ، أصنَعَ بكِ عامرٌ شيئا ؟ قالت : إى والله لقد فعل ، ولو كنتَ أنت لنكَحَكَ عامر ! فمرَّ جبّار بن

(١) قال ياقوت : « وربما روى بسكون القاف » .

(٢) ط : « ماء » ، صوابه فى ش .

(٣) ما بعده إلى : « ريث بن غطفان » ساقط من ش .

٢١٨ سُلمَى [١] بن مالك بن جعفر بعامر فارتَدفَه على فرسه ، وأمَّا الحكم بن الطفيل أخو عامر فإنّه انهزَم فى نفرٍ من بنى عامرٍ ، وفيهم رجلان من غَنىّ ، فنظرو إلى بنى جعفر منهزِمِين فحسِبُوهم بنى ذبيان ، فقال الحكم : واللهِ لا تأسرُنى بنو ذبيانَ اليومَ فيتلعَّبون بى ! فَمَضوا حتَّى انتهوْا إلى موضعٍ يقال له المروراة ، وقد كاد العطش يُهلكهم ، فاختنق الحكمُ تحت شجرةٍ مخافة المُثْلةِ فمات ، وأخذت بنو عمار فرساً لهم يقال له « عَزْلاء » ، فجعلوا يُمرُّون ذكَرَه حتَّى بال ، فشربُوا بولَه من آخر النهار وقتلهم العطش ، وبقى الغَنوِيَّان ، فسألهما عامرٌ عن الحَكَم ، فأخبراه أنَّه خنَقَ نفسَه . فزعموا أنّ عامرًا كان يرفع يديه ويقول : اللهم أدرِكْ لى بيومِ الرَّقَمِ ثمّ اقتُلنى إذا شئت . فسمَّت غطفانُ ذلك اليومَ يوم المَرْوْراة ، ويوم التَّخانق .

وزعمت غطفان أنّهم أصابوا يومئذ من بنى عامر أربعة وثمانين رجلا ، فدفعوهم إلى أهل بيتٍ من أشجعَ كانت بنو عامر قد أصابُوا فيهم ، فجعل رجلٌ منهم يقال له عُقبة بن حُلَيس يقول : من أتانى بأسيرٍ فله فداؤه . فجعلت غطفانُ يأتونه بالأسرى ، فجعل يذبحهم حتَّى أتى على آخرهم ، فسمِّى مذبِّحا ، وبنوه إلى اليوم يقال لهم بنو مذبِّح . قال عُروة بنُ الوَرْد العبسىُّ فى بنى جعفر :

عجبتُ لقومٍ يَخنُقون نفوسَهم ومَقتَلُهم تحتَ الوغى كان أعذَرا [٢]
يشُدُّ الحليمُ منهم عَقدَ حبلِهِ ألاَ إنَّما يأتى الذى كان حذَرا

انتهى باختصار .

* * *

(١) سلمى هذا بفتح السين وضمها أيضا ، كما نص ابن حجر فى الإصابة ١٠٥١ .

(٢) ديوان عروة بن الورد ٩٧ والحيوان ٢ : ٢٧٣ والعقد ٥ : ١٦٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الثمانمائة (١) :

٨١٣ ( تألَّى ابنُ أوسٍ حَلفةً ليَردُّنى إلى نسوةٍ كأنَّهـنَّ مقَائـدُ )

على أنّه استغنى بلام التوكيد عن النون . وهذا ظاهر .

وروى أيضا بكسر اللام وفتح الدال ، على نصب الفعل بأنْ مضمرة على أنّها لامُ كَىْ . قال الإمام المرزوقى : يروى بفتح الدال وضم الدال على أن يكون اللام لام اليمين .

وذكر سيبيويه أنَّ لام القسم يلزمها إحدى النونين .

وقال أيضاً : وقد تحذف النون فى الشعر . وقد جاء أعجبُ من هذا وأبعدُ فى الاستعمال ، وهو حذف اللام وإثبات النون . قال :

وقتيل مرة أثأرنَّ .. البيت .

فأمَّا من روى بكسر اللام فالمعنى : حَلَفَ لهذا الأمر . وجواب القسم يكون محذوفا مقدّرا ، ويُستدلُّ عليه بما ذكره . وقال بعض المتقدِّمين : تقول : حَلف ليفعلنّ ، فإذا حذفت النون كسرت اللام وأعملْتَها إعمالَ لام كى ، والموضعُ موضعُ القسمِ والمعنى معناه . وقيل : مِثل تألَّى ليردَّنى : أراد ليفعل كذا ، كأنَّ الفعلَ دلّ على المصدر . واللام مع الاسم المجرور به فى موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ ، كأنه قال : إرادتى كذا (٢) . انتهى .

وسيأتى إن شاء الله تعالى بقيةُ الكلام على هذا فى نون التوكيد .

---

(١) المقرب ١ : ٢٠٦ والضرائر ١٥٧ والهمع ٢ : ٤٢ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٥٧ وبشرح التبريزى ٢ : ١٢٨ .

(٢) ما بعد كلمة « المبتدأ » ساقط من ش . وعند المرزوقى : « كأنه : إرادتى كذا » .

صاحب الشاهد

وهذا البيت أوَّلُ أبياتٍ أربعةٍ لزيد الفوارس بن حُصين بن ضِرارٍ الضبى ، أوردها أبو تمام ( فى الحماسة ) . وبعده :

أبيات الشاهد

( قصَرتُ له من صَدرِ شَوْلَةَ إنّما ينجّى من الموت الكريمُ المُناجدُ
دعانى ابنُ مرهوبٍ على شَنْءٍ بيننا فقلت له إنّ الرماح مَصايدُ
٢١٩ وقلتُ له كنْ عَنْ شِمالى فإنّنى سأكفيك إن ذاد المنيةَ ذائدُ )

قال المرزوقى : آلى الرجل ، وتألّى بمعنًى . وهذه الأبنية من الألْية وهى اليمين. وحَلْفةً انتصب على أنّه مصدر من غير لفظه . و ( المفائد ) جمع المِفأد ، بكسر الميم وفتح الهمزة ، وهى المِسْعَر والسَّفّود . والفَأْد فى اللغة : التحريك ، وقيل إنّ الفؤاد منه اشتُقّ لأنه ينبض . ومعنى البيت : حَلفَ هذا الرجلُ حلفةً ليَأسِرنّنى ثم يمتنّ علىّ [1] فيردّنى على نسوة كأنّهنّ مساعيرُ لاحتراقهنّ وجدًا بى وغمًّا علّى ، ففعلتُ أنابهِ مثل ما همَّ به فىَّ .

وقوله : « دعانى ابن مرهوب » إلى آخره حَوّلَ كلامَه إلى قصَّة أخرى ، فقال : استغاث بى هذا الرجلُ على ما بيننا من عَداوة وبغضاء ، فأجبتُه بعد أنْ هوَّنت عليه ما خوّفه ، وبيَّنت أنّ الرماح حبائل الرجال الكرامِ فى الحرب ومصايِدهُم [2] ، فلا تُبالِ بالموت إذا كان على وجهه لا يتعقبُّه عار . وقوله : « على شنء بيننا » فى موضع الحال ، يقال شَنِئته [3] شَنْءاً ومَشْنأة .

وقوله : « وقلت له كن » إلخ وإنّما قال له كن عن شمالى لأنَّ الضرب والطّعن والرمى فى العِطْفِ وماشا كل ذلك من الجانب الأيسر أمكنُ من الأيمن .

---

(١) فى شرح الحماسة : « ثم يمن على » .

(٢) ش : « مصائدهم » بالهمز خلافا لما فى ط والمرزوقى . والياء الأصلية فى المفرد لا تنقلب فى الجمع همزة نحو معايش ومكايل ومبايع . وفى اللسان : « مصايد بلا همز مثل معايش جمع معيشة » .

(٣) ش فقط : « شنأته » . وفى اللسان : « قال أبو الهيثم : يقال شنئت الرجل أى أبغضته . قال : ولغة رديئة : شنأت بالفتح » .

ووجه آخر ، وهو أنَّ العِطْف فى الجانب الأيسر ، فقال له : كن فى الجانب الذى أنا معنىٌّ به . وقيل إنّما قال كن عن شمالى لأنّه موضع المُعَانِ المنصور ، واليمنى موضع الناصر ، يقال : أنا على يمينك وعن يمينك ، أى ناصرك . كأنّه أمره أن يكون على مَيسَرة الجيش ويكون على الميمنة ، لأنّهم يجعلون على ميمنة العسكر كلَّ موثوق به . وهذا أحسن وجه .

وقال الخطيب التبريزى : قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أنّ زيدَ الفوارسِ أقبل هو وعَلقمة بن مرهوب ، ورجلٌ من بنى هاجَر ، ورجل من بنى صُبيحٍ ، وحسَّان بن المنذر بن ضرار ، حتَّى نزلوا ببنى جديلة من طيِّئ ، وكان بنو جديلة قد ولَدُوا جَبّار بن صخر بن ضرار ، فأبى زيدٌ وعلقمة أن ينزلا مع حسَّان ، وركبا وجوهَهما ، فقال أوس بن حارثة بن لَأْمٍ لحسّان : من هذانِ معك ؟ قال : زيد الفوارس وعَلقمة بن مرهوب . فقال لابنه قيس بن أوس : اركبْ فارددهما علىَّ . فركب فقال : إنّ أبى يُقسم عليكما لترجعانِّ . فأبَيا فأغلظ لهما ، فرجع إليه زيدٌ فقتله ، فلمّا رأى ذلك ابنُ مرهوب وكان مصُارمًا لزيد قال : يا زيد أُذكِّرُكَ الله أن تتركنى . فربَعَ عليه ، فلما أبطأ على أوسٍ [1] ابنه تحذَّر حسّانُ الذى كان عنده [2] ، فركب هو وصاحباهُ ، فلما انتَهوْا إلى زيدٍ ورأَوْا ما صنع قال لبُريمة ، وهو أُهَونُ مَنْ معَه : ارجعْ إلى دِرعى نَسِيتُها عند أوسٍ فأتِنى بها ، فإنْ قال لك من أنت فقل : أنا ابن ضرار . فرجع بُريمة إليه فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ابن ضِرار . فقتله وقال : كريم بكريم . وقيل إنّ قيس بن أوسٍ لمّا لحق زيداً ناداه : يا زيدُ ارجِعْ ! فقال زيد : إلامَ أرجِع ؟ فقال قيسٌ : واللات والعُزّى لأردَّنّك أسيراً إلى نسوةٍ تركتَهُنَّ . فقتله زيدٌ وقال : تألّى ابن أوسٍ حَلفةً ..... الأبيات . انتهى .

(١) ط : « على زيد » صوابه فى ش وشرح التبريزى .
(٢) ش فقط : « للذى كان عنده » .

وزيد الفوارس شاعر جاهليّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عَشَر بعد الثمانمائة (٢) :

٢٢٠ **٨١٤** (لئن تَكُ قد ضاقتْ عليكمْ بيوتُكمْ لَيَعْلَمُ ربِّى أنَّ بيتِىَ واسعُ )

على أنَّ المضارع الواقع جواباً لقسم إن كان للحال وجب الاكتفاء باللام كما هنا ، فإنَّ المعنى ليعلم الآنَ ربِّى .

قال ابن الناظم : ولو كان المضارع بمعنى الحال أُكِّد باللام دون النون لأنَّها مختصة بالمستقبل ، وذلك قولك : والله ليفعلُ زيدٌ الآنَ . ومنع البصريون هذا الاستعمالَ استغناءً عنه بالجملة المصدَّرة بالمؤكِّد ، كقوله : والله إنّ زيدا ليفعل الآنَ . وأجازه الكوفيُّون ، ويشهد لهم قراءة ابن كثِير : ﴿ لأُقْسِمُ بيومِ القيامة (٣) ﴾ ، وقول الشاعر : أنشده الفراء :

* لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم * البيت . انتهى .

أقول : أورده الفراء ( فى تفسيره ) عند قوله تعالى : ﴿ ولقد عَلِمُوا لمَنِ اشتَراهُ (٤) ﴾ من سورة البقرة ، على أنَّ لام لقد ولام لئن هى المُؤذنة بالقسم ، لا لِكونِ (٥) يعلم حالاً تجرد من النُّون فى وقوعه جواباً للقسم .

---

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ .

(٢) التصريح ٢ : ٢٥٤ والأشمونى ٣ : ٤/٢١٥ : ٣٠ والعينى ٤ : ٣٢٧ ومعانى الفراء ١ : ٢/٦٦ : ١٣١ .

(٣) الآية الأولى من سورة القيامة .

(٤) الآية ١٠٢ من البقرة .

(٥) ش : « لا تكون » .

وقد نسب العينيّ إلى ابن الناظم شيئا لم يقله ، قال : الاستشهاد فيه فى قوله لَيعلم ، إذْ أصله ليعلمَنَّ بنون التوكيد فحذفَها .

هذا كلامُه ، ولا أدرى كيف تقوّله عليه ؟

وقال فى البيت : اللام فى لئنْ للتأكيد . ولا يخفى أنّ هذه اللام يقال لها اللام الموطئة لقسَمٍ مقدّر . ويقال لها أيضا « اللام المؤْذنة » ، ولا يقال لها لام التأكيد .

وقال أيضا : وتَكُ هذه زائدة ، لأنَّ المعنى يتم بدونه . فإذا كان [1] كان زائدة لا تعمل شيئاً . أو تكون تامّة ، والمعنى : لئن يكن الشّأنُ [2] قد ضاقت إلخ .

وفيه أمران : أحدهما : المعهود زيادتُهَا بلفظ الماضى ، ولا تزاد إلاّ بين شيئين متلازمين كالمبتدأ وخبره ، والفعل ومرفوعه ، والموصول وصلته ، والموصوف وصفته ، وهنا ليست كذلك . ولا تُزاد بلفظ المضارع إلاّ بنُدورٍ مع نزاعٍ فيهِ تقدَّم الكلام عليه .

ثانيهما : يلزم من زيادتها بلفظ المضارع أن يقال : لئن قد ضاقت ، وإن لا تدخل على قد .

وقوله : « أو تكون تامّة والمعنى » إلخ الرواية إنّما هى « تَكُ » بالمثناة الفوقية ، فالواجب أن يقول لئن تكن القصّة ، وعليه يكون جملة قد ضاقت مفسِّرة لضمير الشأن والقصَّة . ولا ينبغى الحملُ على هذا مع إمكان غيرِه . ولا مانع هنا من كونها ناقصة ، ويكون اسمها ضميراً مستترا فيها أى هى ، ويفسِّره

---

(١) فى العينى : « فإذا كانت » .

(٢) فى النسختين : « لئن يك الشأن » ، صوابه فى العينى ، إذ لا تحذف نون « يكون » عند الجزم ، إلا إذا وليها متحرك ، نحو « وإن تك حسنة » و « لم أك بغيا » إلا فى قول يونس والكوفية .

فاعل ضاقت وهو بيوتكم ، وجملة قد ضاقت إلخ خبرها ، وتكون المسألة من باب التنازع بإعمال الثانى على مذهب البصريِّين . ويجوز عندهم أن يكون بيوتُكم اسم تك ، وفى ضاقت ضميرها ، وعليكم متعلق بضاقت .

وقال العينى : قوله « عليكم » فى محل النصب على المفعوليّة . وقوله « ليَعلم ربِّى » هو جواب القسم المقدَّر ، وجواب الشرط محذوف يفسِّره جواب القسم .

والبيت أنشده الفراء ( فى أوائل البقرة ) وما عزاه لأحدٍ . وأنشده ثانيا ( فى آخر سورة الإسراء ) عند قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ ﴾ الآية ، قال : أنشدنى الكسائىُّ للكُميت بن معروف : صاحب الشاهد

* لئن تك قد ضاقت عليكمْ بيوتكم * البيت .

وهذا الكميت شاعر إسلامىٌّ ، وتقدَّم ذكره فى ترجمة جده الكميت بن ثعلبة فى الشاهد السبعين بعد الخمسمائة[1].

هذا . ولابن عصفور كلام فى المسألة بيَّنَ به مذهب البصريِّين فلا بأس بإيراده ، قال : وان كان المضارع حالاً فمن الناس من قال : إنّه لا يجوز أن يُقسم عليه ، لأنَّ مشاهدته أغنت عن أن يُقسم عليه . وهذا باطل ، لأنه قد يعوق عن المشاهدة عائقٌ فيُحتاج إذ ذاك إلى القَسم ، والصحيح أنّه يجوز أن يقسَمَ عليه إلاّ أنّه لا يخلو من أن يكون موجَبا أو منفيّا . فإن كان منفِيًّا نفيتَ بما خاصَّةً ، نحو قولك : والله ما يقوم زيد ، ولا يجوز حذفها . وإن كان موجبًا ، فإنَّك تبنى من الفعل اسم فاعل وتصيِّره خبر المبتدأ ، ثم تقسم على الجملة الاسمية فتقول : واللهِ إنَّ زيدا لقائم ، ووالله إنَّ زيدا قائم ، ووالله لزيدٌ قائم . وإنّما لَمْ يجز أن تُبقىَ الفعلَ على لفظه وتُدخل اللام لأنّك لو قلت : والله ليقوم زيد لأدَّى ذلك إلى الإلباس فى ٢٢١

---

(١) الخزانة ٧ : ٥٢٣ .

بعض المواضع . وذلك إذا قلت : إنَّ زيدا والله ليقومن ؛ لأنَّ النون تخلِّص للاستقبال . وقد تدخل عليه اللام وحدَها ولا يُلتَفت إلى اللَّبْس ، إلاّ أنَّ ذلك قليلٌ جدًّا ، بابُه الشعر ، نحو قوله :

* تألَّى ابنُ أوسٍ حلفةً ليردُّنى * البيت . انتهى .

* * *

وأنشد بعدهُ (١) :

* يميناً لنعم السيِّدَانِ وُجدِتما *

على أنَّ نِعْمَ إذا وقعت جوابَ قسم لا يربطها بالقسم إلاّ اللام وحدها كما هنا .

وقد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى (٢) والستين بعد السبعمائة (٣) وفى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة (٤)

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس عشر بعد الثمانمائة (٥) :

**٨١٥** (حَلَفت لها بالله حَلْفَة فاجرٍ لَناموا فما إنْ مِنْ حديثٍ ولا صالي)

---

(١) بعده ، ساقطة من ش .

(٢) ش : « الواحد » .

(٣) الخزانة ٩ : ٣٨٧ – ٣٨٨ .

(٤) الخزانة ٣ : ٧ .

(٥) الأصول لابن السراج ١ : ٢٩٣ والأزهية ٤١ وابن يعيش ٩ : ٢٠ ، ٢١ ، ٩٧ والمقرب ١ : ٢٠٥ والتسهيل ١٦٨ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٦٨ ورصف المبانى ١١٠ والمغنى ١٧٣ ، ٦٣٦ والهمع ١ : ٢/١٢٤ : ٤٢ وديوان امرئ القيس ٣٢ .

على أنّ قوله ( لنَامُوا ) جوابُ القسم ، وجاز الرَّبط باللام من غير قَدْ لضرورة الشعر ، ويجب تقدير ( قد ) بعد اللام ، لأنَّ لام الابتداء لا تدخل على الماضى المجرَّد .

وفيه أمور :

( أحدها ) : كيف يصحُّ دَعوى الضَّرورة مع قوله قَبْل : فإنْ كان الفعل الماضى مثبتاً فالأَولى الجمعُ بين اللام وقَدْ . وهَلْ فيهِ إلاَّ تركُ الأَولى ؟ ولم يقل أحدٌ إنّه ضرورة . على أنّه قد جاء فى أفصح الكلام ، قال تعالى : ﴿ ولئن أرسَلْنا ريحًا فرأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظلُّوا مِن بَعدِه يَكفُرون [١] ﴾ وقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده لَوَدِدتُ أن أقاتِل فى سبيل الله فأقتلَ ثم أحيا ، ثم أُقتلَ ثم أحيا ، ثم أقتل » ، أخرجه البخارى [٢] . وفى الحديث عن امرأةٍ من غِفار أنّها قالت : « واللهِ لَنزلَ رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح فأناخ [٣] » . وفى حديث سعيد بن زيد « أشهدُ لَسَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ أخذ شِبراً من الأَرض ظُلماً [٤] » الحديث .

---

(١) الآية ٥١ من سورة الروم .

(٢) من حديث أبى هريرة فى كتاب الجهاد : باب ( تمنى الشهادة ) . البخارى ٤ : ١٧ قال أبو هريرة : « سمعت النبى ﷺ يقول : والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده ... » إلى نهاية الحديث .

(٣) الحديث فى سنن أبى داود برقم ٣١٣ عن أمية بنت أبى الصلت عن امرأة من بنى غفار قال : « أردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله . قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ، فأناخ ونزلت عن حقيبة رحله ... » .

(٤) استشهد به ابن مالك فى شواهد التوضيح والتصحيح ص ١٦٨ . وسعيد هذا هو سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل . والحديث أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق فى باب ( ما جاء فى سبع أرضين ) ٤ : ١٠٧ كما أخرجه فى المظالم والبيوع . ذخائر المواريث ١ : ٢٣٩ .

وإنَّما فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنَّها أحد الجائزين ، ذِكرُها أكثرىٌّ ، وحَذْفُها كثير ، وذهب إليه الزمخشرى وغيره . قال فى المفصل : « ولام جواب القسم فى نحو:واللهِ لأفعلنَّ ، وتدخل على الماضى كقولك : واللهِ لَكذبَ . وقال امرؤ القيس : « حلَفْتُ لها بالله » البيت . والأكثر أنْ تدخل عليه قد ، كقولك : والله لقد خرج . انتهى .

وقال ابن مالك ( فى شرح التسهيل ) : إن كان الفعل متصرّفاً فالأكثر أن يقترن باللام مع قد ، كقوله تعالى : ﴿ تاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ علَينا [1] ﴾.وقد يستغنى باللام فى النثر والنظم . ثم أورد الآية والأحاديث والشعر . ٢٢٢

( ثانيها ) أنَّها لابدَّ منها إمّا لفظاً وإمّا تقديرا ، كالماضى الواقع حالاً . قال ابن جنى ( فى سر الصناعة ) . لام القسم تدخل على فِعلين أحدُهما الماضى ، كقوله تعالى:﴿ تاللهِ لقد آثَرَكَ اللهُ علينا [2] ﴾ وربَّما حذفت اللام ، قال تعالى: ﴿ قد أفلَحَ مَنْ زَكَّاها [3] ﴾ أى لقد أفلح . وقد حذفت قد ، كقوله :

* حلفت بالله حَلفة فاجر * البيت

أى لقد ناموا . وكذلك قال ابن هشام ( فى المغنى ) : قال الجميعُ : حقُّ الماضى المثبَت المجاب به القسمُ أن يُقرنَ باللام . وقد قِيلَ فى : ﴿ قُتِلَ أصحابُ الأُخدُود [3] ﴾ : إنّه جواب القَسم على إضمار اللام وقد جميعاً للطُّول . وقال :

حلفت لها بالله حَلفة .... البيت

---

(١) الآية ٩١ من سورة يوسف .

(٢) الآية ٩ من سورة الشمس .

(٣) الآية ٤ من سورة البروج .

أى لقد ناموا . فأضْمر قد . قال ابن جنى : وأمَّا قوله تعالى : ﴿ ولئن أرْسَلْنَا رِيحاً [(١)] ﴾ الآية فقال الخليل : معناها ليظَلُّنَّ ، فأوقع الماضىَ موقعَ المستقبل . وقال ابن هشام : زعم قومٌ أنَّ قد هنا مضمرة ، وهو سهو ، لأنَّ ظَلُّوا مُستقبل [(٢)] لأنَّه مرتَّب على الشرط وسادٌّ مسدَّ جوابه ، فلا سبيل فيه إلى قد ، إذ المعنى ليظلُّنَّ . ولكنَّ النون لا تدخل فى الماضى [(٣)] .

( ثالثها ) : إنْ كان الماضى قريباً من زمن الحال أُدخلت عليه اللامُ وقد ، نحو : ﴿ تاللهِ لقد آثرك اللهُ عَلَينا ﴾ . وإن كان بعيداً من زمن الحال أُدخلت عليه اللام وحدها كهذا البيت . وهذا مذهب ابن عصفورٍ ومَن تبعه . قال ابن هشام : والظاهر فى الآية والبيتِ عكسُ ما قال ، إذ المراد فى الآية : لقد فضَّلك الله علينا بالصبر وسِيرة المحسنين،وذلك محكوم [ به [(٤)] ] فى الأزَل ، وهو متَّصفٌ به مُذْعقَل . والمراد فى البيت أنَّهم نامُوا قبل مجيئه .

أقول : ما أورده إنّما هو بحسب نفسِ الأمر فيهما ، وأمَّا بحسب الوقوع والظهور فزمان الإيثار حالىٌّ قطعا . ومراد الشاعر أنَّهم استغرقوا فى النوم لا أنَّهم فى أوّلَ النَّوم . وهذه الإرادة كاذبةٌ فى نفس الأمر ، وإنّما قالها للمرأة لتأمن انتباهَهم فتطاوعَه . ويدلُّ على ما قلنا قوله :

* حلفت لها باللهِ حَلفة فاجر *

ولو كان مراده أنَّهم فى أوائل نَومهم لنفَّرها عن المطاوعة . فتأمَّل .

---

(١) الآية ٥١ من سورة الروم .

(٢) مستقبل ، ساقطة من ش ثابتة فى ط والمغنى ٦٣٧ .

(٣) فى المغنى : « على الماضى » .

(٤) التكملة من المغنى ١٧٣ .

( الأمرُ الثانى ) : أنه ذكر جواز الاقتصار على أحدِهما فى طول الكلام ، فأفْهَمَ أنّه لا يجوز حذف أحدهما دون الطُّول وحذفُهما مع الطول .

أمّا الأوّل فقد قال أبو حيان ( فى شرح التسهيل ) : لا حاجة إلى قيد الطُّول فقد جاء فى كلام الفصحاءِ حذفُ اللام وابقاء قدْ . قال زهير :

تالله قد علمت نفسٌ إذا قَذفت رِيحُ الشّتاء بيوتَ الحىِّ بالعُنَنِ (١)

وقال أيضا :

تالله قد عَلمت سَراةُ بنى ذُبيانَ عامَ الحَبْس والأَصرِ (٢)

وأما الثانى فجائز حذفُهما ، كقوله تعالى : ﴿ قُتِل أصحابُ الأُخدودِ (٣) ﴾ وهو جوَاب قوله : ﴿ والسَّماءِ ذاتِ البروجِ ﴾ .

( الأمر الثالث ) : لم يعادل اللام مع ربَّما أو بما كما عادَلَها مع قد ، وقد عادلها ابن مالك بهما أيضاً . قال ( فى التسهيل ) : ولا يخلو دون استطالةِ الماضى المثبتُ المجابُ به من اللام ، مقرونةً بقد ، أو ربَّما أو بِمَا مُرادِفتها ، إن كان متصرّفا (٤) ، وإلاّ فغير مقرونة . وقد يَلِى (٥) لقد أو لِبما (٦) المضارع الماضى معنى . ٢٢٣

ومثَّل فى شرحه للاَّم المقرونةِ بربَّما فى الماضى بقول الشاعر :

---

(١) ديوان زهير ١٢١ والهمع ٢ : ٤٢ . والعنن : جمع عنة ، وهى حظيرة من شجر تعمل حول البيت لترد الريح عنهم ، فإذا اشتدت الريح قلعتها فرمت بها على البيت .

(٢) ديوان زهير ٨٨ . والأصر : الحبس . يعنى أنهم حبسوا مالهم أن يخرج إلى الرعى خشية أن يغار عليه .

(٣) الآية ٤ من سورة البروج .

(٤) ش : « منصرفا » صوابه فى ط والتسهيل ١٥٣ .

(٥) ش : « وقد تلى » ، وأثبت ما فى ط والتسهيل .

(٦) فى النسختين : « أولما » ، صوابه من التسهيل ١٥٣ . وانظر الشاهد الثانى مما سيأتى .

لئن نزحَتْ دارٌ للبنَى لربَّما غَنِينا بخيرٍ والدِّيار جميعٌ [١]

وبقول عمر بن أبى رَبيعة :

فلئــــن بانَ أهلُـــه لَبِما كان يُؤهَلُ [٢]

ومثّل فى المضارع بلَقدْ قول الشاعر :

لئن أمسَتْ ربوعهُـم يَبابـاً لقد تَدعُو الوفودُ لها وفودا [٣]

وبلَبِما قولَ الآخر :

فلِئن تغيَّر ما عهدتُ وأصبحَتْ صَدقَتْ فلا بذلٌ ولا ميسورُ [٤]
لَبِما يُساعف فى اللِّقاء وليها فرحٌ بقُـرب مزارهــا مسرورُ

وقال أبو حيّان فى لبما : إن الباء سببيَّة وما مصدرية ، ويقدَّر بعد اللام فعلٌ ، أى لَبانَ بما كان يؤهل .

( الأمر الرابع ) : لم يذكر حكم اللام مع معمول الماضى إذا تقدَّم عليه ، هل يكتفى بها أو يجوز ضمُّ قد إليها . وكأنّه سكت عنه ليُعلم حكمُه بالقياس إلى معمول المضارع إذا تقدَّم ، فإنه يجب الاكتفاء باللام . قال ابن مالك ( فى التسهيل ) : ويجب الاستغناء باللام الداخلةِ على ما تقدَّم من معمول الماضى ، كما استُغنى بالدَّاخلة على ما تقدَّم من معمول المضارع . ومثَّل له ( فى شرحه ) بقول أم حاتم :

---

(١) البيت للمجنون فى ديوانه ١٩٢ وتزيين الأسواق ٦٨ .

(٢) ديوان عمر ٣٣٢ . وانظر الهمع ٢ : ٤٢ .

(٣) الهمع ٢ : ٤٢ .

(٤) الهمع ٢ : ٤٢ . ولعل وجهه : « صدقَت فلا بذل » أى أعرضَتْ عنّا فلم تبذُل لنا من وِدّنا .

لعمرى لَقِدْمًا عَضّنى الجُوعُ عَضّةً فآليتُ أن لا أمنعَ الدّهَر جائعا

قال : وقد اجتمع شذوذان فى قول عامر بن قدامة :

فلَنَبْعَـدَهُ لا أخلُدنَّ ومالَـهُ بدَلٌ إذا انقطع الإخاءُ فودَّعا

أحدهما : عدم الاستغناء بتقدُّم اللام عن النون . والثانى : دخولها على جوابٍ منفى ، فلو كان مثبتاً لكان دخولها عليه مع تقدم اللام أسهل .

( الأمر الخامس ) : قوله إنّ هذه اللام لامُ الابتداء لا تدخل على الماضى المجرَّد ، فلا بدَّ من تقدير قد ، مخالفٌ لكلام ابن السرَّاج ، قال ( فى الأصول ، فى باب إنّ وأخواتها ) : وإذا كان خبر إنّ فعلاً ماضيا لم يجز أن تدخل عليه اللام التى تدخل على خبرها إذا كان اسما ، فلا تقول : إنّ زيداً لقام ، وأنت تريد هذه اللام ، لأنَّ هذه اللام لام الابتداء . إلى أن قال : فإن قال قائلٌ : أُرانى أقول : لأقومنَّ ولينطلقنَّ ، فأبدأ باللام وأُدخِلها على الفعل ؟ قيل له : ليست هذه اللام تلك اللام . هذه تلحقها النون وتلزمها ، وليست الأسماء داخلةً فى هذا الضرب ، وإنما سمعت والله لقام زيد . فهذه اللام هى التى إذا دخلت على المستقبل كان معها النون ، كما قال امرؤ القيس :

* لناموا فما إن من حديثٍ ولا صالى [1] *

فهذه اللام التى تكون معها النُّون غير مقدَّر فيها الابتداء . تقول : قد علمت أنَّ زيدا ليقومَّن ، وأنَّ زيدا لقام ، فلا تكسر إنَّ كما كنت تكسرها فى قولك : أشهد إنَّ محمداً لرسولُ الله . انتهى .

---

(١) صدره فى ديوانه ٣٢ :

* حلفت لها بالله حلفة فاجر *

٢٢٤ وقال ابن عصفور : ومن الناس من زعمَ أنّه لابدَّ من قد ظاهرةً أو مقدّرةً ؛
فإنّه قاس ذلك على اللام الداخلة على خبر إنّ فكما لا تدخل تلك اللام على
الماضى ، فكذلك هذه اللام عنده . وذلك باطل ، لأنَّ لام إنّ إنما لم يجز دخولُها
على الماضى لأنّ قياسها أن لا تدخل على الخبر إلاَّ إذا كان المبتدأ فى المعنى ، نحو إنّ
زيدا ليقوم ، فيقومُ يشبه قائما ، لأنَّ هذه اللام هى لام الابتداء ، فلمّا تعذّر دخولها
على المبتدأ دخلت فى الخبر الذى هو المبتدأ فى المعنى ، أو ما أشبه ما هو المبتدأ فى
المعنى . وليس كذلك اللام التى فى جواب القسم . وأيضاً فإنّ قد تقرِّب من
الحال ، فإذا أردنا القسم على الماضى البعيد من زمنِ الحال لم يجز الإتْيانُ بها .
انتهى .

وكلام ابن السرَّاج نصٌّ مدلَّل (١) لا دافعَ له ، وهو إمام البصريِّين
كسيبويه . وليس وراء عَبّادانَ (٢) قرية .

صاحب الشاهد وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة لامرىء القيس ، مطلعُها :

* ألا عِمْ صباحاً أيُّها الطللُ البالى *

وقد شرحنا فى مواضع متعدِّدة خمسة وعشرين بيتا من أوّلها إلى هنا .

وبعده :

( فأصبحتُ معشوقاً وأصبحَ بعلُها عليه القَتامُ كاسفَ الحالِ والبالِ )

وقوله : ( فما إنْ من حديثٍ ) إلخ إن زائدة مؤكِّدة للنفى ، وكذلك مِنْ .
و( حديث ) يحتمل أن يكون بمعنى الكلام فيقدَّر مضاف ، أى ذى حديث ،
ويحتمل أن يكون صفة بمعنى محادِث ، كالعشير بمعنى المعاشر . و ( صالى ) من

---

(١) أى مدعوم بالدليل .
(٢) عبادان ، بالتشديد : جزيرة فى دجلة قرب مصبها ، منسوبة إلى عبّاد بن الحصين .

صَلِيَ بالنّار ، إذا قرُب منها ودَفع بحرارتها ألمَ البرد . وحديث مرفوعٌ تقديراً علَى أنه مبتدأ ، وسوّغ الابتداء به تقدُّم النفى ، وخبرُه محذوف ، أى مستيقظ .

والبعل : الزَّوْج . وأراد بالقتامِ سَواد العِرْض . والكاسف : المتغير .

ذكر ابن الحباب السَّعدى ( فى كتاب مَساوِى الخمر ) أنّ امرأ القيس لمَّا كان منادماً لِقَيصرَ رأته ابنتُه فعَشِقَتْه ، وراسَلَها فصار إليها ، وفيها قال :

* حلفت لها بالله حلفة فاجر *

البيت مع أبيات أخر ، ولم يزل يصير إليها إلى أن أخبر بذلك أصحابَه ، وفيهم الطمَّاح بن قيس الأسدى ، فقال له : ائتنا بأمارة . فأتاه بقارورة من طِيب الملك ، وذلك بفضل سُكره . وكان أبو امرئ القيس قد قتل قيساً أبا الطماح ، فتحيَّلَ الطمّاح حتَّى أخذها فأنفذ بها إلى قيصر ، وأخبره بالحديث فعرفه ، وعلم صِحَّته . ثمّ إنَّ امرأ القيس ندم على إفشاء سِرِّه إلى الطمَّاح ، ففى ذلك يقول :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانَهُ ... فليس على شيء سِواهُ بخزَّانِ

فلمَّا ذهب امرؤ القيس بالجيش الذى أمدَّه به قيصرُ أتى الطَّماحُ إلى قيصر ، وقد تغيَّر على امرئ القيس ، فقال : أيُّها الملك ، أهلكتَ جيشاً بعثتَه مع المطرود الذى قُتل أبوه وأهلُ بيته ، وما تُرِيد إلى نصره ؟ وكلَّما قتل بعضُ العرب بعضًا كان خيراً لك . قال : فما الرأى ؟ قال : أن تُدارِك جيشَك وتردَّه ، وتبعثَ إلى امرئ القيس بحُلَّة مسمومة . ففعل ، فدخل امرؤ القيسِ الحمَّامَ فاطَّلى ولبِسَها وقد رقّ جِلدُه لقروحٍ كانت به ، فتساقط لحمُه . وردَّ قيصرُ جيشه ، وقدِم امرؤ القيس أنقِرَة ، فأقام بها يُعالج قروحَه إلى أنْ هلك بها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الثمانمائة ، [ وهو من شواهد س [1] ]

٨١٦ ( وأقسم أنْ لو التقَينا وأنتمُ لكان لكم يومٌ من الشرِّ مُظلِمُ )

٢٢٥

على أنّ ( أنْ ) عند سيبويه موطّئة كاللام فى لئن جئتنى لأكرمنَّك . فاللام فى لكان إذَنْ جواب القسم لا جواب لو .

وهذا نصُّ سيبويه : وسألته ، يعنى الخليل عن قوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذ اللّٰه مِيثاقَ النبيِّينَ لما آتيْتُكمْ من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لمَا معكم لتُؤمِنُنَّ به ولتَنصرُنَّه [2] ﴾ فقال : ما ههنا بمنزلة الذى ، ودخلَتها اللام كما دخلت على إنْ حين قلت : واللّٰه لئن فعلت لأفعلنَّ ، فاللام التى فى ما كهذه التى فى إن ، واللام التى فى الفعل كهذه التى فى الفعل . ومثلُ هذه اللام الأولى أنْ إذا قلتَ : واللّٰه أنْ لو فعلَت لفعلتُ . وقال :

فأقسم أنْ لو التقينـــا ................ البيت

فأنْ فى لو بمنزلة اللام فى ما ، فأُوقعت هنا لامين : لامٌ للأوّل ولامٌ للجواب . ولام الجواب التى يعتمد عليها القسم [3] . فكذلك اللامان فى قول اللّٰه : ﴿ لَمَا آتيتُكُم ﴾ الآية لامٌ للأوَّل ، وأخرى للجواب . ومثل ذلك ﴿ لَمْن تبعَكَ مِنْهُمْ لأمْلأنّ جَهَنَّمَ مِنّكم [4] ﴾ ، إنّما دخلتِ اللام على نية اليمين . انتهى كلامه .

---

(١) التكملة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٣٥٥ وابن يعيش ٩ : ٩٤ وضرائر ابن عصفور ١٨١ والمغنى ٣٣ والتصريح ٢ : ٢٣٣ والأشمونى ١ : ٢٨٦ .

(٢) الآية ٨١ من آل عمران .

(٣) سيبويه : « ولام الجواب هى التى يعتمد عليها القسم » .

(٤) الآية ١٨ من الأعراف . وينتهى الاستشهاد عند سيبويه إلى « لأملأن » .

قال النحاس ، وتبعه الأعلم : أنْ ههنا توكيد كاللام فى لَئِن . ألا تَرى أنَّ اللام لا تدخُل ههنا ، لو قلت : أقسم لأنْ لو فعلت ، لم يجز ، لأنَّ اللام إنَّما تدخل فى القسَم أو فيما كان من سببيِّهِ نحو : والله لئن دخلت لأقومنّ ، فدخلت فى لأقومنَّ لأنّه المقسَم عليه . ودخلت فى لئن لأنّها من سببِهِ ، فأدخلت أنْ مع لو تأكيداً ، مثل اللام [1] . انتهى .

وكذا يكون الجواب للقبسم لو عُدمت ، نحو : والله لو قمتَ لأكرمتُك . وعليه خرّج الشارح المحقق البيت الآتى ، كما أنَّ اللام الموطئة سواء ذكرت أم لم تذكر يكون الجواب بعدها للقسَم لا للشرط ، نحو : والله لئن تأتنى ، أو والله إن تأتنى أُكرمُك .

وقد تبع ابن عصفور سيبويه ( فى شرح الإيضاح ) فقال : وإذا توسَّطت لو أو لولا بين القسم والفعل الواقع جواباً له ، لزم أن يكون الفعل الواقعُ جواباً ماضيا ، لأنّه مغنٍ عن جواب لو ولولا المحذوف ، ودالٌّ عليه . وجواب لو ولولا لا يكون إلاّ ماضياً ، فوجب أن يكون الدالّ عليه كذلك . وقد يدخلون أنْ على لو توطئةً لجعل الفعل الواقع بعدها جواباً للقَسم ، كما يدخلون اللام على إن الشرطية . انتهى .

وبما نقلنا عن سيبويه يُعلم أنَّ قول ابن هشام ( فى المغنى ) : إنَّ أنْ بين القسم ولو زائدةٌ عند سيبويه ، خلافُ الواقع . وهذا كلامه : « الثانى ، أى من المواضع الأربعة التى تُزاد أنْ فيها ، أنْ تقع بين لو وفِعْلِ القسَم ، مذكوراً ، كقوله :

فأقسم أن لو التقينا ... البيت .

أو متروكاً كقوله :

---

(١) ط : « من اللام » ، صوابه فى ش مع أثر تغيير .

أَما واللهِ أَنْ لو كُنتَ حُرًّا ... وما بالحرِّ أنتَ ولا العتيقِ [١]

وهذا قول سيبويه وغيره . انتهى .

وذهب ابن عصفور ( فى شرح الجمل ) إلى خلاف قول سيبويه ، فإنّه لما أنهَى الكلام على روابط الجملة الواقعة جوابَ قسم قال : إلاّ أن يكون جوابُ القسم لو وجوابَها ، فإنّ الحرف الذى يربط المقسَم به بالمقسَم عليه إذ ذاك إنّما هو أنّ ، نحو : واللهِ أنْ لو قام زيد لقَامَ عمرو . ولا يجوز الإتيان باللام كراهَة الجمع بين لامين ، فلا يجوز : واللهِ لَلَو قام زيد قام عمرو . انتهى .

وأورد عليه ناظر الجيش ( فى شرح التسهيل ) ، وتبعه ابن هشام ( فى المغنى ) أنّ أنْ لو كانت للربط لوجب ذكرها ، ولا شبهة فى جواز قولنا : واللهِ لو قام زيدٌ لقام عمرو . وترك أنْ فى مثله أكثر من ذكرها .

٢٢٦

ونقضه الدَّمامينى ( فى شرح المغنى المزْج ) باللام الداخلة على جواب لو المنفِىّ ، كقوله :

ولو نُعطَى الخيارَ لمَا افترقنا ... ولكن لا خيارَ مع اللَّيالى [٢]

قال : فإنَّها حرفٌ رابط ، والأكثر تركُها ، نحو : ﴿ ولو شاء ربُّك ما فعلوهُ [٣] ﴾ . انتهى .

أقول : دخول اللام على حرف النفى فى الجواب شاذّ ، وهى إنّما تدخلُ على الجواب المثبت ، وبالشاذّ لا يردُ النقْض . وذهب ابنُ مالك إلى عكس

---

(١) الإنصاف ٢٠٠ والمقرب ١ : ٢٠٥ والتصريح ٢ : ٢٣٣ .

(٢) فى النسختين : « ولو يعطى » ، والوجه ما أثبت من التصريح ٢ : ٢٦ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٣ .

(٣) الآية ١١٢ من سورة الأنعام .

مذهب سيبويه ، فجعل الجواب للَوْ ، سواءٌ اقترَنت بأنْ أمْ لا ، وجَعل جوابَ القسم محذوفاً مدلولا [ عليه [١] ] بجواب لو . والصحيح مذهبُ سيبويه عملاً بقاعدة اجتماع القسم والشرط .

وقوله : ( وأقسم أن لو التقينا وأنتم ) أنْ بفتح الهمزة ، وروى : « وأقسم لو أنّا التقينا » فلا شاهد فيه . وعلى الأوَّل همزة التقينا بالوصل ، نُقل كسرتها إلى واو لوْ ، فبقى الجزء مفاعلن بلا ياء . وفيه ضرورةٌ ، وهى العطف على ضمير الرفع المتّصل من غير تأكيدٍ بضمير رفع منفصل ، أو [ أن [٢] ] يكون فى الكلام طولٌ يقوم مقام التأكيد . قال ابن عصفور ( فى الضرائر ) : كان الوجه أن يقال التقينا نحن وأنتم ، إلاّ أنَّ ضرورة الوزن أوجبَتْ حذفَ الضمير المؤكِّد . انتهى .

ومعنى البيت : لو التقينا متحاربَين لأظلَم نهارُكم فصرتم منه فى مثل اللَّيل . وكان تامّة أو ناقصة ، ولكم خبرها .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للمسيّب بن علس ، يخاطب بها بنى عامر بن ذُهل بن ثَعلبة ، وعامرٌ هو أخو شيبان بن ذهل ، فى شيءٍ صنعوهُ بحلفائهم . وقبله :

أبيات الشاهد

( لَعمرِى لئن جدَّتْ عداوةُ بيننا ... لَينتحيَنْ منِّى على الوَخْم مِيسَمُ )

وبعده :

( رأَوْا نَعماً سُودًا فهمُّوا بأخْذِه ... إذا التفَّ من دون الجميع المزنَّمُ
ومِن دونه طعنٌ كأنَّ رشاشَهُ ... عَزالِى مَزادٍ والأسِنَّــــة تُرذِمُ
ألاَ تتَّقـون اللهَ يا آل عامرٍ ... وهل يتّقى اللهَ الأبَلُّ المصمِّمُ )

---

(١) التكملة من ش مع أثر تعديل فيها .

(٢) تكملة يفتقر إليها القول .

وقوله : « لينتحين » أى يميل عليه ويتعمَّدهُ ، من انتحى عليه بالمهملة ، إذا تعمَّده . وميِسم فاعله . يعنى أنّه يهجوه هجواً يَسِمُه به ، لا يفارقه عارُه . وأراد بالوخم عامَر بنَ ذهل (١) .

والنَّعم : الإبل الراعية . قال الفراء : هو مذكر لا يؤنّث ، يقال هذا نعمٌ واردٌ . والمزنَّم من الناس : المستلْحَقُ فى قوم ليس منهم ، ومن الإبل : الذى يُقطَع شىءٌ من أُذنه ويترك معلَّقا . وإنما يُفعَل ذلك بالكرام منها .

والعزَالِى : جمع عزلاء كصحارِى جمع صحراء . والعزلاء بالعين المهملة والزاى المعجمة ، فم المزادة الأسفل . والمزادة : دلوُ البئر الكبيرُ يُجرُّ بالثَّور . وتُرذِم ، بالذال المعجمة : تسيل وتَقطُر .

والأبَلُّ ، بالموحدة وتشديد اللام ، قال صاحب العباب : هو الحَلاَّفُ الظَّلوم . وذكر أبو عبيدة أنّه الفاجر . وأنشد البيت . وقال الكسائى : هو الذى لا يُدَرك ما عنده من اللُّؤم . والمصمَّمُ مِن أصمَّه الله فصَمّ . ويقال أصممته ، أى وجدته أصمّ .

وترجمة المسيَّب بن علس تقدَّمت فى الشاهد الثانى بعد المائتين (٢) .

* * *

٢٢٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابعَ عشَرَ بعد الثمانمائة (٣) :

**٨١٧** ( فأُقسِمُ لو شىءٌ أتانا رَسولُه سِواكَ ولكنْ لم نَجِدْ لك مَدفَعا )

(١) نعته بالوخم ، والوخم بالفتح ، وبفتح فكسر ، والوخيم أيضا : الثقيل من الرجال .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٤٠ – ٢٤١ .
(٣) ديوان امرئ القيس ٢٤٢ وتأويل مشكل القرآن ١٦٦ وابن يعيش ٩ : ٧ ، ٩٤ .

على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم لا جواب لو ، عملاً بمقتضى الضابط فى اجتماع قسم وشرط .

والشارح المحقق استنبط هذا الحكمَ من كلام سيبويه ، فإنّه لما ذكر أنّ الواقعة بعد القسم موطِّئة كاللام ، وكان الجواب للقسَم لا للشرط ، جعل هذا الحكم مستمرًّا بعد حذفها أيضا . وتقدير الجواب كما ذكره الفراءُ وغيره : لو أتانا رسولٌ سواك لدفعناهُ ، بدليل قوله « مَدْفعا » .

وفيه أنَّ الجواب مذكورٌ فى البيت الذى بعده ، وهو :

( إذن لردَدْناهُ ولو طال مُكثُه لَدينا ولكِنّا بحبِّك وُلَّعا )

وعلى هذا يكون قوله ( ولكن لم نجد لك مدفعا ) جملة اعتراضيَّة . وعذرهم فى تقدير الجواب أنّ هذا البيت ساقط فى أكثر الرِّوايات ، وقد ذكره الزجّاجى ( فى أماليه الصغرى والكبرى ) فى جملة أبياتٍ ثمانية رواها عن المبرد [1] ، من قصيدةٍ لامرىء القيس ، ورأينا أن نقتصر عليها ، وهى :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

( بعثتُ إليها والنُّجومُ خواضعٌ حِذاراً عليها أن تقومَ فتُسْمَعا
فجاءت قَطُوفَ المشىِ هائبةَ السُّرى يُدافعُ رُكناها كواعبَ أربعا
يُزجِّينَها مَشْىَ النَّزيفِ وقد جرى صُباب الكرى فى مُخِّها فتقطَّعا
تقول وقد جَرَّدْتها من ثيابها كما رُعْتَ مكحولَ المدامع أتلعا
وجَدِّكَ لو شىءٌ أتانا رسولُه سِواك ، ولكن لم نَجِدْ لك مدفعا
إذن لردَناهُ ولو طال مُكثُهُ لدينا ، ولكنّا بحبِّك ولَّعا
فبِتنا نصدُّ الوحشَ عنّا كأنّنا قتيلانِ لم يعلم لنا النّاسُ مَصرعا
إذا أخذتها هِزّة الرّوع أمسكتْ بمَنْكِبِ مِقدامٍ على الهول أروعا )

(١) فى النسختين : « من المبرد » . وانظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ٢٢٤ .

قوله : « بعثتُ إليها » إلخ قال شارح ديوانه : خواضع : مائلة للمَغيب من آخر الليل . حِذاراً عليها أن تقوم فيَسمع ولدُها صوتَها .

وقوله : « فجاءت قطوفَ » إلخ هذا البيت ساقطٌ من رواية ديوانه [١] ، وفاعل جاءت ضمير المرأة ، وقطوفَ بالنصب حالٌ منه . والقَطْف : ضِيقُ المشْى ، كمشى المقيَّد ، والفعل من باب ضرب . وكذلك « هائبةَ السُّرى » حال . ورُكناها : جانباها . والكواعب : جمع الكاعب ، وهى الجارية حين يبدو ثديُها للنُّهود .

وقوله : « يزجِّينَها » إلخ هذا البيتُ أيضاً ساقط من رواية ديوانه [١] . ويزجِّينَها : يدفَعْنها ويَسُقْنها . يقال زجَّيته تزجيه ، إذا [٢] دفعتَه برفقٍ للمشى . وهو بالزاى المعجمة والجيم . والنون ضميرُ الكواعب ، أى يمشِّينها كمشى النزيف أى السَّكْرانِ ، وهو بالنون والزاى المعجمة . والصُّبابة : البقيَّة . والكَرى : النوم ، يعنى كأنَّ فيها فتورَ النَّوم .

وقوله : « تقول وقد جرَّدتُها » إلخ راعَه يَرُوعه رَوعا ، إذا أفزعَه . والمدامع : الأجفان . والأتلع بالمثناة الفوقية : الطَّويلُ العنق . يقول : كأنَّها ظَبىٌ مكحول الأجفان ، أى أكحَلُ .

٢٢٨ وقوله : « وجدِّك لو شىءٌ » إلخ هذا البيتُ وما بعده مقولُ قولها . والواوُ للقسَم وجدِّك مقسم به . والجَدّ بالفتح : العظمة ، والحظّ والغنى ، والاجتهاد فى الشىء ، وأبو الاب . وكلٌّ من هذه الخمسة مُناسب . والمشهور : « وأقسم لو شىءٌ » فالمقسَم به محذوف أى وأقْسم بما يُقَسم به ، كما نبه عليه الشارح المحقّق فى آخر الفصل .

---

(١) أقول : هو ثابت فى رواية الطوسى ص ٢٤١ .

(٢) ط : « أى » ، وأثبت ما فى ش .

قال شارح ديوانه : « شىء » بمعنى أحد ، قال تعالى : ﴿ وإنْ فاتَكُم شىءٌ من أزوَاجكم إلى الكُفَّار [١] ﴾ ، أى أحدٌ من أزواجكم . تريد : لو أنَّ إنساناً أتانا رسولُه سواك ما أتيته ، ولكن لم نجد لك مدفعا ندفعك به عَنَّا . انتهى .

وجملة ( أتانا رسوله ) صفة شئ ، و ( سواك ) إمّا ظرف متعلّق بمحذوف ، وإمّا اسمٌ خارج عن الظرفية صفة ثانية لشىء ، ويجوز أن يكون حالا من الهاء فى رسوله .

وقوله : « إذَنْ لردَدْناه » هذا يدلُّ على أنّه جواب لو،لا جواب القسم ، فإنَّ إذن فى الغالب تكون جواباً للَوْ ، أو لإن الشرطيتَّين ، ظاهرتين أو مقدّرتين ، ولم يُسمع وقوعُها فى جواب القسم . وهذا البيت ساقط من رواية الديوان .

وقوله : « فبِتنا نصُدُّ الوحشَ عَنَّا » إلخ قال شارح ديوانه : لأنَّ الوحش لا تقرَب القتلى ولا النِّيام ولا غير ذلك من الناس . وإنما قال قتيلان لأنَّهما نائمان فى الفلاة .

وفى رواية الديوان بيتٌ بعد هذا ، وهو :

( تَجَافَى عن المأثور بينى وبينَها وتُدنِى عليها السابرىَّ المضلَّعا )

تَجافَى : مضارعٌ أصله تتجافى ، أى ترتفع عنه . قال شارحه : المأثور : السَّيف الذى به أثْرأى جوهر . والسَّابرى : ضربٌ من الثياب . والمضلَّع : الذى فيه طرائق . يقول : ترتفع عنه لئلاّ يؤذيَها يُبْسه . يصف أنّه متقلّدٌ سيفاً وتُدني عليها السابرىَّ ليقيَها من يُبْس السَّيف .

وقوله : « إذا أخذَتْها هِزّة » إلخ الهَزّة ، بالفتح مصدر هززت الشىء هزًّا فاهتزّ ، أى حرّكته فتحرّك . والهِزّة بالكسر : نوعٌ منه . والرَّوع : الفزَع . قال

(١) الآية ١١ من سورة الممتحنة .

شارح ديوانه : أى أخذتها رِعْدة الفزع ، إذا فزعت من شئ تراهُ أو من خوف أن يشعرُوا بنا . ويقال : يعتريها رِعدة الجماع ، ويقال : تخاف من الافتضاض فتُمسكُ بمنكِبِى تضُمنى إليها ، لتسكنَ من شدَّة الفزع ، لأنَّها لم تخرج من خِدْرها ولم تُباشر الرجال ، فهى فزعةٌ مذعورةٌ لما يراد منها .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين (١) .

وقد رويت هذه القصيدة لغيره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

( حَسْبُ المحبِّين فى الدُّنيا عذابُهمُ والله لاعذَّبتْهُمْ بعدَها سَقَرُ )

على أنّ الفعل الماضى إذا نُفِىَ بلا فى جواب القسم انقلب معناه إلى الاستقبال كما هنا ، فيكون ماضياً لفظا مستقبلا معنى ، لأنَّه حلف على نفى تعذيب النار ، وذلك متوقَّع ، بدليل تعلُّق الظرف به وهو بَعْدَها ، أى بعدَ الدنيا . فعلى هذا يجوز أن يقال : والله لا قام زيد . نصَّ عليه ابن السراج .

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيت مفصَّلا فى الشاهد التاسع والعشرين بعد الستمائة (٢) .

وقوله:( فى الدنيا ) متعلّق بعذابهم ، وهو جائز فى مثله على الصَّحيح لا بحَسْبُ ؛ لأنَّ المقابلة فى آخر البيت تقتضيه .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ – ٣٣٥ .

(٢) الخزانة ٨ : ٣٣٢ – ٣٣٨ . وانظر الأغانى ١٩ : ١٥٠ والمغنى ٢٤٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الثمانمائة [1] :

818 ( وأىُّ فِعلٍ سَيِّئٍ لا فعَلَهْ )

229

على أنَّ عدم تكرُّر لا فى الماضى خاصٌّ بالشّعر ، بدليل أنَّه لا يجوز فى غير الدعاء والقَسم : لا قام زيد . وأما قوله تعالى : ﴿ فلا اقتحَمَ العَقبة [2] ﴾ فقد أُجاب عنه الشارح المحقّق بما ذكره . والاقتحام : الدُّخول فى الأمر الشديد . وذِكر العَقَبة هنا مثلٌ ضربَه الله لمُجاهدة النَّفسِ والهوى والشيطانِ فى أعمال البر ، فجعله كالذى يتكلَّف صُعود العقبة . يقول : لم يحمل على نفسه المَشقّة بعتق الرقَبةِ والإطعام .

وذهب ابن يعيش إلى أنَّ نفى الماضى بلا قليلٌ ، وهى معه بمعْنَى لم ، سواء تكرَّرت أم لا . ومثَّل بالآيتين والبيت ثم قال : حملوا لا فى ذلك على لم ، إلاّ أنَّهم لم يغيِّروا لفظ الفعل بعد لا كما غيرُوهُ بعد لم ، لأنَّ لا غير عاملة ولم عاملة ، فلذلك غيَّروا لفظ الفعل إلى المضارع ليظهر فيه أثر العمل .

هذا كلامه ، وكذلك قال ابن الشجرى ( فى أماليه ) ، ولم يقيِّده بقلّة ، إلا أنّه قال : وأجود ما يجىء ذلك مكرّرًا .

وهذا ليس بشىءٍ ، لاقتضائه جوازه قياسًا . والجيّد قول ابن هشام ( فى المغنى ) : إنَّ ترك التكرار شاذّ .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ خمسةٍ من رجزٍ لشِهاب بن العَيِّف ، وهى :

أبيات الشاهد

( لاهُمَّ إنَّ الحارثَ بنَ جبَلَهْ     زنَّـا على أبيـه ثم قتَلَـهْ
ورَكبَ الشادخة المحَجَّلـه     وكان فى جاراته لا عَهْدَ له

(1) إصلاح المنطق 153 والإنصاف 77 وابن يعيش 1 : 109/8 : 108 والمغنى 243 .
(2) الآية 11 من سورة البلد .

* فأىّ أمرٍ سيِّىء لا فعلَه * )

قوله:« لاهُمَّ » إلخ يريد اللهمَّ ، أى يا الله ، فحذف أل لضرورة الشعر . والحارث بن جبَلة بفتح الجِيم والموحَّدة ، وهو ملكٌ من ملوك غسان بالشَّام فى الجاهليَّة ، ويقال لهم أولاد جَفْنة . والحارث بن جبَلة أمُّه ماريَة ذاتُ القُرطين ، يضرب بهما المثل ، يقال : « خذْهُ ولو بقرطَىْ ماريَة » . وهو جدُّ جَبَلة بن الأيهَم ابن جَبَلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . فالحارثُ أبوه جبلة ، وابنه جبلة ، وابن ابنه جبلة .

وقوله : « زَنَّا على أبيه » قال ابن السكيت ( فى باب ما يهمز فيكون له معنىً وإذا لم يهمز كان له معنىً آخر ، من إصلاح المنطق ) : يقال قد زنَّأ عليه بالتثقيل والهمز ، إذا ضيَّق عليه . والزَّناءُ الضِّيق . وأنشد هذا الشعر ثم قال : وكان أصله زَنَّأ على أبيه بالهمز ، فتركه للضرورة . انتهى .

وقال ابن الشجرى ( فى أماليه ) : يُروى بتخفيف النون وتشديدها . فمَنْ رواه مخَّففا فمعناه زنَى بامرأته ، ومن رواه مشدَّدا فأصله زَنَّأ مهموز ، ومعناه ضيَّـق عليه . وهذا القول أوجَهُ ، وهى رواية ابن السكيت . انتهى .

وقد خلط ابن هشام ( فى المغنى ) فنسب المخفَّف إلى يعقوب بن السكيت وقال : أصله الهمز ، وفسَّره بضيَّق ، فأخطأ فى ثلاثة مواضع . ثم قال : وروى بتشديد النون ، والأصل زَنَى بامرأة أبيه ، فحذف المضاف وأناب على عن الباء. فجعله غير مهموز ، وفسَّره بمعنى المخفَّف.فهذان خطآن .

وقوله:« وركِب الشَّادخةَ » إلخ . قال ابن السكيت : أى ركب فَعلةً قبيحة مشهورة . يقال شدَخت الغُرّة ، إذا اتَّسعت فى الوجه . ومنه أخذ ( شارح أبياته ابن السيرافى ) فقال : الشادخة : الفَعْلة القبيحة التى تَشدَخ فاعلَها ، والشّادخة أيضا من الغُرَر . يريد أنّه ركب أمراً واضحاً فى القُبح . والمحجَّلة :

المشهورة التى لا خفاءَ بها . وكذا قال التِّبريزى ( فى تهذيب الإصلاح ) : الشادخة : الغُرّة التى يُكنى بها عن الأمر الشهير ، وكذا المحجَّلة من التحجيل ، وهو بياضُ القوائم . وهم يقولون فى الشيء المشهور : هو أغرُّ محجَّل . ٢٣٠

وقوله : « وكان فى جاراتهِ » إلخ هى النساءُ اللاتى يجاوِرْنه . والعَهْد : الذِّمام والحُرمة .

وقوله : ( وأىُّ أمر سَيِّيء ) إلخ يروى بالواو وبالفاء . والسَّيِّيءُ كسيِّد ، من السُّوء وهو الفعل المتّصف به . وصَفه بالغدر وقِلَّة المعروف ، وأنه ضيَّق على أبيه فقتلهُ وركِب الخُطَّة الشَّنْعاءَ الشَّهيرة ، ولم يَرْعَ ذِمامَ جاراته ، بل انتهك حُرمتهنَّ ، وما ترك أمرًا ذميماً إلاّ ارتكبه . وروى أنّه كان إذا أعجبته امرأةٌ مِن قيس أرسلَ إليها فاغتصبها ، حتَّى قال بعضُ الكلابيِّين :

يأيُّها الملكُ المَخُوفُ أمَا تَرى ليلاً وصبحًا كيف يَعتقبانِ
هل تستطيعُ الشَّمسَ أن تأتى بها ليلاً ، وهل لك بالمليكِ يَدانِ
اعلمْ وأيقِنْ أنَّ ملكَكَ زائلٌ واعلمْ بأنَّ كما تدِين تُدَانُ

وفى البيت الأخير إقواء .

وكان منشأ تلك الأبياتِ ما رواه أبو محمد الأعرابى ( فى ضالَّة الأديب ) قال : كان من قصَّة الشعر أنَّ المنذر بنَ ماء السماء ، وهو ذو القَرنين ملكُ الحيرة اللَّخْمىُّ ، دعا ذاتَ يومٍ الناسَ فقال : من يهجو الحارثَ بنَ جبلةَ الغَسّانىَّ ؟ فقالوا : حَرملة بن عَسَلة المرّىّ . فقال : يا حرملُة ، اهْجُه ولكَ مائةٌ من الإبل . فقال : أبيتَ اللَّعنَ ، إنَّهم أخوالى ، وإنّه لا ينبغى لى أن أهجوَهُم . فتوعَّده ، فقال حَرملة بن حكيم بن عُفير بن طارق بن قيس بن مُرّة بن همَّام ، وأمُّه عَسَلة بنتُ عامر بن شَراكة قاتلِ الجُوع الغَسَّانىّ :

ألم تر أنّى بلغتُ المشيبا ... وفى دارِ قَومىَ عفًّا كَسُوبا
وأنَّ الإلـه تنصفتُــه ... بأنْ لا أعُقَّ وأنْ لا أحُوبا
وأن لا أكافرَ ذا نِعمةٍ ... وأن لا أخيِّبه مُستثيبا[1]
وغَسّانُ قومٌ همُ والِدى ... فهل يُنسِيَنَّهُمُ أنْ أغِيبا
فأوزِعْ بها بعضَ من يَعتريكَ ... فإنَّ لها من معدٍّ كليبا
وإنّ لخالــىَ مندوحــةً ... وإنَّ علىَّ بغيبٍ رقيبا

فانبرى شِهاب بن العَيِّف أخو بنى سُليمة من عبد القيس فقال :

* لاهُمَّ إنَّ الحارثَ بنَ جبله * الأبيات .

فأسَرَهما الحارثُ بن جَبَلة فى هزيمة المنذر ، فقال : يا حرملة ، اخترْ ما شئتَ فى مُلكى . فسأله جاريتين ضَرَّابتين ، فأعطاهما إيَّاه ، فنزل فى النَّمِرِ فقعد يشرب هو ورجلٌ من النَّمِر يقال له كعب ، فلما أخذ الشَّرابُ فى النمرى قال : يا حرملة ، من هذه المرأة الحمراء ؟ مُرْها فلتَسْقِنِى . فَغضب حَرمَلةُ ، ثم أعادَها فضربه حَرملةُ بالسَّيف فقتله ، وقال فى ذلك:

يا كعبُ إنّك لو قَصرت على ... حُسْنِ النّدامِ وأنتَ ذو حِلْمِ
وسَمـاعِ مُسْمعةٍ تُعلِّلنــا ... حتَى نؤوبَ تَناومَ العجم[2]
لوَجَدت فينا ما تُحاوِلِ مِن ... صافى الشراب ولذَّة الطَّعم[3]

مع أبيات خمسة أخرى ، وقال لابن العَيِّف : اختر منى ثلاثَ خلال : إمَّا أن أطرحك على أسدَينِ ضاريَين فى بئر ، وإمَّا أن أُلقيَك من سُور دِمَشق ، وإمَّا أن يقوم

---

(١) هنا ينتهى النص الذى ورد فى أسماء المغتالين ٢ : ١٤٢ – ١٤٣ من نوادر المخطوطات . وقد رُوِيت الأبيات ما عدا الأخير منها فى كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب فى النوادر ١ : ٩٥ .

(٢) فى النسختين : « يؤوب » ، صوابه من المفضليات ٢٧٩ حيث وردت القصيدة منسوبة إلى عبد المسيح بن عسلة ، وهو أخو حرملة بن عسلة الذى نُسب الشعر إليه هنا .

(٣) هذا البيت لم يرد فى المفضليات .

الدُّلامص – سيَّافٌ كان له – فيضربك بعصاه هذه ضربةً . فاختار ضَربة الدُّلامص . فضربه زعموا على رأسِه فانكسرت فخِذُه ، فاحتمله راهبٌ وداواه حتَّى برأ وهو يخْمَعُ منها ، فكان هذا والحارثُ يومئذٍ بقِنَّسرين . انتهى . ٢٣١

وكذا أورد هذه الحكاية محمد بن حبيب ( فى كتاب المقتولين غيلة ) .

شهاب بن العيِّف

وشِهاب بن العيِّف العبدىُّ شاعرٌ جاهلىٌّ . والعَيِّف ، بفتح المهملة وكسر المثناة التحتية المشدّدة . والعَبْدىّ : نسبةٌ إلى عبد القيس ، لأنَّه أحد بنى سُلَيمة مِن عبد القيس [١] ، بضم السين وفتح اللام ، وهما فى بنى شيبان .

وقد نسَبَ هذا الشعرَ إلى شهاب بن العيّف محمدُ بن حبيب ، والآمدىُّ أيضا ( فى كتاب أشعار بنى شيبان ) ، ووقع ( فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمَّهاتهم [٢] ) أنَّ هذا الشعْرَ لعامر بن العيّف [٣] ، أخى شهاب بن العيِّف . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

( فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعداً )

على أنَّه يجوز حذفُ حرف النفى من المضارع الواقع جوابَ القسم كما هُنا ، وأصلُه : لا أبرح ، فحذف لا . وأمَّا حذفُ النافى من الماضى ومن الجملة الاسميَّة فغير جائز اطّرادًا ، وقَلّ الحذف منهما . أمَّا الأول فنحو قول أمَيَّة بن أبى عائذٍ الهذلى :

---

(١) ط : « بن عبد القيس » ، صوابه فى ش والاشتقاق ٣٦ ونوادر المخطوطات ١ : ٩٥ .

(٢) هو كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ، فى النوادر ١ : ٩٥ .

(٣) الذى فى نسخة من نسب إلى أمه من الشعراء : « عمارة بن العيف » .

فإن شئتِ آليتُ بينَ المَقا م والرُكْنِ والحجر الأسودِ[١]
نسيتُكِ ما دامَ عقلى معى أُمدُّ به أمَدَ السَّرمدِ

أى لا نَسِيتُك . قال ابن مالك : ويكثر ذلك إن تقدَّم نفىٌ على القَسم ، كقوله :

* فلا والله نادى الحىَّ ضيفي [٢] *

أى لا نادى .

وأما الثانى فكقول عبد الله بن رَوَاحة :

فوالله ما نِلتم ولا نِيل منكمُ بمعتدِل وَفْقٍ ولا مُتقاربِ [٣]

أراد : ما [ ما [٤] ] نلتم ، فحذف النافية وأبقى الموصولة . ولا يجوز العكس ، لأنّه لا يجوز حَذفُ الموصول وإبقاءُ صلته عند البصريِّين .

والمصراع صدرٌ ، وعجزه :

( ولو قطعوا رأسِى لدَيكِ وأوصالى )

والبيت تقدم شرحه قريبًا قبل هذا بعشرة أبيات [٥]

* * *

(١) شرح ديوان الهذليين ٤٩٣ . وليس فى ديوان الهذليين لأن القسم الذى فيه شعر أمية من رواية الأصمعى مفقود .

(٢) للمتنخل الهذلى فى ديوان الهذليين ٢ : ٢١ والهمع ٢ : ٤٤ . وعجزه :

* هدوا بالمساءة والعلاط *

(٣) المغنى ٦٣٨ والهمع ١ : ٢/٨٨ : ٤٢ .

(٤) التكملة من ش .

(٥) الخزانة ١٠ : ٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسعَ عشرَ بعد الثمانمائة [١] :

٨١٩ ( تاللهِ يَبْقَى على الأيَّامِ ذو حَيِدٍ      بمشمخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ )

على أنّه حذف من يبقى ( لا ) ، والتقدير : تالله لا يبقى . وأنشده سيبويه بلفظ :

« للهِ يبقىَ على الأيّام » . البيت .

على أنَّ اللام فيه حرف قسم وتعجّب ، وهذا نصُّه : وقد تقول : تاللهِ ، وفيها معنى التعجُّب . وبعضُ العرب يقول فى هذا المعنى : للهِ ، فيجىء باللام ، ولا يجئ إلاَّ أن يكون فيه معنى التعجب . وأنشد البيت .

وهو من قصيدةٍ أوّلُها :

أبيات الشاهد

( يا مَىّ إن تَفقِدِى قوماً ولدتِهِمُ      أو تُخْلَسيهِمْ فإنَّ الدَّهر خلّاسُ[٢]

عمروٌ وعبدُ منافٍ والذى عَهِدتْ      ببطن عَرعَرَ آبى الضَّيمِ عَبّاسُ

يا مىّ إنّ سباع الأرض هالكةٌ      والعُفْــرُ والأُدم والآرامُ والنّــاسُ

تاللهِ لا يُعجِز الأيّامَ مبتــرِكٌ      فى حوَمة الموتِ رزّامٌ وفــرّاسُ

يَحمِي الصَّريمةَ ، أُحدانُ الرِّجال له      صَيدٌ ، ومستمعٌ بالليل هجّاسُ )

٢٣٢

ثم وصَف الأسدَ بثلاثة أبيات فقال :

( يا مىّ لا يُعجز الأيّام ذو حِيَدٍ      بمشمَخِرّ به الظَّيّانُ والآسُ )

---

(١) لم ينص هنا كعادته أنه من شواهد سيبويه ، وإن كان قد نبه على ذلك فيما سيأتى . والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ١٤٤ والمقتضب ٢ : ٣٢٤ وأصول ابن السراج ١ : ٥٢٤ وابن الشجرى ١ : ٣٦٩ وابن يعيش ٩ : ٩٨ ، ٩٩ والمغنى ٢١٤ والهمع ٢ : ٣٢ ، ٣٩ والأشمونى ٢ : ١١٦

(٢) ديوان الهذليين ٣ : ١ – ٥ وشرح السكرى ٤٣٩ – ٤٤٣ .

ثم وصف الوَعِل إلى آخر القصيدة ، فى سبعة أبيات ، والبيتان الأوَّلان من شواهد سيبويه [١] .

قال الأعلم : الشاهد فى قطع عمرٍو وما بعده ممّا قبله وحملُه على الابتداء . ولو نصب على البدل من القومِ لجاز . ومعنى تُخلَسيهم بالبناء للمفعول : تُسلَبيهم . والخَلْس : أخذ الشىء بسُرعةٍ . أى إنْ أفقدك الدهر إيّاهُم فذلك شأنُه . وأراد بعمرٍو عَمرو بنَ عبدِ مناف بن قُصّى ، وهو هاشم بن عبد مناف . وأراد بالعبّاس العباسَ بنَ عبد المطَّلب . وإنَّما ذكَرهم وقال ولدتِهم لأنّهم كلُّهم من ولد مدركة بن الياس بن مُضَرَ .

وعَرعر : موضع . وروى بدله : « ببطن مكة » . وآبِى ، من الإباء ، وهو الامتناع . والضَّيم : الظُّلم .

وقد تقدَّم شرحُهما فى الشاهد الخامس والستين بعد الثلثمائة [٢] .

وقوله : « والعُفْر والأُدم » إلخ العُفر بضم المهملة : الظباء . والأُدم : السُّمر منها ، والآرام : البِيض منها .

وقوله : « تالله لا يُعجز الأيَّام » مع البيت بعده ، هما من شواهد سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيهما جرى الصِّفات على ما قبلها ، مع ما فيها من معنى التعظيم . ولو نصب لجاز .

قال السكرى : الأيّام هنا : الموت . والمبترك : المعتمِد [٣] وهو الأسَد . وحَومَة الموت : الموضع الذى يدُور فيه الموتُ لا يبرحُ منه . والزَّرَّام : المصوِّت .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٢٥ .

(٢) الخزانة ٥ : ١٧٤ – ١٧٩ .

(٣) فى النسختين : « المتعمد » ، صوابه من شرح السكرى ٤٤٢ . والرواية فى ديوان الهذليين :

* يا مى لا يعجز الأيام مجترئٌ *

يقال رزم الأسد يَرزِم . وإذا برك الأسد على فريسةٍ رَزَم . وفَرّاس : يدقّ ما يصيبُه . والصَّريمة : موضع . وأُحدان الرِّجال : الذين يقول أحدهم : أنا الذى لا نظيرَ له فى الشَّجاعة والبِأْس . يقول : هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يُدِلُّون بالشجاعة وهو مع ذلك لا ينجو من الموت .

وقوله :

* يا مىّ لا يُعجز الأيامَ ذو حِيَدٍ *

هكذا وقع فى جميع الروايات ، ولكن سيبويه ثقة ، والقول ما قالت حَذام .
وقوله : ( ذو حيد ) رواه المبرد بفتح الحاء المهملة والمثناة التحتية ، وجعله مصدراً بمنزلة العَوَج والأَوَد ، وهو اعوجاجٌ يكون فى قَرن الوعِل . ورواه ثعلب بكسر المهملة ، وكذا السكّرىّ ، وفسَّره بجمع حَيْدة ، مثل حِيَض جمع حَيْضة . والحَيدة : العُقدة فى قرن الوعل . ومنهم من جعله جمع حَيْد ، وهو كل نتوءٍ فى القرن والجبَل وغيرهما . وقال بعضهم : هو مصدر حاد يحيد حَيْدا بالسكون ، فحرَّكه للضرورة ، ومعناه الرَّوَغان . وروى :« ذو جِيَد » بالجيم ، وهو جَناح مائلٌ من الجَبل . وقيل يعنى به الظّبىَ . والوعِلُ : التَّيسُ الجبلى . وروى الحُلوانى بدله : « ذو خَدَمٍ » بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة . وقال : الخدَم : البياض المستدير فى قوائم الثَّور ، واحدها خدَمة . المُشْمَخِرُّ : الجبل الشامخ العالى . والباء بمعنى فى ، متعلِّقة بمحذوفٍ هو صفة لذى حيد . وجملة ( به الظَّيَّان ) صفة لمشمخرّ . والظَّيّان بالظاء المعجمة وتشديد المثناة التحتية : ياسَمين البرّ . والآس : الريحان . وإنّما ذكرهما إشارةً إلى أنَّ الوعل فى خِصب ، فلا يحتاج إلى الإسهال فيصاد . وقال الحلوانى : الآس : نُقَط من العَسل تَقع [1] من النحل على الحجارة ، فيستدلُّون به أحيانا .

(١) ط : « يقع » ، وأثبت ما فى ش . وانظر الخزانة ٥ : ١٧٨ .

وهذا البيت تقدَّم الكلامُ عليه أيضاً فى الشاهد الخامس والستين بعد الثلثمائة [١] .

٢٣٣ صاحب الشاهد

وهذه القصيدة نسبها السكّرىُّ إلى أبى ذؤيب الهذلى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين [٢] . وعزاها الحُلوانى إلى مالك بن خالد الخناعى . وخُناعة ، بضم المعجمة وتخفيف النون ، هو خناعة بن سعد بن هُذيل . ونسبها غيرُهما إلى أمَّية بن أبى عائذ الهذلى كما تقدَّم هناك . وقد تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة [٣] .

وقد وقع المصراع الأوَّل كما رواه الشارح المحقِّق فى قصيدةٍ لساعدة بن جؤيَّة الهذلى ميمية هكذا :

تالله يبقى على الأيام ذو حيد ... أدفَى صَلودٌ من الأوعال ذو خَدَمِ

قال السكرى : يريد : والله لا يبقى . وقوله : « ذو حِيد » يعنى الوعل . والحِيَد : كعوب فى القَرن . والأدفَى : الذى يذهب قرنه إلى ناحية ذنبه [٤] . والصَّلود : الذى يقرع الجبل بظِلْفه . والخَدَم : خطوط فى قوائمه .

وهذه قصيدة طويلة رثَى بها جماعةً ، وغالب ألفاظها ومعانيها على النمط الأوَّل . وترجمة ساعدة بن جؤية تقدَّمت فى الشاهد التاسع والستين بعد المائة [٥] .

* * *

(١) الخزانة ٥ : ١٧٤ — ١٧٩ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ — ٤٢٣ .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٣٥ — ٤٣٦ .

(٤) ط : « إلى نحو ذنبه » ، وأثبت ما فى ش . وعند السكرى ١١٢٤ : « الذى ينحنى قرناه إلى ظهره » .

(٥) الخزانة ٣ : ٨٦ — ٨٧ .

وأنشد بعده :

( تنفَكُّ تسمَعُ ما حيِيـــ ـــتَ بهالكٍ حتّى تكُونَه [١] )

على أنّه يجوز حذف ( لا ) من أخوات زالَ كما هنا ، فإنّ التقدير : لا تنفك تسمع . وفى غيرها لا يجوز .

وهذا وإن كان فى غير جواب القسم ، خاصٌّ بزال وأخواتها . وسمِع فى الشعر حذف ( لا ) فى غيرها . قال النمر بن تولب :

وقَوْلى إذا ما أطلَقُوا عن بعيرهم تُلاقونه حتى يَؤُوبَ المنخَّلُ [٢]

وخرَّجه ابن مالك على تقدير قسَم مقدَّر ، أى والله لا تلاقونه .

قال الدمامينى : والظاهر أنَّ رأيه أولى ، ليكون من قبيل ما حُذف بقياس .

وقوله : « وقَوْلِى » معطوفٌ على أبدالى فى بيتٍ قبله ، وهو قوله :

لعَمِرى لقد أنكرتُ نفسى ورابنى مع الشَّيب أبدالى التى أتبدَّلُ

وأبداله : هى الشَّيب بعد الشباب ، والضَّعف بعد القوّة ، والهُزال بعد السِّمَن ، والسَّقَم بعد الصحّة . والمقول هو « لا تلاقونه » إلخ . أى لا تلاقون البعيرَ بعد إطلاقكم إيَّاه حتى يؤوب المنخل . وهذا القول فى نفس الأمر ممَّا يُريب ، كأنَّه يدل على ذُهولِ عقلٍ وخَوف [٣] ، فإنَّ البعير إذا أُطلق ليس فى مَسْكه جَهْد عظيم [٤] .

---

(١) الإنصاف ٨٢٤ والسمط ٦٣١ وابن يعيش ٧ : ١٠٩ والعينى ٢ : ٧٥ والهمع ١ : ١١٦ .

(٢) ديوان النمر ٨٥ برواية « إذا ما غاب يوما بعيرهم » .

(٣) ط : « وخوف » صوابه فى ش . وفى جمهرة العسكرى ١ : ٣٦١ : « يريد أنه قد كبر وعجز عن طلب الأشياء » .

(٤) يقال مسك بالشىء وأمسك به وتمسك .

المنخَّل

والمنخَّل ، بفتح الخاء المعجمة المشددة : اسم شاعرٍ كان النُّعمان بنُ المنذر اتَّهمه مع امرأته ، فدفنه حيًّا ، فلم يُعرَفْ خبرُه إلى الآن . والعرب تضرب المثَلَ به لغائب لا طمَعَ فى رجوعه . وبعده :

فيَضحَى قريباً غير ذاهب غَربةٍ وأُرسل أيمانى فلا أتحلَّــلُ [١]

الغَرْبة بِفتح الغين المعجمة والموحدة : البُعد ، أى يصير البعير الذى أطلقوه قريباً منهم ولا يذهب ذَهابَ بُعد ، ومع ذلك أنا أُذهَل وأقول لهم ذلك القول ، فأرسل أيمانى ولا أقيِّدها باستثناء ، ولا أتحلل بقولِ إن شاء الله .

وهذا البيت من أبيات المغنى [٢] ، ولم يشرحه شُرَّاحه ، ولهذا شرحتُه إجمالا .

والنمر بن تولب صحابىٌّ عاش دهرًا طويلا . وقد ترجمناه فيما مضى [٣] .

٢٣٤

وأما قوله :

تنفكّ تسمع ما حَيِيت ... البيت

فقد تقدّم شرحُه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد السبعمائة [٤] .

* * *

وأنشد بعده :

( فلا وأبى دَهْماءَ زالتْ عزيزةً )

---

(١) يضحى : يعطش . ورواية جمهرة القرشى ١١٠ : « وأضحى » ، وفسره بقوله : « أضحى : أعطش » . وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٥ : « فيضحى ، أى البعير » .

(٢) يعنى بيت النمر بن تولب فى أول الأبيات . انظر المغنى ٦٢٧ فى حذف لا النافية . على أن السيوطى قد شرحه عرضا فى أثناء وروده عرضا فى شواهد ( لا ) .

(٣) ترجمته فى الخزانة ١ : ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٤) الخزانة ٩ : ٢٤٢ – ٢٤٥ .

على أنَّ أصله : فو أبى دهماء لا زالت عزيزة ، ففصل بين لا النافية وبين زالت بالجملة القسميّة ، أعنى قوله وأبى دهماء . أقسم الشّاعرُ بوالدِ هذه المرأة . وليسِ فيه حذف ( لا ) خلافا للفراء فى زعمه ذلك ، ولا ( ما ) خلافاً لابن عصفور فى دعواه .

وقد تقدَّم الكلام على هذا فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد السبعمائة [١] .

وهذا صدر ، وعجزه :

( على قومها ما فتَّل الزَّندَ قادحُ ) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٢٠** ( هذا ثنائى بما أوليتَ مِن حَسَنٍ     لا زلتَ عَوْضُ قريرَ العينِ محسودَا )

على أن ( عَوْضُ ) قد لا يستعمل فى القسم كما هنا ، وهو هنا ظرف بمعنى أبداً ، متعلِّق بلا زلت . وتقدَّم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد العشرين بعد الخمسمائة [٣] .

صاحب الشاهد

والبيت آخر قصيدةٍ عدّتها أربعةَ عشَرَ بيتًا لربيعة بن مقروم الضبى ، أربعٌ منها فى النسيب [٤] ، وأربعٌ فى ذكر ناقته ، وستٌّ فى مدح مسعود بن سالم بن أبى سُلمِىّ ، بضم السين وشد الياء ابن ربيعة بن ذبيان [٥] بن عامر بن ثعلبة بن ذُؤيب بن السِّيد .

---

(١) الخزانة ٩ : ٢٣٧ — ٢٤١ .
(٢) المفضليات ٢١٤ والأغانى ١٩ : ٩٢ .
(٣) الخزانة ٧ : ١٢٩ — ١٣٠ .
(٤) ش : « فى التشبيب » .
(٥) كذا فى ش والأغانى ١٩ : ٩١ . وفى ط : « ديان » وفى المفضليات : « زبان » .

روى صاحبُ الأغانى عن أبى عَمرٍو : أنّ ربيعة بن مقروم أُسِر واستيقَ مالُه ، فتخلَّصَه مسعودٌ المذكور ، فمدحه ربيعةُ المذكور بهذه القصيدة .

وهذه سبعةُ أبياتٍ منها يخاطب ناقتَه :

أبيات الشاهد

( لمَّا تشكَّتْ إلىَّ الأُينَ قلتُ لها ... لا تستريحينَ ما لم ألقَ مسعودا

ما لم أُلاقِ امرأً جزلاً مواهِبُه ... سَهلَ الفِناء رحيبَ الباع مَحمودا

وقد سمعتُ بقومٍ يُحمَدُون فلم ... أسمَعْ بمثلك لا حِلمًا ولا جُودا

ولا عفافاً ، ولا صبراً لنائبة ... وما أخبِّر عنكَ الباطِلَ السِّيدا

لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا ... يُلفَى عطاؤك فى الأقوام مَنكودا

وقد سَبقت بِغايات الجياد وقد ... أشبهتَ آباءَكَ الصِّيدَ الصَّناديدا

هذا ثنائى بما أوليت .... ... ........................ إلخ )

وقوله : لمَّا تشكتْ إلخ الأين : التَّعب . والسِّيد : قبيلُ الممدوح من آل ضبّة . قاله صاحب الأغانى .

وقال ابن الأنبارىّ ( فى شرح المفضليات ) : قال أبو جعفر : السِّيد : قومُ ربيعة بنِ مقروم . يقول : لا أخبِّرهم عنك باطلاً وإنّما أمدَحك بالحق .

وقوله : « لا حلمك الحلم » إلخ قال ابن الانبارى : أى لم يَطِشْ حلمك فيُوجَدَ عليه . والصِّيد : جمع أصيَد ، وهو الذى لا يكاد يلتفت من التكبُّر . والصَّناديد : الكرام .

وقوله : « هذا ثنائى » إلخ قال ابن الأنبارى : أراد بعوضُ الدّهرَ ، وهو مبنىٌّ على الضم . يقول : لا زلتَ محسودًا ذا نِعمة تُحسَد عليها . كقول الآخر :

محسَّدون على ما كان من نعَمٍ ... لا يُذهب الله عنهم ما له حُسِدوا

ومثله قول الآخر [1] :

٢٣٥

---

(١) هو بشار بن برد . ديوانه ٣ : ٩٧ .

إن يحسُدونى فإنِّى غير لائمهم قَبلى من النّاسِ أهلِ الفَضْلِ قدْ حُسِدوا

أى من كانت له نعمة حُسِد عليها . أى فلا زلت محسودا . وحكى أبو عثمان عن أبى زيد أنَّ العرب لا تقول : حُسِد حاسدك ، أى بالبناء للمفعول ، لأنَّه إذا قال له ذلك دعا له بأن يكون [ له [1] ] ما يُحسَد عليه ، ولكنهم يقولون : حَسَدٌ لحاسدك . انتهى .

وترجمة ربيعة بن مقروم تقدَّمت فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الستمائة [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الثمانمائة [3] :

**٨٢١** ( وقُلْنَ على الفِردوسِ أوّلُ مَشربٍ أجَلْ جَيرِ إن كانت أُبيحت دعاثِرُهْ )

على أنّ ( جَيْر ) قد تستعمل فى غير القَسم كما هنا ، فإنَّها حرف تصديق بمعنى نعم بدون قسم .

وصنيع الجوهرى يُوهم أنَّها مع القسم ، لأنّه قال : قولهم جيرِ لا آتيك ، بكسر الراء : يمينٌ للعرب ، ومعناها حقًّا . وأنشد هذا البيت بعينه .

والبيت أورده أبو محمد بن أحمد بن الخشاب [4] مع بيتٍ قبله ، وهو :

( تحمَّلَ من ذات التَّنانير أهلُها وقَلَّصَ عن نِهْى الدَّفينةِ حاضرُه )

---

(١) التكملة من ش مع أثر إقحام . وفى هامش المطبوعة : « قوله بأن يكون إلخ كذا بالأصل ولتتأمل » .

(٢) الخزانة ٨ : ١٣٤ — ١٣٥ .

(٣) مجالس العلماء ٢٢ ومعجم ياقوت ( فردوس ) وابن يعيش ٨ : ١٢٢ ، ١٢٤ والمغنى ١٢٠ والعينى ٤ : ٩٨ والهمع ٢ : ١٢٥ وديوان طفيل ١٠ كرنكو .

(٤) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب ، المتوفى سنة ٥٦٧ .

صاحب الشاهد

وهما من قصيدة لمضرِّس الأسدىّ ، أوردها الأصمعىُّ فى ( الأصمعيات [١] ) ، وهى قصائد اختارها لهارونَ الرَّشيد ، فاشتهرت بالأصمعيَّات .

وأورد منها ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل ستة عشر بيتا . وقوله :

* تحمّلَ من ذات التنانير أهلُها *

ذات التنانير غير موجود فى المعجم للبكرى [٢] ، قال ابن المستوفى : هو موضع . وقال العينى : هى عقبة بحذاء زُبالة . قال البكرى : زبالة بضم أوله بعده . مُوَحّدة ، قال محمد بن سهل : هى بلدٌ من أعمال المدينة [٣] سمِّيت بزبالة بنت مسعود من العماليق ، نزلت فيه فسمِّى بها . أى ارتحل أهلُ هذا البلد منه .

وقَلّصَ ، أى ارتفع . والنِّهْىُ ، بفتح النون وكسرها وسكون الهاء فيهما ، هو الغدير . والدفينة ، قال العينى : هو موضعٌ . وقال ابن المستوفى ؛ هو فعيلة من

---

(١) هذا نص نادر يثبت نقص الأصمعيات المطبوعة . وانظر ما أثبتنا فى مقدمة المفضليات ٢٢ – ٢٣ .

(٢) الحق أن البكرى أورده فى معجمه وأفرد له رسما خاصا فى التاء والنون ص ٣٢٠ ، قال : « ذات التنانير على لفظ جمع تنور ، وهى أرض بين الكوفة وبلاد غطفان ، قاله يعقوب ، وأنشد لمزرد :

فما نمت حتى صاح بينى وبينهم ... بذات التنانير الصدى والعوازف

وقال الشماخ :

وكادت على ذات التنانير ترتمى ... بها القُور من حاد حدا ثم بربرا

وقال الراعى :

تحملن من ذات التنانير بعدما ... مضى بين أيديها السوام المسرح »..

(٣) بعده فى معجم البكرى ٦٩٤ : « سميت بضبطها الماء وأخذها منه كثيرا ، من قولهم : إن فلاناً شديد الزبل للقِرَب » .

قولهم : دفنت الشىء ، فهو مدفون ودفين ، وركِيَّة دفين ، إذا اندفنَ بعضُها . وهذه الكلمة غير موجودةٍ أيضا ( فى معجم البكرى ) ، وإنّما فيه ( الدَّفين ) بلا هاء ، قال : وهو واد قريبٌ من مكة .

والحاضر : الحيُّ العظيم ، قاله ابن المستوفى . وقال السيوطى : هو المقيم . وفى الصحاح : الحاضر : الحيُّ العظيم ، وهو جمع كما يقال سامر للسمَّار . وفلانٌ حاضرٌ بموضع كذا ، أى مقيم . ويقال : على الماء حاضرٌ وقوم حُضّار ، إذا حضَرُوا المِياه ، ومَحاضر ، وحَضَرَة ، مثل كافر وكفرة .

وقوله : ( وقلن ) يعنى النساء ، يعنى أنهنَّ قُلنَ : إن ارتحلنا عن هذا الماء فإنّ أوَّل مشربٍ نَرِده الفردوسُ .

قال ياقوت ( فى معجم البلدان ) قال أبو عُبيدٍ السَّكونى : الفردوس ماءٌ لبنى تميم عن يمين الحاجّ من الكوفة . وفردوس بلا لام : روضة دون اليمامة . وفردوس الإياد [1] فى بلاد بنى يربوع .

والهاء فى ( دعاثره ) يجوز أن تعود على لفظ الفردوس ، ويجوز أن تعود على مَشرب . وأوّل مشربٍ مبتدأ ، وعلى الفردوس خبره . ثم أخبَرَ بأجَلْ جَيرِ ، أى نعمْ إن كانت دعاثره مُبَاحةً غير ممنوعة . وهذا من تسمية الشىء بما يؤُول إليه . وجواب الشرط محذوف ، أى إن كانت أبيحت دعائره فانزلْن به .

٢٣٦

وقال العينى : على الفردوس حال ، والخبر محذوف . أى قلن حال كونها [2] نازلاتٍ على الفردوس : لنا أول مشرب .

---

(١) فى النسختين : « الايادى » ، صوابه فى معجم البكرى ١١٩٦ وياقوت ( فردوس ) وأنشدا لمالك ابن نويرة :

حلول بفردوس الإياد وأقبلت ... سراة بنى البرشاء لما تأبدوا

وفى معجم ياقوت أيضا أن الإياد بالكسر : موضع بالحزن لبنى يربوع .

(٢) كذا فى النسختين .

قال ابن المستوفى : وجَدْته يُروَى : « أن كانت » بفتح الهمزة ، وتكون فى موضع المفعول به . وكسر إنْ أولَى ، أى إنَّ أوَّلَ مشرب على الفردوس كما ذكرتن مالم تُمنَع دعاثره . ودعاثُره مع إنْ الشرطيَّة غير مباحة ، لأنَّ الشرط قد يقع وقد لا يقع ، ومع أن المصدرية مُباحة . والأوّل أولَى بالمعنى .

وقال بعض فضلاء العجم ( فى شرح أبيات المفصَّل ) : رُوى أَنْ بفتح الهمزة وكسرها ، والكسر هو رواية المفصَّل ، ولكليهما وجه : أمّا وجه الفتح فهو أنَّ ذلك قد تحقَّق لأجل إباحة حياضه . وأمَّا وجه الكسر فهو أنّ ذلك متحقق إن كان قد حصل الإباحةُ لدعاثره . فظهر أنّ الفتح فى المعنى المرادِ أقوى [١] ، وإن لم يبعد مع الثانية . انتهى .

وهو جمع دُعْثور بالضم . فى الصحاح : والدُّعثور : الحوض المتثلّم . وأنشد هذا البيت . وقياسه دعاثير ، إلاّ أنّه حذف الياء ضرورةً . والمَشْرب : موضع الشُّرب . وقال بعضهم : مصدر ميمى ، أى على الفردوس أوّل شُرب نشربُه .

وقوله : ( إن كانت أبيحت دعاثره ) من باب التنازع ، فإنْ رفعتَ دعاثره بأُبيحتْ فاسمُ كان ضمير الدعاثر ، أى هى . وإن رفعته بكانت ففى أبيحت ضميرها . وجملة أبيحت على الوجهين خبر كانت . و ( أجَلْ ) : حرف تصديق ، وجَيرِ توكيدٌ له .

وهذا البيت كذا فى المفصَّل وغيره ، ولم أره كذا فى شعر مُضرِّسٍ على ما رواه الأصمعىّ ، وإنَّما الرواية كذا :

وقُلن ألاَ الفِردوسُ أوّلُ مَحضَرٍ ... مِن الحىِّ إن كانت أُبيرت دعاثِرُهْ

---

(١) ورد بعد هذه الكلمتين فى النسختين الرمز « ا هـ » ، وأرى أنها مقحمة هنا لأنها سترد قريبا .

صاحب الشاهد

وهذا ليس فيه « أجَلْ جير » . والذى فيه الشاهد إنَّما هو شعر طُفيلٍ الغنوى ، وهو :

أبيات الشاهد

( فلمَّا بدا دَمْخٌ وأعرضَ دونَه غواربُ من رملٍ تلوحُ شواكلُه[١]
وقلنَ ألاَ البرديّ أوّل مشربٍ أجَلْ جير إنْ كانت رِواءً أسافلُه[٢]
تَحاثثن واستَعجَلْنَ كلَّ مُواشكٍ بلوُمته لم يَعْدُ أنْ شَقَّ بازلُه )

ولهذا قال الصغانى عند الكلام على جَيْرِ ، وإنشادِ البيتين الأخيرين من شعر طُفيلٍ المذكور شاهداً ما نصُّه : وقد غيَّر النحاةُ هذا الشاهدَ وجعلوهُ خنثَى ، وأنشدوا :

وقلن على الفردوس أوّلُ مشربٍ أجَلْ جير إن كانت أُبيحت دعاثُره

وهو مغيَّر من شعر مضرِّس بن رِبْعِيّ ، وهو :

وقُلن ألاَ الفردوسُ أوّلُ محضَر من الحىِّ ان كانت أُبيرت دعاثره

وقوله : « فلمَّا بدا دَمْخ » هو بفتح الدال وسكون الميم بعدها خاء معجمة : جبلٌ من جبال ضَرِيَّة ، طوله فى السماء ميل . قال ابن السكِّيت ( فى شرح ديوان طفيل ) : غواربه : أعاليه[٣]. وشواكله : نواحيه وجُنوبه .

وقوله : « وقلن » معطوف على بدا بمعنى ظهر ، والنون ضمير الظعائن ، فى بيتٍ قبله ، وهو :

( تبصَّرْ خليلى هَل تَرى مِن ظعائنٍ تحمَّلْنَ أمثالَ النِّعاجِ عقائلُهُ )

---

(١) ديوان طفيل ٤٩ .

(٢) أنشده البكرى فى رسم ( البردِى ) ، ومما يذكر أن ياقوت لم يخصص رسما للبردى .

(٣) ش : « عالية » ، صوابه فى ط .

٢٣٧ النعاجُ : جمع نعجة ، شَبَّهَ النساء بها . وعقيلة كلِّ شئ : أفضله .

( ظعائنَ أبرقْنَ الخريفَ وشِمنَهُ وخِفن الهُمامَ أن تُقادَ قنابلُه )

أبرقن : رأين برق الخريف ، ولا يُرَى بَرقُ الخريف إلاَّ والثريا طالعةٌ فى أوّل الليل . وخِفن الهُمام [١] ، يقول : دخلَتْ أشْهر الحُرُمِ فخفنَ أن يغير عليهنّ ، فتنَكَّبْنَ ناحيته وتباعدنَ عنه . والشَّيم : النظر إلى مَوقع الغيث . والقنابل : جمع قُنبلة كقنفذة ، وهى طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه .

( على إثر حَيٍّ لا يرى النَّجمَ طالعاً من الليل إلاّ وهو بادٍ منازلُـه )

النجم : الثريا . يقول : هذا الحىُّ لا يرى النجم طالعاً بظُلمةٍ إلاّ رحلَ إلى مكان آخر يبتغى النُّجعة ، فكأنَّه [٢] أبدًا فى قفر لا يقيمون للمياه ، هم أبداً سيّارة .

( شرِبنَ بعُكَّاشِ الهَبابيدِ شَربةً وكان لها الأحْفَى خليطًا تزايلُه )

فلما بدا دَمْخ ..... البيت .

عُكّاش الهَبابيد : ماء ، وهو جمع هَبُّود ، جمعَه بما حوله . والأحفَى : بلد ، أى زايلَتْه كما تزايل الخليطَ .

وقوله : « ألاَ البردى » ألاَ للتنبيه ، فتدلُّ على تحقُّق ما بعدها من جهة تركُّبها من همزة الاستفهام ولا ؛ فإنّ الاستفهام إذا دخل على النفى أفاد

---

(١) الهمام : لقبٌ للنعمان بن المنذر ، وجاء فى قول النابغة ( ديوانه ٧٤ ) :

ألم أقسم عليك لتخبرنى أمحمول على النعش الهمام

وفى شرح ابن السكيت لديوان النابغة ٢٣٢ : « يقال سمى الملك الهمام لبعد همته » .

(٢) كذا فى النسختين ، والضمير هنا للحى باعتبار لفظه ، وإن كان قد عبر فيما بعد بالجمع اعتبارا لمعناه .

التحقيق [١] . قال ابن السكيت : يعنى بالبَرَدىّ غديراً يُنبت البَردى . وقال [٢] البكرى ( فى معجم ما استعجم ) : هو غديرٌ لبنى كلاب . وأنشد هذا البيت . والبَردىُّ مبتدأ ، وأوّل مشرب خبره ، والجملة مقول قلن . وقوله : ( أجل جير ) إلخ مقولٌ لقول محذوف ، أى فقيل لهنّ أجَلْ جير إلخ . ورواء بالكسر والمدّ : جمع ريّان كعَطاش جمع عَطشان . وأسافل : جمع أسفل ، وهو المكان المنخفِض . يريد : إن اجتمعَ الماءُ فى أراضيه المنخفضة حتّى صار غديراً فالبَردىُّ أوّل مشرب ، وإلاّ فلا . فجواب الشرط محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله .

وقد استشهد ابن هشام ( فى المغنى ) بهذا المصراع فقط . وفى بعض نسخِهِ تمامُ البيت من شعر طفيل كما شرَحْنا . ولله درُّه فى صنيعه .

وقوله : « تحاثَثْنَ » الخ هذا جواب لمَّا ، والنون ضمير الظعائن . والحثُّ : الإسراع . وحَثَّ الفرسَ على العَدْو : صاح به ، أو وكزه برِجلٍ أو ضربٍ . وتحاثثن : تسارَعْن . واستعجلتُ زيداً : طلبتُ عَجَلته . فهو متعدّ ، وكلَّ مفعوله . ومُواشك : اسم فاعلٍ واشَكَ أى سارَع . ومُواشك صفة محذوفٍ ، أى كلَّ بعيرٍ مُواشك . واللّؤْمة بضم اللام وسكونِ الهمزة ، قال ابن السكيت : هى متاع الإبل وما يُلقَى عليها من رَحْل ومَفارش . وجملة لم يَعْدُ إلخ صفة لمواشك ، وأنْ مصدريَّة ، أى لم يتجاوز شقّ نابه . يريد أنّه كامل الفُتوَّة . وشَقَّ بفتح الشين المعجمة . والبازل : الناب . قال ابن السكيت : يقال شقّ نابُه ، وشقا نابُه ، ونَجمَ نابه ، وفطَرَ نابه ، وبزَل نابُه . وأُصله الاشتقاق ، يقال تبزَّل ما بينهم . انتهى .

---

(١) هذا ما فى ش . وفى ط : « التحقق » .

(٢) ط : « قال » بدون الواو .

قال صاحب العباب : بزل البعير بُزولاً : فطر نابه ، أي انشقَّ ، فهو بازل وبَزُول ، ذكرا كان أو أنثى . وقال ابن دريد : رجلٌ بازل ، إذا احتنك ، تشبيهاً بالبغير البازل . وفى حديث على رضى الله عنه :

* بازِلُ عامين حَديثٌ سنِّى[١] *

أى أنا فى استكمال القوة كهذا البعير مع حداثة السِّن . والبازل أيضا : السن التى طَلعت . انتهى .

٢٣٨ وإنّما قيد بقوله « لم يَعْدُ أنْ شَقّ » إلخ لأنَّه إذا تجاوزه يكون ضعيفَ القُوَى لهَرَمه . وبُزولُه إنّما يكون بدخوله فى السنة التاسعة ، وبعدها يشرع فى الهَرَم .

وقد رأيت البيت الشاهد فى قصيدةٍ قافيَّة ، من شعر كعب بن زهير الصحابى ، وهو :

وقلـــنَ ألاَ البردىُّ أوَّلَ مشربٍ أجَلْ جير إن كانت سَقته بَوارقُه[٢]

قال شارح ديوانه أبو العباس الأحول : البَرْدىُّ : موضع . والبوارق . جمع بارقة ، يريد سحابة برقَتْ وسكبت ماءها . ويروى : « نعم جير » .

وعدة أبياتها خمسة عشر بيتا . وكعب قد أخذه من طُفيل الغَنوىّ ، لأنّ طَفيلاً جاهلىٌّ مُتقدمُ زمانه . وقد مرّت تراجمهم .

أمّا مضرس ففى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الثلثمائة[٣] وأمّا طفيل ففى

---

(١) الرجز منسوب إلى أبى جهل فى السيرة ٤٥٠ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٦ واللسان ( بزل ، عون ) ، ونسب فى ( نقم ) إلى على بن أبى طالب كما هنا .

(٢) ط : « بوارق » ، صوابه فى ديوانه ١٩٧ ومعجم البكرى ٢٤١ .

(٣) الخزانة ٥ : ٢٢ — ٢٣ .

الشاهد التسعين بعد الستمائة [١] ، وهما جاهليان . وأمّا كعب ففى الشاهد الرابعَ عشر بعد السبعمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الثمانمائة [٣] :

**٨٢٢** ( وقائلةٍ أسِيتَ فقلتُ جَيْرِ أسِىٌّ إننى مِنْ ذاكِ إنّه )

على أنّه استدلَّ من ذهب إلى اسميّة ( جير ) بالتنوين اللاحق له كما هنا .

وقال الشارح المحقق : هى حرف ، والتنوين لضرورة الشعر .

وهذا أحد أجوبةٍ ثلاثة عنه .

ثانيها : أنّه يحتمل أن يكون من تنوين الترنُّم تشبيهاً لآخِر النِّصف بآخِر البيت . ذكره الشَّلوبين . وتنوين الترنُّم غير مختصٍّ بالاسم . والوصلُ بِنِيَّةِ الوقف [٤] . وهو وتنوين الغالى كهاء السَّكت ، إنمَّا يلحقان الكلمة وقفاً لا وصلاً .

ثالثها : يحتمل أن يكون أراد توكيد جَير بإنّ التى بمعنى نعم [٥] فحذف همزتها وخفّفت بحذف النون الثانية . وهو بعيد .

وقد ذكر ابن مالك ( فى شرح كافيته ) هذه الأوجهَ الثَّلاثةَ وقال : الصّحيح أنّها حرفٌ بمعنى نعم ، لأنَّ كلَّ موضعٍ وقعت فيه جَيرِ يصلح أن تقع

---

(١) الخزانة ٩ : ٤٦ .

(٢) الخزانة ٩ : ١٥٣ .

(٣) المغنى ١٢٠ والهمع ٢ : ٤٤ ، ٧٢ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢٠ .

(٤) ط : « نيته الوقف » .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « نعم » التالية ساقط من ش .

فيه نعم ، وليس كلّ موضع وقعت فيه يصلح أن يقع حَقًّا . فإلحاقها بنعم أولَى .
وقيل : إنّ جَير ظرف بمعنى أبداً ، بنِىَ لقلّة تمكُّنِه . وقيل اسمُ فعلٍ . فهذه أربعة
أقوال ، ذكرها ابن أبى الرَّبيع ( فى الملخص ) . والقائل بأنّها اسمُ فعل هو أبو على ،
وقد نقله ياقوت الحموى ( فى معجم الأدباء ، فى ترجمة أبى على ، فى ضمن حكايةٍ
رأينا إيرادها هُنا مناسبا ) قال ياقوت : وقال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمد
ابن سَهْلويه [١] ( فى كتابه الذى سماه أجناس الجواهر ) : كنتُ بمدينة السَّلام
أختِلف [٢] إلى أبى على الفارسى ، وكان السلطانُ رَسمَ له أن ينتصب لى كلَّ
أسبوعٍ يومين لتصحيح كتاب التذكرة ، لخزانة كافى الكفاة ، فكنَّا إذا قرأنا أوراقاً
منه تجارَيْنا فى فنون الآداب، واجتنينا من فوائد ثمار الألباب ، ورتعنا فى رياضِ
ألفاظه ومعانيه ، والتقطنا الدرَّ المنثورَ من فيه ؛ فأجرَى يوماً بعضُ الحاضرين ذكر
الأصمعىِّ وأسرف فى الثناء عليه ، وفَضَّله على أعيان العلماء فى أيّامه . فرأيتُه
كالمنكر مما كان يُورده [٣] . وكان مَمَّا ذكر فى محاسنه [٤] أنّ قال : من ذا الذى
يجسُر أن يخطِّىءَ الفحولَ من الشعراء غيره ؟ فقال أبو على : وما الذى رَدَّ عليهم ؟
فقالَ الرجل : قد أنكر على ذى الرمة مع إحاطته بلغة العرب ومعانيها ، وفضْلِ
معرفته بأغراضها ومراميها ، وأنه سلَكَ نهجَ الأوائل فى وصف المفاوز إذا [٥] لعب ٢٣٩
السرابُ فيها ، ورقصَ الآل فى نواحيها . ونعتَ الحِرباء ، وقد شبَحَ على جِذْله [٦] ،

---

(١) ش : « سلهويه » ، والذى فى معجم الأدباء ٧ : ٢٤٢ : « مهرويه » .
(٢) ط : « واختلف » ، صوابه فى ش ومعجم الأدباء .
(٣) ط : « مما كان يورده » ، وأثبت ما فى ش ومعجم الأدباء .
(٤) فى معجم الأدباء : « وكان فيما ذكر من محاسنه » .
(٥) ط فقط : « إذ » .
(٦) شبَح : مد يديه ، ويقال أيضا تشبح الحرباء على العود . وهو يشير إلى قول ذى الرمة فى ديوانه :

إذا جعل الحرباء يبيض لونه ويخضر من لفح الهجير غباغبه
ويشبح بالكفين شبحا كأنه أخو فجرة عالى به الجذع صالبه

والظليمَ وكيف يَنفِرُ من ظلِّه ، وذكر الرَّكْبَ وقد مالت طُلاهم من غَلَبة المنام ، حتَّى كأنَّهم صرعتهم كؤوس المُدام ، فطبَّق مَفصِلَ الإصابة فى كلِّ باب ، وساوى الصَّدر الأوّل من أرباب الفصاحة ، وجارىَ القُروم البُزْل من أصحاب البلاغة .

فقال له الشيخ أبو على : وما الذى أنكر على ذى الرمة ؟ فقال : قوله :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أمِّ سالِمٍ *

لأنَّه كان يجب أن ينوّنه . فقال : أمَّا هذا فالأصمعىُّ مُخطِئٌ فيه ، وذو الرمة مصيب . والعَجب أنّ يعقوب بن السكيت قد وقع عليه هذا السَّهْوُ فى بعض ما أنشده . فقلتُ : إنْ رأى الشيخُ أن يصدَع لنا بجليَّة هذا الخطأ تفضَّل به . فأملى علينا : أنشد ابنُ السكّيت :

أبيات الشاهد

( وقائلةٍ أسيتَ فقلت جيرِ ... أسِىٌّ إنَّنى من ذاكِ إنَّه
أصابهم الحِمَا وهمُ عُوافٍ ... وكنّ عليهمُ تعساً لهُنّه[1]
فجئتُ قبورَهم بَدءاً ولمّا ... فناديت القبورَ فلم يُجبنَه
وكيف تُجيب أصداءٌ وهامٌ ... وأبدانٌ بُدرن وما نَخِرْنَه[2]

قال يعقوب : قوله : جَير أى حقًّا ، وهى مخفوضة غير منوَّنة ، فاحتاج إلى التنوين .

---

= وقوله أيضا :

لظى تلفح الحرباء حتى كأنه ... أخو جَرَمات بزّ ثوبيه شابح

وفى النسختين : « سنح على جذله » ، وفى معجم الأدباء : « سبح على جدله » ، كلاهما محرف .
والجذل ، بالكسر : العود من الشجرة :

(١) ياقوت والصاحبى ١٢١ : « نحسا لعنه » ، من اللعن .

(٢) ياقوت : « وكيف يجيب » .

قال أبو على : هذا سهوٌ منه ، لأنَّ هذا يجرى مجرى الأصوات ، وباب الأصوات كُلُّها والمبنيّاتُ بأسرها إلاّ ما خُصّ منها بعلَّةٍ ، الفُرقانُ فيها من نكرتها ومعرفتها التنوين (١) ، فما كان منها معرفةً جاء بغير تنوين ، فإذا نكّرته نوّنته . من ذلك أنّك تقول فى الأمر صَهْ ومَهْ تريد السكوتَ يا فتى ، فإذا نكّرت قلت صهٍ ومهٍ تريد سكوتا . وكذلك قول الغراب : غاق ، أى الصوت المعروف من صوته ، وقول الغرابِ غاقٍ (٢) أى صوتا . وكذلك إيهِ يارجلُ تريد الحديث . وإيهٍ تريد حديثا .

وزعم الأصمعىُّ أنَّ ذا الرمة أخطأ فى قوله :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أُمّ سالمٍ *

وكان يجب أن ينوِّنه . وهذا من أوابد الأصمعى التى يُقدم عليها من غير علم . فقوله جيرِ بغير تنوين ، فى موضع قوله : فقلت الحقَّ (٣) . وتجعله نكرةً فى موضع آخر فتنوِّنه فيكون معناه قلتُ حقًّا . ولا مدخل للضرورة فى ذلك ، إنمَّا التنوين للمعنى المذكور ، وبالله التوفيق . وتنوين هذا الشاعر على هذا التقدير .

قال يعقوب : قوله أصابهم الحِمَا ، يريد : الحِمام . وقوله : بُدِرْنَ ، أى طُعِنَّ فى بوادرهم بالموت . والبادرة : النَّحر .

وقوله : « فجئت قبورهم بدءاً » أى سيِّداً . وبَدْءُ القوم : سيِّدهم . وبَدء الجزور : خير أنصبائها . وقوله : « ولمَّا » أى ولم أكن سيِّداً حينَ ماتوا (٤) ، فإنِّى

---

(١) الفرقان ، بالضم : الفرق والفارق . والفرقان من أسماء القرآن الكريم لأنه فارق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام : وكلمة « الفرقان » ساقطة من ، ياقوت ، ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) فى النسختين : « وقال الغراب غاق » صوابه فى معجم الأدباء ، إلا إذا أريد بالقال مزاوج القيل فى عبارة « القيل والقال » .

(٣) عند ياقوت : « فى موضع قوله الحق » .

(٤) فى ياقوت : « إلا حين ماتوا » ، والمعنى متجه بكلتا العبارتين .

سدت بعدهم .

هذا ما أورده ياقوتٌ بحُروفِهِ . وأورد ابن فارس ( فى كتاب فقه اللغة ) هذه الأبياتَ عن المفضَّل ، وزاد فى أوّلهنَّ بيتا ، وهو :

( ألا يا طالَ بالغُرُبات لَيلِى وما يلقى بَنو أسدٍ بهنَّه [(١)] )

ويا حرف نداء ، والمنادى محذوف ، أي يا قوم ونحوه . والغُرُبات ، بضم الغين المعجمة والراء المهملة بعدها موحَّدة : جمع غُرْبَة بضمتين ، وهى الامرأة الغريبة . وبدون هاء : الرجل الغريب . يريد التزوّج بالغريبات . وليلِى فاعل طال . وقال ابن المُلاَّ ( فى شرح المغنى ) : الغُرُبات : موضع . ويردُّه الضمير فى بهنَّ . والباء سَبَبيَّة ، والهاء للسكت .

٢٤٠

وقوله : « وقائلة » الواو واو ربّ ، وقائلة صفة مجرور ربَّ المحذوف ، أى ربّ امرأة قائلة . وأسيتَ بالخطاب جواب ربّ . والأَسى : الحزن . يقال أسِيَ يأسَى أسىً كرضىَ يرضى رضاً ، إذا حَزن . وأسِيٌّ : حزين وزنًا ومعنى ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أنا أسِيٌّ ، وخبر إنّنى محذوفٌ مدلولٌ عليه بما قبله ، ومن متعلِّقة بالمحذوف تعليلية . أى إنّنى أسىٌّ من أجل ما لَقِىَ بنو أسدٍ بسبب التزوُّج بالغريبات من المصائب . فاسم الاشارة راجعٌ إلى ما لَقِىَ بنو أسد بسببهنّ . وإنَّهْ بمعنى نَعَمْ ، والهاء للسَّكت . وقال ابن المُلّا : الإشارة للحزن ، أىْ إنّنى مخلوقٌ من الحزن ، قصداً للمبالغة . وإنَّ الثانية تأكيدٌ للأولى . هذا كلامه .

وقوله : « أصابَهم الحِما » ، بكسر الحاء أصله الحِمام ، وهو الموت ، حذف منه الميم للضَّرورة ، وهى ما وقع فى الشعر وإن كان عنه مندوحة . وهذا هو الصحيح فى تفسير الضَّرورة ، فلا يَرِدُ قول ابن المُلّا : ولك أن تقول : أين الضرورةُ وهو متمكنٌ من أن يقول :

---

(١) ط : « بنوا أسد » صوابه فى ش والصاحبى ١٢٠ عند الكلام على جير .

* أصابهم الحمامُ فهمْ عَوافٍ *

بسكون الميم من غير وصل على الأصل . وعواف : جمع عاف شذوذًا ، أو جمع عافية بمعنى جماعة عافية ، من عفا القوم بمعنى كثُروا . وفى التنزيل : ﴿ حتّى عَفَوا [١] ﴾ . قال صاحب المصباح : أى كثُروا . وعَفَا النَّبتُ والشَّعر وغيره يعفُو فهو عافٍ : كثُر وطال . وفى حديث مُصعبِ بن عُميرٍ : « إنَّه غلامٌ عافٍ » أى وافِى اللَّحمِ [٢] كثيرهُ . وجملة « وهمُ عوافٍ » حاليَّة . ولم يتنبه ابنُ الملا لهذا المعنى ، وظَنّ أنه من عفا المنزل بمعنى دَرَس ، ففسَّره بالرم البالية ، وشطب الواو بقلمه ، ونزَّل فاء [٣] على هُم ، وجعلها فهمُ عواف . وهذا غير جائزٍ فى تفسير الرواية على حَسَب المراد . وضمير جمع المذكّر فى جميع المواضع لبنى أسد ، والنون فى كنّ ضمير النساء الغَربيات . وقوله : « تَعساً لهنَّ » دعاءٌ عليهن ، ومعناه أتعسَهنَّ الله . قال صاحب المصباح : التَّعْسُ : مصدر تَعَس تَعْسا ، من باب نفع : أكبَّ على وجهه ، فهو تاعس . وتَعِس تَعَساً من باب تَعِب لغةٌ ، فهو تَعِسٌ مثل تعبٍ . وتتعدَّى هذه بالحركة وبالهمزة ، فيقال تَعَسه الله بالفتح وأتعسه . وفى الدعاء . تَعْسًا له ، وتَعِسَ وانتكس [٤] . فالتَّعْس : أن يخِرّ لوجهه . والنّكس : أن لا يستقلّ بعد سَقطته حتّى يسقط ثانية ، وهى أشدُّ من الأولى . واللام فى لهنّ مبنية للمفعول ، مثل سقياً لزيد ، والهاء للسكت . وروى أيضا :

* وكنّ عليهمُ نحساً لُعِنّه *

---

(١) الآية ٩٥ من سورة الأعراف .

(٢) كذا فى النسختين وجاء فى اللسان ( عفا ٣٠٨ ) : « أى وافى اللحم » ، وهما بمعنى ، ففى اللسان ( وفى ٢٧٨ : « ووفى الشيء وفيا ، على فعول ، أى تم وكثر . والوفىّ : الوافى » .

(٣) ش : « وترك فاء » ووجهه فى ط .

(٤) هذا دعاء . وفى ش : « وتعس : انتكس » على أنه تفسير وليس كذلك . وانظر المصباح .

فنحساً خبر كُنّ ، وهو ضدّ السَّعد . ولُعِنَّ بالبناء للمجهول ، من اللَّعن ، والهاء للسكت ، والجملة دعاءٌ عليهنّ .

وقوله : « فجئت قبورهُم بَدْءاً » إلخ البَدْء بفتح الموحدة وسكون الدال بعدها همزة : السَّيِّدُ ، والشَّابُّ العاقل . ومجزوم لمّا محذوف . قال ابن هشام ( فى المغنى ) : الخامس ، أى من الأمور التى تفارق لَمّا فيها لم : أنّ منفىَّ لمّا جائزُ الحذْفِ لدليلٍ ، كقوله :

* فجئت قبورهُم بدءاً ولمّا *

أى ولمّا أكن بدءاً قبل ذلك ، أى سيّدا . ولا يجوز وصلتُ إلى بغداد ولم ؛ تريد : ولم أدخلها . انتهى .

وقوله : « وكيف تجيب أصداءٌ » إلخ هذا استبعادٌ لإجابة القبور له . وصحَّف ابن الملا هاتين الكلمتين فكتب بخطِّه : « وكنت » بدل « كيف » « وبحيث » بدل « تجيب » . وينبغى أن يُسأل منه ما هذه الحيثية ؟ والأصداء : جمع صدًى بالقصر ، وهو ذكر البُومِ يسكنُ القبور . وكذلك الهام ، وهو جمعُ هامةٍ ، وهو من طيْر اللَّيل .

٢٤١

وقوله : « وأبدانٍ بُدِرن » روى أيضا : « وأجسامٍ بُدِرن » بضم الباء وكسر الدال ، أى طُعِنَّ فى بوادرهم بالموت . والبادرة : النحر . وقوله : « وما نَخِرنَهْ » من نخِر العظم نخَرًا ، من باب تعب ، إذا بلىَ وتفتَّت . والنون : ضمير الأبدان أو الأجسامِ ، على اختلاف الرواية . والهاء للسكت .

* * *

وأنشد بعده :

( فأُقسِمُ لو شىءٌ أتانا رسولُه )

تقدَّم شرحه قريبا[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٢٣** ( وَرِثَ السِّيادَة كابراً عن كابرٍ )

على أنَّ تقديرهُ : كابراً متجازوا فى الفضل كابرا عن [ كابرٍ [٣] ] آخر . وقال بعضهم : أى بعد كابر .

والأوْلَى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن . وذكر « متجاوزاً » للإشارة إلى أنَّ عن متعلّقة بمحذوف ، لا بكابرٍ لما يأتى . وأشار بذكر « الفضل » إلى أنّ تجاوُزَ أحدِهما عن الآخر إنَّما هو بالفضل ، فأحدهما أفضلُ من الآخر ، وهم متشاركون فى الفضل . ولا يخفى أنَّه ليس المعنى على التَّفضيل ، وإنَّما المعنى تساويهم فى الفضائل ، وتناسُقُهم فيها واحِداً بعد واحد ، كقول البحترى :

شرف تتابع كابرا عن كابرٍ كالرُّمح أنبوباً على أنبوبِ [٤]

ويدلُّ لما قلنا مجيءُ بعد بدل [٥] عن . أنشد أبو حنيفة ( فى كتاب النبات ) لرجلٍ من أبناء ملوك اليمن :

وأُمّاتُنا أكرِمْ بهنَّ عجائزاً وَرِثْنَ العُلا عن كابر بعد كابرِ

---

(١) هو الشاهد ٨١٧ من هذا الجزء من الخزانة .

(٢) ديوان كعب بن زهير ٣٢ والسيرة ٨٩٣ . وقد أورده الرضى فى شرحه مسبوقا بلفظ : « وكذا قولهم » وظاهره أنه لم يعده شاهدا الشعر ، بل عدّه قولا منثورا .

(٣) التكملة من ش وشرح الرضى ٢ : ٣١٨ .

(٤) ديوان البحترى ١ : ٥٧ .

(٥) كلمة « بدل » ساقطة من ش . وقد كتب الشنقيطى بقلمه فى الهامش كلمة « مكان » تكملة للعبارة » .

وأنشد أبو تمام ( فى الحماسة ) :

بقّيةُ قِدْرٍ من قُدورٍ تُوُورِثَتْ لآل الجُلاح كابراً بعد كابرِ [١]

وكذا قول حسان بن ثابت :

ورثتُ الفَعالَ ، وبذْلَ التِّلا دِ ، والمجدَ عن كابرٍ كابرِ [٢]

والمعنى عن كابر بعد كابر ، كقولهم : تعلمت الحساب باباً بابا ، ومعناه : باباً بعد باب .

وإلى ما قلنا ذهب ابن جنى ( فى إعراب الحماسة ) قال عند بيت الحماسة : هذا البيتُ يستفاد منه أنّ ( عن ) فى قول الأعشى :

سادَ وألفَى قومَـه سادةً وكابراً سادُوك عن كابرِ [٣]

ليست متعلّقة بنفس كابر على حدّ قولك : كبرت عنه ، أى ارتفعت عنه ، وإنّما هى بمعنى كابر بعد كابر [٤] . ألاَ تراه قد ظهر فى بيت النابغة كابراً بعد كابر . فعَنْ فى قول الأعشى كعن فى قوله تعالى : ﴿ لتركَبُنَّ طبَقاً عَنْ طَبقٍ [٥] ﴾ أى بعد طبق . وهو كقول الكافّة فى مخاطباتهم : فعلت ذلك عودًا عن بدء ، أى بعد بدء . ولو كانت عَن متعلّقة بنفس كابر لكان فى ذلك تشنُّع على القوم لا تمدُّح لهم ، وذلك إذا كبُر بعضَهم عن بعض ، فكان ذلك غضًّا من

---

(١) للنابغة الذبيانى فى الحماسة ١٠٧١ وديوانه ١٧٣ نسخة شكرى فيصل .

(٢) ديوان حسان ١٩٦ .

(٣) ديوان الأعشى ١٠٥ .

(٤) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٣٠ : « كابرا بعد كابر » .

(٥) الآية ١٩ من سورة الانشقاق .

٢٤٢ المَفْضول[١] . وإنّما ينبغى أن يقال : إنّهم متتابِعُو الشّرف ، متشابِهُو الفَضْل . وهذا كقول الآخر [٢] :

مَن تلقَ منهم تقل لاقيتُ سيِّدهم   مثل النُّجوم التى يَسرِى بها السارِى

انتهى كلامه .

ولا فرق بين أن تعلّقَ عن بكابر أو بمتجاوز ، باقية على أصلها ، فإنَّه يلزم التفضيل فى كلّ منهما .

و ( كابر ) اختلف فى معناه على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّه بمعنى كبير ، قاله صاحب الصحاح وابن الشجرى وغيرهما ، وهو المشهور .

ثانيهما : أنّه اسم جمع . قال ابن جنى ، ومثله للمرزوقى : قال أبو على : كابر هنا ليس باسم الفاعل كقائم وقاعد ، لكنّه من أسماء الجمع ، بمنزلة الجامل والباقر والسامر ، فكأنه قال : وكبراءُ سادُوكِ بعد كبراء . فعن متعلِّقة بمحذوفٍ هو فى الأصل صفة لكبراء ، مثلُهما فى قوله :

* لآل الجلاح كابراً بعد كابر *

أى لآلِ الجُلاح متتابعين فى الفَضْل ، متشابهين فى السُّودد . انتهى .

ثالثهَا : أنّه للمغالبة . قال الزمخشرى ( فى الأساس ) : إنّه مِنْ كابرته فكبرَته ، أى غلبتُه فى الكِبَر ، فأنا كابر . انتهى .

---

(١) ش : « غض من المفضول » وكذلك فى إعراب الحماسة . وفى ط : « فكان ذلك غضا من الفضول » ، وأثبت الصواب من مقابلة النصين .

(٢) هو العرندس الكلابى . الحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٥ والتبريزى ٤ : ١٢٨ .

وكابر منصوب بنزع الخافض،والتقدير : من كابر ، لأنّ ورث يتعدَّى إلى مفعول واحد ، وهو الموروث منه ، وتأتى بالموروثِ بعده بدلَ اشتمال ، تقول : ورثت أبى مالَه ، ومالاً منه . فإنْ عدَّيته إلى الموروث جئت بالموروث منه مجروراً بمن أو عن ، تقول : ورثت المال من أبى ، ومالاً عن أبى (١) . قال صاحب الصحاح : ورثت أبى ، وورثت الشيء من أبى .

ومثال عَنْ ما أنشده أبو حنيفة :

* ورِثْنَ العُلا عن كابر بعد كابرِ *

وقولُ حسّان المتقدّم .

وكذلك مِن محذوفة مِنِ قوله :

* لآل الجُلاح كابراً بعد كابرِ *

وكذا تقدَّر مِنْ فى قوله :

* شرفٌ تتابع كابراً عن كابرِ *

وتتابعَ غيرُ متعدّ ، والمعنى على مِنْ . وكذا الحال فى بيت الأعشى .

وبما قرَّرنا يضمحلُّ ما تكلفه جماعة من أنّه منصوب على الحال ، ثم اختلفوا فمنهم من قال : كابرا عن كابر جملةٌ حاليّة نُصِب صدُرها ، كما فى قولهم : كلمته فاه إلى فىَّ ، وأورَدَ قولَ الشاعر :

فتذاكروها آخراً عن أوّلٍ وتَوارَثُوها كابراً عن كابرِ

ومنهم من قال : كابراً مفردٌ وقع حالا ، أى ورثوه كابرين أو صاغرين ، وأفرد لكونه بمعنى جمعاً كابرا .

(١) فى النسختين : « من أبى » ، وإنما المراد التمثيل لكل من منْ وعَنْ .

قال السيّد ( فى حاشية الكشّاف ) : وفيه أنَّ هذه العبارة كما لا تختلف جمعاً وإفراداً لا تختلف تأنيثاً وتثنية . انتهى .

ولا يخفى إنّ الحالية لا تتمشّى فى كلّ موضع ، وليس فى هذه الأبيات ما هو حالٌ . ومنشأ هذا التكلُّف ظَنُّ أنّ كابراً الأوّل هو الوارث والثانى هو الموروث منه . وليس كذلك ، وإنّما الأول هو الموروث منه .

صاحب الشاهد

وهذا المصراعُ من شعر كعب بن زهير ، إلا أنّه بضمير جمع . والشارح المحقق أورده لا على أنّه شعر ، ولذا قال : « وكذا قولهم » .

وقد ورد فى شعر الفرزدق ما مَثَّل به ، إلاّ أنَّ فيه ( المكارم ) بدل ( السيادة ) ، وهو :

كم من أبٍ لى يا جريرُ كأنّه قَمرُ المَجرَّة أو سراجُ نهارِ[1]
ورث المكارمَ كابراً عن كابرٍ ضَخمِ الدَّسيعة كلَّ يومِ فِخارِ[2]

٢٤٣

وأمّا شِعر كعب بن زُهير فهو من قصيدة مدح بها الأنصارَ رضى الله عنهم ، وهى ثلاثون بيتاً ، مدحهم فى ثمانيةَ عشرَ بيتاً منها .

وسببها : أنّ كعباً لمّا مدح النبىَّ ﷺ بقصيدةٍ ( بانَتْ سعاد ) أطرى فيها بمدح المهاجرين رضى الله عنهم ، وعرَّض فى آخرها بذكر الأنصار بأنَّهم سُودٌ صِغارُ القامات ، لا يثبُتون فى الحروب ، فغضب الأنصارُ فمَدَحَهم بها .

قال ابن هشام ( فى السيرة ) : ويقال إنَّ النبى ﷺ قال له بعد إنشاد القصيدة : « لولا ذكرت الأنصارَ بخيرٍ ، فإنَّ الأنصار لذلك أهل[3] » .

---

(١) ط : « وكم من أب » بزيادة الواو ، على الخزم ، والوجه ما أثبت من ش وديوان جرير ٤٥٠ .
(٢) فى الديوان : « يوم كل فخار » ، والوجه ما أثبت من النسختين .
(٣) السيرة ٨٩٣ .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من أوّلها على رواية شارح ديوانه :

مَن سَرّه كرَمُ الحياة فلا يَزَلْ ... فى مِقنبٍ من صالحِى الأنصارِ
ورثُوا السِّيادةَ كابراً عن كابر ... إنَّ الخيارَ هُمُ بنو الأخيار[١]
المُكرِهين السَّمهرىَّ بأذرُعٍ ... كسوافلِ الهندىِّ غير قِصارِ[٢]
والنَّاظِرِينَ بأعيُنٍ مُحمَّرةٍ ... كالجمر غيرِ كليلة الإبصارِ
والذائدين الناسَ عن أديانهم ... بالمشرفىِّ وبالقنا الخَطَّارِ[٣]
والباذلين نفوسَهم لنبِّيهمْ ... يوم الهِياج وقُبّةِ الجبّارِ[٤]
يتطهَّرون كأنَّه نسكٌ لهمْ ... بدماءِ مَن عَلِقوا من الكفّارِ[٥]

والمِقنب بكسر الميم : ما بين الثلاثين إلى الأربعين . قال شارح ديوانه : السِّيادة : مصدر ساد يسود سَوْدًا [٦] وسيادة . والمشهور فى مصدره السِّيادة . والسُّودُ [٧] مصدر غريب . وأما السُّودَد بدالين فقد قال صاحب المصباح : ساد يسود سِيادةً ، والاسم السُّودَد ، وهو المجد والشرف .

وقال أيضا : ورثوا المجد كابراً عن كابر ، أى كبيرا شريفا عن كبير شريف . وقال المرزوقى ( فى شرح الحماسة ) : لم يوجد كابر بمعنى كبير إلاّ فى

---

(١) وكذا فى السيرة . وفى الديوان ٣٢ : « إن الكرام هم بنو الأخيار » .

(٢) فى الديوان ٢٦ : « كصواقل الهندى » وفسرها بالسيوف ، وقال : « ويروى كسوافل الهندى . وسافلة القناة : أغلظها وأقصرها كعوبا » . وفى السيرة : « كسوالف الهندى » .

(٣) أى يذودون أعداء الدين أن يمسوا دينهم بسوء .

(٤) فى السيرة :

والبائعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكرار

(٥) فى السيرة : « يتطهرون يرونه نسكاً لهم » .

(٦) السود ، بالضم ، كما فى اللسان والقاموس ، وكذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط : « سودة » تحريف ، وبدله فى الشرح ٣٢ : « سوددا وسيادة » .

(٧) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط : « والسودة » ، تحريف .

هذا المكان . وقال : أبو على يقول (١) : كابر ليس باسم فاعل إنما هو صيغة للجمع (٢) كالباقر . والمراد كبراء بعد كبراء .

والسَّمهرىّ : الرمح ، قال شارح ديوانه : الهِياج : الحرب ، وأصله الحركة فى الشرّ . وقوله : « وقبة الجبَّار » أراد بيت الله الحرام . وقال أبو عمرو : الواو للقسَم .

والمشهور فى هذا المصراع :

البـاذلين نفوسَهُـمْ لنبيِّهـم ۝ يوم اللِّقـا بتعانُـقٍ وكِـرارِ

وهى رواية ابن هشام .

وترجمة كعب بن زهير تقدَّمت فى الشاهد الرابعَ عشر بعد السبعمائة (٣)

* * *

( وأنشد بعده ) :

( لاه ابنُ عمِّك لا أَفضَلْتَ فى حسبٍ ۝ عَنِّى ولا أنْتَ دَيَّانى فتَخزُونى )

على أنّ ( أفضلت ) ضمِّن معنى تجاوزت فى الفضل ، فلهذا تعدَّى بعن ، ولولا التضمين لقال أفضلت علىَّ ، من قولهم : أفضلت على الرجل ، إذا أوليته فضْلا . وأفضَلَ هذه تتعدّى بعلى ، لأنّها بمعنى الإنعام ، أو أنّه من قولهم : أعطى

---

(١) الذى فى شرح المرزوقى ٢ : ١٧ : « وكان أبو على رحمه الله يقول » . ثم إن المكان الذى يعنيه المرزوقى هو ما سبق من بيت النابغة :

بقية قدر من قدور تورّثت ۝ لآل الجلاح كابرا بعد كابر

(٢) النص فى المرزوقى : « ليس باسم الفاعل كالقاعد والقائم والجالس ، وإنما هو اسم صِيغَ للجمع » . وفى ش : « إنما هو صيغ للجمع » .

(٣) الخزانة ٩ : ١٥٣ .

وأفضل ، إذا زاد على الواجب . وأفضل هذه أيضاً تتعدّى بعلى ، يقال أفضل على كذا ، أى زاد عليه فضلةً .

٢٤٤ ومراده من ذكر التضمين أنّ عن ليست بمعنى على ، خِلافاً لابن السكيت ولابن قتيبة ومن تبعهما ، فإنّهم قالوا : عن نائبةٌ عن على .

والأوْلَى أن يكون أفضلُ من قولهم : أفضل الرجل ، إذا صار ذا فضل فى نفسه ، فيكون معناه : ليس لك فضلٌ تنفرد به عنىّ وتحوُزُه دونى . فيكون لتضمُّنه معنى الانفراد تعدَّى بعن . فتأمَّل .

و ( الدَّيَّان ) : القيِّم بالأمر المجازِى به . و ( تخزونى ) : تسوسنى سياسةً . يقول : لله ابن عمك الذى ساواك فى الحسَب ، وماثَلَك فى الشَّرف ، فليس لك فضلٌ تنفرد به عنه ، ولا أنت مالِكُ أمره فتتصرَّف به على حكمك . ومرادُه بابن العَمِّ نفسَه ، فلذلك رَدّ الإخبار بلفظ المتكِّلم . وقد تقدَّم شرحُه بمالا مزيد عليه فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الخمسمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٢٤** ( تَصُدُّ وتُبْدِى عن أسيلٍ )

تمامه :

( ..................... وتتقى بناظرةٍ من وحِش وَجرةَ مُطفِلِ )

على أنّ تبدى ضُمِّن معنى تَكشِف ، فى تعديته إلى المفعول الثانى بعن ، وأما المفعول الأوَّل فهو محذوف كما أشار إليه الشارح المحقق .

(١) الخزانة ٧ : ١٧٣ – ١٩١ .

(٢) أدب الكاتب ٣٩٩ والاقتضاب ٤٣٥ والأزهية ٢٨٩ ورصف المبانى ٣٦٩ .

وإنما احتاجَ إلى التضمين لأنّ تُبدِى فعلٌ متعدّ بنفسه إلى مفعولٍ واحد ، تقول أبداهُ إبداءً ، أى أظهره إظهارا . فلولا التضمين لكانت ( عن ) إمَّا زائدةً بالنسبة إلى تُبدِي ، وإمّا بمعنى الباء بالنسبة إلى تصدُّ ، فإنّه يقال صدَّ عنه بكذا ، وكلاهما خلافُ الأصل . وتَكشِف أيضاً متعدٍ بنفسه إلى مفعول واحد ، تقول : كشفتُه أى أظهرته وأوضحته . وحقيقة الكَشْف رفع السَّاتر والحِجاب . ويتعدَّى إلى المفعول الثانى بعن .

وهذا البيتُ من باب التنازع . وأعمل ابن قُتيبة الأوّلَ على مذهبه فعلّق عن أسيل بتصدُّ ، وجَعل عن نائبةً عن الباء ، لأنَّ صدَّ إنما يتعدَّى بالباء ، تقول : صدَّ بوجهه عنّى . ويردُ عليه أنّه يلزمه أن يقال تصدُّ وتُبدى عنه عن أسيل ، لأنّه إذا أعمل الأوّلَ فى المفعول أضمر للثانى ، على المختار باتّفاقٍ من البصريِّين والكوفيين . فحذْفُ معمول الثانى خلاف المختار . فعلى قوله فيه إنابة حرفٍ مكانَ حرفٍ وحذفٌ على غير المختار .

والشارح المحقِّق لمَّا رأى ورود هذين الأمرين عدل إلى إعمال الثانى على مذهب البصريِّين بتضمينه معنى ما ذكر ، ففيه مخالفةٌ للأصل من وجهٍ واحد ، وهو أسهل من مخالفته من وجهين . والجيِّد أن يكون أبدَى هنا لازماً يتعدَّى بعن ، كما قال ابن السِّيد ( فى شرح أبيات أدب الكاتب ) إنّ أبدى يُعدَّى بعن ، قال : لأنّك تقول : أبديت عن الشيء ، كما قال سُحيم يصف ثورًا يحفِر فى أصل شجرةٍ كِناساً له :

يُثير ويُبدِى عن عروقٍ كأنَّها . أعنَّة خرَّازٍ جديداً وباليا [1]

وحينئذ لا تضمين ، فيكون عن على بابه . ويؤيِّده ما فى أفعال ابن القطَّاع ، قال : بدا الشيء بدوًّا ، وأبدى : ظهر . انتهى .

---

(١) فى ط : « حديدا وباليا » ، صوابه فى ش وديوان سحيم ٢٩ .

فيكون أبدى جاء متعدِّياً ولازما .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس ، وبعده :

٢٤٥

أبيات الشاهد

( وجيدٍ كجيد الرِّيم ليس بفاحشٍ إذا هى نَضَتْهُ ولا بمعطَّلِ[1]
وفرعٍ يزين المتنَ أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقِنْو النَّخلة المتعثكِلِ
غدائره مستشزِراتٌ إلى العلاُ يضلُّ العقاصُ فى مثنًّى ومُرسَلِ
وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مخصَّرٍ وساقٍ كأنبوب السقى المذلَّلِ )

قوله : ( تصدُّ وتبدِى ) إلخ الصَّدّ : الإعراض . والأسيل : الخد المتطامن المستوِى . والأَسَالةُ : امتدادٌ وطول فى الخدّ . وقد أسَل أسالةً فهو أسيل . وروى أيضاً : « عن شتيت » . قال شُراح المعلَّقات : الشَّتيت : المتفرّق ، وتقديره عن ثغر شتيت . ولم يفصحوا عن المراد ، والمعنى عن ثغر مفلَّج ، وهو أن تكون الأسنان متباعدةً غيرَ متلاصقة . يريد : تظهر أسنانُها بالتبسُّم بعد أن تُعرِض عنَّا استحياءً . والاتِّقاء : الحجز بين الشيئين ، يقال اتّقيته بتُرسٍ ، أى صيَّرت التُّرس حاجزًا بينى وبينه . قال ابن السِّيد : والناظرة فيها قولان : قيل أراد العين ، وقيل أراد بقرة ناظرة ، وفيه مضاف محذوف ، أى بعين بقرة ناظرة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامَه ثم حذفه وأقام صفته مقامه . ويجوز أن يريد : وتتقى من نفسها ببقرة ناظرة ، فيكون كقولك : لقيت بزيدٍ الأسد ، أى لقيته فكأنّى لقيت الأسد ، ففى هذا الوَجه حذف موصوف لا غير ، وفى الأوَّل حذف موصوف ومضاف .

و ( الوحش ) واحده وحشىٌّ ، مثل زَنج وزَنجىّ . و ( وَجْرَة ) بفتح الواو وسكون الجيم ، قال أبو عبيد ( فى معجم ما استعجم ) : قال الأصمعىّ : هو

(١) كذا وردت فى النسختين : « نضته » بالضاد المعجمة ، وهى إحدى روايتين كما سيأتى فى الشرح .

موضع بين مكَّةَ والبصرةِ على ثلاث مراحلَ من مكّة ، طولها أربعون ميلا ليس فيها منزل ، فهى مأوَى الوحوش . وقال الطُّوسى : وَجْرة فى طرف السِّىِّ ، وهى فلاةٌ بين مَرّانَ وذاتِ عِرْق ، وهى ثلاثونَ ميلاً يجتمع فيها الوحش ، لا ماء فيها . وقال عُمارة بن عَقيل : السِّىّ : ما بين ذات عِرق إلى وَجْرة ، على ثلاث مراحل من مكّة إلى البصرة . وزعَم عُمارة أنَّ وجرة ماءٌ لبنى سُليم على ثلاث مراحلَ من مكة . وقال ابن حبيب ، وجرة من سائر ، وسائر قريبٌ من عين مَلَل . وقال غيره : وجرة بإزاء غَمرة ، عليها طريق حُجّاج الكوفة والبصرة . انتهى باختصار .

وقال ابن السِّيد : وجرة:فلاة تألفُها الوحوش ، وخصَّها بالذكر لأنّها قليلةُ الماء ، فوحْشُها يجتزئ بالنبات الأخضر عن شُرب الماء ، فتَضمُر بطونُها ويشتدُّ عدْوها .

و ( مُطفِل ) : ذات طِفل ، وخصَّ المطفل لأنّها تحنُو على ولدها وتَخشى عليه القُنّاصَ والسِّباع ، فتُكْثِرُ التلفُّت والتشوُّف ؛ فذلك أحسَنُ لها فى المنظر ، وأصحُّ فى تشبيه المرأة بها ، لأنّه أراد أنَّها حَذِرةٌ من الرُّقباء ، فهى متشوِّفة كتشوُّف هذه البقرة . ومَن جعل الناظرة البقرةَ كان مطفل صفةً لها . ومن جعل الناظرة العينَ جعل مطفلا بدلا من ناظرة على تقدير مضاف ، أى وتتَّقى بناظرةِ ناظرةِ مُطفِلٍ . وهو بدلُ كلٍّ من كلّ . وذهب ابن كيسان إلى أنّه أراد بناظرةِ مطفلٍ بالإضافة ، فلما فصل بين المضاف والمضاف إليه ردَّ التنوين الذى كان سقط للإضافة كقوله :

رَحِـمَ الله أعظمـاً دفَنوهـا بسَجِسْتانَ طلحةِ الطَّلَحاتِ [(١)]

٢٤٦ وهذا القول خطأ لا يُلتفَت إليه ، لأنَّ العرب إذا فَصَلت بينهما لم تنوِّن .

---

(١) لابن قيس الرقيات ، وهو الشاهد ٥٨٠ فى الخزانة ٨ : ١٠ .

وقوله : ( من وحشٍ وجرة ) صفة لناظرة . فإن كانت بمعنى البقرة ففيه حذف موصوف ، أى ببقرة ناظرة كائنة من وحش وجرة . وإن كانت بمعنى العين ففيه مضاف محذوف ، أى من نواظرِ وحشٍ وجرة . ومُطفل جاء على النسب . وقال الفراء : لم يقل مُطفِلةً لأنَّ هذا لا يكون إلاّ للنساء ، فهو مثل حائض . والدليل على صحَّة قول سيبويه أنّه يقال مُطفلة إذا أردْتَ أنْ تأتىَ به على أطفلتْ فهى مطفلة . ولو كان ما يقع للمؤنث لا يشركه فيه المذكّر لا يُحتاج فيه إلى الهاء ما جاز مطفلة . قال تعالى : ﴿ تذهَلُ كلُّ مرضعةٍ عمّا أرضَعَتْ [1] ﴾ . وقال الإمام الباقِلاَّنى ( فى إعجاز القرآن ) عند معايب هذه المعلَّقة : قوله تصدُّ وتبدى عن أسيلٍ ، إنَّما يريد خدًّا ليسَ بكزّ . وهذا متفاوت لأنّ الكشف عن الوجه مع الوصل ، دونَ الصَّدّ . وقوله : « تتقى بناظرة » لفظة مليحة ، يقال اتَّقاه بحقِّه [2]. أى جعله بينه وبينه . وقد أوحشَها بقوله « من وحش وجرة [3] » وكان سبيله أن يضيف إلى عيون الظباء والمها ، دون إطلاق الوحشِ ، ففيه ما يُستنكَر عيونه [4] . انتهى .

وحاصل المعنى أنّها تعرض عنّا فتُظهر فى إعراضها خدًّا أسيلا ، وتستقبلنا بعينٍ مثل عيون ظباء وَجْرة أو مَهاها ، التى لها أطفَال . وخصَّهنَّ لنظرهنَّ إلى أولادِهنَّ بالعطْفِ والشفقة . وهنَّ أحسن عيوناً فى تلك الحال منهنَّ فى سائر الأحوال .

وقوله : « وجيد كجيد الرِّيم » معطوف على أسيل . والجِيد : العُنق . والرِّيم : الظَّبى الأبيض . ونَصَّتْهُ : رفعتْه ونصَبته . وقال العسكرىّ ( فى

(١) الآية ٢ من سورة الحج .
(٢) فى ط : « نجفه » ، صوابه فى ش وإعجاز القرآن ٢٧١ .
(٣) عبارة : « وقد أوحشها » الخ لم ترد فى النسخة المطبوعة من الإعجاز .
(٤) فى الإعجاز : « ففيهن ما تستنكر عيونها » .

التَّصحيف ) : رواه الأصمعيُّ : نصَّته ، بالصاد المهملة مشدَّدة ، أى رفعته ، وبه سمِّى المِنصَّة (١) . ورواية غيره : « نضَتْه » بالضاد المعجمة مخفَّفة ، ومعناه أبرزتْه وكشفَتْه . وفى بيته الآخَر :

فجئتُ وقد نَضَتْ لنوْمٍ ثيابَها لدى السِّترِ إلاَّ لبسةَ المتفضِّلِ

نَضَت : خلعَتْ ونزعَتْ . ونضا سيفَه ، إذا سلَّه من غِمده . ونضا خِضابُه ينضُو . انتهى .

وقوله : « ولا بمعطَّل » أى من الحَلْى . يقال جيدٌ عطُلٌ بضمتين ومُعطَّل ، أى خالٍ من الحلى . وإذا ظرفٌ لفاحش ، أى ليس بكريه المنظر . قال الباقلاّنى : ليس بفاحشٍ ، فى مدح الأعناقِ ، كلامٌ فاحش موضوع (٢) ، وإذا نظرتَ فى أشعار العرب رأيتَ فى وصف الأعناق ما يُشبِه السِّحر .

يقول : وتبدى عن عنق كعنق الظَّبى غير متجاوزٍ قدرَه المحمود إذا رفعَتْ عنقَها وهو غير معطَّل عن الحلى . فشبَّه عنقَها بعنق الظبيةِ فى حال رفعها عنقَها ، وذكر أنَّه لا يشبه عنقَ الظبية فى التعطُّل عن الحلى .

وقوله : « وفرعٍ يزين المتن » إلخ هذا معطوفٌ أيضا على أسيلٍ . والفرع : الشَّعر التام . والمتن والمَتْنةُ : ما عن يمين الصُّلب وشِماله من العَصَبِ واللَّحم . والفاحم : الشَّديد السواد ، كأنّه لون الفحم . والأثيث : الكثير النَّبت . والقِنْو ، بكسر القاف وضمها ، وهو العِذْق بالكسر . والمتعثكل : الذى قد دخَل بعضُه فى بعضٍ لكثرته ، من العِثكال والعُثكول ، وهو الشِّمْراخ . وقيل المتعثكل : المتدلِّى .

يقول : وتبدى عن شعر طويل تامّ يَزين ظهرَها إذا أرسلته عليه .

---

(١) فى التصحيف ٢٢١ : « وبه سميت المنصَّة » .

(٢) فى الإعجاز : « موضوع منه » .

وقوله : « غدائره مستشزَراتٌ إلى العُلا » الغدائر : الذوائب ، جمع غديرة . والضمير راجعٌ للفرع . قال الزّوزنى : الاستشزار : الرفع والارتفاع ، فيكون الفعل منه تارةً لازما ، وتارة متعدِّيا . فمن رَوى بكسر الزاى جعله من اللازم ، ومن روَى بفتحها جعلَه من المتعدِّى . وجملة غدائرهُ مستشزرات صفةٌ أخرى لفرعٍ . قال التبريزى : وأصل الشَّزْر الفتلُ على غير جهةٍ . وقوله : « إلى العُلا » ، يريد به شدَّها على الرأس بخيوطٍ . والعِقاص : جمع عقيصة ، وهو ما جمع من الشعر ففُتِل تحتَ الذوائب ، وهى مِشْطةٌ معروفة ، يرسلون فيها بعضَ الشَّعر ويَثنون بعضَه . فالذى فُتِل بعضُه على بعض هو المثنَّى . والمرسَل : المسَرَّح غير مفتول ، فذلك قوله فى مثنًّى ومُرَسل . ويروى : « يضل العِقاص » بالياء التحتية على أنَّ العقاص واحد . قال ابن كَيسان :-هو المِدرَى ، فكأنّه يستتر فى الشَّعر لكثرته . ويروى : « تضلُّ المدارى » أى من كثافة شَعرها . والمدرى مثل الشَّوكة يُصلَح بها شعرُ المرأة .

٢٤٧

وهذا البيت استشهد به صاحب ( تلخيص المعانى ) على أنّ فى مستشزرات تنافراً لثقَلِها على اللسانِ وعُسْرِ النُّطق بها .

وقوله : « وكشحٍ لطيفٍ » الخ هذا أيضا معطوفٌ على أسيل . والكَشْح : الخَصْر ، وأراد باللَّطيف الصغيرَ الحسَنَ . والعربُ إذا وصفت الشئ بالحُسْن جعلته لطيفا . والجديل : زِمامٌ يتَّخذ من السُّيور فيجئ حسَناً ليِّنا يتثنَّى ، وهو مشتقٌّ من الجدْل ، وهو شدةُ الخَلْق . والمخصَّر : الدقيق . و « ساقٍ » أيضاً معطوف على أسيل . والأنبوب : البَرديّ . والسَّقِيّ : النخل المسقىّ . والمذلَّل فيه أقوال : أحدها أنَّه قد سُقِى وذلِّل بالماء حتَّى يطاوِعَ كلَّ من مدَّ يده إليه . وقيل : هو الذى يفيِّئه أدنى الرِّياح لنعومته . وقيل الذى قد عُطف ثمُره ليُجتنَى . وقيل :

الماء الذى قد خاضَه الناس . شبَّه ساقَها ببرديٍّ قد نَبتَ تحت نخل [١] فالنَّخلُ يُظلُّه من الشمس ، وذلك أحسَنُ ما يكون منه .

قال الزوزنى : وتبدى عن كشحٍ ضامر يَحكِى فى دقّته زِماماً من الأَدَم ، وعن ساقٍ يحكى صفاءَ لونِ أنابيب برديٍّ بينَ نخلٍ قد ذُلّلت بكثرة الحمل . شبَّه ضُمْر بطنها بالزِّمام ، وشبَّه صفاءَ لون ساقها ببرديٍّ بين نخيل يظلُّه أغصانها ، ليكون أصفى لوناً ، وأنقى رونقا . ومنهم من يجعل السقىّ نعتاً للبردىّ أيضا ، والمعنى كأنبوب البردىّ المسقىّ المذلَّل بالإرواء .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب [٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسُ والعشرون بعد الثمانمائة [٣] :

**٨٢٥** ( إذا رضِيَتْ علىَّ بنو قُشيرٍ )

على أنَّه إنّما تعدَّى رضِىَ بعلى ، مع أنّه يتعدى بعَن ، لحملِه على ضدّه وهو سَخِط ، فإنَّه يقال سخط عليه . وهم قد يحملون الضِّدَّ على الضدِّ ، كما يحملون النَّظير على النظير .

---

(١) ط : « نخلة » ، وأثبت ما ورد فى ش مع أثر تصحيح ، وهوالوارد أيضا فى شرح القصائد العشر للتبريزى ٤٥ ، وهو مظنة نقل البغدادى .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢٩ .

(٣) نوادر أبى زيد ١٧٦ والمقتضب ٢ : ٣٢٠ والخصائص ٢ : ٣١١ ، ٣٨٩ ، والمحتسب ١ : ٥٢ ، ٣٤٨ والأزهية ٢٨٧ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٩ والإنصاف ٦٣٠ وابن يعيش ١ : ١٢٠ وضرائر ابن عصفور ٢٣٣ والمغنى ١٤٣ ، ٦٧٧ والعينى ٣ : ٢٨٢ والتصريح ٢ : ١٤ والهمع ٢ : ٢٨ والأشباه والنظائر ٣ : ٢١٩ والأشمونى ٢ : ٢٢٠ واللسان ( رضى ٣٩ ) .

وهذا التوجيه للكسائى . قال ابن جنّى ( فى الخصائص ) : وممَّا جاء من الحروف فى موضع غيرِه على نحوٍ مما ذكرنا قولُه :

إذا رضيت علىَّ بنو قُشيرٍ  لَعمْرُ اللهِ أعجبَنى رِضاها

أراد : عنِّى . ووجه ذلك ، أنّها إذا رضيت عنه أحبَّتهُ وأقبلَتْ عليه ، ولذلك استعمل ( على ) بمعنى ( عن ) . وكان أبو علىٍّ يستحسن قولَ الكسائى فى هذا ، لأنَّه لمَّا كانَ رضِيت ضدَّ سَخِطت عدَّى رضيت بعلى ، حملا للشىء على نقيضه ، كما يُحمَل على نظيره . وقد سلك سيبويه هذه الطريق [1] فى المصادر كثيراً فقال : قالوا كذا كما قالوا كذا ، وأحدُهما ضدُّ الآخَر . ونحو منه قولُ الآخر [2] :

٢٤٨

إذا ما امرؤٌ ولَّى علىَّ بودِّه  وأدبَر لم يصدُرْ بإدباره وُدِّى

أى عنِّى ، ووجهُه أنّه إذا ولَّى عنه بودِّه فقد ضنَّ عليه به وبخل ، فأجرَى التولِّىَ بالودّ مجرى الضِّنانة والبخل ، أو مجرى السُّخط ، لأنَّ تولِّيَه عنه بودِّه لا يكون إلاّ عن سخطٍ عليه . وأمَّا قولُ الآخَر [3] :

شَدُّوا المطىَّ على دليلٍ دائبٍ  من أهل كاظمةٍ بسِيف الأبحُرِ

فقالوا : معناه : بدليل . وهو عندى أنا على حذف المضاف ، أى شدُّوا المطىَّ على دلالةِ دليل ، فحذف المضاف ، وقَوِىَ حذفُه هنا شيئاً لأنَّ لفظ الدليل يدلُّ على الدَّلالة ، وهو كقولك : سِرْ على اسم الله . و ( على ) هذه عندى حالٌ

(١) فى المصباح : « والطريق يذكر فى لغة نجد ، وبه جاء القرآن فى قوله تعالى : فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا . ويؤنث فى لغة الحجاز » . وفى بعض نسخ الخصائص : « هذا الطريق » .

(٢) هو دوسر بن غسان السليطى اليربوعى ، كما فى شرح الجواليقى لأدب الكاتب ٣٥٥ والاقتضاب ٤٣٣ .

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرع ، كما فى الاقتضاب ٤٤٩ . وانظر اللسان ( دلل ٢٦٤ ) .

من الضمير فى سِرْ وشَذُّوا ، وليست بواصلةٍ (١) لهذين الفعلين ، ولكنَّها معلَّقة بمحذوف ، حتّى كأنّه قال : سر معتمداً على اسم الله . ففى الظرف إذن ضميرٌ لتعلُّقه بالمحذوف . انتهى .

وقد نقل ابن الأنبارى أيضا ( فى مسائل الخلاف ) هذا التَّوجيه عن الكسائى . وكذا ابن هشامٍ نقلَه عنه ( فى المغنى (٢) ) وقال : ويحتمل أن يكون ضمَّن رضِىَ معنى عطف .

وقد عَدَّ هذا ابنُ عصفورٍ من الضرائر الشعرية فقال : ومنه إنابة حرفٍ مكانَ حرف . وأورد هذا البيت وغيرَه . ولم أره لغيره (٣) . كيفَ وقد ورد فى القرآن والحديث وغيرهما . وغاية ما قيل أنّه لا يطَّردُ فى كل موضع .

وقد أفرد له ابن جنى بابا ( فى الخصائص ) فلا بأس بإيراد شىء منه . قال فى باب استعمال الحروف بعضِها مكانَ بعض : هذا بابٌ يتلقَّاه الناس مغسولا (٤) وما أبعَدَ الصَّوابَ عنه (٥) ، وذلك أنَّهم يقولون : إنّ إلى تكون بمعنى مع ، ويحتجُّون بقوله تعالى : ﴿ مَنْ أنصارِى إلى الله (٦) ﴾ ويقولون : فى تكون بمعنى

---

(١) ط : « مواصلة » ، صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٣١٢ .

(٢) المغنى ١٤٣ .

(٣) الحق أن ابن عصفور قد ذكر خلافا للنحويين فى هذا وقال : « فأهل الكوفة يحملونها على ما يعطيه الظاهر من وضع الحرف موضع غيره . وأهل البصرة يبقون الحرف على معناه الذى عهد فيه ، إما بتأويل يقبله اللفظ ، أو بأن يجعلوا العامل مضمنا معنى ما يعمل فى ذلك الحرف إن أمكن ، ويرون أن التصرف فى الأفعال بالتضمين أولى من التصرف فى الحروف بجعل بعضها موضع بعض ، لأن الحروف بابها ألا يتصرَّف فيها » .

(٤) مغسولا ، أى كأنه غسل من الدقة والسلامة ، أو حقه أن يغسل ويطمس . انظر أساس البلاغة ( غسل ) .

(٥) فى الخصائص ٢ : ٣٠٦ : « مغسولا ساذجا من الصنعة ، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه » .

(٦) الآية ١٤ من سورة الصف .

على ، كقوله تعالى : ﴿ ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذوعِ النخلِ [١] ﴾ . وغير ذلك . ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، لكنَّا نقول : إنه يكون بمعناه فى موضعٍ دون موضع ، على حَسَبِ الحال الداعية إليه . فأمَّا فى كلِّ موضع فلا . ألا ترى أنَّك إذا أخذتَ بظاهر هذا القول [٢] لزمَك أن تقول عليه : سرت إلى زيد وأنت تريد معه ، وأن تقول : زيد فى الفرس وأنت تريد عليه ، وزيد فى عمرو وأنت تريد عليه فى العَداوة ، وأن تقول : رويت الحديث بِزيدٍ وأنت تريد عنه ، ونحو ذلك مما يَطُول [٣] ويتفاحش ، ولكنْ نضع فى ذلك رسما يعمل عَليه [٤] : اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعلٍ آخر وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر فإنَّ العرب قد تتَّسع فتُوقِع أحدَ الحرفين موقعَ صاحبه ، إيذاناً بأنَّ هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر ، فلذلك جئ معه بالحرف المعتاد مع ما هو فى معناه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ أحلَّ لكم ليلةَ الصِّيام الرَّفَثُ إلى نسائكم [٥] ﴾ . وأنت لا تقول : رفثت إلى المرأة ، وإنَّما تقول . رفثت بها أو معها ، لكنَّه لما كان الرَفثُ هنا فى معنى الإفضاء ، وكنتَ تعدِّى أفضيت بإلى جئت بإلى مع الرفث ، إيذانا بأنَّه بمعناه ، كما صحَّحوا عَوِر وحَوِل لمَّا كان فى معنى اعورَّ واحولّ ، وكما جاءوا بالمصدر فأجرَوْه على غير فعله لمَّا كان فى معناه ، نحو قوله :

٢٤٩

* وإنْ شئتم تعاوَدْنا عِوَادا [٦] *

---

(١) الآية ٧١ من سورة طه .

(٢) فى الخصائص : « بظاهر هذا القول غفلا هكذا ، لا مقيدا » .

(٣) هذا ما فى الخصائص . وفى النسختين : « يهون » وذكر فى هامش ش أنها كذلك بخط المؤلف ، والصواب « يطول » ، كما فى الخصائص .

(٤) ط :« فيه » ، وأثبت ما فى ش والخصائص .

(٥) الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٦) لشقيق بن جزء كما فى فرحة الأديب بحاشية شرح أبيات الكتاب للسيرافى ١ : ١٩٩ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٠٩ / ٣ : ٣١ والمحتسب ١ : ١٨٢ والاقتضاب ١٧٧ . وصدره :

* بما لم تشكروا المعروف عندى *

لمَّا كان التَّعاوُدُ أنْ يُعاوِدَ [١] بعضُهم بعضاً . وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَنْ أنصارِى إلى الله [٢] ﴾ أى مع الله . وأنت لا تقول : سرت إلى زيد ، أىْ معَه . لكنَّه إنّما جاء لمَّا كان معناه : مَن ينضاف فى نصرتى إلى الله ؟

إلى أنْ قال : ووجدتُ فى اللغة من هذا الفنِّ شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به ، ولعلَّه لو جُمع أكثرُهُ ، لجاء كتابا ضخما . وقد عرفتَ طريقَه ، فإذا مرَّ بك شيءٌ منه فتقبَّلْه وأْنَسْ به ، فإنّه فصلٌ من العربية لطيف حسن ، يدعو إلى الأنس بها والفَقاهة فيها . وفيه أيضاً موضعٌ يشهَدُ على من أنكر أن يكون فى اللغة لفظان بمعنىً واحد ، حتَّى تكلّف لِذلك [٣] أن يوجِد فرقاً بين قعد وجلس ، وذراعٍ وساعد . ألاَ ترى أنّه لما كان رفَثَ بالمرأة بمعنى أفضَى إليها جاز أن يُتبع الرفثَ الحرفَ الذى بابُه الإفضاء ، وهو إلى . وكذلك لمَّا كان : هل لك فى كذا ، بمعنى أدعُوك إليه ، جاز أن يقال : ﴿ هل لك إلى أن تزكَّى [٤] ﴾ كما يقال : أدعوك إلى أن تَزَكَّى . انتهى كلامه .

وقال ابن السِّيد البطليوسى ( فى شرح أدب الكاتب [٥] ) عند باب دخول بعض الصفات مكان بعض :

هذا البابُ أجازه أكثر الكوفيِّين ، ومنَعَ منه أكثر البَصريِّين . وفى القولين جميعاً نظر ؛ لأنّ من أجازَهُ دونَ شرطٍ لزمه أن يُجيز : سرت إلى زيد ، وهو يريد : مع زيد .

---

(١) ط : « أن يعاد » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٢) من الآية ٥٢ فى آل عمران و ١٤ فى الصف .

(٣) ط : « ذلك » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٤) الآية ١٨ من سورة النازعات .

(٥) انظر الاقتضاب ٢٣٩ — ٢٦٦ .

ثم مثَّل بنحو ما مثَّل به ابن جنى وقال :

وهذه المسائل لا يُجيزها من يجيز إبدالَ الحروف . ومَن منع من ذلك على الإطلاق لزمه أن يتعَسَّف فى التأويل لكثيرٍ ممَّا ورد فى هذا الباب ، لأنَّ فى هذا الباب أشياءَ كثيرةً يتعذَّر تأويلُها على غير وجه البدل ، ولا يمكن المُنكِرينَ لهذا أن يقولوا إنّ هذا من ضرورة الشعر ، لأنّ هذا النوع قد كثُر وشاع ، ولم يَخصَّ الشِّعرَ دون الكلام . فإذا لم يصحَّ إنكارُهم له ، وكانَ المجيزون له لا يجيزونه فى كلِّ موضع ، ثبت بهذا أنَّه موقوف على السّماع ، غير جائزٍ القياسُ عليه ، ووجب أن يُطلبَ له وجهٌ من التأويل يُزيل الشَّناعةَ عنه ، ويعرِّف كيف المأخذُ فيما يردُ منه . ولم أر فيه للبصريِّين تأويلاً أحسن من قولٍ ذكره ابن جنى ( فى كتاب الخصائص ) وأنا أورده فى هذا الموضع ، وأعضِدُه بما يشاكله من الاحتجاج .

ثم نقل كلامَ ابن جنىّ وزاد عليه أمثلةً وشرحَها ، وأطال الكلام فيها وأطاب .

وكان ينبغى لنا أن نذكر هذا الفصلَ عند أوّل شاهدٍ من حروف الجر ، لكنّنا ما تذكّرناه إلاّ هنا .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للقُحَيف العُقَيلّى ، يمدح بها حكيم بن المسيّب القُشيرىّ . وبعده :

أبيات الشاهد

( ولا تنبو سيوفُ بنى قشيرٍ ولا تمضى الأسنَّةُ فى صَفَاها )

واقتصر عليهما أبو زيد ( فى نوادره ) . ومنها :

( تنضَّيت القِلاصَ إلى حكيمٍ خوارجَ من تَبالة أو مِناها
فما رجعَتْ بخائبةٍ رِكابٌ حَكيم بن المسيَّب مُنتهاها )

وأوردهما ابن الأعرابى ( فى نوادره ) .

وقوله : ( إذا رضيَتْ ) إلخ إذا شرطية ، وجوابها أعجبنى رضاها ، واللام فى لعمر الله لام الابتداء ، وعمر الله مبتدأ وخبره محذوف أى قسمى ، وجواب القسم محذوف مدلولٌ عليه بجواب إذا ، كما تقدَّم فى الشرط ، من الضابط فى اجتماع الشرط والقسم .

٢٥٠

و ( قشَير ) بالتصغير ، هو قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . يقول : إذا رضيت عنّى بنو قشير سرَّنى رضاها . وضمير ( رضاها ) عائدٌ إلى بنو قشير [١] ، وأنّثه باعتبار القبيلة .

وقوله : « ولا تنبو سيوفُ » إلخ نبا السَّيف عن الضَّريبة ، إذا كَلَّ ولم يقطع . ولا تمضى : لا تنفُذ . والأسِنّة : جمع سِنان ، وهو حديدة الرُّمح التى يُطعن عليها . والصَّفا واحدُه صفاةٌ ، وهى الصخرة الملْساء الصَّمَّاء لا يؤثِّر فيها الحديد . يريد أنَّ سيوفهم تؤثِّر فى غيرِهم وأسنّةِ غيرهم .

وقوله : « تنضَّيت القِلاصَ » إلخ أى جعلتها أنْضاءً : جمع نِضوة بالكسر ، أى المهزولة من شدة الأسفار . يقال أنضيتُ البعير وتنضَّيته ، أى أهزلته . والقِلاص ، بالكسر : جمع قَلوص بالفتح ، وهى الناقة الشَّابَّة . وحكيم هو ابن المسيَّب . وخوارج : جمع خارجة . وتبالة ، بفتح المثنّاة الفوقيَّة بَعْدَها موحَّدة : بلدة صغيرة من اليمن . ومِنىً بكسر الميم ، قال البكرى ( فى معجم ما استعجم ) : ومنىً موضع آخرَ من بلاد بنى عامر ، ليس مِنى مكّة ، وهو محدَّد فى رسم ضَرِيَّة ، قرب المدينة المنوَّرة .

وقوله : « فما رجعَتْ بخائبةٍ » الخ أورده ابن هشام ( فى المغنى ) على أنّ الباء تزاد فى الحال المنفىِّ عاملُها . أى فما رجعت خائبة . وخرَّجه أبو حيّان على أنّ

---

(١) ش : « بنى قشير » .

التقدير : بحاجةٍ خائبة ، فالجارّ والمجرور هو الحال ، وركاب فاعل رجعَتْ ، وهى الإبل التى يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، ولا واحدَ لها من لفظها . والخَيبة : حِرمان المطلوب . يعنى أنّ الإبلَ التى انتهى سيرُها إلى هذا الممدوح لم ترجع خائبة ، بل رجعَتْ بنيل المطلوب . وحَكيم مبتدأ ، ومنتهاها خبره ، أى منتهى سيرها ، والجملة صفة ركاب . قال السيوطى ( فى شرح أبيات المغنى ) : والمسيَّب هذا بالفتح لا غير ، وكذا كلُّ مسيَّب إلاّ والد سعيد بن المسيّب فإن فيه وجهين : الفتح والكسر .

وهذا البيت لم يعزُه أحدٌ من شراح المغنى إلى أحد ، مع أنّ البيتَ الشاهد نسبه السُّيوطى إلى القُحيف ولم يقف على أنّ هذا البيت من تلك القصيدة .

القُحيف العُقيلىّ

والقُحيف العُقَيلىُّ شاعر إسلامىّ ، ذكَره الجمحى فى الطبقة العاشرة من شعراء الإسلام . وهو شاعر مقلٌّ ، شبَّب بخرقاءَ محبوبةِ ذى الرمة .

وهذا نسبُه : القحيف بن خُمير بن سُليم النّدَى بن عبد الله بن عَوف بن حَزن بن مُعاوية بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كذا فى الجمهرة والعباب للصاغانى .

والقحيف بضم القاف وفتح المهملة . وخُمير بضم المعجمة وفتح الميم . وسُلَيم بضم السين وفتح اللام . وأضيف إلى الندى لاشتهاره بالكرم . وقال الصّاغانى : رأيت بخط محمد بن حبيب فى أول ديوان شعر القُحيف « البَدِىّ » بالباء الموحدة وتشديد الياء .

وعُقَيْل بالتصغير هو أخو قشيرٍ ، المنسوب إليه حَكيم بن المسيَّب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الثمانمائة [١] :

٨٢٦ ( رَعته أشهُراً وخلاً علَيها )

تمامه :

( فطار النَّىُّ فيها واستغارا )

٢٥١ على أنّ ( على ) فيه ليست بمعنى اللام كما قاله الكوفيون وابن قتيبة ( فى أدب الكاتب ) ، لأنّه يقال خلاَ له الشيءُ بمعنى تفرَّغ له .

قال ابن السِّيد : كان الوجه أن يقال : وخلاَ لها ، ولكن قوله وخلا عليها يفيد ما يفيده قوله إنّه وقَفَ عليها . فخلا ضمِّن معنى وقف وحبس عليها .

وقول الشارح فى الجواب عنه : « أى على مذاقها ، كأنّه مَلك مذاقها ، وتسلَّط عليه » ، فإنه تحريفٌ منه لكلمة خلا المعجمة الخاء ، بحَلا المهملة ، بجعلهِ من الحلاوة ، فأجاب بتقدير مضاف بعد على ، وتضمين الفعل . وليست الرِّواية كما توهَّمه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للراعى مدح بها سَعِيد بن عبد الرحمن [٢] بن عَتّاب ابن أسِيد ، عدَّتها سبعة وخمسون بيتا . وقبله :

أبيات الشاهد

( وذات أثَارةٍ أكَلتْ عليها ... نباتاً فى أكمَّته قِفَارا
جُماديًّا تَحِنُّ المُزْنُ فيه ... كما فجَّرت فى الحَرْثِ الدِّبارا
رعته أشهراً وخلا عليها ... ... البيت )

(١) الجواليقى ٣٥٩ والاقتضاب ٤٣٨ والضرائر ٢٣٣ وديوان الراعى ٧٩ .

(٢) ط : « سعد بن عبد الرحمن » ، صوابه فى جمهرة ابن حزم ١١٣ ، وكذلك فى ش مع أثر تصحيح . قال ابن حزم : « فولد عبد الرحمن محمد ، وسعيد . وكان سعيد سيدا ممدّحا ، تزوج الحجاج ابنته ، وتزوج هو بنت عَبد الله بن زياد فولدت له عتاب بن سعيد » .

قوله : « وذات أثارة » الخ قال الجواليقى ( فى شرح أدب الكاتب ) : الواو واوُ رُبّ ، أى ربَّ ناقة ذاتِ سِمَنٍ . والأثارة بفتح الهمزة والمثلثة : شحمٌ متَّصل بشحم آخر ، ويقال هى بقيَّة من الشحم العتيق . يقال سمنت الناقة على أثارةٍ ، أى على بقيّةِ شحم . وقوله : « أكلَت عليها نباتا » أى على هذهِ الأثارة . وفى أكمَّتِه ، أى فى غُلفه ، جمع كِمام ، وهو جمع كِمّ بكسر الكاف وتشديد الميم . والكِمّ : غطاء النَّور وغِلافُه ، فأكمّة جمع الجمع . وقوله : « قِفَارا » ، أى خاليا من الناس ، فرعَتْه وحدَها . وقِفَار وصف نبات . قال صاحب المصباح : القفر : الخلاء ، والمفازة . ويقولون : أرضٌ قِفار على توهُّم جمع المواضع لسَعتها . ودارٌ قَفْرٌ وقِفارٌ كذلك [1] . والمعنى خالية من الناس .

وقوله: « جُماديا » وصف آخر لنبات ، منسوب إلى جُمَادَى بعد حذف ألفه الخامسة ، أى نَبتَ فى جمادى . وجملة « تحنُّ » إلخ صفة لجمادِىّ ، أى تعطف عليه . والمُزن : جمع مُزنةٍ ، وهى السَّحابة . وقوله : « كما فجَّرت » فى موضع المفعول المطلق ، أى وفجّرت المزنُ الأرضَ تفجيراً كما فجَّرْت . والتفجير : التشقيق ، يقال فَجَرَ الماءَ بالتخفيف ، أى شقَّ الأرضَ ففتح لهُ طريقا . والتشديد للمبالغة . والحرث : مصدر حَرَثَ الأرض ، إذا أثارها للزراعة بالمحراث . والدِّبار ، بكسر الدال ، قال صاحب الصحاح : الدَّبْرة بالفتح والدِّبارة بالكسر : المَشَارة [2] فى المزرعة ، والجمع دَبْرٌ ودبار .

وقوله : « رعتهُ » أى رعت الناقة ذلك النبات أشهراً . وتخلَّت به : لم يرعَه

---

(١) ط : « لذلك » ، صوابه فى ش والمصباح .

(٢) ط : « المثارة » صوابه بالشين كما فى ش . والمشارة ، كسحابة : الكردة . قال ابن دريد : وليس بالعربى الصحيح . أما الكردة التى فسرت بها فهى بضم الكاف : واحدة الكرد ، وهى الأنهار الصغار التى تتفجر فى أرض الزرع ، أو البقعة من الأرض تزرع .

غيرُها . وطار النّى ، أى ارتفع الشحم . واستغار [١] أى هبط فيها . والنَّىُّ : مصدر نَوِيت الناقة ، أى سمنت ، تَنوَى نواية ونَيًّا فهى ناوية ، وجمَلٌ ناوٍ وجِمالٍ نِواء ، مثل جائع وجياع . وقال ابن السِّيد فى شرحه : وصف ناقةً فقال : رعت هذا الموضع أشهر الرَّبيع وخلا لها ، فلم يكن لها فيهُ منازع ، فسمنت . والنَّىُّ : الشَّحم . ومعنى طار : أسرع ظهورُه .

وقال ابن قُتيبة ( فى كتاب المعانى [٢] ) : استغار وغار واحدٌ ، كأنّه قال : ظهر النَّىُّ واستتر . ورواه الباهلىّ : « فسار » وقال : معنى سار : ارتفع . واستغار : انهبط ، مِن قولك : غار يغُور . وقال الحربىُّ : يقال استغار الجُرح ، إذا تورَّم . وأنشد :

* فطار النَّىّ فيها واستغارا *

٢٥٢ وذكر أنّه يروى « استعار » بالعين غير معجمة ، أى ذهب يمينا وشِمالا ، من قولهم عار الفرس [٣] ، إذا أفَلَتَ .

وترجمة الراعى تقدّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة [٤] .

* * *

(١) ط : « واستغفارا » .

(٢) النقل لابن السيد أيضا فى الاقتضاب ٤٣٨ . ولم أعثر على هذا النص فى المعانى الكبير ، وهذا يلقى ظلا على الريبة فى أن يكون لابن قتيبة كتابين فى المعانى ، ومن المجزوم به أيضا أن أصل النسخة التى طبعت منها المعانى نسخة مبتورة كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن اليمانى فى أواخر تقديمه للكتاب فى صفحة ( لب ) .

(٣) الذى فى الاقتضاب : « عار الحمار » .

(٤) الخزانة ٣ : ١٥٠ – ١٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الثمانمائة ، [ وهو من شواهدس [١] ] :

٨٢٧ ( إنَّ الكريمَ وأبيكَ يَعتمِلْ  إن لم يجد يوماً على مَنْ يتَّكِلْ )

على أنّ ( على ) ليست زائدة ، وإنّما هى مقدَّمة من تأخير ، والأصل : إن لم يجد يوماً من يتكَّل عليه ، فقدّمت ( على ) على ( مَن ) فانتصب الضمير بالفعل ثم حُذف .

وهذا تخريج ابن الشجرى ( فى أماليه ) ، أورده نظيراً لقوله تعالى : ﴿ يدعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أقربُ مِنْ نفعه [٢] ﴾ ، قال : إنَّ الأصل يدعو من لَضَرُّهُ أقربُ ، فقدِّمت لامُ التوكيد كما قدّمت ( على ) فى قول هذا الراجز ، مع أنّها عاملة ، وأراد : من يتّكل عليه . وهذا تقديمٌ قبيح سوَّغته الضرُّورة . انتهى .

وهذا تعسُّف ، إذ لم يُعهَد تقديم الجارّ على غير المجرور ، كما لم يعهد تقديم الجازم على غير المجزوم ، وإنَّما المعهود تقديمهُما معاً . ومراد الشارح الردّ على جميع تخاريجه ، وهى سبعة :

( الأوّل ) لسيبويه : أن يكون الأصل : على من يتكَّل عليه ، فحذف العائد مع الجارّ . و (على ) الأولى غير زائدة . وهذا نصُّه : وقد يجوز أن تقول : بمن تمرر أمرر ، وعلى من تنزل أنزل ، إذا أردت معنى عليه وبه . وليس بحدِّ الكلام ، وفيه

---

(١) التكملة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٤٤٣ والعقد ٥ : ٣٩٢ ومجالس العلماء : ٨٢ وأمالى الزجاجى ٢٣٤ ، ٢٣٥ والخصائص ٢ : ٣٠٥ والمحتسب ١ : ٢٨١ وابن الشجرى ٢ : ١٦٨ والمغنى ١٤٤ والتصريح ٢ : ١٥ والأشمونى ٢ : ٢٢ .

(٢) الآية ١٣ من سورة الحج .

ضعف . ومثلُ ذلك قولُ بعض الأعراب : « إنَّ الكريم وأبيك » البيتين . يريد يتَّكل عليه . ولكنّه حذف . وهذا قول الخليل . انتهى .

قال الزجاجى ( فى أماليه الوسطى ) : زعم بعضُ النّاس أنّ سيبويه غلط فيه ، وتقديره عند سيبويه أن يكون يَجِد متعدّياً إلى مَنْ بعلى ، وليس وجَدتُ ممّا يتعدّى بحرف خفض ، فلهذا خالفوه . قال المازنىّ : تقديره صحيح جيّد ، لأنّ الفعل المتعدّىَ قد يجوز أن لا يعدَّى ، فكأنّه قصد ذلك ثم بدا له فعدّاه بعلى ، كما قال الله تعالى : ﴿ عسَى أن يكون رَدِف لكم [١] ﴾ وإنمّا جاز أن يحذف عليه لذكرها فى أوّل الكلام . انتهى .

( الثانى ) لابن جنى ، قال : أراد إن لم يجد يوماً من يتكل عليه ، فحذف عليه وزاد على قبل مَنْ عوضاً . وجوَّز فى عن أيضاً كذلك ، كقوله :

أتجزعُ أن نفسٌ أتاها حِمامُها فهلاَّ التى عن بينِ جَنْبيكَ تدفعُ[٢]

قال : أراد : فهلاً عن التى بين جنبيك تدفع ، فحذف عَنْ وزادها بعد التى عوضا . وتبعه ابن مالكٍ فى هذا وقال : قد تزاد الباء كذلك . وأنشد :

ولا يُواتيك فيما نابَ من حدثٍ إلاّ أخو ثقةٍ فانظُرْ بمن تثقُ [٣]

قال : أراد من تثق به ، وزاد الباء قبل مَنْ عوضا . قال أبو حيان ( فى الارتشاف ) : نصّ سيبويه على أن عن وعلى لا يزادان ، وتقدّم قول ابن مالك فى عن : إنّها تزاد عوضا ، وقال : تزاد على . وأنشد :

أبَى الله إلاَّ أنَّ سرحةَ مالكٍ على كُلِّ أفنانِ العضاهِ تَروقُ[٤]

---

(١) الآية ٧٢ من سورة النمل .

(٢) لزيد بن رزين المحاربى ، كما فى معجم الشواهد .

(٣) لسالم بن وابصة ، أو العرجى ، كما فى معجم الشواهد ونوادر أبى زيد ١٨١ والبيان ١ : ١٦٥

(٤) لحميد بن ثور ، كما فى معجم الشواهد .

قال : زاد على لأنّ راق متعدِّية . وما استدلُّوا به على أنّ الباء وعن وعلى تزاد عوضاً لم يقم عليه دليل . ولم يَكْفِ ابنَ مالكٍ أن استدلّ بشيءٍ محتَمل مخالِفٍ لنصّ سيبويه حتى قال : ويجوز عندى أنْ يعامل بهذه المعاملةِ من ، واللام ، وإلى ، وفى ، قياساً على عن وعلى والباء ، فيقال : عرفت ممن عجبت ، ولمن قلت ، وإلى مَن أويت ، وفيمن رغبتَ ، والأصل : عرفت مَن عجبتَ منه ، ومن قلتَ له ، ومن أويت إليه ، ومن رغبت فيه ، فحُذِف ما بعد مِنْ [١] وزيد قبلها عوضاً [٢] . وما أجازه ليس بصحيح ، ولو استدلَّ بشيء لا يحتمل التأويل لكان من القلَّة بحيث لا يقاس عليه . انتهى .

٢٥٣

وأجاب ابن عصفور عن قوله : « فهلاَّ التى عن بينِ جنبيك » بأنّه ضرورة ، لأنّ تقديم المجرور على حرف الجر من القلّة بحيثُ لا يُلتفَت إليه .

وأجاب أبو حيان فى ( شرح التسهيل ) عن قوله « فانظر بمن تثق » بأنَّ الكلام تمَّ عند قوله فانظر ، أى فى نفسك . ثم استفهم على سبيل الإنكار فقال : بمن تثق ؟ وأجاب أيضاً عن قوله :

* على كلِّ أفنان العضاهِ تَرُوق *

بأنّ تروق مضمَّن معنى تعلو وترتفع .

قال ابن هشام : ما قاله ابن مالكٍ فيه نظر ، لأنّ راقه الشيءُ بمعنى أعجبه ، ولا معنىَ له ههنا .

( الثالث ) ليونس شيخ سيبويه ، وهو أن يكون التقدير : إنْ لم يجد يوماً شيئاً ، ثم يبتدئ فيقولُ مستفهماً : على مَنْ يتّكل أعلى هذا أم على هذا ؟ ويكون

---

(١) يريد ( من ) ونظائرها ، وهى اللام ، وإلى ، وفى .

(٢) ش : « وزيد ما قبلها عوضا » .

يتكّل فى موضع رفع ، ولكنّه سكَّنه للقافية . ويعتمل بمعنى يكتَسب . وكان المبّردُ يذهب إليه قديما ، وذكره ( فى كتاب الردّ على سيبويه ) ثم رجع عنه .

( الرابع ) للفراء قال : معنى لم يجد لم يدْرِ ، كأنّه قال : إن لم يدرِ على من يتّكل . قال : وقيل لامرأةٍ من العرب : أنزلى قِدرَك من النار ، فقالت : لا أجِدُ بمَ أُنزِلُها ، أى لا أدرى بأىّ شىء أنزلها .

( الخامس ) للمازنى قال : معنى لم يجد لم يعلم ، كأنه قال : إنّ الكريم يعتمل إن لم يعلم على من يتكّل . وهذا مختار المبرّد أخيرا .

( السادس ) أن يكون لم يجِد فى معنى لم يكتسب ، كأنّه قال : إن لم يكتسب على من يتكل . نقل هذه الأقوال الأربعة الأخيرة مع قول سيبويه الزجاجىُّ فى كتابه المذكور .

( السابع ) للأعلم فى شرح أبيات سيبويه قال : يجوز أن يكون التقدير: يعتمل على مَن يتكل عليه من عياله ، أى يسعى لهم وإن لم يكن ذا جِدَة . ومعنى يعتمل : يحترف لإقامة العيش . انتهى .

وقوله : ( إنّ الكريم ) خبره جملة يعتمل ، وقوله وأبيك جملة قسميَّة حُذف جوابُها ، معترضة بين اسم إنّ وخبرها .

قال صاحب الصحاح : يعتمل : يضطرب فى العمل . وأنشد البيت .

وهو من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلُها .

وأورد السيوطى ( فى شرح أبيات المغنى ) بيتين قبلهما ، وهما :

( إنّى لساقيها وإنّى لكَسِلْ وشاربٌ من مائها ومُغتسِلْ )

ولا أعرف حقيقتهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهدس [١] :

٨٢٨ (غَدَت من عليهِ بَعْدَ ما تَمّ ظِمْؤُها تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بِزِيزاءَ مَجهلِ )

على أن ( على ) يتعيَّن أن يكون اسماً إذا دخل عليها حرفُ جرّ كما هنا . وانقلاب ألفها مع الضمير ياء كانقلاب ألف لدى معه .

٢٥٤ وقد ذكر سيبويه معناها حقيقةً ومجازا ثم قال : فقد يتَّسِعُ هذا فى الكلام ويجىء كالمثل . وهو اسم ، ولا يكون إلاّ ظرفا . ويدلُّك على أنّه اسمٌ قول بعضِ العرب : نهض مِنْ عليه . وقال الشاعر : « غدت مِنْ عليه » البيت .

قال الأعلم : الشاهد فيه دخولُ مِنْ على ( على ) لأنّها اسمٌ فى تأويل فوق ، كأنه قال : غدت من فوقه . وقال الخفّاف ( فى شرح الجمل ) : وقال أبو عبيدة : المعنى غدت من عندِه ، لأنَّها بعد خروج الفَرخ من البيضة انتقلت الفوقيّة إلى العنديّة فصارت عنده لا عليه . قال الاستاذ ابن خَروف : بل الفوقيّة ثابتة ما دام صفةَ الفرخ وإن لم يكن تحت [٢] . والفوقيَّة بجناحها . انتهى .

وصريح كلام سيبويه أنَّ اسميَّتها إذا دخلت عليها مِنْ غَير مُختصّ بالضرورة . وهو ظاهر كلام غيره أيضا ، خلافاً لابن عصفور ، فإنّه زعم أنّ على فى هذا البيت وفى أبيات أخر أوردَها ، استُعمِلت اسماً للضَّرورة ، إجراءًا لها مجرى ما هى فى معناه ، وهو فوق . ولم أر من قال إنَّه ضرورة غيره .

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣١٠ . وانظر نوادر أبى زيد ١٦٣ والمقتضب ٣ : ٥٣ والكامل ٤٨٨ وأصول ابن السراج ٢ : ٢٥٦ والجمل ٧٣ والاقتضاب ٤٢٨ وابن يعيش ٨ : ٣٧ ، ٣٨ والمقرب ١ : ١٩٦ والضرائر ٢٠٥ والمغنى ١٤٦ ، ٥٣٢ والعينى ٣ : ٣٠١ والتصريح ٢ : ١٩ والهمع ٢ : ٣٦ والأشمونى ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ش : « وإن لم تكن تجب » .

ومذهب سيبويه يردُّ قولين :

أحدها للفرّاء ومَن تبعه من الكوفيين ، وهو أنَّ عن وعلى إذا دخل عليهما مِنْ باقيانِ على حرفيتَّهما لم ينتقلا إلى الاسميَّة . وزعموا أنّ مِنْ تدخل على حروف الجر كلِّها سوى مُذْ ، واللام ، والباء ، وفى .

وثانيهما لجماعة من البصريين ، وهم ابن الطَّراوة ، وابنُ طاهر ، وابن خروف ، وأبو على الرَّندى ، وأبو الحجاج بن معزوز ، والأستاذ أبو على فى أحد قوليه . زعموا أنّ على اسمٌ دائما ، ولا تكون حرفا [١] . وزاد الأخفش على سيبويهِ موضعاً آخر من اسميَّتها ، وذلك إذا كان مجرورها وفاعل متعلَّقها ضميرين لمسمىً واحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أمسِكْ عَليكَ زَوجَك [٢] ﴾ ، وقول الشاعر [٣] :

هَوِّنْ علـــيكَ فإنَّ الأُمورَ بِكـفِّ الإلـــهِ مقاديرُهـــا

لأنَّه لا يتعدَّى فعل الضمير المتصل إلى ضميره المتّصل فى غير باب ظن ، وفقد ، وعَدِم .

قال أبو حيّان : ولا يدلُّ على اسميتها ما ذكره الأخفش ؛ فقد جاء : ﴿ وهُزِّى إليك [٤] ﴾ ﴿ واضمُمْ إليكَ جناحَك [٥] ﴾ ولا نعلم أحداً ذَهبَ إلى أنّ إلى اسمٌ .

وقال ابن هشام : وفيما قاله الأخفش نظر ، لأنّها لو كانت اسماً فى هذه الموَاضع لصحّ حلول فوقَ محلَّها ، ولأنّها لو لزمت اسميَّتها لِمَا ذُكر ، لزم الحكمُ

---

(١) ط : « ولا يكون حرفا » .
(٢) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .
(٣) هو الأعور الشنى ، أو عمر بن الخطاب ، أو محمد بن حازم . كما فى معجم الشواهد .
(٤) الآية ٢٥ من سورة مريم .
(٥) الآية ٣٢ من سورة القصص .

باسمية إلى فى نحو : ﴿ فصُرْهُنَّ إليك [١] ﴾ وهذا كُلُّه يتخرَّج إمّا على التعليق بمحذوف كما قيل فى سَقياً لك ، وإمّا على حذف مضاف ، أى هوّن على نفسك واضمم إلى نفسك . ولا يحسُن تخريج هذا على ظاهره ، لأنّ بابَهُ الشّعرُ ، ولا على قول ابن الأنبارى إنّ إلى تَرِدُ اسماً ، يقال انصرفت مِن إليك ، كما تقول : غدوت من عليك ، لأنّه إن كان ثابتاً ففى غاية الشُّذوذ . ولا على قول ابن عصفور : إن إليك إغراءٌ ، والمعنى خذ جَناحك أى عَصاك ، لأنّ إلى لا تكون بمعنى خُذْ عند البصرِّيين ، ولأنَّ الجناح ليس بمعنى العصا إلاّ عند الفراء وشذوذٍ [٢] من المفسِّرين . انتهى .

قال أبو حيان : ومن قال إنّ على لا تكون إلاّ اسما يقول إنَّها معْرَبةً ، ومن جوَّز أن تنتقل إلى الاسمية بدخول مِن عليها أو على مذهب الأخفش ، اختلفوا : فقال بعضُ أشياخنا : هى معربةٌ إذ ذاك . وقال أبو القاسم بن القاسم : هى مبنيّة ، وألفها كألف هذا ، فهى كعنْ وكاف التشبيه ومذ ومنذ ، إذ كُنّ أسماءً . انتهى .

وقد ذهب صاحب الكشاف ، وتبعه الشارح المحقق إلى أنَّهما مبنيان ، قال فى تفسير ﴿ حَاشَا لله [٣] ﴾ من سورة يوسف : فإنْ قلتَ : فلم جاز فى حاشا لله أن لا ينوّن بعد إجرائه مجُرى براءةً لله ؟ قلتُ : مراعاةً لأصله الذى هو الحرفيّة . ألا ترى إلى قولهم : جلست مَن عَن يمينه . تركوا ( عن ) غير معربٍ ، على أصله ، و ( على ) فى قوله : غدت من عليه . انتهى .

٢٥٥

(١) فى المغنى ١٤٦ : « أن إلى قد ترد اسما » .

(٢) وكذا فى المغنى ، وهو من الوصف بالمصدر .

(٣) الآية ٣١ ، ٥١ من سورة يوسف .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لمُزاحم العُقَيليّ عدَّتها أربعة وثمانون بيتاً ، مذكورة ( فى منتهى الطلب من أشعار العرب ) . وقبله :

أبيات الشاهد

( قطعتُ بشَوشاةٍ كأنَّ قُتُودَها … على خاضبٍ يعلو الأماعزَ مُجفِلِ
أذلك أم كُدريَّةٌ ظَلَّ فرخُها … لَقىً بشَرَوْرَى كاليتيم المعيَّلِ
غَدتْ مِن عليه بعدما تم ظِمؤُها … تصلُّ وعن قَيضٍ بزيزاءَ مَجهَلِ
غُدوًّا طوى يومين عنه انطلاقُها … كَمِيلين من سَير القطا غير مؤتلي )

الشوشاة بفتح الشين المعجمة : الناقة الخفيفة . والقُتود بضم القاف والمثناة الفوقية : جمع قَتَد بفتحتين ، وهو خشب الرَّحْل ، ويجمع على أَقتادٍ أيضا . والخاضب ، بمعجمتين ، هو ذكَر النَّعام الذى أكل الرَّبيعَ فاحمرّ ساقاه . والأماعز : جمع أمعَز بالعين المهملة والزاء المعجمة [١] ، وهى الكثيرة الحصباء . ومُجفِل : اسم فاعل من أجفل بمعنى نفر .

وقوله : « أذلك أم كدرية » الإشارة إلى الخاضب . والكدرية بالضم : القطاة . قال صاحب الصحاح : الكدريّ ضربٌ من القطا ، وهو ثلاثة أضرب : كُدريٌّ ، وجُونيٌّ بضم الجيم ، وغَطَاط بفتح المعجمة بعدها مهملتان . فالكدريُّ : الغُبر الألوان الرُّقشُ الظهورِ والبطونِ ، الصُّفر الحلوق ، وهو ألطف من الجُونىّ ، كأنّه نُسِب إلى مُعظَم القطا وهو كُدر . وذلك خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير أتلك الشَّوشاة ذلك الخاضبُ أم كدريَّةٌ . وهو تشبيهٌ بليغ بحذف أداة التشبيه . شبَّه ناقته فى الخفة والسُّرعة بأحدهما على طريق الاستفهام التجاهُلىّ .

ولا وجهَ لقول الجواليقى ( فى شرح أدب الكاتب ) : يُريدُ : أذلك الظَّليم أحبُّ إليكَ أم قطاة كدْرية .

---

(١) ش : « والزاى المعجمة » .

وقال ابن يعيش : يريد : أذلك الخاضب يشبه ناقتى فى سُرعتها أم كدرية ؟ يعنى قطاةً هذه صفتها .

وجملة « ظَلَّ فرخُها لَقًى » إلخ صفة لكدريَّة . واللَّقَى بفتح اللام والقاف : المُلقَى والمطروح الذى لا يُلتفَت إليه . وشَرَوْرَى ، بفتح الشين المعجمة والراءين المهملتين وسكون الواو بينهما وآخره ألف مقصورة ، قال أبو عبيد البكرى ( فى معجمه ) : هو جبلٌ بطريق مكة إلى الكوفة ، بين بنى أسد وبنى عامر . ومُعيَّل بفتح المثناة التحتية المشدّدة : الفقير ، وقيل المُهمَل . قال ابن السِّيد ( فى شرح أبيات أدب الكاتب ) : شبَّه فرخها فى انفراده وسوء حالهِ باليتيم . قال الأصمعى : وإنّما قال لقىً بشَرورى لأنَّ القطاة لا تبيض إلاّ بالأرض فى مَفاحِصَ ونُقَر ، ولا تعشِّش فى الشجر .

وقوله : ( غدَتْ من عليه ) إلخ قال الفالى [١] ( فى شرح اللباب ) غدا بمعنى صار ، يقال : غدا زيدٌ أميراً ، أى صار ، وأنشد البيت . وقال : أى انصرفت القطاة من فوقِه . فهو غير مخصوص بوقتٍ دون وقت ، بخلاف ما إذا استُعمل فى غير معنى صار ، فإنّه يختصُّ بوقت الغداة ، تقول : غدا زيد قائماً [٢] ، أى ذهب بالغداة . فمعنى غدت صارت ، إذ لا يريد انصرفت وانفلتت فى وقت الغَداة فقط . انتهى .

ويؤيّد ما رواه ابن السيد وغيره عن أبى حاتم ، أنّه قال للأصمعىّ : كيف قال غدت من عليهِ والقطاةُ إنّما تذهب إلى الماء ليلاً لا غُدوة ؟ فقال : لم يُردِ الغدوّ ، وإنما هذا مثَلٌ للتعجيل . والعربُ تقول : بكر إلىَّ العشيّةَ ، ولا بُكورَ هناك . وأنشد أبو زيد :



(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، وإنما هذا بالفاء كما سبق تحقيقه فى حواشى ١ : ٣٣٨ .
(٢) الوجه « ذاهبا » ليستقيم مع التفسير بعده .

* بكَرَت تلومك بعد وَهْنٍ فى النَّدَى [١] *

وإنَّما الوَهْنُ فى الليل . انتهى .

وبما ذكرنا يزيَّف قولُ بعض أفاضل العجم ( فى شرح أبيات المفصّل ) : يقول : غدت القطاة وطارت غدوة إلى الماء من فوق فرخها . انتهى .

واسم غدت الضمير المستتر فيها العائد إلى كدريَّة . وقوله ( من عليه ) متعلّق بمحذوف على أنَّه خبرها ، وبعدَ ظرف لغدت ، وما مصدرية ، وظمؤها فاعل تَمَّ . يريد أنَّها أقامت مع فرخها حتّى احتاجت إلى ورود الماء وعَطِشت ، فطارت تطلب الماء عند تمام ظِمْئها . وأراد بذِكر الفرخ سُرعةَ طيرانها ، لتعُودَ إليه مسرعة لأنَّها كانت تحضنه . و( الظِّمء ) ، بالكسر وسكون الميم مهموز الآخر : مدّة صبرِها عن الماء [٢] وهو ما بين الشّرب إلى الشرب . قال ابن السكيت ( فى كتاب المعانى ) : قوله بعد ما تم ظمؤها ، أى إنّها كانت تشرب فى كل ثلاثة أيام أو أربعةٍ مرّة ، فلما جاء ذلك الوقت طارت .

وروى المبرد ( فى الكامل ) : « بعد ما تم خِمْسُها » بكسر الخاء . وقال : الخمس : ظمءٌ من أظمائها ، وهى أن ترد ثم تَغِبّ ثلاثا ثم تَرِد ، فيعتدّ بيومَىْ وردها مع ظِمئها فيقال خِمْسٌ .

هذا كلامُه . وظاهره أنّ الخمس من أظماء القطا ، وليس كذلك إنّما هو

---

(١) الندى يائى المادة ، سواء أكان بمعنى الكرم ، أم كان بمعنى البلل وما يسقط بالليل . فى ط : « الندا » صوابه فى ش واللسان ( بسل ٥٧ ) . ونسب فيه إلى ضَمرة النَّهشَلىّ .

وعجزه :

* بَسْلٌ عليكِ مَلامتى وعِتابى *

(٢) فى أساس البلاغة : « صبرت على ما أكره ، وصبرت عما أحب » . وفى ط : « صبرها على الماء » وتصح بتكلف تقدير مضاف ، أى على فقد الماء . وقد حورها الشنقيطى بقلمه إلى « عن » .

للإبل . قال ابن السِّيد : الخِمس : ورود الماء فى كلِّ خمسة أيام . ولم يرد أنَّها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنَّما هذا للإبل لا للطَّير ، ولكنّه ضربه مثلاً . هذا قول أبى حاتم ، ولأجل ذلك كانت رواية من روى « ظمؤها » أحسنَ وأصحَّ معنىً . وظاهر هذا أيضاً أنّ الظِّمء لا يختصُّ بالإبل . ويؤيِّده قول صاحب القاموس : والظِّمء بالكسر : ما بين الشُّربين والورْدين ، وهو من الظَّمأ كالعطش ، وزناً ومعنى ، أو أشَدُّ العطش [١] وأهونُه وأخفُّه . قاله أبو زيد . لكنّ صاحب الصحاح خصَّه بالإبل ، قال : الظِّمء ما بين الوردين ، وهو حَبْس الإبل عن الماء إلى غاية الوِرد .

وقوله : ( تَصِلّ ) أى تصوِّت ، جملة حالية ، وإنَّما يُصوِّت حشاها من يُبس العطش ، فنقل الفعل إليها ، لأنّه إذا صوَّت حشاها فقد صوَّتت . وإنّما يقال لصوت جَناحها الخفيف . قال أبو حاتم : ومعنى تصلّ تضوِّت أحشاؤُها من اليُبس [ والعطش [٢] ] . والصليل : صوت الشيء اليابس ، يقال جاءت الإبل تصلّ عطشاً . وقال غيره : أراد أنّها تصوِّت فى طيرانها .

وقوله : ( وعن قَيضٍ ) إنْ كان معطوفا على عليه ففيه شاهدٌ آخر وهو اسميّة عن ، وإن كان معطوفا على مِنْ عليه فعَنْ حرفٌ . واقتصر اللخميُّ على الأوّل . والقَيض بفتح القاف : قِشر البيضة الأعلى ، وإنّما أراد قشر البيضة التى خرج منها فرخُها أو قشرَ البيضة التى فَسدت فلم يخرج منها فرخ . وقولُ السِّيرافى : وغدت عن قيض يعنى وعن فراخ ، لا معنى له هنا ، لأنّه إنّما أراد أنَّها غدت عن فرخ وعن قِشر بيضٍ خرج منه هذا الفرخ ، أو قشرِ بيَض فسَدَ فلم يخرجْ منه فرخ . والأوَّل هو الظاهر . ويقال للقيض الخِرشاء أيضا ، بكسر المعجمة وسكون المهملة بعدها شين معجمة فألف ممدودة . والقشر الرَّقيق الذى تحته

---

(١) ط : « وأشد العطش » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) التكملة من ش .

يقال له الغِرقِئ بكسر المعجمة وسكون المهملة بعدها قاف مكسورة فهمزة . والمُحّ بضم الميم وتشديد المهملة : صُفرة البيض . قال اللَّخْمى : والآح : بياضُ البيض (١) .

٢٥٧ وقوله : ( بزيزاء مَجْهل ) الجار والمجرور متعلّق بمحذوف على أنّه صفةٌ لقيض . والزِّيزاء بزاءَين معجمتين يروى بكسر الأولى وفتحها ، واقتصر المبرد على الكسر فقال : الزِّيزاء : ما ارتفع من الأرض ، وهو ممدود منصرف فى المعرفة والنكرة إذا كان لمُذكّر ، كالعِلباء والحرباء . انتهى .

يريد أنَّ الألفَ الممدودة فيه ليست للتأنيث ، إنما هى للإلحاق بحملاق ، كالعِلباء ، فوزنه فعلالِ .

وكذلك اقتصر عليه الجوهرى فقال : الزيزاء بالمد : ما غلُظ من الأرض . والزِّيزاء أخصُّ منه ، وهى الأكمة ، والهمزة فيه مبدلة من الياء ، يدلُّ على ذلك قولهم فى الجمع : الزَّيازى . ومن قال الزَّوازى جعل الياء الأولى مبدلةً من الواو ، مثل القواق فى جمع قِيقاءة . انتهى . وقال فى تفسير القِيقاءةِ : إنّها الأرض الغليظة ، والهمزة مبدلة من الياء ، والياء الأُولى مبدلة من الواو .

وقصَّر صاحب القاموس فى قوله : الزِّيزاء بالكسر ، والزَّيزاء ، والزِّيزَى ، والزَّازَية : ما غلُظ من الأرض ، والأكمةُ الصغيرة ، كالزِّيزاءة والزِّيزاة . انتهى .

وقال ابن يعيش : الزِّيزاء : الأرض الغليظة المستوية التى لا شجرَ فيها ، واحدتها زِيزاءة . وقيل هى المفازة التى لا أعلامَ فيها . وهمزَتُه للإلحاق بنحو حملاق ، وهى فى الحقيقة منقلبة عن ألف منقلبة عن ياء ، يدلُّ على ذلك ظهورُها

---

(١) ط : « وألاح بياض البياض » ، صوابه فى ش . وفى اللسان ( أيح ) : « أبو عمرو : يقال لبياض البيضة التى تؤكل : الآح ، ولصفرتها : الماح » .

فى دِرحاية (١) لمَّا بنيت على التأنيث عادت إلى الأصل . ولغة هذيل زَيْزاء بفتح الزاء ، كالقَلقال ، فالهمزة على هذا منقلبة عن ياء ، ووزنه فَعلال ، والأول فِعلال . انتهى .

فالهمزة فى كلٍّ من المكسور الزاى ومفتوحِها أصلها ياء زائدة للإلحاق بما ذُكر ، وليست الألفُ الممدودة فيهما للتأنيث . أمَّا الأوّل فلأنَّ فِعلاء المكسور الفاء وكذا المضموم الفاءِ عند البصريين لا يكونان إلاّ للإلحاق .

وأجاز الكوفيُّون ترك صرف فِعلاء بالكسر على أن يكون ألفُها للتأنيث ، واحتجُّوا بقوله تعالى : ﴿ تخرُجُ من طُورِ سِيناءَ (٢) ﴾ فى قراءة الكسر . وأجاب البَصريُّون بأنَّ امتناعه من الصَّرف ليس من أجل أنّ الهمزة للتأنيث ، وإنّما هو لمعنى البقعة أو الأرض ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث .

وأمَّا الثانى فللإلحاق أيضا .

فإنْ قلت : فَعلاء بالفتح خاصٌّ بالمؤنّث . قلت : نعم ، ولكن فى غير المكرَّر.

فإن قلتَ فَعلال بالفتح نادر ولا يُلحقَ بالنادر .

قلت : قال الرضى ( فى شرح الشافية ) إنَّ فَعلالاً إذَا كان فاؤه ولامُه الأولى من جنسٍ واحد ، نحو زَلزالٍ وخَلخالٍ غير نادرٍ اتِّفاقاً ، فيجوز الإلحاق به .

فإنْ قلت : قال الخَفّاف ( فى شرح الجمل ) : وبعضهم يرويه زَيزاءَ بفتح الزاى والهمزة ، غير مصروف للتأنيث اللازم كبيداء . انتهى . فهذا يدلُّ على أنَّ الهمزة للتأنيث لا للإلحاق .

---

(١) فى اللسان : « رجل درحايَة : كثير اللحم قصير سمين ضخم البطن لئيم الخلقة ، وهو فعلاية ملحق بجعظارة » .

(٢) الآية ٢٠ من سورة المؤمنون .

قلت : يُحمل حينئذٍ على زيادة الألف المنقلبَة همزةً للتأنيث . وعلى هذه الرواية يكون ( مجهل ) صفة لزيزاء .

فإن قلت : ما تصنع بالوجهين الأوّلين ، وهما كسر الزاى وفتحها مع كسر الهمزة فيهما .

قلت : قال الجواليقى وابن يعيش : من روى بزيزاءِ أضافه إلى مجهل وقدّر حذفَ الموصوف ، أى مكانٍ مجهل . وبهذا يضمحلُّ قول ابن المُلاّ ( فى شرح المغنى ) : والعجب أنّ السيوطىّ حكى فى الزاء الكسر والفتح ، مع أنّ وجه الكسر لا يستقيم فى البيت ، لأنّ الاسم معه منصرف . انتهى .

ووجه توَقُّفه أنّ مجهلا صفة لزيزاء ، والوصف إنّما يتم على الفتح للزاى والهمزة . وإمّا إنْ كسرت الأوّل فهو منصرف يقتضى الإضافة إلى الصفة . ٢٥٨

وجوابه : أنّ المضاف إليه محذوفٌ نابت صفتُه عنه كما قلنا .

وروى : ( ببيداءَ مجهلِ ) بَدَلَ قوله : بزيزاء مجهل . قال ابن السِّيد وغيره : البيداء : القفر الذى يبيد من يَسلكه ، أى يُهلكه . والمجهل : الذى ليس له أعلامٌ يُهتدَى بها . فمن روى « ببيداء » جعل المجهل صفة لها ، ومن روى « بزيزاء » أضافها إلى المجهل . وهذه رواية البصريِّين . انتهى .

وفى القاموس : وأرضٌ مجهلٌ كمقعد : لا يُهتدى فيها ، لا يثنَّى ولا يجمع .

وزعم العينى أنّ زيزاء هنا علم بُقعة ، فإنَّه بعد أن نقل عن الثعلبى أنَّها الأرض الغليظة [1] قال : قلت الزيزاء : منهلٌ معيَّنٌ من مناهل الحجّ من أرض

---

(١) كلمة « أنها » ساقطة من ش .

الشام ، يُنزَل منها إلى أرض مَعان من بلاد الشَّوْبَك [١] . ويروى بفتح همزتها وكسرها ، ففتحها على أنّه ممنوع من الصرف . فعند البصريِّين مُنع للعلمية والتأنيث لأنّه بقعة ، وعند الكوفيين لأنَّ ألفَه للتأنيث . فعلى هذا يكون قوله مجهل صفة لزيزاء . وأمَّا كسرها فعلى الإضافة إلى مجهل .

هذا كلامُه ، وفيه خطأ من وجوه :

أوّلها : لا يصحّ أن يكون زيزاء فى البيت المنهَل المذكور ، لأنَّه لو كان كما نعمَ لم تفارق القطاة فرخَها لطلبِ الماء ، ولم يكن لها ظِمء ، ولم يكن موضع فرخها مَجهَلا .

ثانيها : أنّ ذلك المنهل إنّما هو زيزاء بدون لام التعريف ، قال ياقوت ( فى معجم البلدان ) : زيزاء من قرى البَلقاء ، كبيرةٌ يطؤها الحاجّ ، ويقال : لهم بها سوقٌ فيها بِركة عظيمة . وأصله فى اللغة المكان المرتفع ، وكذلك هى . انتهى .

وقال صاحب القاموس : زِيزَى كضِيزَى : موضع بالشام . فرواه بالقَصْر . ولا يُعرَف هَلَ هو مَا ذكره ياقوت أم غيره .

ثالثها : لم يقل أحدٌ من البصريين إنَّ زِيزاء المكسور الأول ممنوع من الصرف ، وموضع الخلاف عندهما إنّما هو فى زِيزاء بالكسر ، نكرة ، فالبصريون يوجبون صَرفه لأن ألف فعلاء بكسر الفاء ليست للتأنيث . والفراء ومَن تبعه يجوِّز منَع الصرف على أنَّ الألف للتأنيث ، ويستدلّ بقراءة ( مِن طُورِ سِيناء ) بالكسر . وأجاب البصريُّون بأنَّ منع صرفه إنَّما هو للعلمية والتأنيث ، لأنّه علم

---

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة ، وقال : « قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم » .

بقعة ، لا لأنَّ ألفه للتأنيث كما تقدم . فهذا خَبْطٌ منه وتخليط فى تقرير المسألة عند الفريقين .

رابعها : لا يصحّ وصف المعرفة بالنكرة .

خامسها : لا وجْهَ لإضافة المعرفة إلى النكرة .

ومن هذا البيت إلى آخر القصيدة خمسة وعشرون بيتا كلُّها فى وصف القطا .

ومزاحم العُقَيلى شاعرٌ إسلامىّ تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والستين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثمانمائة ، [ وهو من شواهد س (٢) ] :

٨٢٩ ( ولَقد أَرانى للرِّماحِ دريّةً  من عَن يمينى مرّةً وأمامى )

على أنّ ( عن ) اسم بمعنى جانب ، لدخول حرف الجرِّ عليها .

واستُشِكل هذا بأنَّ الكلمة إنَّما تعدّ حرفا واسماً إذا اتحد أصلُ معنييهما ، والجانب ليس بمعنى المجاوزة .

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٧٣ — ٢٧٥ .

(٢) ليست فى النسختين ، وقد أثبتُّها جريا على عادة البغدادى . وانظر سيبويه ٢ : ٢٢٩ ، ٢٥٤ وابن يعيش ٨ : ٤٠ والمغنى ١٤٩ ، ١٥٢ والعينى ٣ : ٥٠٠ والتصريح ٢ : ١٩ والهمع ١ : ٢/١٥٦ : ٣٦ والأشمونى ٢ : ٢٢٦ وشرح المرزوقى للحماسة ١٣٨ .

وأجيب بأنّ الزمخشرى بيَّن ( فى مفصَّلهِ ) أنَّ معنى جلس عن يمينه أنّه جلس متراخياً عن بدنه فى المكان الذى بحيالِ يمينه . فمعنَى جلست عن يمينه : جلست من جانب يمينِهِ وموضعٍ متجاوزٍ عن بدنهِ ، فى المكان الذى بحيال يمينه . فيكون المراد بالجانب الجهةَ المجاوِرَةَ لبدنه ، لا مطلق الجهة ، فيتحد أصل معنى عن .

٢٥٩

قال ابن هشام ( فى المغنى ) :اسميّةُ عَنْ متعيِّنة فى ثلاثة مواضع :

أحدها : أن تدخل عليها مِن ، وهو كثير . ومن الداخلةُ على عن زائدة [١] عند ابن مالك ، ولا بتداءِ الغاية عند غيره . قالوا : فإذا قيل : قعدت عن يمينه فالمعنى فى جانب يمينه ، وذلك محتملٌ للملاصَقة ولخلافها . فإن جئت بمِنْ تعيَّن كونُ القعود ملاصقا لِأوَّلِ الناحية .

والثانى : أنْ تدخل عليها على ، وذلك نادر ، والمحفوظ منه بيتٌ واحد ، وهو قوله :

على عَنْ يمينى مَرّت الطَّير سُنَّحا وكيف سنوحٌ واليمين قطيعُ [٢]

والثالث : أن يكون مجرورُها وفاعل متعلَّقها ضميرَينِ لمسمًّى واحد ، قاله الأخفش ، كقول امرئ القيس :

دَعْ عنك نهباً صِيحَ فى حَجَراتِه ولكنْ حديثاً ما حديثَ الرَّواحلِ [٣]

(١) ش : « ومن معها زائدة » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى المغنى ١٤٩ .

(٢) انظر الهمع ٢ : ٣٦ .

(٣) ديوان امرئ القيس ٩٤ والمقرب ١ : ١٩٥ والعينى ٣ : ٣٠٧ والهمع ٢ : ٢٩ والأشباه والنظائر ١ : ٣٢٣

وذلك لئلاً يؤدّى إلى تعدّى فعل المضمر المتّصل إلى ضميره المتصل . وتقدَّم الجوابُ عنه [١] . وممَّا يدلُّ على أنّها ليست هنا اسماً أنّها لا يصحُّ حلول الجانبِ محلَّها . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ أربعةٍ أوردها أبو تمام ( فى الحماسة ) لقَطَرِىٍّ بن الفُجاءة ، وهى :

أبيات الشاهد

( لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحجامِ يومَ الوغى متخوِّفًا لحِمامِ
فلقد أُرانى للرِّماح درِيّةً ...................... البيت
حَتَّى خَضبتُ بما تحدَّر من دمى أكنافَ سَرجى أو عِنانَ لجامى
ثمّ انصرفتُ وقد أُصبتُ ولم أُصَبْ جَذَعَ البصيرةِ قارحَ الإقدام )

قوله : « لا يركَنَنْ أحدٌ » إلخ لا ناهية ، وركن إلى الشىء : مالَ إليه . والإحجام بتقديم المهملة : التأخُّر والنُّكوص . والمتخوِّف : الخائف شيئا بعد شىٔ . والحِمام بكسر المهملة : الموت .

وهذا البيت أورده شُرّاح الألفية شاهدًا لمجىء الحال من النكرة لوقوعها بعد النهى [٢] .

و ( أُرَانى ) أعلَمُنِى ؛ ولكونه من أفعال القلوب صحَّ أن يقع فاعُله ومفعوله لمسمًّى واحد . و ( دريّة ) مفعولَه الثانى . ويجوز أن يكون حالاً والرُّؤية بصرّية ، والمضاف إلى الياء محذوف ، أى أرى نفسى .

قال ثعلب ( فى أماليه ) : الدريئة بالهمز : الحَلْقة يرمِى فيها المتعلِّم [٣]

(١) انظر ما سبق فى ١٤٨ س ٨ - ١٢ .
(٢) انظر العينى ٣ : ١٥٠ والتصريح ١ : ٣٧٧ والهمع ١ : ٢٤٠ والأشمونى ٢ : ١٧٥ .
(٣) ط : « المعلم » ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب ٢٠٥ .

ويطعن . والدريَّة بلا همز : الناقة تُرسَل مع الوحش لتأنس بها ، ثم يُستَتَر بها ويُرمَى الوحش . انتهى .

وقال القالى ( فى أماليه ) بعد إنشاد هذه الأبيات الأربعة : الدَّريئة مهموزٌ : الحلقة التى يُتعلَّم عليها الطَّعنُ ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . درأتُ أى دفعْت . والدريَّة غير المهموز : دابةٌ أو جمَل يستتِر به الصائد فيرمى الصيد . وهو من دَريت أى خَتَلت . قال الشاعر :

فإن كنت لا أَدرِى الظِّباءَ فإنّنى أدُسُّ لها تحتَ التُّرابِ الدَّواهيا[1]

وبنَوه على وزن خَدِيعة إذْ كان فى معناها : انتهى .

قال شارحها أبو عُبيدٍ البكْرىّ : هذا البيت لعبد الله بن محمد بن عَبَّاد الخَوْلانى ، قاله الهَمْدانى ( فى كتاب الإكليل ) . وكنَى بالظباء عن النساء . والصيَّادون يدفنون للوحش فى طُرقها إلى الماء حدائدَ أشباهَ الكلاليب ، فإذا جازت عليها قطعت قوائمَها . انتهى .

٢٦٠ قال شُرَّاح الحماسة : ويمكن حمل البيت عليهما . فالمراد على الأوّل أنَّ الطَّعن يقع فيه كما يقع فى تلك الحلْقة ، وعلى الثانى أنَّه يصير سُترةً لغيره من الطَّعن ، كما تكون تلك الدابة سُترةً للصائد ، وعلى هذا يكون للرِّماح : من أجل الرماح . وإنَّما اقتصر على اليمين والأمام ، أى القُدّام ، لأنَّه يعلم أنَّ اليسار فى ذلك كاليمين . وأمَّا الظَّهر فإنّ الفارس لايُمكن منه أحداً . و ( مِن ) على قول ابن مالك زائدة ، ومتعلقة بمحذوف على قول غيره . أىْ تأتينى من هذه الجهات .

وقوله : « حتّى خضبت » إلخ أكناف السرج : جوانبه ، جمع كنَف بفتحتين . وعِنان اللجام : سيره الذى تُمسَك به الدابة . وأوْ للتقسيم ، وقال

(١) إصلاح المنطق ١٥٤ ، ٢٥٠ ومجالس ثعلب ٢٠٥ وأمالى القالى ٢ : ١٩٠ . وستأتى نسبة البيت .

القالى ( فى أماليه ) : أراد وعنان لجامى . والمعنى انتصبت للرِّماح حتّى خضبتُ بما سال من دمى جوانبَ السرج وعِنانَ فرسى ، وذلك على حسب مواقع الطَّعن [١] فالعِنان لما سال من أعاليه ، وجوانب السرج لما سال من أسافله . وقيل إنَّما أراد دمَ من قتله فأضافه إلى نفسه لأنّه أراقه . وقوله : « وقد أصَبْتُ ولم أُصَبْ » الأوّل بالبناء للفاعل والثانى للمفعول ، وجذعَ وقارحَ حالان . والجَذَع بفتح الجيم والذال المعجمة : الشابُّ الحدَث . والقارح : المنتهِى فى السّنّ . قال الخطيب : هما مثَلان ، وأصلهما فى الخيل وذوات الحافر . وذلك أنّ المُهْر يركب بعد حَول سياسةً ورياضة ، فإذا بلغ حَولين فهو جَذع ، فحينئذ يَستغنى عن الرياضة . فيقول : أنا جذع البصيرة لا أحتاج إلى تهذيب ، كما لا يحتاج الجذَع إلى الرِّياضة ، وإقدامى قارحٌ أى قد بلغ النهاية ، كما أنَّ القروح نهايةُ سنِّ الفرس . وهذا ما ذكره الشُّرَّاح . ومعناه ( كما ذكره أبو العلاء المعرى ) أنّه يريد أنه لم يزل شجاعاً ، فإقدامُه [٢] قارحٌ لأنّه قديم . ويعنى بجذَع البصيرة أنّه كان فيما سلف لا يَرى رأى الخوارج ثم تبصَّرَ فى آخر أمره ، فعلم أنَّهم على الحقّ ، فبصيرته جَذَعة أى مُحْدَثة . وذلك أنّه كان خارجيا سُلِّم عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة . انتهى .

وقال القالى : أى وأنا على بصيرتى الأولى . وقارح الإقدام أى متناه فى الإقدام . وقال أبو عبيد البكرى ( فى شرحها [٣] ) قال النَّمَرىّ : يريد ثم انصرفتُ وقد قَتلتُ ولم أُقتَلْ بعد أن خضبتُ سَرجى ولجامى . يريد أنَّ الأجلَ حِرزٌ فلا يركنن أحدٌ إلى الجبن خوفَ الموت . وقوله : « جذع البصيرة » يريد استبصاره الذى كان عليه فى أوَّل الأمر لم ينتقل عنه لما نالهُ من الجراحات ، ولم يضعف فيه ،

---

(١) ط : « ما وقع الطعن » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « قدامه » ، صوابه فى ش .

(٣) سمط اللآلى ٨٠٦ .

« قارح الإقدام » أى قد بلغ إقدامُه النهاية . وقال قوم : إنمَّا يريد بقوله « ولم أُصَبْ » لم أُلَف على هذه الحال ، ولكنِّى قارح البصيرة جذع الإقدام ، أى رأيه رأى شيخ ، وإقدامه إقدامُ غلام . ويكون البصيرة على هذا الرأى والتدبير كالاستبصار فى الأمر ؛ وهو الأعرف فى كلام العرب ، فإنَّ البصيرة للقلب ، كالبصر للعين . والحجة لهذا المذهب : قوله ولم أصب ، وهو قد قال قبل هذا : حتى خضبت بما تحدَّر من دمى ، والإصابة قد تكون فيما دون النفس ، وهو الأكثر . انتهى .

وبعد هذه الأربعة بيتان لم يوردهما أبو تمام ، وهما :

( متعرِّضا للموت أضرِبُ مُعْلِماً بُهَمَ الحروب مشهَّرَ الإعلام
أدعُو الكماة إلى النِّزال ولا أَرى نحر الكريم على القَنا بحرام [1] )

قطَرىّ بن الفُجاءة ٢٦١

وقطرى هو رَأْسُ الخوارج ، كان أحد الأبطال المذكورين ، خرج فى مدَّة ابن الزُّبير وبقى يقاتل ويستظهر بضعَ عشرةَ سنة ، وسُلِّم عليه بإمرة المؤمنين . وجهَّز عليه الحجاجُ جيشاً بعد جيش ، وهو يَستظهر عليهم ويَكسرهم . وتغلَّبَ على نواحى فارسَ وغيرِها . ووقائعُه مشهورة .

وقد ذكر المبرِّد كثيراً من أخباره ( فى الكامل ) . وكان مع شجاعته من البُلغاء ، وله شعر جيِّد .

وكان آخرُ أمره أنَّ الحجاج نَدب له سُفيانَ بن الأبردِ فى جيشٍ كثيف ، واجتمع معه إسحاقُ بن محمَّد بن الأشعث ، فى جيشٍ لأهل الكوفة ، فأقبلا فى طلب قَطَرِىّ فأدركوه فى شِعبٍ من شعاب طَبَرِستان ، فقاتلوه فتفرَّق عنه أصحابُه ، وسقط عن دابَّته فتدهْدَهَ إلى أسفل الشِّعب ، وأتاه عِلجٌ من أهل البلد

(١) ط : « أدع الكماة » ، صوابه فى ش .

فحدَر عليه حجرا من فوقِه فأصاب وركَهُ فأوهَنه ، وصاحَ بالناس فاقبلوا نحَوه ، وجاء نفرٌ من أهل الكوفة فقتلوه وأرسلوا رأسَه إلى الحَّجاج ، فسيَّره إلى عبد الملك ، وذلك فى سنة سبع وسبعين بتقديم السين على الموحدة فيهما . كذا فى تاريخ النويرى .

وقطرىٌّ بفتح القاف والطاء وتشديد الياء ، قال الجوهرىّ : وقَطرىّ بن فُجاءة المازنىٌّ زعم بعضهُم أنّ أصل الاسم مأخوذٌ من قطرىٍّ النعال . قال الصلاح الصفدى ( فى حاشيته على الصحاح ) قلت : بل هو منسوبٌ إلى قَطَر ، بالسِّيف ، على ما ذكره بعضُهم . انتهى .

أقول : السيف بكسر السين : ساحل البحر ، قال أبو عُبيد البكرىّ ( فى معجم ما استعجم ) : قَطَر بفتح أوله وثانيه بعده راء مهملة : موضع بين البحرين وعُمان تُنسَب إليه الإبل الجياد ، وهى أكثر بلاد البحرين حُمُراً .

و ( الفجاءة ) بضم الفاء والمدّ ، قال صاحب الصحاح : فاجأه الأمرُ مفاجأة وفَجْئاً ، وكذلك فجِئه الأمر وفَجأه الأمر ، بالكسر والنصب [(١)] فجاءة بالضم والمدّ . ومنه قطرىّ بن فجاءة المازنى . قال أبو عبيد البكرى ( فى شرح أمالى القالى ) : اختُلف فى اسم الفجاءة فقيل اسمه جَعْونة ، وقيل مازن ، بن يزيد بن زياد ابن حَنْتَر [(٢)] بن كابية بن حُرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . وسمِّىَ الفجاءةَ لأنّه غاب دهرا باليمن ثم جاءهم فُجاءة . انتهى .

وجزم صاحب الجمهرة أنّ اسمه جَعْونة بن مازن ، فجعل مازنا والد جعونة لا والد قطرىّ . وهو بفتح الجيم وسكون العين وبعد الواو نون . وحَنتر ، المشهور

---

(١) بالكسر والنصب ، ساقط من ش ، ثابت فى ط والصحاح .

(٢) فى سمط اللآلى ٥٩٠ : « بن حنتر ، أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم » بدون ذكر لكابية وحرقوص .

أنه حَبْتر بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها مثناة فوقيّة . قال الأمير الحافظ أبو نصر على بن ماكُولا ( فى إكماله ) : وقال ابن الكلبى : قطرَىٌّ بن الفجاءة ، ورفع فى نسبه إلى حنثر بن كابية بفتح المهملَة وسكون النون بعدها ثاء معجمة بثلاث . ويروى حَبْتر ، والصواب بالنون والمثلثة . والله أعلم .

وكابية بموحَّدة بعدها مثناة تحتية . وحُرْقوص بضم الحاء المهملة والقاف .

* * *

وأنشد بعده :

( باتَتْ تَنُوش الحَوضَ نوشاً مِن علا نَوْشاً بهِ تَقطعُ أجوازَ الفلا )

على أنَّ ( علا ) الاسمية لا تلزم الإضافة كما هنا ، بخلاف عن فإنَّها تلزمها .

قال أبو على ( فى تذكرته ) : يجوز أن يكون علا مبنيًّا معرفةً ، ويجوز أن يكون معرباً نكرة . فإن كان مبنيا كانت الألف منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالضمة . وإن كان معرباً كانت منقلبة عن الواو لتحركها بالجر . فإن قيل : لا يكون إلاّ مبنيًّا لأنّه معرفة لتقدُّم الحوض ، والمعنى من علا الحوض . قيل : قد قال الله تعالى : ﴿ لله الأمرُ مِن قَبلٍ ومِن بعدٍ [1] ﴾ فهما نكرتان وإن كان ذكر الغلَبة قد تقدَّم وكان معلوماً ، إذ معنى الكلام من قَبلِ الغلبة ومن بعِدها . انتهى .

٢٦٢

وعلَى هذا يُقرأُ قول الشارح المحَقّق أى من فَوْقٍ بضم القاف ، وكسرها منونة .

وقد أخلّ ابن جنى ( فى شرح تصريف المازنى ) فى النقل عن أبى على ؛ فإنّه قال : قد كان أبو على يقول فى علا من هذا الرجز أَنَّ الألف فى علا منقلبة

(١) الآية ٤ من سورة الروم . وهى قراءة أبى السمّاك ، والجحدرى ، وعون العقيلى .

عن الواو ، لأنّه من علوت ، وأنَّ الكلمةَ فى موضع مبنيّ نحو قبل وبعد [١] ؛ لأنّه يريد نوشاً من عَلاه ، فلما اقتطع المضافُ من المضاف إليه وجب بناءُ الكلمة على الضم ، نحو قبل وبعد ، فلمَّا وقعت الواو مضمومةً وقبلها فتحة قلبت ألفا . وهذا مذهبٌ حسن . انتهى .

فلِلّه درُّ الشارح المحقق حيث لم يقيِّد . لكن أنشده الشارح فى أوّل حروف الجر على أنّ علا فيه مبنيٌّ على الضم لحذفِ المضافِ إليه وإرادةِ معناه .

وأورده ثعلبٌ ( فى أماليه ) على أنّه يقال من عَلْوٍ بسكون اللام وكسر الواو مع التّنوين ، وعُلوٍ بضم الواو ، وعَلوٍ بفتحها ، ومن عُلوِنا بضم العين وكسر الواو ، ومن علٍ ومن عالٍ ومن علاً . وأنشد البيتين وقال : من قال مِنْ عَلاً جعله مثل قفاً ، وعال مثل فاعلٍ ، وعلٍ مثل عمٍ ، ومن مُعالٍ مثل مفاعل بضم الميم ، ومن عَلْوُ مثل قبلُ وبعد ، ومن عَلْوَ مثل ليت . انتهى .

وتقدَّم شرحُه بأبسط ممَّا هنا فى الشاهد الثالث والسبعين بعد السبعمائة [٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الثمانمائة [٣] :

**٨٣٠** ( يَضْحَكْنَ عن كالبَرَدِ المنهَمِّ )

على أن الكاف يتعيَّن اسميتها إذا انجرَّت كما هنا . فالكاف اسمٌ بمعنى مثل ،

---

(١) ما بعد هذا إلى كلمة « بعد » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزانة ٩ : ٤٣٧ - ٤٣٩ .

(٣) المخصص ٩ : ١١٩ وابن يعيش ٨ : ٤٢ ، ٤٤ والمغنى ١٨٠ والعينى ٣ : ٢٩٤ والتصريح ٢ : ١٨ والهمع ٢ : ٣١ والأشمونى ٢ : ١٢٥ وملحقات ديوان العجاج ٨٣ .

صفةُ موصوفٍ محذوف ، أى عن ثغر مثل البَرَد .

قال أبو حيان ( فى الارتشاف ) : واختلفوا هل تكون اسماً فى الكلام ، أو يختصّ ذلك بضرورة الشعر ؟ فذهب الأخفش والفارسيُّ فى ظاهر قوله ، وتبعهما ابن مالك ، أنَّها تكون اسماً فى الكلام ، وقد كثر جرُّها بالباء ، وعلى ، وعن ، وأضيف إليها وأسند ، فاعلةً ومبتدأةً ومفعولة . لكن كلُّ هذا فى الشعر . وذهب سيبويه إلى أنّ استعمالها اسما إنمّا يجوز فى ضرورة الشعر . انتهى .

ومثال جرّهَا بالباء قول امرئ القيس يصف فرسا :

ورُحنا بِكابنِ الماءِ يُجنَبُ وَسْطَنا     تَصَوَّبُ فيه العينُ طوراً وترتقى

وابن الماء : طائر يقال له الغِرنيق ، شبَّه الفرس به فى سرعته وسهولة مشيه . ويجنَب : يُقاد . وتَصوَّبُ : تنحدر . وترتقى : ترتفع . يريد أنَّ عين الناظر إليه تصعِّد فيه النَّظَرَ وتصوّبه إعجاباً به . ومثال جرِّها بعلى قولُ ذى الرمة :

أبيتُ على ميّ كئيباً وبعلُها     على كالنَّقَا من عالج يتبطَّحُ [(١)]

ومثال وقوعها فاعلةً البيت الآتى . ومثال وقوعها مبتدأةً قولُ الكميت :

علينا كالنِّهاءِ مضاعفاتٌ     من الماذىّ لم تُؤْدِ المُتُونا [(٢)]

أى علينا مثل النِّهاء . ومثال وقوعها مفعولةً قولُ النابغة :



---

(١) الخصائص ٢ : ٣٦٩ وسر الصناعة ١ : ٢٨٧ والضرائر ٣٠٢ وديوان ذى الرمة ٨٥ .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٧٩ والمعانى الكبير ١٠٣١ والضرائر ٣٠٥ وديوان الكميت ٣ : ١١٠ . وفى النسختين : « لم تؤذ » ووجهه ما أثبت من مجاز القرآن والضرائر . وأبو عبيدة أول من استشهد للبيت عند تفسير قوله تعالى : « ولا يؤوده حفظهما » . وكذلك تفسير ابن قتيبه له بقوله : « لم تؤذ : لم تثقل » وصوابه « لم تؤد » يقتضى هذا التصحيح . والمتن : الظهر . وفى النسختين : « المتونا » ، تحريف .

لا يَبْرَمونَ إذا ما الأفقُ جلَّله      بردُ الشتاء من الإمحال كالأَدمِ[(١)]

فالكاف مفعول جلَّله . ومثال وقوعها مضافاً إليها قولهُ :

تيَّمَ القلبَ حُبُّ كالبدرِ ، لا بَلْ      فاق حسناً من تيَّمَ القلبَ حُبّا[(٢)]

والبيت الآتى ، وهو :

* فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ *

وبقى عليه جرُّها بالكاف ، وسيأتى .

ومثال جرِّها بعن البيتُ الشاهد . وقبله :

أشطار الرجز

( ولا تلمنى اليومَ يا ابنَ عمىِّ      عند أبى الصَّهباءِ أقصَى همِّى
بِيضٌ ثلاثٌ كنعاجٍ جُمٍّ      يَضحَكْنَ عن كالبَرَدِ المنهمِّ
تحتَ عرانينِ أُنوفٍ شُمِّ[(٣)])

أبو الصهباء : كنية رجل . والهَمّ بالفتح والهِمّة بالكسر : أول العَزْم ، وهو الإرادة ، وقد يطلق على العزم القوىّ ، فيقال له همّة عالية . قال ابن فارس : الهمُّ : ما هممتَ به ، إذا أردته ولم تفعله .

وبيضٌ بالرفع إمّا بدل من أقصى همِّى ، وإمّا خبرٌ لمبتدأ محذوف ، أى هو ، والجملة جواب سؤال مقدَّر . وقيل بيضٍ بالجر بدل من همِّى . ولا وجهَ له . وقيل بيضٌ ثلاث : مبتدأ ، ويضحكن خبره ، وقيل خبر مبتدأ محذوف ، أى هنّ بيض ؛ وقيل مبتدأ خبره محذوف ، أى منهنّ بيض . ذكر هذه الأوجهَ الثلاثةَ الأخيرةَ

---

(١) ط : « لا يرمون » صوابه فى ش والديوان ٧٤ والهمع ٢ : ٣١ . لا يبرمون : لا يكونون أبراما ، جمع برم ، وهو من لا يدخل مع القوم فى الميسر ، أو معناه لا يضجرون .

(٢) من شواهد الهمع ٢ : ٣١ .

(٣) هو الشاهد ٨٣٢ فيما سيأتى .

العينىُّ تبعا لصاحب ( التخمير ) . والبيض : الحسان ، جمع بَيضاء ، وهى الحسناء .

والنعاج : جمع نعجة . فى المصباح : النعجة الأنثى من الضأن . والعرب تكنى عن المرأة بالنَّعجة . انتهى . ونقل عن أبى عُبيد أنَّه لا يقال لغير بقر الوحش نِعاج . وتشبَّه النساءُ بها فى العيون والأعناق . والجُمّ بضم الجيم : جمع جمَّاء ، وهى التى لا قرنَ لها . يقال جَمَّتِ الشاةُ جَمَمًا ، من باب تعب ، إذا لم يكن لها قرن ، فالذكر أجمُّ والأنثى جمّاء ، وجمعُهُما جُمّ بالضم . وفائدة الوصف بجمّ نفىُ ما يُكسبهنَّ سماجة .

و ( البَرَد ) : حبُّ الغمام ، وهو شىءٌ ينزل من السحاب يشبه الحصَى ، ويسمَّى حبَّ المزن أيضا . و ( المنهمُّ ) : الذائب . قال الجوهرى : انهمَّ البرَد والشّحم : ذاب . وهَمَّه : أذابه . شبَّه ثغر النساء بالبَرَد الذائب فى اللَّطافة والجلاءِ . والثَّغر أصله المَبْسِم ، ويطلق على الثَّنايا .

وقوله : « تحت عَرانين » [١] متعلّق بمحذوفٍ على أنه صفة ثانية للبرَد . والعرانين : جمع عِرنين ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين من الأنف . والشُّمّ : جمع أشمَّ وشمّاء . والشَّمَم : ارتفاع قصبةِ الأنف مع استواءِ أعلاه . فإن كان احديدابٌ فهو القَناَ . والأنفُ والرجلُ أقنَى ، والأُنثى قَنْواء .

صاحب الرجز

وهذا الرجز للعجَّاج . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

(١) فى النسختين : « تحت العرافين » ، صوابه ما أثبت .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٠ .

وأنشد بعده :

( أتَنتهون ولن يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ كالطّعنِ يَهلِك فيهِ الزَّيتُ والفُتُلُ )

على أنّه يتعين فيه اسمَّيتُها أيضاً إذا طلبها عاملُ رفعٍ كما هنا ، فإنّها اسمٌ بمعنى مثل ، وقعت عاملة لينهى .

وقوله : « إذا ارتفعت » ، معطوف على قوله : « إذا انجرَّت » .

٢٦٤ وتقدَّم كلام ابن السراج فى تعيّن اسمّية الكاف عند الكلام على هذا البيت فى الشاهد السادس والسبعين بعد السبعمائة [1] .

وقد بسط عليها الكلام ابنُ جنى ( فى سرّ الصناعة [2] ) وجوَّز اسميتها فى الاختيار دون الضَّرورة ، بخلاف ابن عصفور ( فى كتاب الضرائر [3] ) . ولا بأس بإيراد كلامهما . ولْنقدِّمِ الثانىَ فإنّه أخصرُ وأجمل ، قال : ومنه استعمال الحرف اسماً للضَّرورة ، كقول الأعشى : « أتنتهون » البيت ، فجعل الكاف فاعلةً لينهَى . وقول امرئ القيس :

وإنّك لم يفخَرْ عليكَ كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغلبْكَ مِثلُ مغلَّبِ

فجعل الكاف فاعلة بيفخر . والدليل على أنّها فاعلة فى البيتين أنّه لابدّ للفعل من فاعل ، فلا يجوز أن يكون الفاعل محذوفاً ، ويكون تقديره فى البيت الأول ناهٍ كالطَّعن ، وفى البيت الثانى فاخرٌ كفاخرٍ . لأنّه لا يخلو بعد الحذف أن يقام المجرور مُقامه أو لا يقام . فإن لم يُقَمْ مُقامَه لم يجزْ ذلك ، لأنَّ الفاعل لا يحذف من غير أن يُقام شيءٌ مقامه . وإنْ قدِّر لزم أن يكون المجرور فاعلاً ، والمجرور الذى

---

(١) الخزانة ٩ : ٤٥٤ .

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٨٣

(٣) الضرائر ٣٠١ .

حرف الجر فيه غير زائد لا يكون فاعلاً . فلمّا تعذّر حذف الفاعل على التقديرين لم يبق إلاّ أن تكون الكاف هى الفاعلة ، عوملت معاملة مِثل ، لأنّ معناها كمعناه . وحُكم لها بحكمه بدلاً من حكمها للضّرورة . وممّا استُعملت أيضا الكاف فيه اسماً قولُ ذى الرمة : « وبعلها على كالنقا (١) » ، وقول امرئ القيس : « ورحنا بكابنِ الماء (٢) » . والدَّليل على أن الكاف فيهما ليست بحرفِ جر ، أنَّ حرف الجرّ لا يدخل على حرف الجرّ إلا أن يكونا فى معنىً واحد ، فيكون أحدُهما تأكيداً للآخر . فإنْ قيل : لعلَّ الكاف حرف جر ويكون المجرور بعلى والباءِ محذوفا ، والتقدير : على كَفَل كالنقا ، وبفرسٍ كابن الماء ، فالجواب : أنَّ ذلك لا يسوغ ، لأنّك إن لم تقدِّر المجرور قائما مقام المحذوف لزم من ذلك أن يكون الحرف الذى هو الكاف مع الاسم المجرور به فى موضع خفض بعلى والباء ، وذلك لا يجوز ، لأنّ حروف الجر إنمّا تجرّ الأسماء وحدَها (٣) ، فلما تعذَّر أن تكون الكاف حرفا على التقديرين لم يبق إلاّ أن تكون قد جُعِلت اسماً (٤) . انتهى .

وقال ابن جنى : إنْ قال قائل : هل يجوز أن تكون الكاف فى كالطعن حرفَ جر ، وتكون صفةً قامت مقام الموصوف (٥) ، والتقدير : ولن ينهى ذوى شطط شيء كالطعن ، فيكون الفاعل المحذوف الموصوف حُذف جائزاً (٦) كما حُذف الموصوف فى قوله : ﴿ ودانيةً عليهمْ ظِلالها (٧) ﴾ ، أى جنّةً دانية ، وكقول الآخر :

---

(١) البيت بتمامه فى ص ١٤٨ .

(٢) البيت بتمامه فى ص ١٤٧ .

(٣) ط : « لأن حرف الجر إنما يجر الأسماء وحدها » ، وأثبت ما فى ش والضرائر ٣٠٤ .

(٤) فى الضرائر : « قد جعلت اسما بالحمل على ما هى فى معناه » .

(٥) ش : « قائمة مقام الموصوف » ، وأثبت ما فى ط وسر الصناعة ١ : ٢٨٤ .

(٦) سر الصناعة : « ويكون حذف الموصوف هنا جائزا » .

(٧) الآية ١٤ من سورة الإنسان .

* كأنَّك من جمالِ بنى أُقَيْشٍ [١] *

أى جملٌ من جمال بنى أُقيش ؟ فالجواب : أنَّ حذف الموصوف وإقامةَ الوصف مقامه قبيح [٢] ، وفى بعض الأماكن أقبح . فأمّا دانية فالوجه أن يكون حالاً معطوفة على متكئين ، فهذا لا ضرورةَ فيه . وأمَّا قولُه « كأنَّك من جمالٍ » فإنَّما جاز فى ضرورة الشعر . ولو جاز لنا أن نجد مِنْ فى بعض المواضع قد جُعلت اسماً لجعلناها هنا اسما ولم نَحمل الكلامَ على إقامة الصِّفة . فأمَّا قوله « ولن ينهى ذوى شَطَط كالطعن » فلو حملتَه على إقامة الصِّفة مقام الموصوف لكان أقبح من تأوُّل قوله تعالى : ( ودانيةً ) على حذف الموصوف ، لأنّ الكاف فى بيت الأعشى هى الفاعلة فى المعنى ، ودانية إنمّا هى مفعول ، والمفعول قد يكون غير اسم صريح ، نحو ظننت زيداً يقوم ، والفاعل لا يكون إلاّ اسماً صريحاً مَحْضا . ٢٦٥

فإن قلت : ألست تعلم أن خبر كأنَّ يجرى مجرى الفاعل ، وقد قالوا :

* كأنّكَ من جمال بنى أُقيش *

وأرادوا : جملٌ من جمال بنى أُقيش ، فهلاَّ أجزت حذف الفاعل وإقامةَ الصفة مقامه فى قول الأعشَى ؟ فالجواب : أن بينهما فرقا من وجهين :

أحدهما : أنَّ خبر كأنَّ وإنْ شبِّه بالفاعل فى ارتفاعه فليس فى الحقيقة فاعلاً ، وجعلُهم خبرها فعلاً يدلُّ على أنه لا يبلغ قوّة الفاعل .

والآخَر : أنّ قوله :

* كأنّك من جمال بنى أقيش *

---

(١) هو الشاهد ٣٤٦ فى الخزانة ٥ : ٦٧ — ٧١ .

(٢) فى سر الصناعة : « مقامه على كل حال قبيح » .

اضطُرِرنا فيه إلى إقامة الصفة مقامَ الموصوف ، وبيت الأعشى لَمْ نُضطرّ فيه إلى ذلك [١] لأنَّه قد قامت الدَّلالة البيِّنة عندنا على استعمالهم الكافَ اسماً فى نحو قوله : « وبعلها على كالنقا [٢] » فهذا ونحوه يشهدُ بكونِ الكافِ اسماً ، وبيتُ الأعشى أيضاً يشهد بما قلنا . ولسنا نخالف الشائعَ المطرّد إلى ضرورة واستقباحٍ [٣] إلاّ بأمرٍ يدعو إلى ذلك ، ولا ضرورةَ هنا . فنحنُ على ما يجب من لزوم الظاهر ، ومخالفُنا معتقدٌ لما لا قياس يَعضُده . فقد صحَّ بما قدَّمنا أنّ كاف الجر تكون مرةً اسما ومرّة حرفا . فإذا رأيتهَا فى موضعٍ تصلح فيه أن تكون اسماً وأن تكون حرفاً فجوِّز فيها الأمرين ، وذلك كقولك : زيد كعمرٍو ، فقد تصلح أن تكون الكاف هنا اسماً كقولك : زيد مثل عمرو ، ويجوز أن تكون حرفاً كقولك : زيد من الكرام . فكما أنَّ مِن حرفُ جرّ وقع خبراً عن المبتدأ كذلك الكاف تصلح أن تكون حرف جرّ . فإذا قلت : أنت كزيد ، وجعلت الكاف اسما فلا ضمير فيها ، كما أنّك إذا قلت : أنت مثل زيد فلا ضمير فى مِثل ، كما لا ضمير فى الأخ ولا الابنِ إذا قلت : أنت أخو زيد وأنت ابن زيد . هذا قولُ أصحابنا ، وإن كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون فى هذا النحو الذى هو غير مشتقّ من الفعل ضميرٌ ، كما يكون فى المشتقّ . فإذا جعلت الكاف فى : أنت كزيد ، حرفاً ففيها ضمير كما تتضمَّن حروفُ الجر الضّميرَ إذا نابت عن الأفعال فى نحو : زيد من الكرام .

واعلم أنّه كما جاز أن تُجعل هذه الكافُ فاعلةً فى بيت الأعشى وغيرِه فكذلك يجوز أن تُجعل مبتدأةً ، فتقول على هذا : كزيدٍ جاءنى ، وأنت تريد : مثل زيد جاءنى . فإنْ أدخلتَ إنّ على هذا قلت : إنَّ كبكرٍ غلامٌ لمحمد ، فرفعت

(١) ش فقط : « لم يضطر فيه إلى ذلك » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٥١ .

(٣) هذا ما فى سر الصناعة . وفى النسختين : « ضرورة استقباح » بالإضافة .

الغلام لأنّه خبر إنّ ، والكاف فى موضع نصبٍ لأنّها اسمُ إنّ . وتقول إذا جعلت الكاف حرفاً وخبرا مقدماً : إنَّ كَبَكرٍ أخاك .

واعلم أنَّ أقيسَ الوجهين فى أنت كزيد أن تكون الكاف حرفاً جارًّا بمنزلة الباء واللام ، لأنّها مبنيّةٌ مثلهُما ، ولأنَّها أيضا على حرفٍ واحد ، ولا أصل لها فى الثلاثة ، فهى بالحروف أشبه . ولأنّ استعمالها حرفاً أكثر من استعمالها اسماً .

هذا كلام ابن جنّى ، وهو صريحٌ فى جواز اسميَّتها فى الاختيار ، خلافَ ما نُقل عن سيبيويه . وإليه ذهب صاحب الكشاف أيضاً قال فى : ﴿ فأَنفخُ فيه [1] ﴾ : إنَّ الضمير للكاف من ( كهيئة الطير ) أى فأَنفخ فى ذلك الشىء المماثِل فيصير كسائر الطُّيور . انتهى .

وجميعهم امتنعوا فيما ذكرناه من جعل الكاف حرفاً تكون مع مجرورِهَا صفة لمحذوف ، لأنَّ شرط جوازه أن يكون بعضاً من مجرور بمِنْ أو فى ، نحو : منّا ظَعَنَ ومنَّا أقام .

٢٦٦ ولم يلتفت أبو على ( فى البغداديات ) إلى هذا الشرط ، وخرَّجه على حذف الفاعل الموصوف فقال : ولو قال قائل إنّ الكاف بمعنى الحرف الجار لم يكن مخطئا ، ويكون التقدير : ولن ينهى ذوى شطط شىءٌ كالطَّعن ، فحذف الموصوفَ وأقام الصفة مُقامه . ونظيره من التنزيل : ﴿ ومن آياته يُريكمُ البَرق [2] ﴾ تقديره : ومن آياته أنّه يريكم فيها البرق ، فنصب الظرف على الاتساع نصبَ المفعول به ، كأنّه يريكموها البرق . مثل « ويوما شهدناه [3] » ، ثم حذف الضمير . ونظير ذلك :

---

(١) الآية ٤٩ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الروم .

(٣) قطعة من بيت سبق فى ٧ : ٢٨١ . وهو بتمامه :

ويوما شهدناه سليما وعامرا ... قليل سوى الطعن النهال نوافله

وما الدهر إلاّ تارتانِ فمنهُما أموتُ وأخرى أبتغِي العَيشَ أكدَحُ[١]

أى منهما تارةٌ أموت فيها ، وأخرى أبتغى العيش .

ومن هذا الباب قول أبى الحسن : قولُه تعالى [٢] : ﴿ أو جاءُوكم حَصِرتْ صدُورُهم [٣] ﴾ أى جاءُوكم قوماً حصرت صدورُهم . فكذلك قوله : ( ولن ينهَى ذوى شَطَطٍ ) يحتمل أن يكون على هذا الذى وصفنا من حذف الموصوف ، ولكن يدلُّ على كونها اسماً فى الشعر قولُ القائل :

* فصُيِّروا مِثْلَ كعصفٍ مأكولْ[٤] *

لأنَّ الاسم لا يضاف إلى الحرف . وكذلك :

* وصالياتٍ ككما يؤثفَيْنْ *

تدلّ الكاف الأُولى على أنّ الثانية اسم ، إذ لا يدخل حرف خفض على مثله . انتهى كلامه .

وقد رجع عنه ( فى المسائل البصريات ) ، وهذا نصُّه : لا تخلو الكاف من أن تكون اسماً أو حرفا . لا يجوز أن تكون حرفاً لأنّك إن جعلتَها حرفا لزم أن تجعلها صفة لمحذوف ، كأنك قلت : شيء كالطعن ، والفاعل لا يحذف . ألا ترى إلى أن قول [٥] من قال : ضربنى وضربت زيدا ، إنَّ الفاعل منه محذوف، خطأ عندنا . وكذلك إن جعلت الكاف حرفا كان وصفاً ، وإذا صار وصفاً فالموصوف محذوف

---

(١) لتميم بن مقبل فى ديوانه ٢٤-وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٧٦ .
(٢) ش : « فى قوله تعالى » على أثر تغيير وإضافة .
(٣) الآية ٩٠ من سورة النساء .
(٤) الرجز لحميد الأرقط ، وهو الشاهد ٨٣٢ فيما سيأتى .
(٥) ش : « ألا ترى قول » .

وإذا جعلته وصفَ محذوفٍ بقىَ الفعلُ بلا فاعل ، وذلك غير جائز عندَنا . فإذا كان كذلك جعلت الكاف نفسها فاعلة وموضعها رفع ، كما أنَّ موضعها جَرٌّ فى قوله : « ككما يؤثقين » ، وكما أنّ موضعها جرٌّ فى قوله :

* على كالقطا الجُونىِّ[١] *

فإن قلت : فهلا حذفتَ المجرور فى قوله « على كالقَطا الجُونى » لأنّه ليس بفاعل ؟ قُلنا : يفسُد كما يفسد حذف الفاعل ، فإنّك إذا حذفته قدَّرت الكاف وصفاً له ، وإذا كانت وصفاً له كانت حرفا ، وإذا كانت حرفاً أدخلتَ حرفَ جرٍّ على حرف جر . وإذا كان كذلك لم يجز ، فمن ثَمَّ لزمك أن تحكم بأنَّ الكاف فى قوله : « على كالقطا » اسمٌ فى موضع جرّ بعلى ، كما أنّها اسمٌ فى موضع رفع بأنّها فاعلة فى بيت الأعشى . انتهى كلامه .

وعلى هذا مشى ( فى التذكرة القصرية ، وفى كتاب الشعر ) .

ومن جميعِه تعلم أنَّ اسميَّتها عنده خاصَّة بالشعر خلافاً لما نُقل عنه .
ومعنى البيت : لا يمنع الجائرِينَ عن الجور مثلُ طعن نافِذ إلى الجوف ، يغيب فيه الزَّيت مع فتيلة الجراحة .

وتقدَّم الكلام عليه مفصّلا فى الشاهد السادس والسبعين بعد السبعمائة [٢] .

* * *

---

(١) قطعة من بيت للأخطل فى ديوانه ١٩٦ والمخصص ١٤ : ٤٩ وسر الصناعة ١ : ٢٨٧ ، ٣٠٠ ورصف المبانى للمالقى ١٩٨ . وهو بتمامه :

قليلا غرار العين حتى تقلصوا ... على كالقطا الجونى أفزعه القطر

(٢) الخزانة ٩ : ٤٥٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الثمانمائة [١] :

**٨٣١** ( لواحقُ الأقرابِ فيها كالمقَقْ )

على أنّ الكاف فيه زائدة .

قال ابن جنى ( فى سر الصناعة ) المقَقُ : الطُّول ، ولا يقال فى الشىء كالطُّولِ ، إنّما يقال : فيه طول ، فكأنّه قال : فيها مققٌ ، أى طول . انتهى .

٢٦٧ صاحب الشاهد

والبيت لرؤبة بن العجّاج . قال الأصمعى فى شرحه : هو مثل قولهم : هو كذى الهيئة ، أى هو ذو هيئة .

وكذا قال ابن السرّاج ( فى الأصول ) ، وأبو على ( فى البغداديات ) قال : وأما مجىء الكاف حرفاً زائداً لغير معنىَ التشبيه فكقولهم فيما حُدِّثناه عن أبى العباس : فلانٌ كذى الهيئة ، يريدون فلان ذو الهيئة [٢] ، فموضعُ المجرور رفعٌ . ومنه :

* لواحق الأقرابِ فيها كالمَققْ *

أى فيها مقق ، لأنّه يصف الأضلاع بأنَّ فيها طولا ، وليس يريد أن شيئاً مثلَ الطول نفسه . ومنه : ﴿ ليس كمثْلِهِ شىء [٣] ﴾ . ومنه أيضا : ﴿ أو كالذى مَرّ على قريةٍ [٤] ﴾ تقديره : أرأيت الذى حاجَّ إبراهيمَ فى ربِّه ، والذى مرَّ على قرية . انتهى .

---

(١) ديوان رؤبة ١٠٦ والمقتضب ٤ : ٢١٨ وأصول ابن السراج ١ : ٣٥٩ وسر الصناعة ١ : ٢٩٢ ، والإنصاف ٢٩٩ والضرائر ٦٦ والأشمونى ٢ : ٢٢٥ .

(٢) يريدون فلان ذو الهيئة ، ساقط من ش .

(٣) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٤) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

قال أبو حيان : وحكى الفراء أنّه قيل لبعض العرب : كيف تصنعون الأقط ؟ قال : « كهيِّن » يريد هيِّناً . ومن زيادتها قولُ بعضهم : كمُذْ أخذتَ فى حديثك ، جوابا لمن قال له : مذْ كم لم تَر فلانا ؟ يُريد : مذ أخذتَ . انتهى .

ومنه يُعلم أنَّه لا وجه لتخصيص زيادتها بالضَّرائرِ الشعرية كما زعم ابن عصفور .

و ( اللواحق ) : جمع لاحقة ، اسم فاعل من لحِق كسمع لُحوقا : ضَمر وهُزِلَ . و( الأقراب ):جمع قُرب بضمة فسكون ، وبضمتين : الخاصرة ، وقيل من الشّاكلة إلى مَرَاقّ البطن . يريد أنّها خِماص البطون . وضمير فيها للأقراب . و ( المقق ) بفتح الميم والقاف : الطُّول ؛ وقال الليث : الطُّول الفاحش فى دِقّة . فقوله « كالمقق » مرفوع الموضع على الابتداء ، وخبره الظرف قبله ، والجملة حال من الأقراب .

والبيت من قصيدةٍ طويلة تزيد على مائتى بيتٍ شرحنا قطعةً كبيرة منها فى الشاهد الخامس من أول الكتاب ، وهو من جملة أبياتٍ كثيرة فى وصف أُتُنِ حمار الوحش التى شبّه ناقته بها فى الجَلادة والعَدْو السَّريع ، لا فى وصف الخيل كما زعم العينىُّ وتبعه غيره . فينبغى أن نشرح أبياتاً قبله ، حتّى يتَّضح ما قلنا .

وقد وصف حمارَ الوحش بأبياتٍ إلى أن قال :

(أحقَب كالمِحْلج من طُول القَلقِ[1]    كأنَّه إذْ راحَ مَسلوسُ الشَّمَقْ )

فى الصحاح : الأحقب : حمار الوحش ، سمىٌّ بذلك لبياضٍ فى حَقويه ، والأنثى حقباء . والمِحلج قال صاحب المصباح : حَلجت القطن حَلجاً ، من باب ضرب . والمِحلج بكسر الميم : خشبة يحلج بها حتّى يخلُصَ الحبُّ من

---

(١) ش : « كالمجلح » بتقديم الجيم فى متن البيت وتفسيره ، صوابه فى ط والديوان ١٠٥ .

القطن . قال الأصمعيّ : شبَّهَه بالمِحلج لصلابته . وينبغى أن يقال : ولكثرة حركته واضطرابه . ومن طول القَلق ، هو وجه الشَّبه [1] ، وهو كنايةٌ عن عدم سكونه . والقلق : الاضطراب .

وراح : نقيض غدا ، يقال سَرَحت الماشيةُ بالغداة ، وراحت بالعشىّ ، أى رجعت . والعامل فى إذا ما فى كأنّ من معنى التشبيه . يصف رجوعه إلى مأواه . ومَسْلوس خبر كأنّه ، وهو من السُّلاس بالضم ، وهو ذَهاب العقل . والمسلوس : المجنون ، وقد سُلِس بالبناء للمفعول . والشَّمَق : النشاط ، مصدر شَمِق كفرح . وقال الليث : هو مَرحُ الجنون .

( نُشِرَ عنه أو أسيرٌ قد عَتَق مُنْسَرِحاً إلاّ ذعاليبَ الخِرقْ )

نُشِرَ بالبناء للمفعول بالتخفيف والتثقيل ، أى كُشِف عنه ، وهو من النُّشرة بالضم . قال صاحب القاموس : هى رُقية يُعالجُ بها المجنون والمريض ، وقد نَشَرَ عنه . وانتشر : انبسط كتنشَّر . وفى الصحاح : والتنشير من النُّشرةِ ، وهى كالتعويذ والرُّقية . وجملة نشر حال من ضمير مسلوس . يقول : كانَ هذا الحمارُ الأحقبُ كالاً من كثرة حركته ، فحين أراد الرجوع إلى مأواه نَشِط شوقاً إليه ، فكأنّه مجنونُ نشاطٍ زال جنونُه ، ومريضُ شوقٍ ذهب داؤه . والتعبير بالجنون عن كثرة اللَّهَج بالشىء ، وفرطِ الميل إليه ، مُستفيض . وأسير معطوف على مسلوس . وعَتَق العبدُ من باب ضرب ، وعَتَاقا وعَتَاقة : صار حُرًّا . والاسم العِتق بالكسر ، وهو الحرّيَّة . وهو عاتقٌ أى حُرٌّ . وأعتقه : جعله حُرًّا ، فهو مُعتِق بكسر التاء ، وذلك مُعتَق بفتحها .

٢٦٨

(١) ط : « من طول القلق وهو وجه الشبه » .

يقول : هذا الأحقب يُشبه أسيراً صادف غِرّة فتفَلّت من أَسِرهِ ، فهرَب أشدَّ الهرب .

والمنسرِح ، بالسين والحاء المهملتين : الخارج من ثيابه ، وهو حال من ضمير راح . والذعاليب ، بالذال المعجمة والعين المهملة : جمع ذُعلوب كعصفور . والذَّعالب : جمع ذِعلبة بالكسر ، وهما قِطَع الخِرق ، وقال أبو عمرو : أطراف الثياب ، وقال صاحب القاموس : أو ما تقطَّع منه فتعلَّق . وثوبٌ ذعاليبُ : خلَقٌ . وهذا تمثيل يؤيّد أنَّ هذا الأحقب انسرح من وبره إلاّ بقايا بقيَتْ عليه . وهذا ممَّا ينشطه . وروى صاحبُ الصحاح :

* منسرحاً عنه ذعاليبُ الخِرَقْ *

فيكون حالاً سببيًّا . وضمير عنه راجع للأحقب . وذعاليب فاعل منسرحاً . والمعنى : تساقط عنه وبرُه كلُّه .

قال ابن المستوفى ( فى شرح أبيات المفصَّل ) : الحَرَق بالحاء والراء المهملتين المفتوحتين ، هو تحاتُّ الوبر ، من قولهم : حَرِق شعُره ، أى تقطَّع ونَسَل . وليس للخِرَق هنا بالخاء المعجمة وجهٌ .

وهو على ما أوردتُه فى شعر رؤبة .

( منتحياً من قَصِده على وَفَقْ صاحبَ عاداتٍ من الوِرد الغَفَقْ )

فى الصِّحاح : أنحى فى سيره أى اعتمد على الجانب الأيسر . والانتحاءُ مثله . هذا هو الأصل ، ثم صار الانتحاء الاعتمادَ والميلَ فى كلِّ وجه . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّ حقيقة الانتحاء أخذُ النحو ، أى الناحيةِ والجانب ، فمن أين يدخل الأيسر فى مفهومه ؟

والقصد ، كما فى المصباح : مصدر قصَدت الشىء ، وله ، وإليه ، من باب ضرب : طلبتُه بعينه . وهو على قَصْد ، أى رَشَد . ويأتى بمعنى استقامة الطريق . والوَفَق بفتحتين كما فى القاموس : مصدر وَفِقْتَ أمرك كَرشِدْتَ : صادفته مُوافقا .

وصاحبَ عادات ، ومنتحياً : حالان من ضمير الأحقب فى راح . والورد بالكسر ، فى المصباح : ورد البعيرُ وغيرُه الماَء يرِدُه وُروداً : بلغَهُ ووافاه [١] من غير دخول ، وقد يكون دخولا . والاسم الوِرد بالكسر . والغَفَق بفتح الغين المعجمة والفاء ، هو أن ترد الإبل كلَّ ساعة . وقال الأصمعى : ظلَّ يتغفَّق الماء ، إذا جعل يشرب ساعةً فساعة . وهو وصف الورد بتأويله [ بوصفِهِ [٢] ] بالمتكرر والمتعدّد . وإذا كان وردُهُ متعدّدا فى اليوم ، فهو يسرعُ ليرد الماءَ . فهذه العادة مما تنشّطه للإسراع أيضا .

( تَرمى ذراعَيهِ بِجَثْجاثِ السُّوَقْ ضَرْجاً وقد أُنجذْنَ من ذات الطُّوَقْ )

فاعلَ ترمى صوادق العَقْب الآتى . وضمير ذراعيه للأحقب . والجثجاث بجيمين ومثلثتين ، قال الدينوريُّ ( فى كتاب النبات ) : هو جمعٌ ، الواحدة جَثجاثة . وأخبرنى أعرابىٌّ من ربيعة أنّ الجثجاثة ضخمةٌ يستدفئُ بها الإنسانُ إذا عظُمَت . ومنابتُها القِيعان ، ولها زهرةٌ صفراء تنبت على هيئة العُصفر . وقال غيره من الأعراب : هو من الأمرار ، وهو أخضر ينبت بالقَيظ ، له زهرةٌ طيِّبة الريح تأكله الإبل إذا لم تجد غيرَه . وقال أبو نصر : الجثجات شبيهٌ بالقَيصوم . ولِطيبِ ريحِه ومنابتِه فى الرِّياض قال الشاعر [٣] :

٢٦٩

---

(١) ط : « ووفاه » ، صوابه فى ش والمصباح .

(٢) التكملة من ش .

(٣) هو كثير عزة . ديوانه ٤٢٩ – ٤٣٠ والكامل ٤٩٨ والموشح ٢٣٩ .

فما روضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثرى يمجُّ الندى جَثجاثُها وعَرارُها
بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً وقد أوقِدت بالمجمر اللَّدْنِ نارُها[1]

والسُّوَق بضم السين المهملة وفتح الواو : موضع ، وكذلك ذات الطُّوَق بضم الطاء المهملة وفتح الواو . ولم أر من ذكرهما . وقد راجعت ( معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان ، والمرصَّع ، والصحاح ، والعُباب ، والقاموس ) فما وجدتُهما فيها .

يريد أنّ الأحقب يسوق أُتنَه فهى تمشى قُدّامه ، ومن شدَّة سرعتها يتكسَّر هذا النبت فيتطاير [2] كِسَرُهُ فتصيب ذراعَيه .

وضرْجاً ، بالضاد المعجمة والجيم : مصدر ضرجَه بمعنى شقّه ، وهو هنا حال من الجثجات بتأويله باسم المفعول ، أى مضروجة . وأنجدن : صرن إلى نجد . والنَّجد : ما ارتفع من الأرض . وجملة قد أنجدن حال من فاعل ترمى . وفيه مبالغةٌ فى جلادتها ، فإنَّ الطُّلوع من منخفض إلى مرتفع أمرٌ شاقّ ، وهى مع هذه الحالة يتكسَّر الجثجاث من شدّة وطئها .

( صَوادقُ العَقْب مهاذيبُ الوَلَقْ مَستِوياتُ القِدِّ كالجنب النَّسَقْ )

صوادق : فاعل ترمى المتقدّم ، وهو جمع صادقة اسم فاعل من الصِّدق ، وهو كما يكون فى القَول يكون فى الفعل بمعنى التحقّق . والعَقْب ، بفتح العين المهملة وسكون القاف : الجَرْىُ الذى يجىء بعد الجرىِ الأوّل . يقال : لهذا

---

(١) هذه أيضا رواية اللسان ( جثث ٤٣٣ ) . والمجمر هنا : العود الذى يتبخر به . والرواية المشهورة : « بالمندل الرطب » . والمندل : العود أيضا ، يقال المندل والمندلى ، بفتح الميم والدال فيهما .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو أحد وجهين جائزين .

الفرس عَقْبٌ حسن . وفيه مبالغةٌ حيث يتحقَّق جرىُ هذه الأُتنِ بعد تَعبها وكلالها ، فهى لا تفتُر أبدا . ومَهاذيب : جمع مِهذابة ؛ كمطاعيم جمع مِطعامة ، مبالغة هاذبة بمعنى مُسرِعة . يقال هذَب هَذْبا وهَذابة ، أى أسرع . ويقال أيضاً أهذَب وهذَّب وهاذب بمعناه . وفى الصحاح : الإهذاب والتهذيب : الإسراع فى الطَّيرانِ والعَدْوِ والكلام . وهو صفة صوادق ، وكذلك مستويات .

والولَق ، بفتح الواو : مصدر ولِقَ يَلَق ، من باب فرح ، بمعنى الإسراع . والإضافة بمعنى فى . يريد أنّهن سِراعٌ فى عَدْوهن . والقِدّ ، بكسر القاف ، قال صاحب القاموس : الطريقة . وقال الأصمعى : الحِذاء ، يقال : حِذاؤهن واحد . انتهى . وأراد بالحذاء مصدر حاذيته ، أى قاربته . والجنب هو ما تحت الإبط إلى الكشح . والنَّسق فَعَل بمعنَى منسوق ، يقال دُرّ نَسَقٌ [1] ، أى منسوق ، وفعلُه نسقْتُ الدرَّ نسقاً من باب قتل : نظمته . يقول : كأنَّهن فى قُرب بعضهن لبعض كأضلاع الجنب ، فلا تتأخّر إحداهنّ عن صاحبتها . يريد أنَّهن فى السُّرعة سواء ، فلا يفضلُ بعضُها على بعض .

( تَحِيدُ عن أظلالِها مِنَ الفَرَقْ     من غائلات اللَّيلِ والهَوْلِ الزَّعَقْ )

حاد عن الشيء حَيدة وحُيوداً : تنحَّى وبعُد . والجملة استئنافية . والفَرَق : مصدر فرِق ، كفرح ، بمعنى خاف . وهو علّةٌ لقوله تحيد . وحرفا الجر متعلّقان بتَحيد . وهذا مثلُ قولهم : فلانٌ يفرَق من ظِلِّه . وغائلات الليل : الصيَّاد ، والأسد ، والذئب ، وما أشبه ذلك . وهذا مما يزيد الأُتُنَ نَشاطا فى الإسراع . والهول : مصدرُ هالهِ من باب قال ، بمعنى أفزعَه . والزَّعَق بفتح الزاى المعجمة والعين المهملة : مصدر زَعِق كفرح ، وهو الخوف فى اللَّيل . فهو بدلٌ من الهول .

٢٧٠

(١) ط : « درنسوق » ، صوابه فى ش .

( قُبٌّ من التَّعداءِ حُقْبٌ فى سَوَقْ لواحقُ الأقرابِ فيها كالْمَقَقْ )

أى هذه الأتن قُبٌّ . والجملة استئنافية . والقُبّ : جمع أقبَّ وقبّاء ، من القَبَب ، وهو دِقّة الخَصْر وضُمْر البطن ، أى هنَّ خِماصٌ من كثْرة عَدْوهنّ . والتَّعداء : مصدر عدا من باب قال ، وهو أبلغ من العَدْو . والحقب خبرٌ بعدَ خبر ، وهو جمع حقباء ، وتقدَّم شرحه . والسَّوَق ، بفتحتين : طول الساق . والأسوق : الطَّويل السَّاقّين ، وقال ابن دريد : غليظهما ، وقيل حَسَنهما . وهى سَوْقاء . ولواحق خبر ثالث .

فظهَرَ بسَوْق هذه الأبيات أنَّ البيت الشاهد فى وصف الأتنِ الوحشيَّة ، لا فى وصف الخيل . والله أعلم .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أوّل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

**٨٣٢** ( فأصبحوا مِثْلَ كعصفِ مَأكولْ )

على أنّه يُحكَمُ بزيادة الكاف عند دخول ( مِثل ) عليها .

قال ابن جنى ( فى سرِّ الصناعة ) : وأما قوله :

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٠٣ . وانظر السيرة ٣٧ والمقتضب ٤ : ١٤١ ، ٣٥٠ والأصول ١ : ٥٣٤ وسر الصناعة ١ : ٢٩٦ ورصف المبانى ٢٠١ والمغنى ١٨٠ والعينى ٢ : ٤٠٢ والتصريح ١ : ٢٥٢ / ٢ : ١٧٢ والهمع ١ : ١٥٠ والأشمونى ٢ : ٢٥ واللسان ( عصف ) ، وملحقات ديوان رؤبة ١٨١ .

* فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ (١) *

فلا بدّ من زيادة الكاف ، فكأنّه قال : فصيِّروا مثل عصفٍ مأكول ، فأكّد الشبه بزيادة الكاف كما أكد الشبه بزيادة الكاف فى قوله تعالى : ﴿ ليس كمِثِله شيء (٢) ﴾ إلاّ أنّه فى الآية أدخل الحرف على الاسم ، وهذا سائغ ، وفى البيت أدخل الاسم على الحرف ، فشبَّه شيئاً بشيء . انتهى .

وأنشده سيبويه على أنّها فيه اسمٌ لضرورة الشعر ، قال : « إن ناساً (٣) من العرب إذا اضُطرُّوا فى الشعر جعلوها بمنزلةِ مثل . قال الراجز :

* فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ *

وقال الآخَر :

* وصالياتٍ ككما يؤثفَيْنْ * » .

قال الأعلم : أدخل مثلاً على الكاف إلحاقاً لها بنوعها من الأسماء ضرورة . وجاز الجمعُ بينهما جوازاً حسناً لاختلاف لفظَيْهما مع ما قصده من المبالغة فى التشبيه . ولو كرَّر المِثل لم يحسُن .

وقال صاحب الكشاف عند قوله : ﴿ ليس كمِثْلِه شَيء ﴾ : ولك أنّ تزعم أن كلمة التشبيه كرّرت للتأكيد ، كما كرَّرها من قال . وأنشد البيت وما بعده .

وأورِدَ عليه أنّ الكاف تفيد توكيد التشبيه لا تأكيد النفى ، ونفىُ المماثلة المهملة أبلغ من نفى المماثلة المؤكدة ، فليست الآية نظيرًا للبيت . وأجيب بأنّها

(١) ما بعده إلى كلمة « الكاف » التالية ساقط من ش .
(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .
(٣) هذا ما فى ط وسيبويه . وفى ش : « أناسا » .

تفيد تأكيد التشبيه إنْ سلباً فسلبٌ ، وإن إثباتا فإثبات .

قال ابن هشام ( فى المغنى ) : وفى الآية قولٌ ثالث ، وهو أنّ الكاف ومِثْلاً لا زائدَ منهما . ثم اختلف ، فقيل مِثل بمعنى الذات ، وقيل بمعنى الصفة ، وقيل الكاف اسم مؤكّد بمثل ، كما عَكس ذلك من قال :

* فصيِّروا مثل كعَصْفٍ مأكولْ *

وأورد عليه الدمامينى بأنّه يلزم عليه إضافة المؤكَّد إلى التأكيد ، والبصريّون لا يعتدُّون بها لأنَّها فى غاية النُّدرة ، فلا ينبغى تخريج التنزيل عليها .

والشارح المحقّق لمَّا حكم بزيادة الكاف فى البيت وَرَدَ عليه سؤال ، وهو ما مجرور مثل ؟ فأجاب بجوابين ، أوّلهما لابن جنى ( فى سر الصناعة ) ، وثانيهما مأخوذ أيضاً من تقريره ، وقد بسط الكلام فيه ، فلا بأس بإيراده لكثرة فوائده ، قال : ٢٧١

فإن قال قائل : إذا جُرّ العصف أبا لكاف [1] التى تجاوره ، أم بإضافة مثل إليه على أنّه فصل بالكاف بين المضاف والمضاف إليه ؟

فالجواب : أنّه لا يجوز أن يكون مجروراً إلاّ بالكافِ وإن كانت زائدة ، كما أنّ مِن وجميعَ حروف الجرّ فى أىِّ موضع وقَعنْ زوائدَ فلابدَّ من أن يَجرُرنَ ما بعدهنَّ .

فإن قيل : فإذا جررتَ العصف بالكاف ، فإلامَ أضفت مثلاً وما الذى جررت به ؟

فالجوابُ : أنّ مِثلاً وإن لم تكن مضافةً فى اللفظ فإنّها مضافة فى المعنى ، وجارّةٌ لما هى مضافةٌ إليه فى التقدير . وذلك أنَّ التقدير فصيِّروا مثلَ عصفٍ ،

---

(١) ط : « بالكاف » ، وأثبت ما فى ش وسر الصناعة .

فلمَّا جاءت الكاف تولَّت جرَّ العصف ، وبقيت مثلُ غيرَ جارّةٍ ولا مضافةٍ فى اللفظ ، وكان احتمال هذه الحال فى الاسم المضافِ أسوَغَ منه فى الحرف الجارّ . وذلك أنّا لا نجد حرفاً جارًّا معلَّقا غير عاملٍ فى اللفظ ، وقد نجد بعضَ الأسماء معلَّقا عن الإضافة جارًّا فى المعنى غير جارٍ فى اللفظ ، وذلك نحو قولهم : جئتُ قبلُ وبعدُ ، وقام زيدٌ ليس غيرُ . وقال :

* بين ذراعَىْ وجَبْهةِ الأسدِ (١) *

أى بين ذراعَى الأسدِ وجَبهته . وهذا كثير . وإنّما أردتُ أن أُوجِدَكَ أنَّ الأسماء تعلَّق عن الإضافة فى ظاهر اللَّفظ ، وأنَّ الحروفَ لا يمكن أن تعلَّق عن الجرّ فى اللفظ البتَّة . فأمَّا قول الشاعر :

جيادُ بنى أبى بكرٍ تَسامَى ... على كانَ المسوَّمةِ العراب (٢)

فإنَّما جاز الفصل بكان من قِبَل أنّها زائدةٌ مؤكّدة ، فجَرَتْ مَجْرَى ما المؤكِّدةِ فى نحو قوله : ﴿ فبِمَا نَقْضِهِمْ ميثاقَهُم (٣) ﴾ ، و ﴿ عما قليلٍ (٤) ﴾ . ولا يجوز فى قوله : « ككما يؤثفين » أنْ تكون ما مجرورة بالكاف الأولى ، لأنَّ الكاف الثانية عاملة للجرّ ، وليست كان جارّة فتجرى مجرى الكاف فى ككَما .

فإن قيل : فمن أين جاز تعليق الأسماء عن الإضافة ولم يجُزْ فى حروف الجرّ أن لا تتَّصل بالمجرور ؟

فالجواب أنّ ذلك جائزٌ فى الأسماء من وجهين :

---

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٩٢ والخزانة ٢ : ٣١٩ . وصدره :

* يا من رأى عارضا أسر به *

(٢) من الأبيات غير المنسوبة . وهو الشاهد ٧٢٨ .

(٣) من الآية ١٥٥ من النساء و ١٣ من المائدة .

(٤) الآية ٤٠ من المؤمنون .

أحدهما : أنَّ الأسماء أقوى وأعمُّ تصرفاً من الحروف ، وهي الأُوَل الأصول ، فغير منكرٍ أن يُتجوَّز فيها مالا يُتجوَّز في الحروف . ألا ترى أنَّ تاء التأنيث في الاسم نحو مسلمة قد أبدلوها هاءً في الوقف ولم يبدلوها في رُبَّت وثُمَّت . والفعل أيضاً في هذا جارٍ مجرى الحرف . والثاني : أنَّ الأسماء ليست في أوّل وضعها مبنيّةً على أن تُضاف ويجرَّ بها ، وإنَّما الإضافة فيها ثانٍ لأوّل ، فجاز فيها أن تَعْرَى في اللفظ من الإضافة وإن كانت الإضافة فيها منويَّة . وأمّا حروفُ الجرّ فوُضعت على أنّها للجرِّ البتة ، وعلى أنَّها لا تفارق المجرور ، ولضعفها وقلّة استغنائها عن المجرور فلم يُمْكِنْ تعليقُها عن الجّر ؛ لئلّا يبطُلَ الغرض .

فإن قيل : فمن أين جاز للاسم أن يدخل على الحرف [١] ؟

فالجواب : إنَّما جاز لما بين الكاف ومِثل من المضارعة في المعنى ، فكما جاز أن يُدخلوا الكافَ على الكاف في « ككما يؤثفين » ، لمشابهته لمثل ، حتّى كأنه قال : كمثل ما يؤثفين ، كذلك أدخَلوا مِثْلاً على الكاف ، وجعلوا ذلك تنبيهاً على قوّة الشبه بين الكاف ومثل .

فإن قيل : فهل تجيز أن تكون الكافُ مجرورةً بإضافة مثلٍ إليها [٢] فيكون قد أضفتَ كلّ واحدٍ من مثل والكاف ، فيزول الاعتذار بتركهم مِثلاً غ مضافة ، ويكون جرّ الكاف بإضافة مثل إليها [٣] كجرّها بدخول الكاف الكاف في « ككما يؤثفين » ، كما انجرَّت بعلى في قوله : « على كالقطا الجونى [٤]

٢٧٢

(١) ط : « في الحرف » صوابه في ش وسر الصناعة ١ : ٢٩٩ .

(٢) ما بعده إلى « مثل إليها » التالية ساقط من ش .

(٣) هذا نهاية السقط السابق .

(٤) سبق الكلام على هذا الجزء من بيت الأخطل قريبا في الورقة ٢٦٦ .

فالجواب : أنَّ قوله مثل كعصف قد ثبت أنّ مثلاً والكاف فيه زائدة ، كما أنّ إحداهما زائدة فى ﴿ ليس كمثْلِهِ شيءٌ [1] ﴾ ، وإذا ثبت ذلك فلا يجوز أن تكون مثل هى الزائدة ، لأنّها اسم ، والاسماءُ لا تُزاد ، فالزائد الكاف ، فإذا كانت هى الزائدة فهى حرف ، وإذا كانت حرفاً بطَل أن تكون مجرورة ، وإذا لم تكن مجرورة بطل أن تكون مثل مضافةً إليها . على أنَّ أبا علّى قد كان أجاز أن تكون مثل مضافة إلى الكاف وتكون اسماً . وفيه عندى ضعفٌ لما ذكرته . وأما قوله : « ككما يؤثفين » فقد استدللنا بدخول الكافِ الأولى على الثانية ، وأنَّ الثانية اسمٌ وأنّ الأولى حرفٌ قد جَرَّ الثانية وهو مع ذلك زائد . ولا ينكر وإنْ كان زائداً أن يكون جارًّا . انتهى كلام ابن جنى .

وكأنَّ الدمامينى لم يقفْ على كلام الشارح المحقّق ، ولا على كلام ابن جنى ، فقال ( فى الحاشية الهندية ) : ينبغى أن تكون الكاف فى البيت اسماً أُضِيف إليه مثل ، فيكون عمل كلّ من الكلمتين موفّرا . أمّا إذا جُعِلت حرفا وجُعل مثل مضافا إلى عصف ، لزم قطعُ الحرف الجارِّ عن عمله بلا كافٍ ، اللهمَّ إلّا أن يقال : ينزَّل منزلةَ الجزء من المجرور . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

قال العينى : البيت من شعر لرؤبة بنِ العَجاج . وقبله :

أشطار الشاهد

( ومسَّهُم ما مَسَّ أصحابَ الفيلْ ولَعِبتْ طيرٌ بهمْ أبابيلْ
ترميهمُ حجارةٌ من سِجِّيلْ فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ )

ولم يذكر ما مَرجعِ الضمير ، ومَنِ الذين جَرى عليهم هذا الأمر .

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى .

وأصحاب الفيل : أبرهةُ بن الصبَّاح الأشرم [١] ملكُ اليمن ، من قِبل أَصحَمة النجاشي وجيشِه .

وكان من أمر أبرهة أنّه بنى كنيسةً بِصنعاءَ وأراد صرفَ الحاجّ إليها ، فخرج رجلٌ من بنى كنانة فقضَى حاجته فيها ، فأغضَبه ذلك وحَلَف ليهدِمنَّ الكعبة ، فخرج بجيشِه ومعه الفيلة ، وفيلٌ قوىٌّ يسمَّى محمودًا ، فلما تهيّأ لدخول الحَرَمَ عَبَّى جيشَه وقدَّمَ الفيل ، فكان كلَّما وجَّهوه إلى الحرَمَ بَرَك ولم يبرحْ ، وإذا وجَّهوه إلى اليمن أو إلى جهةٍ أخرىَ هروَل ، فأرسل الله طيراً أبابيل فى مِنقار كُلّ منها حجرٌ ، وفى رجليه حجَران أكبرُ من العَدَسة وأصغَر من الحِمَّصة ، فرمتهم فكان الحجَرُ يقعُ فى رأس الرجل فيخرج مِن دُبره . فهَلَكوا جميعا .

والسِّجّيل : الطين المتحجّر ، معرب: سَنْك كِلْ [٢] . والأبابيل : الجماعات من الطَّير ، جمع إبّالة بكسر الهمزة وتشديد الموحدة ، وهى الحُزمة الكبيرة ، شبهت بها الجماعة من الطير لتَضامِّها . وقيل لا واحَد لها .

وقوله : ( فأصبَحوا ) روى بدله : ( فصُيِّروا ) بالبناء للمفعول . وبه استشهد ابن هشام ( فى شرح الألفيَّة ) لتعدية صَيَّر إلى مفعولين أحدهما نائب الفاعل ، وثانيهما مثل . و ( العصف ) قال صاحب العباب : قال الفرَّاء : هو بقْل الزَّرْع . وعن الحسن البَصرى : الزرع الذى أُكِل حبُّه وبقى تِبنُه .

---

(١) فى اللسان : « والأشرم : أبرهة صاحب الفيل ، سمى بذلك لأنه جاءه حجر فشرم أنفه ونجاه الله ليخبر قومه ، فسمى الأشرم . وفى الحديث : أن أبرهة جاءه حجر فشرم أنفه ، فسمى الأشرم » . ونحوه فى القاموس . وفى جمهرة ابن حزم ٤٣٥ اكتفى بقوله : « أمه بنت الأشرم الحبشى ملك اليمن » . فلم يجعل الأشرم لقباً له .

(٢) ط : « سنك وكل » صوابه فى ش . و « سنك » فى الفارسية بمعنى الصخر أو الحجر . و « كل » بكسر الكاف الفارسية بمعنى الطين .

وترجمة رؤبة تقدّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده :

* ( وصالياتٍ كَكَما يُؤَثفَيْنْ ) *

وتقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [٢]

* * *

٢٧٣

وأنشد بعده :

( ولا لِلِما بهمْ أبداً دواءُ )

أوّله :

( فَلا واللهِ لا يُلْفَى لِمَا بي )

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده :

( يا تيمَ تيمَ عَدِيٍّ )

تمامه :

................ لا أبالكم لا يُلقينّكمُ فى سَوْءةٍ عمرُ

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد المائة [٤] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٢ .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٣ – ٣١٨ .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٠٨ – ٣١٢ .

(٤) الخزانة ٢ : ٢٩٨ – ٣٠٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثمانمائة [١] :

**٨٣٣** ( ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ )

على أن قوله تعالى : ﴿ ليسَ كمثلِهِ شَىءٌ ﴾ النفى فيه منصبٌّ على مثل مثلِه وعلى مثِله جميعا ، فليس لله سبحانه وتعالى مِثل حتى يكون لمثله شىءٌ يماثله . فالمنفى المثل ومِثلُ المِثْل جميعا . وهذا كقول عمرو بن أحمرَ فى وصفِ فلاة :

( لا تُفـزِعُ الأرنبَ أهوالُهـا ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنجَحِرْ )

لم يرد أنَّ بها أرانب لا تفزعها أهوالُها ، ولا ضِباباً غير مُنْجَحِرة ، ولكنّه نفى أن يكون بها حيوان .

وقد أورده ( صاحب الكشاف ) عند قوله تعالى : ﴿ سنُلقى فى قُلوبِ الذين كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أشْرَكُوا باللهِ مالم ينزِّلْ به سُلطانا [٢] ﴾ الآية على أنَّ المراد نفىُ السُّلطان ، يعنى الحجة والنزولَ جميعا لا نفىُ التنزيل فقط بأنّ يكون ثمّة سُلطانٌ لكنه لم يُنزَّل . كما أنّ المنفىَّ فى البيت الضَّبُّ والانجحار جميعاً لا الانجحار فقط ، إذ المرادُ وصفُ هذه المفازة بكثرة الأهوال ، بحيث لا يمكن أن يسكنَها حيوان .

و ( الإفزاع ) : الإخافة . والأرنب مفعولِ مقدَّم ، و ( أهوالُها ) فاعل يُفزِع ، والضمير للمفازة والفلاة ، وهى جمع هَوْل ، وهى الشدائد التى تُفزع . والهَوْل : مصدر هاله الشىءُ ، أى أفزعَه . و ( الضبّ ) : حيوان معروف . والانجحار ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : الدخول فى الجُحْر بضم الجيم ، وهو ما حفره الهوامُّ والسِّباعُ لأنفسها . وفى ( أساس البلاغة ) : جَحَرتُ الضِّبابَ

(١) ديوان ابن أحمر ٦٧ والخصائص ٣ : ١٦٥ ، ٣٢١ وابن الشجرى ١ : ١٩٢ .

(٢) الآية ١٥١ من سورة آل عمران .

فانجحَرت ، أى دخلت جِحَرَتَها . يقول : لا تُفزع أهوالُ تلك المفازة الأرنبَ ، لأنّه لا أرنبَ حتّى تَفزع من أهوالِها ؛ لأنّه لا يمكنها السُّكون فيها لشدّة أهوالها ، ولا تشاهد الضب فيها منجحراً لأنّه لا ضبَّ فيها فينجَحر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه ابن الأنبارىّ ( فى شرح المفضليات ) لعَمرو بن أحمرَ الباهلى ، وهو شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأربعمائة [1] .

والمشهور والمستعمَل فى هذا المعنى قولُ امرئ القيس :

على لاحبٍ لا يُهتَدى بمَنارِهِ إذا سافَه العَوْدُ الدِّيافىُّ جرجَرا [2]

فإنّه لم يرد أنّ فيه مناراً لا يهتدى به ، ولكنه نفى أن يكون به منار . والمعنى لا منارَ فيه فيهتدى به . و ( اللاحب ) بالحاء المهملة : الطريق الواضح . و ( المنار ) : جمع منارة ، وأصلها مَنْوَرة ، مَفعلة من النُّور ، وسمِّى بذلك لأنّها فى الأصل كلُّ مرتفعٍ عليه نار ، ولذلك قالوا فى جمعها : مَناور . وسافَه : شمَّه ، ومصدره السَّوف . و ( العود ) بفتح المهملة : البعير الهرم . و ( الدِّيافىّ ) منسوب إلى دِياف : قرية بالشام ، وقيل بالجزيرة . وقيل بل دياف أنباطٌ بالشَّام . وفتح بعضُهم أوّله . والجرجرةُ : صوتٌ يردِّده البعير فى حَنجرته . وإنّما يجُرجِرُ فى الطَّريق إذا شمَّه لما يَعرِفُ من شدّته وصُعوبة مسلكه .

٢٧٤

* * *

(١) الخزانة ٦ : ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ٦٦ وابن الشجرى ١ : ١٩٢ واللسان ( سوف ) . ط : « لمناره » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثمانمائة [١] :

**٨٣٤** ( فأَجْمِل وأَحْسِنْ فى أَسِيرِكَ إنّه ضعيفٌ ولَم يَأسِرْ كأيّاكَ آسِرُ )

على أنَّ الكاف قد تدخل على الضمير المنصوب المنفصل لضرورة الشعر ، كما هنا .

قال ابن عصفور ( فى كتاب الضرائر ) : ومنه وضع صيغة ضمير النَّصب المنفصل بدلَ صيغة ضمير الرفع المنفصل المجعولِ فى موضع خفضٍ بكاف التشبيه . وذلك قوله : فأجمل وأحسن البيت ، يريد كأنت آسرٌ ، فوضع إيّاك موضع أنت للضرورة ، وإنّما قضى على إيّاك بأنّها فى موضع أنت لأنَّ الكاف لا تدخل فى سعة الكلام على مضمر إلاّ أن تكون صيغته صيغة ضمير رفع منفصل ، نحو قولهم : ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . انتهى .

ومثله لثعلب ( فى أماليه ) قال : « وما رأيت كإيَّاك إلاّ فى الشعر » . وأنشد هذا البيت .

وقال أبو حيان ( فى أماليه ) : أنشد الفرّاء وهشامٌ عن الكسائى :

* وأحسِنْ وأجمِل فى أسيرك إنّه * ..... البيت

نصب إيّاك فى موضع الخفضِ لتقارب ما بين النصب والخفض ، والنصبُ على ( إيّاك ) أغلَب كما ( أنت ) بالرَّفع أشهر وأعرف . انتهى .

وقوله : ( فأجمل ) بقطع الهمزة المفتوحة وكسر الميم ، أى عامِلْ بالجميل. و ( أحسِنْ ) بفتح الهمزة وكسر السين ، أى افعل الحسَن . وأسرته أسراً ، من

---

(١) مجالس ثعلب ١٦ والضرائر ٢٦٢ والهمع ٢ : ٣١ .

باب ضرب ، فهو أسيرٌ وذاك آسِرٌ . وهو فاعل يأسر . يريد : لم يأسرنى آسرٌ مثلُك .

والبيت لم أطَّلع على قائله . والله أعلَم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س (١) :

**٨٣٥** ( فَلا أرَى بَعْلاً ولا حَلائِلاَ كَهُ ولا كَهُنَّ إلاَّ حَاظِلا )

على أن الكاف قد تدخل أيضاً على الضمير المجرور فى ضرورة الشعر .

قال سيبويه ( فى باب ما يكون فيه الإضمار من حروف الجر ) : وذلك الكافُ التى فى : أنت كزيد وحَتّى ومُذْ . وذلك أنّهم استغنَوْا بقولهم مثلى وشبهى عنه ، فأسقطوه . واستغنَوْا عن الإضمار فى حتى بقولهم : دَعْهُ حتّى يوم كذا وكذا ، وبقولهم : دعه حتّى ذاك . وبالإضمار فى إلى بقولهم : دعه إليه ، لأنّ المعنى واحد . كما استغنوا بمثلى وبمثله عن كِى وكه . واستغنوا عن الإضمار فى مذ بقولهم : مذ ذاك ؛ لأنَّ ذاك اسم مبهم ، وإنّما يُذكَر حين يُظنُّ أنك قد عرفتَ ما يعنى . إلاّ أنّ الشُّعراء إذا اضطُرُّوا أضمروا فى الكاف ، فيُجْرونها على القياس . قال العجاج :

* وأُمَّ أوعالٍ كها أو أقربا (٢) *

(١) فى كتابه ١ : ٣٩٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٢٧ والمقرب ١ : ١٩٤ والضرائر ٣٠٨ ورصف المبانى ٢٠٤ والعينى ٣ : ٢٥٦ والتصريح ٢ : ٤ والهمع ٢ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢٠٩ وديوان رؤبة ١٢٨ .

(٢) هو الشاهد التالى لهذا الشاهد .

وقال :

فلا ترى بعلاً ولا حلائلا كهُ ولا كهُنَّ إلاَّ حاظلا

٢٧٥ شبهوه بقوله : له ولهن . ولو اضطرّ شاعرٌ فأضاف الكاف إلى نفسه قال كِي . وكَىْ خطأٌ ، من قِبَل أنّه ليس من حرف يُفتح قبل ياء الإضافة . انتهى .

قال النحاس : هذا عند سيبويه قبيح . والعّلة له أنَّ الإضمار يردّ الشيء إلى أصله . فالكاف فى موضع مثل ، فإذا أضمرت ما بعدها وجبَ أن تأتى بمثل . وأبو العباس ، فيما حكى لنا علىٌّ بن سليمان ، يجُيز الإضمار فى هذا على القياس ، لأنّ المضمر عَقيب المظهَر ، وقد نطقت به العرب . وقد ذكرنا قبلُ ما ذكره بعض النحويِّين من إجازتهم : أنا كأنت وكإيّاك ، وردَّ أبى العبَّاس لذلك . انتهى كلامه .

وقال ابن عصفور ( فى كتاب الضرورة ) : ومنه أن يستعمل الحرفُ للضَّرورةِ ، استعمالاً لا يجوز مثلُه فى الكلام ، نحو قول العجَّاج :

* وأمّ أوعالٍ كها أو أقربَا (١) *

فجرَّ بالكاف الضمير المتّصل . وحكمها فى سَعة الكلام أن لا تجر إلاّ الظاهرَ أو الضمير المنفصل ، لجريانه مجرى الظاهر ، فيقال : ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . حكى الكسائى عن بعض العرب أنّه قيل له : مَن تعدُّون الصُّعلوك فيكم ؟ فقال : « هو الغداةَ كأنا » . لكنّه لما اضطُرَّ أبدلها من حكمها حكمَ ما هى فى معناه ، وهو مِثْل ، فجعلها تجرُّ الضمير المتَّصل كما تجر الضمير المنفصل ، كما يجرُّه مِثْل . ومن ذلك قوله :

(١) الضرائر ٣٠٨ وسيبويه ١ : ٢٩٢ . والشطر للعجاج فى ملحقات ديوانه ٧٤ .

وإذا الحرب شمَّرتْ لم تكن كِى حين تدعو الكُماةُ فيها نَزَالِ [١]

أنشده الفراء وقال : أنشدنيه بعضُ أصحابنا ، ولم أسمعه أنا من العرب . قال الفراء : وحُكى عن الحسن البصرى : أنا كك وأنت كِى . واستعمال هذا فى حال السَّعة شذوذٌ لا يُلتفَت إليه . انتهى .

ومن دخولها على الضمير قول أبى محمدٍ اليزيدىِّ اللغوىّ النحوى – أخذ عن أبى عمرو ويونس ، وأكابر البصريين ، وكان معلمّ المأمون بن هارون الرشيد – :

شكوتُم إلينا مجانينَكم ونشكو إليكم مجانينَنَا
فلولا المعافاةُ كنّا كَهُمْ ولولا البلاءُ لكانوا كنّا

وقال آخَر :

لا تلمنى فإنّنى كَكَ فيها إنّنا فى المَلام مشتركانِ

وكتب بعضُ الفضلاء إلى ابن المقفع كتاباً يُبارِيه فى الوَجازة : « بسم الله الرحمن الرحيم . نحنُ صالحون فكيف أنتم ؟ » ، فكتب إليه ابن المقفَّع : « نحنُ كَكَ . والسلام » .

وبما نقلنا عن سيبويه يُعرف أنّ نسبة جواز ذلك إليه مطلقا غير صحيح . وممن نسبَ الجواز إليه مطلقاً أبو حيّان ، قال ( فى الارتشاف ) ، و ( فى الواضح ) : أجاز سيبويه وأصحابُه أنتِ كى وأنا كَك . وضعَّفه الكسائى والفراء وهشام . وقال ( فى تذكرته ) أيضا : واختلفوا فى دخول الكاف على الياء والكاف ، فأجاز سيبويه وأصحابُه : أنت كِى وأنا ككَ . وضعَّف هذا الكسائى والفراء

(١) نسب إلى بشار كما سيأتى ، وليس فى ديوانه . وانظر الضرائر ٣٠٩ والعينى ٣ : ٢٦٥ .

وهشام ، واحتجُّوا بأنّه قليل فى كلام العرب . وقال الفراء : أنشدنى بعضُ أصحابنا :

* وإذا الحربُ شمَّرت لم تكن كِى * البيت

قال الفراء : وما سمعت أنا هذا البيتَ من العرب . وقال هشام : ما قالت العرب : أنا كَكَ وأنت كِى . قال : والبيت الذى يُنشَد فى كى مؤلّف ، من قول بشّار ، لا يلتفت إليه . وقال الفراء : قد حُكى عن الحسن البصرى : أنا كك وأنت كِى . وقال الفراء : لم تقل العرب : أنت كِى ، وآثروُا أنت كأنا ، ولم يقولوا : أنا كك وآثروُا أنا كأنت ، وجعلوا أنت وأنا للخفض كما جعلوا هو للخفض ، فقالوا : أنا كهو . والرفع أغلبُ على أنا وأنت وهو ، ولم يصيِّروهنّ مخفوضات والرفعُ أغلبُ عليهنّ [١] إلاّ لأنّ الكُنَى تجرى مجرى حروف المعانى [٢] ، فتعرف بالدلالات [٣] فلذلك قالوا : ضربتك أنت [٤] ، ومررت بك أنت ، فجعلوا أنت للنصب والخفض ، وكذلك هو وأنا . قال الكسائى : قيل لبعض العرب : مَنْ تعدُّون الصُّعلوك فيكم ؟ فقال : « هو الغداةَ كأنا » . ولمّا صلَحت الكافُ للرفع والنصب والخفض فى قيامك وضربتك وبك ، لم يُستنكَرْ كون أنت منصوبا مخفوضا ، وكذلك أنا وهو . انتهى كلام أبى حيان .

٢٧٦

ويستفاد منه أنَّ دخول الكاف على ضمير الرفع المنفصل جائزٌ فى السَّعة عند الكوفيين . ونقل عنهم خلافَه ( فى الارتشاف ) قال : وفى البسيط [٥] : وقد

(١) ط : « ولم يصيروهن من مخفوضات الرفع أغلب عليهن » .

(٢) ش : « إلا لأن المكنى يجرى مجرى حروف المعانى » .

(٣) ش : « فيعرف بالدلالات » .

(٤) ش : « فكذلك ضربتك أنت » .

(٥) البسيط هو الشرح الكبير للكافية ، لركن الدين حسن بن محمد الإستراباذى الحسنى المتوفى سنة ٧١٧ . وله شرح آخر متوسط سماه : « الوافية » قال صاحب كشف الظنون : « وهو المتداول » ، كما أن له شرحا ثالثا صغيرا .

ورد أيضاً فى ضمير الرفع فى قولهم : أنت كأنا ، وأنت كهو . وأنكره الكوفيُّون . انتهى .

وكيف ينكرونه وهم الذين نقلوه عن العرب سماعاً . ولله درُّ الشارح المحقق فى قوله : « قد تدخل فى السَّعة على المرفوع نحو أنا كأنت ، لورود السماع به » . وفى جعلِه دخولَها على الضمير المنصوب والمخفوض خاصًّا بالشعر، لعدم ورودهما عن العرب .

وقد سوَّى أبو حيان ( فى الارتشاف ) بين المرفوع والمنصوب فقال : وقد أدخلت العرب الكاف على ضمير الرفع المنفصل وعلى ضمير النصب المنفصل ، قالت : ما أنا كأنت ، وقال :

* ولم يأسِرْ كإيَّاك آسرُ [١] *

وهذا غير جيّد ، لأنَّ الثانى إنّما ورد فى الشعر .

وذهب ابن مالك ( فى التسهيل ) إلى أنَّ دخولها على الضمير الغائب المجرور قليل ، وعلى المرفوع والمنصوب أقلُّ . ونازعَه شُرَّاحه فيه فقالوا : إن لم يكونا أكثر من المخفوض فينبغى أن يكونا مُسَاوِيَين له .

صاحب الشاهد

والبيت من أرجوزة لرؤبة بن العجاج . وقبله :

( تَحسَبَه إذا استتبَّ دائلا كأنما يُنجِى هِجارًا مائلا )

وهما فى وصف حمار وأتُنه . وقوله : « تحسبه » بالخطاب ، والهاء ضمير العَير ، وهو الحمار . واستتبَّ : جدَّ فى عَدْوِهِ حتَّى انقطع . وأصل التَّباب الخسرانُ والهلاك . ودائلا حالٌ مؤكدة لعاملها ، وهو من الدَّألان ، بفتح الدال

---

(١) هو الشاهد ٨٣٤ فى صفحة ١٩٤ .

المهملة وفتح الهمزة ، وهو العَدْوُ . وجملة « كأنّما يُنْحِى » إلخ مفعول ثان لحَسِب ، وجواب إذا محذوفٌ يدلُّ عليه الفعل قبلَها . ويُنْحِى بالنون والحاء المهملة : يعتمد . في الصحاح : أنحى في سيره ، أى اعتمد على الجانب الأيسر . هذا هو الأصل ، ثم صار الانتحاء الاعتمادَ والميلَ فى كلِّ وجه . والهِجَار ، بكسر الهاء بعدها جيم : حبل يُشدُّ بِهِ وظيف البعير . يريد أنّه يَعدُو فى شِقٍّ ، فكأنه مشدودٌ بهِجارٍ .

وقوله : ( فلا ترى بعلاً ) إلخ هو بالخطاب أيضا . وتَرَى بمعنى تعلم ، متعدٍّ إلى مفعولين أوّلهما بعلا ، وثانيهما ما بعد إلاّ . والجارّ والمجرور وهو ( كَهُ ) صِفةٌ لبعل . أى لا ترى بعلاً كهذا الحمار ، ولا حلائلَ كهذه الأتن ، إلاّ مانِعاً لها عن أن يَقْرَبها غيرُه من الفحول ، لأنَّ الحمار يمنع أُتنه من حمار آخر . والبعل : الزَّوج . و ( الحلاَئل ) : جمع حليلة ، وهى الزَّوجة . و ( الحاظل ) بالحاء المهملة والظاء المعجمة المشالة ، قال الأعلم : هو والعاضل سواء ، وهو المانع . وقال النحاس : يقال حظَل أنثاه ، إذا منعَها عن التزوّج . كذا فى نسختى التى قرأتها على أبى إسحاق . وسألت أبا الحسن فقال : الحظَلان مِشيةٌ فيها تثاقُل . وقوله : ( كه ولا كهنّ ) أى مثله ولا مثلهن . وأعاد الكاف مع المعطوف لِمَا قال جمهورُ البصريّين : لا يُعطف على الضمير المجرور إلاّ بإعادة الجارّ نحو : مررت بك وبزيد . ولم يَشترط الكوفيُّون ويونس والأخفش ذلك ، وأجازوا فى الكلام : مررت بكَ وزيد . وعليه جاء البيت الآتى وهو قوله : « كَهَا وأقربَا » . وهذا إذا كان الضمير المجرور بطريق الأصالة ، وأمّا إن كان بطريق الاستعارة كأنْ يُستعار ضميرُ الرفع موضعَ ضمير الجرّ ، جاز عند الجميع العطف عليه بدون إعادة الجارّ . ٢٧٧

قال أبو حيّان ( فى الارتشاف ، والتذكرة ) : قال الفراء : ومن لم يقل مررتَ بى وزيد على اختيار قال مختارًا : أنت كأنا وزيد ، وأنا كأنت وزيدٍ . انتهى .

قال الأعلم : الوقف على كه بالهاء لأنّه ضمير جرّ متصل بالكاف اتصالَه بمِثل ، والوقف عليه هنا كالوقف عليه ثَمَّة . انتهى .

ويروى فى بعض النسخ من كُتُب النحو : كهو ولاكهّن ، برسم ضمة الهاء المشبعة وَاوًا . وذلك غير جيّد . ومن هنا قال المرادى ( فى شرح التسهيل ) : ولا حجّة فى قوله « كهنَّ » ولا « كه » لاحتمال أن يكون كهو ، ويجعل هو وكهنّ ضمير رفع منفصل ، بنيابة ضمير الرفع عن ضمير الجرّ .

وقد شرح العينى هذين البيتين بما لا يظهر معه معناهما ، بل يزيد الطالب خَبْطَ عَشْواء . قال : استتبّ : استقام . ودائلا من الدَّأَلان ، وهو مشى يُقارِب فيه الخَطْو ، كأنّه مُثقَل من الحمل . والهِجار : حبل يشدُّ فى رسغ رجل البعير ثم يشدُّ إلى حِقْوه إن كان عُرياً ، وإن كان مرحُولا يشَدّ فى الحَقَب . تقول منه : هجرت البعير أهجره هَجْرا . وهِجَار القوس : وترها . وبعلاً : زوجا . وحليلة الرجل : امرأته . والحاظل : المانع من التزويج ، كالعاضل بالضاد . وجملة لا ترى منفيّة من الفعل والفاعل ، وبعلاً مفعوله ، ولا حلائلا عطف عليه . وقوله ( كه ) : الكاف للتشبيه ، ومحله النصب لأنّه مفعول ثان لترى ، ولا كهنَّ عطف على كه ، وحاظلا استثناء من قوله بعلا ولا حلائلا . هذا كلامه فتأمَّلْ واعجَبْ .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [1] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [١] :

**٨٣٦** ( وأُمَّ أوعالٍ كَهَا أو أقربَا )

لما تقدَم قبله . وهو من أرجوزةٍ للعَجَّاج مطلعُها :

( ما هاجَ دمعاً ساكبا مُستسكِبا    مِن أن رأيتَ صاحبَيْك أكأَبا )

أى دخلا فى الكآبة ، وهى الحزن . ثم وصف فيها حمار الوحش وأُتنه ، أراد أن يرد الماءِ فرأى الصيَّاد فهرب بأُتنه . إلى أن قال :

( نحَّى الذِّناباتِ شِمَالاً كَثَبَا    وأمَّ أوعالٍ كها أو أقرَبا

* ذاتَ اليمين غير ما إنْ يَنكُبَا * )

نحَّاهُ تنحية : أبعده عنه وجعلَه فى ناحية . وفاعل نحّى ضميرٌ يعود إلى حمار وحشٍ ذكره . يعنى أنَّه مضى فى عدوه ناحيةً فجَعَل الذِّنابات فى جانبِ شِماله ، وأمَّ أوعالٍ فى ناحية يمينه . وروى : « خلّى الذِّنابات » ، وشِمالا على الأوّل ظرف وعلى الثانى ظرفٌ [٢] أيضا فى موضع المفعول الثانى ، لتضمين خلّى معنى جعل . والذّنابات ، قال الأندلسى ( فى شرح المفصل ) : هو جمع ذِنابة بكسر الذال ، وهى آخر الوادى ينتهى إليه السَّيل . وكذلك آخر النهر . ووجدتها فى موضع آخر : الذُّبابات بالموحَّدتين ، وهى الجبال الصغار . انتهى .

٢٧٨

وقال غيره : الذنايات بالذال والنون : اسم موضع . ولم أره ( فى المعجم لأبى عبيد البكرى ) ولا ( فى معجم البلدان لياقوت الحموى ) ولا فى كتب اللغة المدوَّنة .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٣٦ وابن يعيش ٨ : ١٦ ، ٤٢ ، ٤٤ والضرائر ٣٠٨ وشرح شواهد الشافية ٣٤٥ والتصريح ٢ : ٣ والأشمونى ٢ : ٢٠٨ وملحقات ديوان العجاج ص ٧٤ .

(٢) ط : « مفعول » ، صوابه فى ش .

وفسرَهُ شارح اللباب بالجبال الصغار ، وقيده العينى بفتح الذال وقال : اسم موضع بعينه . والكَثَبُ ، بفتح الكاف والمثلثة : القُرب [ وأراد القريب [1] ] ، وهو صفة الشِّمال . وأُمّ أوعال ، قال البكرى : على لفظ جمع وعل : هضبة فى ديار بنى تميم ، ويقال لها ذات أوعال . وأنشد هذا الشعر . وقال ياقوت : هضبة معروفة قرب بُرقة أنقَد ، وهى أكمةٌ بعينها . قال ابن السكيت : ويقال لكلِّ هضبة فيها أوعالٌ : أُمّ أوعال . وأنشد هذا الشعر وغيره ، وقال : والوَعِل : كبش الجبل . والهَضْبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض . والأَكَمة : تلٌّ وقيل شُرْفةٌ كالرَّابية ، وهو ما اجتمع فى مكانٍ واحد ورُبمَّا لم يغلُظ .

وقوله : ( كها ) الضمير للذِّنابات . قال ابن السيرافىّ : أمّ أو عال مبتدأ ، وكها هو الخبر ، وأقرب معطوف على مجرور الكاف من غير إعادة الجار . يعنى أنّه مضَى فى عدْوه ناحيةً من الذِّنابات ، فكأنّه نحّاها عن طريقه وهى عن شِماله فى الموضع الذى عدا فيه بالقُرب من الموضع ، وليست ببعيدة . وأم أوعال من الموضع الذى عدا فيه كالذِّنابات منه ، أو أقربُ إليه منها . انتهى .

وقال ابن يعيش وصدر الأفاضل : المحفوظ أنّ أُمَّ أوعالٍ بالنصب ، فيكون معطوفاً على الذنابات .

وقال صدر الأفاضل : والمعنى نحَّى الذِّنابات عن طريقِه جانب شِمالٍ قريب منه ، بأَنْ مضى ناحيةً منها ونحَّى أمَّ أوعال فى جانبِ يمينه ، مثل الذّنابات فى القرب منه أو أقرب منها إليه .

وقوله : « غير ما أنْ ينكبا » بنصب غيرَ على الاستثناء ، وما زائدة ، وأنْ ناصبة ، وفاعل ينكبُ ضمير الجار [2] . قال الأصمعى ( فى كتاب الإبل ) :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) فى ش : « وينكب فاعله ضمير الحمار ». وكلاهما بمعنى واحد .

نكَب ينكُب نكْبا ونُكوبا ، إذا انحَرَف عن الطريق . وأنشد هذا البيت . وهو من باب نصر .

قال ابن السيرافى : يقول : هما عن يمين طريقه وشِماله ، ومقدارُ ما بينَ كلِّ واحدٍ من الموضعين وبين طريقِه متقارب ، إلاّ أنْ يجور فى عَدْوه فتصير الذِّنابات إن مال إليها أقربَ من أُمّ أوعال ، وإنْ مال فى العَدْو إلى أمّ أوعال صارت أقرب إليه من الذِّنابات .

وقال العينى : أمّ أوعال مبتدأ وخبره كها ، وأقرب معطوف على الضمير المجرور . ويجوز نصب أمَّ أوعالٍ بالعطف على الذنابات ، على معنى جعل أمَّ أوعال كالذِّنابات أو أقرب ، فيكون أقرب حينئذ معطوفا على محلِّ الجار والمجرور . هذا كلامه . يريد أنّ موضع الجار والمجرور النّصبُ على أنّه مفعول ثان لجعل ، وأقرب معطوف على المحلّ .

وترجمة العجَّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الثمانمائة (٢) :

**٨٣٧** ( فإنَّ الحُمْرَ مِنْ شرِّ المطايا كما الحَبِطاتُ شرُّ بنى تميمِ )

على أنَّ الكاف المكفوفة بما ، قد تكون لتشبيهِ مضمون جملةٍ بمضمون جملةٍ أخرى . ومضمونُ الأولى كون الحمر من شرِّ المطايا ، ومضمون الثانية كون ٢٧٩

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٠ .

(٢) الأزهية للهروى ٧٤ وابن الشجرى ٢ : ٣٢٥ والعينى ٤ : ٣٤٦ والأشمونى ٢ : ٣٢١ .

الحبطات شرَّ بنى تميم . فشبَّه ذاك الكون بهذا الكون ، وهما مضمونا الجملتين ، ووجه الشبهِ الحصولُ فى الوجود . وكذا تقول فى الآية قبله ، وكذا الحال إن كان بَعْدَ « كما أنَّ » .

وقد فرق بينهما ابن الخبّاز ( فى النهاية ) قال : قد كفُّوا الكاف بما ، كما كفُّوا رُبَّ ، فتليها الجملة الاسميَّة والفعليَّة . تقول : زيد قاعد كما عمروٌ قائم ، شبَّهتَ جملةً بجملة بكونهما حاصلَينِ فى الوجود . وتقول : زيد قاعد كما أنَّ عمراً قائم ، والمعنى : قعود زيدٍ لا محالة وقيام عمرو لا محالة . فالأُولى فيها تشبيهُ جملةٍ بجملة ، وهذه توجب حصول الأمرين فى الوجود . فهذا فرقُ ما بينهما . وتقول : زرنى كما أزورك ، فتحتمل ما أن تكون مصدرية ، أى زرنى كزيارتى إياك ، أو تكون بمعنى لعلّ أى لعلِّى أزروك . انتهى .

وزعم أبو على أنَّ ما فى الآية والبيت موصولة ، وصدر الصلة محذوف ، قال : وأما قوله : ﴿ قالوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إلَها كما لهُمْ آلهة [1] ﴾ فالتقدير : اجعلْ لنا إلَها مثل التى هى لهم آلهة ، وحُذف المبتدأ من الصلة كما حُذف فى قوله تعالى : ﴿ تمامًا على الذِى أحْسَنُ [2] ﴾ بالرفع ، التقدير : الذى هو أحسن . ومثله قراءة رؤبة : ( مثلاً ما بعُوضة [3] ) برفع بعوضة . فالتقدير أن يضرب الذى هو بعوضةٌ مثلاً . وعلى هذا حمل الأخفش قولَ الشاعر :

---

(١) الآية ١٣٨ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٥٤ من سورة الأنعام . وقراءة الرفع هى قراءة يحيى بن يعمر ، وابن أبى إسحاق . تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٥ .

(٣) كلمة « رؤبة » موضعها بياض فى ش . وذكر أبو حيان فى تفسيره ١ : ١٢٣ أنها قراءة الضحاك ، وإبراهيم بن أبى عبلة ، ورؤبة بن العجاج ، وقطرب أيضا . وقد أثبت هذه القراءة لرؤبة أيضا وحده ابن خالويه فى القراءات الشاذة ٤ كما أثبت له قراءات شاذة أخرى فى الصفحات ١ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ١٥٦ ، ١٨٢ . وانظر ما سيأتى فى ٢٢٤ .

* وجدنا الحُمر من شرِّ المطايا * البيت

قال : معناه كالذين هُم الحَبِطات . قال : وإن شئت جعلت ما زائدةً وجررت الحبطات بالكاف . انتهى .

وهذا غير جيِّد ، فإنّه تخريج على القليل النادر مع إمكانه على التخريج الكثير الشائع . وكأنّه مبنيٌّ على أنّ الكاف لا تُكفّ بما ، كما زعمه صاحب المستوفِي (١) . ورُدّ عليه بقوله :

وأعلم أنّني وأبا حميد كما النّشوانُ والرجلُ الحليمُ(٢)

قال ابن هشام ( فى المغنى ) : وإنما يصحُّ الاستدلال بهذا إذا لم يثبت أنّ ما المصدرية تُوصَل بالجمل الاسمية . انتهى .

فما اللاحقة للكاف عند البصريِّين ثلاثة أقسام على خلافٍ فيها : مصدريَّة ، وموصولة ، وكافَّة . وهذه (٣) قسمان : أحدهما كافّة ومهيِّئة فقط ، وثانيهما تغيير معنى الكلمة مَعَها . ولها معنيان حينئذ إمَّا معنى لعلَّ وإما معنى القِرانِ فى الوُجود ، وعبَّر عنه السيرافى وغيره بالمبادرة ، ومثَّل بسَلِّمْ كما تدخل ، وصلِّ كما يدخلُ الوقت . وممَّا قيل إنّ ما فيه موصولة قولهم : كن كما أنت . وللنحويِّين فيه خمسة أقوال : قولان على الموصوليّة ، وقولان على أنَّها كافّة ، وقول بزيادتها .

---

(١) المستوفى فى النحو ، قال السيوطى فى بغية الوعاة ٣٥٥ : « أكثر أبو حيان من النقل عنه » . وهو لأبى سعد كمال الدين على بن مسعود بن محمود بن الحكم الفَرُّخان القاضى . وفى كشف الظنون أنه على بن مسعود الفرغانى . لكن قال السيوطى : « كذا وسماه هكذا ابن مكتوم فى تذكرته » . وقد ورد ذكر هذا الكتاب أيضا فى صفحة ٤٩١ من طبعة بولاق .

(٢) لزياد الأعجم كما سيأتى . وانظر المغنى ١٧٨ والعينى ٣ : ٣٤٨ .

(٣) يعنى ما الكافة .

الأول : أنّ الكاف بمعنى على ، وما موصولة ، وأنت مبتدأ حُذف خبره ، أى كن على ما أنت عليه .

الثانى : أنّها موصولة وأنت خبرٌ حذف مبتدؤه ، أى كالذى هو أنت . وقد قيل به فى قوله تعالى : ﴿ اجعَلْ لنا إلها كما لهم آلهةٌ [1] ﴾ كما تقدَّم .

الثالث : أنّ ما كافة وأنت مبتدأ حذف خبره ، أى عليه أو كائن . وقد قيل فى : ( كما لَهُمْ آلهة ) أيضا .

الرابع : أنّ ما كافة ، وأنت فاعل ، والأصل كما كنت ، ثم حُذفت كان فانفصل الضمير .

الخامس : أن ما زائدة والكاف جارّة ، كما فى قوله :

* كما الناسِ مجرومٌ عَليه وجارم [2] *

وأنت ضمير رفع أنيب عن المجرور ، والمعنى : كن فيما يُستقبَل مماثلاً لنفسك فيما مضى .

حكى هذه الخمسةَ ابنُ هشام ( فى المغنى ) وقال : تقع كما بعد الجمل كثيراً صفةً فى المعنى ، فتكون نعتاً لمصدرٍ أو حالاً ، ويحتملهما قوله تعالى : ﴿ يومَ نَطوِى السَّماءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ للكِتاب كما بَدَأْنا أَوَّلَ خلقٍ نُعيده [3] ﴾ . فإنْ قدَّرته نعتا لمصدرٍ فهو إما معمولٌ لنعيده ، أى نعيد أوّل خلق إعادةً مثل ما بدأناه ، أو لنطوى،أى نفعل هذا الفعلَ العظيمَ كفعلنا هذا الفعل . وإن قدرته

٢٨٠

(١) الآية ١٣٨ من سورة الأعراف .

(٢) لعمرو بن براقة فى المؤتلف ٦٧ . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* وننصر مولانا ونعلم أنه *

(٣) الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء . وقراءة الإفراد هى قراءة الجمهور ، وقرأ بالجمع « للكتب » حمزة والكسائى وحفص . وسكن التاء الأعمش . تفسير أبى حيان ٦ : ٣٤٣ .

حالاً فذو الحالِ مفعولُ نعيده ، أى نعيده مماثلاً للذى بدأناه . وتقع كلمة ( كذلك ) أيضاً كذلك .

فإنْ قلت : فكيف اجتمعت مع مثل فى قوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يَعْلَمُونَ لولا يُكلمنا الله أو تأتينا آيةٌ كذلك قال الذين مِنْ قَبْلِهِمْ مِثلَ قولِهِم (١) ﴾ ، ومثل فى المعنى نعتٌ لمصدرِ قال المحذوف ، أى كما أنّ كذلك نعت له ، ولا يتعدَّى عاملٌ واحد لمتعلّقين بمعنىً واحد ، لا تقول : ضربت زيداً عَمرًا . ولا يكون مثل توكيداً لكذلك لأنّه أبيَنُ منه ، كما لا يكون زيدٌ من قولك : هذا زيد يفعل كذا توكيداً لهذا كذلك (٢) ولا خبراً لمحذوف بتقدير: الأمر كذلك ، لما يؤدِّى إليه من عدم ارتباط مَا بعده بما قبله .

قلتُ : مثل بدل من كذلك أو بيان ، أو نصب (٣) [ بيعلمون ، أى لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارى . فمثل بمنزلتها فى : مثْلُكَ لا يفعل كذا ، أو نصبٌ ] بقالَ . والكاف (٤) مبتدأ والعائد محذوف ، أى قاله . وردّ ابن الشجرى ذلك على مَكّيٍّ بأن قال : قد استوفى معمولَه ، وهو مثل . وليس بشئٍ ؛ لأنّ مثل حينئذ مفعول مطلق أو مفعول به ليعلمون ، والضمير المقدَّر مفعول به لقال . انتهى كلامه .

صاحب الشاهد — والبيت من أبياتٍ ثلاثة لزيادٍ الأعجم ، وهى :

أبيات الشاهد

( وأعلمُ أنّنى وأبا حُميدٍ … كما النَّشوانُ والرَّجلُ الحليمُ
أريد حِباءه ويريد قتلى … وأعلم أنّه الرجلُ اللَّئيمُ
فإنّ الحُمْرَ من شرِّ المطايا … كما الحبِطاتُ شرّ بنى تميمِ )

---

(١) الآية ١١٨ من سورة البقرة .
(٢) ش : « توكيدًا كذلك » ط : « توكيدا لهذا لذلك » وقد جمعت بين القراءتين .
(٣) الكلام بعده إلى كلمة « نصب » التالية ساقط من ش .
(٤) ط : « أو الكاف » .

كذا أوردها العينىُّ ، ولم ينبِّه على أنّ البيت الأخير فيه إقواء .

وقوله : « وأعلم أننى » فعل مضارع ، وروى بدله : « لعمرك إنّنى » . وعلى الأوَّل همزة أننى مفتوحة ، وعلى الثانى مكسورة . وقوله : « كما النشوان » إلخ أورده المرادى ( فى شرح الألفيَّة ) ، وابن هشام ( فى المغنى ) على أنَّ ما كفّت الكافَ عن عمل الجرّ . والنَّشوان : السكران . والنَّشوة : السُّكر . والحليم : الذى عنده تأنٍّ وتحمُّلٌ لما يثقُل على النفس . يقول : أنا وأبو حُميد كالسَّكران والحليم ، أتحمَّل منه وهو يعبَثُ بى ، كالسَّكران يَسْفَه على الحليم وهو متحمِّل . وهذا تشبيهٌ تمثيلى ، شبَّه حالته معه بحالة الحليم مع السَّكران . والمخبَر عنه اثنان وما بعدَ ( كَمَا ) خبرُهما ، إلاّ أنّه أخبر عن الثانى بالأوّل ، وعن الأوّل بالثانى لظُهور المعنى وعدم اللَّبْس .

وتكلَّف الدَّمامينى فجعل النَّشوان مبتدأً والرَّجلَ معطوفا عليه وخبرَهما محذوفا ، أى كائنان . وهذا التقدير مُستَغْنًى عنه ، ولا ضرورة تدعو إليه .

وتبعه ابن المُلاّ ولم يكتفِ به ، بل أطال لسانه على الجلال السُّيوطى وقال : النشْوان مبتدأ لا خبر كما وهِمَ الجلال .

وكم من عائبٍ قولاً صحيحا وآفتُه من الفَهم السَّقيمِ [1]

وروى : « كما النَّشوانِ » إلخ بجرِّهما على جعل ما زائدة لا كافَّة ، فيكون الإقواء فى البيت الثانى .

---

(١) البيت من مشهور شعر المتنبى فى ديوانه ٢ : ٣٥٧ . وقد مثل له العكبرى بقول أبى سعيد الضرير لأبى تمام : لِمَ لا تقول ما يُفهَم ؟ فقال له : يا أبا سعيد ، لم لا تفهم ما يقال ؟ قال العكبرى : « وهذا المعنى كثير جدا ، وأحسن ما فيه قوله تعالى : وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » .

واللام للتوكيد (١) فى خبر إنّ ، وعلى هذا لا شاهد فى البيت .

وقوله : « أريد حِباءَه ويريد قتلى » أخذ هذا المصراع من قول عمرو بن مَعْديكرِبَ الصّحابى ، فى ابن أخته قيس بن المكشوح المرادىّ : ٢٨١

أريد حِباءه ويريد قَتْلى عَذِيرَكَ من خليلِكَ من مُرادِ (٢)

والحِباء بكسر المهملة بعدها موّحدة : العطيّة . حدثَ أمرٌ بينهما أوجب التقاطع . يقولُ : أريد نفعه وحِباءَهُ مع إرادته قتلى ، وتمنِّيهِ موتى ، فمن يَعذِرنى منه . ويروى : « أريدُ حيَاته » بلفظ ضدِّ الممات . وكان علىّ رضى الله عنه يُنشد هذا البيت كلَّما يرى عبد الرحمن بن مُلْجَم ، قاتله الله .

والبيت من شواهد سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب عذيرك ووضعُه موضعَ الفعل بدلاً منه . والمعنى : هات عُذرك وقرِّبْ عذرك . والتقدير : اعذِرنى منه عُذرا . واختُلفَ فى العذير فمنهم من جعله مصدراً بمعنى العذر ، وهو مذهب سيبويه . ومنهم من جعله بمعنى عاذر ، كعليم وعالم . والمعنى عنده : هات عذرك . وامتنعَ أن يجعله بمعنى العذر لأنَّ فعيلا لا يأتى مصدراً إلاّ فى الأصوات نحو الصَّهيل . ورُدَّ بأنَّ المصدر يطّرد وضعهُ موضعَ الفعل بدلاً منه ، ولا يطَّرد ذلك فى اسم الفاعل ، وقد جاء فعيلٌ فى غير الصوت كقولهم : وجب القلب وجيبا ، إذا اضطرب . انتهى .

وروى الدمامينىُّ المصراعَ الأوّل كذا :

أريدُ هجاءه وأخافُ ربِّى واعلـم أنـه عَبْـدٌ لئيـمُ

---

(١) كذا فى النسختين ، ويبدو أن قبله سقطا تقديره : « وروى : لِكالنشوان » وهى رواية سجلها العينى فى شرح الشواهد ٣ : ٣٤٩ ، قال : « ويروى لكالنشوان ، فعلى هذا لا استشهاد فيه » .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ١٤٩ . وانظر الأغانى ٩ : ١٢ والمصون ٢١٤ وتنبيه البكرى ٢٤ .

وقال : ادَّعى الحلم لكنَّه أبان عن عدم حلمه بهذا البيت . وأىُّ حلمٍ وأىُّ كفّ عن الهجاء مع التَّسجيل عليه بهذا الوصف الذميم . وغرضه أنَّ ما ذكره لا يُعدّ هجوًا ، لاتّصافه بما يكون هذا المذكور بالنسبة للمسكوت عنه من أوصافه [1] كالمدح له . وفى الحقيقة هذا غايةُ الذّمِّ والهجاء .

وقوله : ( فإنّ الحُمرَ ) إلخ هو جمع حمار . و ( المطايا ) : جمع مطيّة . قال صاحب المصباح : والمطَا على وزن العصا : الظّهر ؛ ومنه قيل للبعير : مطيّة فعيلة بمعنى مفعولة ، لأنّهُ يُركَب مطاه ذكراً كان أو أنثى ، ويجمع على مَطىّ ومطايا ، فلا يصحُّ جعل الحمِير من شرِّ المطايا ، لأنَّ الحمير غير الإبل . والجيّد قول صاحب القاموس : المطيَّة : الدابة التى تَمطُو فى السَّير ، أى تُجدّ وتسرع . وفيه رواية أخرى ، وهى :

* فإنّ النِّيب من شرِّ المطايا *

والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المُسِنّة . وأغربَ العينىُّ هنا فقال : الحمر جمع حمار ، هكذا وجدته مضبوطا فى نسخة صحيحة لأبى علىّ ، أعنى التذكرة . ووجدت فى موضع آخرَ : فإنَّ الخَمْرَ بفتح الخاء المعجمة ، وهى التى تُشرَب ، وهذا أقرب وإن كان ذاك أصوب . وقد شبَّه الخمرَ بالمطيَّة التى لا خير فيها ، ووجه الشَّبه حُصولُ الشَّرِّ من كلّ منهما .

هذا كلامه . وهذه غفلة ، فإنَّه لا تشبيه هنا ، وإنّما أخبر عن الحمر بكونها من شرِّ المطايا . ورواية الخمر بالمعجمة تحريف على تصحيف .

والحَبِطات ، بفتح المهملة وكسر الموحَّدة ، وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم . قال صاحب الصحاح : الحَبطَ بالتحريك : أن تأكل الماشية فتُكثِرَ حتّى

---

(١) ش : « بالنسبة للسكوت عنه من إضافة » ، صوابه فى ط .

تنتفخ لذلك بطونُها ولا يخرج عنها ما فيها . وقال ابن السكيت : وهو أن ينتفخ بطنُها عن أكل الذُّرَق ، وهو الحَنْدَقُوق . ويقال حَبِطت الشاة بالكسر ، وفى الحديث : « وإنَّ ممّا يُنبت الرَّبيعُ ما يَقتُل حبطاً أوْ يُلمّ » . ومنه سُمى الحارث ابن عمرو بن تميم : الحَبِط ، بفتح فكسر ، وقيل له الحبط لأنّه كان فى سفرٍ فأصابه مثلُ ذلك . وولدُه هؤلاء الذين يسمَّون الحَبِطات من بنى تميم ، والنسبة إليهم حَبَطى . انتهى .

٢٨٢

قال ابن السيد ( فيما كتبه على الكامل ) : الحبطى بفتح الباء [1] كراهَة الكسرات . قال المبرد ( فى الكامل [2] ) : يروى أنَّ الفرزدق بلغه أنّ رجلا من الحَبِطات بن عمرو بن تميم خطبَ امرأةً من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، فقال الفرزدق :

بنو دارمٍ أكفاؤهم آلُ مِسمعٍ وتَنكِحُ فى أكفائها الحبطاتُ

– آل مِسمع : بَيْت بكر بن وائل فى الإسلام ، وهم من بنى قيس بن ثعلبة ابن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل . والحَبِطات هم بنو الحارث بن عمرو بن تميم – : فقال رجلٌ من الحبطات يجيبه :

أما كان عبّادٌ كفيئًا لدارمٍ بَلَى ولأَبياتٍ بها الحُجراتُ [3]

يعنى بنى هاشم ، من قول الله عز وجل : ﴿ إنَّ الذين يُنادُونَكَ من وراء الحُجُراتِ [4] ﴾ . انتهى .

---

(١) ط : « بكسر الباء » وهو عكس المراد . وصوابه فى ش . وقد تنبه لذلك مصحح بولاق .

(٢) الكامل ٣٩ ليبسك .

(٣) فى سرح العيون ٣٨٩ : « أما كان عتاب » ، وعقب بقوله : « عتاب أحد آباء بنى الحارث » ، وهذا تحريف .

(٤) الآية ٤ من سورة الحجرات .

قال ابن السِّيد : عبّاد هذا هو ابن حُصين صاحب البغلة [١] .

والكَفىءُ : فعيل بمعنى الكُفء . وقال بعضهم : إنّما سمِّى الحارثُ حَبِطاً لأنَّه كان فى سفر فأكَلَ أكلا فانتفخ بطنُه فمات ، فسمِّى حَبِطا وعُيِّروا بذلك . فانحطاطُ قدره وقَدْرِ أولادِه إنّما هو لهذا ، لاَ لما زعمَ ابن نُباتة ( فى شرح الرسالة الزَّيدونيَّة [٢] ) من أنه إنّما نقصَ قدْرُ الحبِطات عن بنى دارم لقول الشاعر :

* وجَدنا النِّيب من شرِّ المطايا * البيت

فلزمهم هذا القول . انتهى .

صاحب الشاهد

ولا يخفى أنّ هذا البيتَ لزيادٍ الأعجم ، وهو من مُعاصِرى الفرزدق ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد الثمانمائة [٣] . وتسميتهم بالحِبطات قديمٌ جدًّا قبل أن يُخلَق أجدادُ زياد ، فكيف لُقبِّوا بقوله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

**٨٣٨** ( لا تَشتُمِ النّاسَ كما لا تُشْتَمُ )

---

(١) وجدت فى المحبر لابن حبيب ٢٢٢ : « قال محمد بن حبيب : وسمعت ابن الأعرابى حكى عن المهلب أنه سئل : من أشد الناس ؟ قال : صاحب البغلة الشهباء . يريد عباد بن الحصين الحبطى . فقيل له : فأين ابن أبى خازم ؟ قال : إنما سألتم عن أشد الناس فأخبرتكم ، ولو سألتمونى عن أشد الإنس والجن لقلت لكم : عبد الله ، ومصعب:ابنا الزبير بن العوام ، وعبد الله بن خازم » .

(٢) سرح العيون ٣٨٩ .

(٣) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ٥ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٥٩ . وانظر الإنصاف ٥٩١ ورصف المبانى ٢١٤ والعينى ٤ : ٤٠٩ والهمع ٢ : ٣٨ والأشمونى ٣ : ٢٨٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ .

على أنَّ ( كما ) أصلها كاف التشبيه المكفوفة بما ، قد تغيَّر معناها بالتركيب ، فصارت بمعنى لعلّ ، أى لعلك لا تشتم . وهى مُهملةٌ [١] لا تعمل شيئاً ، ولا يلزم من كونها بمعنى لعلّ أن تعمل عمَلَها .

وتقدّم نقلُ كلام سيبويهِ وغيرِه فى الشاهد السابع والخمسين بعد الستمائة [٢].

وفى ( الارتشاف ) لأبى حيان : وذهب الفراء إلى أنّ قولهم : انتظرنى كما آتيك ، ولا تشتم الناس كما لا تشتَمُ ، الكاف فيهما للتشبيه ، والكاف صفة لمصدر محذوف ، أى انتظرنى انتظاراً مثل إتيانى لك ، أى فِ لى بالانتظار كما أَفِى لك بالإتيان ، وانته عن شتم الناس كانتهائهم عن شتمك . انتهى .

وقوله ( لا تشتم ) لا ناهية . وقوله ( كما لا تُشتم ) بالبناء للمفعول ورفع الفعل .

وهو من أُرجوزة لرؤبة بن العجاج ، وتقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

**٨٣٩** ( وإنّا لمِمَّا نضرِبُ الكبشَ ضربةً على رأسه تُلْقِى اللِّسانَ من الفمِ )

---

(١) ط : « جملة » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٨ : ٥٠٠ – ٥٠٢ .

(٣) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٣ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٧٧ . وانظر المقتضب ٤ : ١٧٤ والأزهية ٩٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٤ والمغنى ٣١١ ، ٣٢٢ والتصريح ٢ : ١٠ والهمع ٢ : ٣٥ ، ٣٨ .

على أنّ ( مِن ) الجارة لمّا كُفَّتْ بما تغيّر مَعناهَا وصارت بمعنى ربَّما ، مفيدةً للتكثير أو للتقليل ، على خلافٍ فى مدلولها .

٢٨٣ قال سيبويه ( فى بابٍ من أبواب أنّ التى تكون والفعل بمنزلة مصدرِهِ ) ما نصُّه : وتقول : إنّى مما أنْ أفعلَ ذاك ، كأنّه قال : أنّى من الأمر أو من الشّأن أن أَفعل ذاك . فوقعت ما فى هذا الموضع ، كما تقول العرب : بئسما ، يريدون بئس الشيء . إلى أنْ قال : وإن شئتَ قلتَ : إنّى مما أفعل ، فتكون ما مع مِنْ بمنزلة كلمةٍ واحدة ، نحو ربَّما . قال أبو حيّة النُّميرى :

وإنّا لمَّا نَضرِب الكبش ... البيت . انتهى

قال الأعلم : الشاهد فى قوله لمَّا ، ومعناه لربَّما ، وهى مِنْ زيدت إليها ما ، وجُعلت معها على معنى رُبَّما ، فركِّبت تركيبَها . انتهى .

وفى ( البغداديات ) لأبى على : قال أبو العباس : إنْ أراد سيبويه أنّ ما كافّة لمِن كما أنّها كافَّة لربّ ، فهو كما قال سيبويه . وإن أراد أنَّه للتقليل كما أنَّ ربّما للتقليل كان ذلك مسوّغا إذا ثبت مسموعا . ويَبعُد ذلك فى البيت ، فإنّه ينبغى أن يكون غير مُقلِّل لضربِه للكبش على رأسه . انتهى .

وإنّما قال هذا لأنَّ ربّ وربّما عنده لا تفيد إلاّ القلة . وكأنَّ أبا حيّان لم يقِفْ على ما قدَّمناه . قال ( فى الارتشاف ) : وزعم السيرافى ، والأعلم ، وابن طاهر ، وابن خروف ، أنَّ مِن إذا كان بعدها ما كانت بمعنى رُبَّما ، وزعَموا أنَّ سيبويه يُشير إلى هذا المعنى فى كلامه . وأنكر الأستاذ أبو علّي وأصحابُه ذلك وردُّوه ، وتأوَّلوا ما زعموه من ذلك .

هذا كلامه ، وتبعه ابن هشام ( فى موضعين من المغنى ) أحدهما فى مِنْ ، قال عندَ معانيها : العاشر مرادفة ربَّما ، وذلك إذا اتَّصلت بما ، كقوله :

* وإنّا لمما نضرب الكبش * البيت .

قاله السيرافى ، وابن خروف ، وابن طاهر ، والأعلم ، وخرجّوا عليه قولَ سيبويه : « إنَّهم مما يحذفون كذا [١] » . والظاهر أنَّ مِن فيهما ابتدائية وما مصدرية ، وأنَّهم جُعلوا كأنَّهم خُلقُوا من الضَّربِ والحَذْف ، مثل : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَل [٢] ﴾ . انتهى .

وثانيهما فى ما الكافة ، قال : إنَّها تتَّصل بأحرفٍ فتكفُّها من عَمَل [٣] الجرِّ . الرابع : مِنْ ، كقول أبى حَيَّة :

* وإنّا لمّا نَضرِب الكبش * البيت

قاله ابن الشجرى . والظاهر أنَّ ما مصدرية ، وأنَّ المعنى مثله فى : ﴿ خُلق الإنسانُ من عَجَلٍ [٤] ﴾ ، وقوله :

* وضنَّتْ علينا والضَّنِينُ من البُخلِ [٥] *

فجعل الإنسان والبخيل مخلوقين من العَجَلِ والبُخلِ مبالغةً . انتهى .

وسياق الكلام منهما ظاهرٌ فى أنَّ المعنى الأوّل لم يقل به سيبويه ، وإنّما هو شئ استنبطه خَدمةُ كتابه من كلامه ، وليس كذلك .

وتخريج ابن هشام فاسد ، وذلك أنّ فعِلَ الصِّلة فى المثالين الأوَّلين مُسنَدٌ إلى ضمير المحدَّث عنه ، فيلزم عند السَّبك إضافةُ المصدر إلى ذلك الضمير ،

---

(١) انظر ما كتبت فى حواشى سيبويه ١ : ٢٤ من نسختى .

(٢) الحذف هنا بمعنى القطع ، يقال حذف رأسه بالسيف حذفا : ضربه فقطع منه قطعة .

(٣) هذه الأحرف أربعة كما فى المغنى ٣٠٩ - ٣١١ وهى على الترتيب : رُبَّ ، والكاف : كما ، والباء : بما . والرابع : مِنْ . وهى التالية فيما سيأتى .

(٤) الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .

(٥) عجز بيت للبعيث المجاشعى فى الخصائص ٢ : ٢٠٢/ ٣ : ٢٥٩ والمحتسب ٢ : ٤٦ وابن الشجرى ١ : ٧٢ والمغنى ٣١١ واللسان ( ضنن ١٣٠ ) . وصدره :

* ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل *

فيؤُول الأمرُ إلى جعلهم كأنّهم خُلقوا من ضَرْبهم ومن حَذْفهم . وذلك غير متصوَّر البتّة . ولا يلزم هذا فى الآية والبيتِ الأخير . و ( الكبش ) هنا : الرَّئيس وسيِّد القوم ، لأنّه يقارعُ دونهم ويَحميهم . قال ابن النحاس : وإن شئت جعلت ما بمعنى الذى ورفعتَ الكبش . انتهى .

أقول : هذا لا يصحُّ . فتأمَّلْ .

ومثل هذا البيت قول الفرزدق :

وإنّا لمَمّا نضرب الكبشَ ضربةً على رأسه والحربُ قد لاح نارُها[1]

والظاهر أنّ أباحية ألَمَّ ببيت الفرزدق ، فإنّه قبلَ أبى حيّة ، وأبو حَيّة تُوفِّى فى بضعٍ وثمانين ومائة .

أبو حيّة النميرى

قال ابن قتيبة ( فى كتاب الشعراء ) : وكان يَروِى عن الفرزدق .

وهو بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية .

وصحّفه ابن المُلاّ بالموحدة قال : ورأيت من صحَّفة بمثناة تحتيَّة . انتهى .

٢٨٤

واسمه الهيثم بن الربيع ، وينتهى نسبه إلى نمير بن عامر بن صعصعة .

قال صاحب الأغانى : وهو شاعرٌ مُجيد متقدِّم ، من مخضرمى الدولتين الأمويَّة والعباسية . وقد مدَحَ الخلفاء فيهما جميعاً . وكان فصيحاً مقصِّدًا راجزا ، من ساكنى البصرة . وكان أهوجَ جباناً ، بخيلاً كذّاباً ، معروفاً بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء يقدِّمه . وقيل إنّه كان يُصرَع . وكان من أكذبِ النّاس : حدَّث يوماً أنّه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حَولَه ، فيأخذُ منها

(١) ثالث أبيات ثلاثة فى ديوانه ٤٣٦ .

ما شاء . فقيل : يا أبا حية ، أفرأيت إنْ أخرجناكَ إلى الصَّحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا نصنع بك ؟ قال : أبعدَها اللهُ إذن !

وحدّث يوماً قال : عنَّ لى ظَبىٌ يوماً ، فرميته فراغ عن سهمى ، فعارضه السَّهمُ ، ثم راغ فعارضه ، فمازال والله يَروغ ويُعارِضه حتَّى صرعه ببعض الجَبَّانات . وإلى هذا السَّهم لمَّح ابن نُباتة المِصرىّ بقوله :

وبديعِ الجمالِ لم يَر طَرْفى مثلَ أعطافِه ولا طَرْفُ غيرى
كلمَّا حِدْتُ عن هواه أتانى سَهمُ ألحاظِه كسَهم النُّميرى

وقال يوما : رميتُ واللهِ ظَبيةً ، فلما نفَذَ سهمى عن القوس ذكرتُ بالظبيةِ حبيبةً لى ، فعدَوْت خلفَ السهم حتّى قبضتُ على قُذَذة قبل أن يدركَها .

وكان لأبى حيّةَ سيفٌ يسمِّيه « لعاب المنيّة » ، ليس بينه وبين الخشبة فَرق . وكان أجبن الناس ، حدَّث جارٌ له قال : دخل ليلةً إلى بيته كلبٌ ، فظنّه لِصًّا ، فأشرفت عليه وقد انتضى سيفَه لُعابَ المنية ، وهو واقفٌ فى وسط الدَّار وهو يقول : أيُّها المغترُّ بنا والمجترئُ علينا ، بئس والله ما اخترتَ لنفسك : خيرٌ قليل ، وسيفٌ صَقيل ، لعابُ المنيّة الذى سمعتَ به ، مشهور ضربته (١) ، لا تُخاف نَبوته ، اخرجْ بالعفو عنك قبل أن أدخلَ بالعقوبة عليك . إنِّى والله إنْ أدعُ قيساً إليك لا تقمْ لها ، وما قَيس ؟! تَملأُ واللهِ الفضاءَ خيلاً ورَجْلا ، سبحان الله ، ما أكثَرها وأطيَبها . فبينا هو كذلك إذ الكلبُ قد خرج فقال : الحمد لله الذى مَسَخك كلباً ، وكفانى حَربا !

ونظير هذه الحكاية ما رواه أبو إسحاق الحُصْرى صاحبُ زهر الآداب

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية . وفى الأغانى ١٥ : ٦١ : « مشهورة ضربته » .

( فى كتاب الجواهر ، فى الملح والنوادر [١] ) قال : نزل أعرابىٌّ من بنى نهشل يكنى أبا الأغرّ على بنى أختٍ له من قريش بالبصرة ، وذلك فى شهر رمضان ، فخرج الرجالُ إلى ضياعِهم وخرج النِّساء يصلِّين فى المسجد ، ولم يبق فى الدار إلاّ الإماء ، فدخل كلبٌ فرأى بيتاً فدخلَه وانصفق الباب ، فسمع الإماء الحركة فظنَنَّ أنَّ لِصًّا قد دخل الدار ، فذهبت إحداهن إلى أبى الأغرّ فأخبرَتْه ، فأخذ عصاً وجاء حتّى وقف على باب البيت فقال : أيُّها اللص [٢] ، والله أمَا إنِّى بك لعارف ، فهل أنت من لصوص بنى مازن [٣] ، شربتَ نبيذاً حامضا خبيثاً ، حتَّى إذا دارت الأقداح فى رأسك مَنَّتك نفسُك الأمانىَّ فقلتَ : أطرُق دُورَ بنى عَمرو والرجالُ خُلوف ، والنساء يصلِّين فى مسجدهنّ فأسرقُهن [٤] ! سَوءَةً لك ، والله ما يفعل هذا الأحرار ، بئسما منَّتك نفسكَ فاخرجْ بالعفو عنك ، وإلاّ دخلت بالعقوبة عليك ! وايمُ الله لتَخرجَنَّ أو لأهتِفنَّ هتفةً يلتقى فيها الحيّان : عمروٌ وحنظلة ، وتَسِيل عليكَ الرّجال مِن هنا وهُنا . ولئن فعلْتَ لتكوننَّ اشأم مولودٍ فى بنى تميم ! فلما رأى أنّه لا يجيبه أخذه باللِّين فقال : اخرجْ ، بأبى أنت ، مصوناً مستورا ، إنِّى والله ما أُراك تعرفنى ، ولئن عرَفتَنى لقد وَثِقت بقولى واطمأننتَ

٢٨٥

(١) جمع الجواهر ٢١٦ — ٢١٧ . وأصل هذه القصة عند الجاحظ فى الحيوان ٢ : ٢٣١ — ٢٣٣ ، رواها الجاحظ عن بشر بن سعيد ، ثم رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ١٦٧ — ١٦٨ . ومن المعروف أن ابن قتيبة ممن أجازهم الجاحظ فى رواية كتبه . انظر لذلك عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ حيث صرح ابن قتيبة بإجازة الجاحظ له .

(٢) كلمة « اللص » ساقطة من ش . والذى فى جمع الجواهر : « إيها والله إنى بك لعارف » . وفى الحيوان وعيون الأخبار : « قال : إيه يا ملأمان ، أما والله إنك بى لعارف » .

(٣) فى الحيوان والعيون : « فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن » .

(٤) فى عيون الأخبار فقط : « والنساء يصلون فى مسجدهم فأسرقهم » .

إلىَّ . أنا أبو الأغرِّ النهشلى ، وأنا خالُ القوم وجلدةُ ما بين أعينهم (١) ، لا يعصُون لى رأيا ، وأنا كفيلٌ خفير ، أجعلُك بينَ شَحْمَة أذنى وعاتقى ، فاخرجْ فأنت فى ذمَّتى ، وإلاّ فعندى قَوصرَّتان أهداهما إلىَّ ابنُ أختى البارُّ (٢) الوصول ، فخذْ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله . فكان الكلب إذا سمع هذا الكلامَ أطرق ، وإذا سكت وثَب وَيرومُ الخروج . فتهانَف أبو الأغر (٣) ثم قال : يا ألأمَ الناسِ وأوضعَهُم ، أرانى لك الليلةَ فى وادٍ وأنت فى آخَر ، والله لتخرجنَّ أو لألِجَّن ! فلما طال وقُوفُه جاءت جاريةٌ وقالت : أعرابىٌّ مجنون ، والله ما أرى فى البيت أحداً . ودفعت البابَ ، فخرج الكلبُ مبادراً ووقع أبو الأغرّ مستلقياً ، فقلن له : قم ويحك فإنّه كلب ! فقال : الحمد لله الذى مسخَه كلبا ، وكفى العربَ حَربا (٤) . انتهى .

## تتمَّة

قال الشارح المحقق : وقال بعضهم : إنّ بما تجىء أيضا بمعنى ربَّما ، نحو : إنّى بما أفعل ، أى ربَّما . هذا قول ابن مالك ، قال : إنَّ ما الكافة أحدثت مع الباء معنى التقليل بالقاف ، كما أحدثت فى الكاف معنى التعليل بالعين ، فى قوله تعالى : ﴿ واذكُروهُ كما هَدَاكم (٥) ﴾ .

---

(١) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . قال عبد الله بن عمر ، وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

وانظر الكلام عليه فى اللسان ( حوز ، سلم ) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠ .

(٢) فى النسختين : « إلى أخى البر » ، وأثبت ما فى جمع الجواهر والحيوان وعيون الأخبار .

(٣) تهانف ، بالنون : ضحك ضحكا فيه فتور كضحك المستهزئ . وفى النسختين : « تهاتف » بالتاء قبل الفاء ، صوابه ما أثبت . وفى الحيوان وجمع الجواهر : « فتهافت » كلاهما محرف . وفى عيون الأخبار : « فتهافت أبو الأغر ثم تضاحك » صواب هذه : « فتهانف » أيضا .

(٤) فى الحيوان : « الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى منك حربا » .

(٥) الآية ١٩٨ من سورة البقرة .

قال ابن هشام ( فى المغنى ) : والظاهر أنَّ الباء والكاف للتعليل ، وأنَّ ما معهما مصدرية : وقد سُلِّم أنَّ كلا من الكاف والباء يأتى للتعليل مع عدم ما ، كقوله تعالى : ﴿ فبظلمٍ من الذين هَادُوا حَرَّمْنَا عليهم طَيِّباتٍ [١] ﴾ . وقرئ : ﴿ وَىْ كأنَّه لا يُفلح الكافرون [٢] ﴾ . وقال : التقدير : أعجب لعدم فلاح الكافرين . ثم المناسب فى البيت معنى التكثير لا التقليل . انتهى .

وهذا مأخوذ من ( شرح التسهيل لأبى حيان ) . ومثاله ما أنشده ابن مالك والمرادى ( فى شرح الألفية ) ، وابن هشام ( فى المغنى ) :

فلئن صرتَ لا تُحير جواباً لبما قد تُرَى وأنتَ خطيبُ [٣]

تُحير : مضارع أحارَ بالحاء المهملة ، أى أجاب . يقال كلّمته فلم يُحِرْ جواباً ، أى لم يردَّه . واللام فى لئن موطِّئَة للقسم ، لا للتأكيد كما وهم العينى .

وقوله : لبما ، اللام فى جواب القسم وما بعدها جواب القسم لا جواب الشرط كما وهم العينى أيضا .

و « قد تُرَى » بالبناء للمفعول . والرؤية بصريَّة لا ظنّية كما زعم العينى .

وجملة وأنت خطيب حاليّة .

والبيت فى رثاء ميت ، يقول : إنْ صرتَ الآن لا تردُّ جوابا لمن يكلِّمك ، فكثيرا ما ترى وأنت خطيبٌ بلسان الحال ، فإنّ مَن نظر إلى قبرك وتذكّر ما كنت عليه ، وما آلْتَ الآنَ إليه ، اتَّعظ بذلك . ويحتمل أن يكون المراد كثيراً ما رُئيتَ فى حال الحياة خطيبا . إلاّ أنّه عبر بالمضارع لاستحضار تلك الحالة .

---

(١) الآية ١٦٠ من سورة النساء .

(٢) الآية ٨٢ من سورة القصص . وهذه قراءة الكسائى بفصل « وى » ، كما فى الإتحاف .

(٣) لصالح بن عبد القدوس كما سيأتى ، أو لمطيع بن إياس كما فى أمالى القالى ١ : ٢٧١ .

قال العينى : وقائل البيت مجهول .

أقول : قال صاحب ( تهذيب الطبع [1] ) لما مات الاسكندر ندبه أرسطاليس فقال : طالما كان هذا الشخصُ واعظاً بليغا ، وما وَعظ بكلامه موعظةً قطُّ أبلَغَ من موعظته اليومَ بسُكوته . فأخذه صالحُ بن عبد القُدّوس فقال :

ويُنادونــه وقــد صَمّ عنهم ثم قالـوا ، وللـنساء نحيبُ
ما الذى عاقَ أن تردَّ جوابا أيها المِقْوَلُ الخطيبُ الأريبُ
إنْ تكن لا تطيق رَجعَ جوابٍ فبما قد تُرى وأنت خطيبُ [2]
ذو عظات وما وَعظتَ بشيءٍ مثل وعظِ السُّكوت إذْ لا تجيبُ ٢٨٦

واختصره أبو العتاهية فى بيت فقال :

وكانت فى حياتك لى عظاتٌ فأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمس .انتهى .

ورأيت ( فى أمالى القالى ) : أنشدنا أبو عبد الله نفطويه ، أنشدنا ثعلبٌ لمطيعِ ابن إياسٍ الكوفى ، يرْثى يحيى بنَ زيادٍ الحارثىّ :

ويُنادونــه وقــد صَمَّ عنهم ثم قالـوا ، وللـنساء نحيبُ
ماْ الذى غالَ أن تُحِير جواباً أيُّها المصقعُ الخطيبُ الاديبُ
فى مقالٍ وما وعَظْتَ بشىء مثل وعظٍ بالصمت اذْ لا تجيبُ

هذا ما أورده ، ولم يذكر البيت الشاهد [3] .

---

(١) تهذيب الطبع لأبى محمد القاسم بن محمد الديمرتى ، المترجم فى حواشى ٨ : ٣٧٨ . انظر معجم الأدباء ١٦ : ٣٢٠ وابن النديم ١٩٦ وكشف الظنون ١ : ٣٥٠ ، وممّن له كتاب بهذا الاسم أيضا ابن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢ . انظر معجم الأدباء ١٧ : ١٤٣

(٢) فى الأمالى : « فلئن كنت لا تحير جوابا » .

(٣) الحق أنه أورده ، كما فى النسخة المطبوعة من الأمالى ١ : ٢٧١ فى أربعة أبيات .

مطيع بن إياس

وأورده أبو عبيد البكرى ( فى شرح أمالى القالى [١] ) كصاحب ( تهذيب الطبع ) وقال : وهو مطيع بن إياس بن أبى قَزَعة سَلْم بن نوفل [ من بنى [٢] ] الدؤل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل من بنى لَيث بن بكر بن عبد مناة . والدؤل وليثٌ أخوان لأمّ وأب ، وأمُّ أمِّهما أمُّ خارجة [٣] ، وهى التى يضرب بها المثل فيقال : « أسرَعُ من نكاحِ أُمِّ خارجة » . ويكنَى مطيع أبا سَلْم . أدرك الدَّولتين ، وكان شاعراً ظريفاً حلوَ العِشرة ، مليحَ النادرة ، وكان متَّهما بالزَّندقة . وكان يحيى بن زياد الحارثى ، وحمادٌ الرواية ، وحمادُ عجردٍ ، وابن المقفَّع ، ووالبة بن الحُبابِ لا يفترقون ، ولا يستأثر أحدُهم على صاحبه بمالٍ ولا مِلْكِ شىءٍ ، قلَّ أو كثُر . وكانوا جميعاً مطعونين فى دينهم . انتهى باختصار .

* * *

وأنشد بعده :

( لاَ تظلمُوا الناسَ كما لا تُظْلَموا )

على أنَّ الكوفيين استدلوا به على أنّ ( كما ) تنصب الفعل كما هنا ، وأنَّ أصلها كيما .

وتقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد السابع والخمسين بعد الستمائة [٤] .

---

(١) وهذا من عجب أيضا ، فإن البكرى إنما أورد البيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة فى اللآلى ٦٠٠ . ولم يذكر البيت الشاهد الذى أوَّله : « فلئن صرت لا تحير جوابا » .

(٢) التكملة من اللآلى ٦٠٠ . وفى الاشتقاق ١٧٤ : « نوفل بن معاوية بن نفاثة بن الدئل ، وهو بيت بنى الدئل » .

(٣) فى اللآلى : « أم خارجة عمرة بنت سعد بن عبد الله ، أنمارية » .

(٤) الخزانة ٨ : ٥٠٠ — ٥٠٣ .

وقد نقل ابن الانبارى ( فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف ) اختلافَ أهل البلدَين فى هذه المسألة ، فلا بأس بإيراده هنا ، قال :

ذهب الكوفيون إلى أنَّ كما تأتى بمعنى كيما ، وينصبون بها ما بعدها ، ولا يمنعون جواز الرفع . واستحسنه أبو العباس المبرِّد من البصريين . وذهب البصريُّون إلى أنَّ ( كما ) لا تأتى بمعنى كيما ، ولا يجوز نصب ما بعدها .

أمّا الكوفيون فاحتجُّوا بأن قالوا : الدليل على أنّ الفعل يُنصَب بها أنّه قد جاء ذلك كثيراً فى كلامهم ، قال صخر الغَىّ :

جاءتْ كَبيـرٌ كما أخفِّرَهـا والقوم صِيدٌ كأنَّهُمْ رُمِدوا (١)

أراد : كيما أخفّرَها ، ولهذا انتصب أخفّرها . وقال الآخر (٢) :

وطـرفَك إمَّـا جئتَنـا فاصرفنَّـه كما يحسَبُوا أنّ الهوى حيثُ تَنظرُ

أراد : كيما يحسبوا . وقال رؤبة :

* لا تَظلموا الناس كما لا تُظلموا *

أراد : كيما لا تظلموا . وقال عدىّ بن زيد العبادى :

اسمَعْ حديثاً كما يوماً تُحدِّثه عن ظَهْرِ غيبٍ إذا ما سائلٌ سألا(٣)

وقال آخر :

٢٨٧ يُقـلِّب عينيـه كما لأَخافَـه تشَاوَسْ رويداً إنَّنى مَن تَأَمَّلُ (٤)

---

(١) الإنصاف ٥٨٥ وديوان الهذليين ٢ : ٦١ .

(٢) هو عمر بن أبى ربيعة . ديوانه ٥٣ . وانظر الإنصاف ورصف المبانى ٢١٤ والمغنى ١٧٠ والأشمونى ٣ : ٢٨١ .

(٣) ديوان عدى بن زيد ١٥٨ ومجالس ثعلب ١٥٤ واللسان ( كيا ) .

(٤) لأوس بن حجر فى ديوانه ٩٨ ومجالس ثعلب ١٥٥ والحماسة بشرح المرزوقى ٧٤٥ ، ٨٢٩ .

أراد : كيما أخافَه ، إلاّ أنّه أدخل اللام توكيداً ، ولهذا المعنى كان الفعل منصوباً . فهذه الأبيات كلُّها تدل على صحَّة ما ذهبْنا إليه .

وأمَّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنّما قلنا إنّه لا يجوز النصب بها لأنّ الكاف فى كما كافُ التشبيه ، أُدخِلت عليها ما ، وجُعلا بمنزلة حرفٍ واحد ، كما أُدخِلت ما على ربّ وجُعلا بمنزلة حرفٍ واحد ، ويليها الفعلُ كربَّما . وكما أنّهم لا ينصبون الفعلَ بعد ربّما فكذلك ههنا .

وأما الجوابِ عن كلمات الكوفيين : أمّا البيت الأوّل فلا حجة لهم فيه ، لأنّه روى « كما أخفّرُها » بالرفع ، لأنّ المعنى جاءت كما أجيئها . وكذلك رواه الفَرّاء من أصحابكم ، واختار الرفعَ فى هذا البيت . وهذه الروايةُ الصَّحيحة [١] .

وأما البيت الثانى فلا حجّة فيه أيضا ؛ لأنّ الرواية : « لكى يحسَبُوا » .

وأما البيت الثالث فلا حجة لهم فيه أيضا ، لأنّ الرواية فيه بالتوحيد : « لا تَظلِم الناس كما لا تظلم » ، كالرواية الأخرى :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تشتمُ *

وأما البيت الرابع فليس فيه أيضا حجةّ ؛ لأنّ الرواة اتّفقوا على أنّ الرِّواية « كما يوما تحدِّثه » ، بالرفع ، كقول أبى النجم :

قلتُ لشيبان ادنُ من لقائِه كما تُغدِّى القومَ من شوائه [٢]

ولم يروه أحد « كما يوماً تحدّثَه » بالنصب إلاّ المفضَّل الضَّبِّىُّ وحدَه ، فإنّه كان يرويه منصوبا ، وإجماعُ الرواةِ من نحوِيِّى البصرةِ والكوفة على خلافه ، والمخالِف له أقْوَمُ منه بعلم العربية .

(١) فى الإنصاف : « وهو الرواية الصحيحة » .
(٢) سيبويه ١ : ٤٦٠ والإنصاف ٥٩١ .

وأما البيت الخامس ففيه تكلّف قبيح ، والأظهر فيه :

* يقلّب عينَيه لكيما أخافَه *

على أنه لو صحَّ ما روَوْه من هذه الأبيات على مقتضى مذهبهم فلا يخرج ذلك عن حدِّ الشذوذ والقلة ، فلا يكون فيه حُجَّة . والله أعلم . هذا ما أوردَه ابنُ الأنبارىّ.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [1] :

٨٤٠ ( صَدَدْتَ وأطَوْلتَ الصُّدودَ وقلَّما وِصالٌ على طُول الصُّدودِ يدومُ )

على أن ( ما ) فى ( قلّما ) عند بعضهم زائدة ، ووِصال فاعلُ قلَّما . وهى عند سيبويه كافّة ، ووصال مبتدأ .

أورده سيبويه ( فى بابين من كتابه ) الأول فى باب ما يحتمل الشعر ، قال : إنَّما الكلام وقَلَّما يدوم وصال . والثانى فى باب الحروف التى لا يليها بعدها إلاّ الفعل ولا تغيِّر الفعل عن حاله ، قال : ومن تلك الحروف ربّما وقلّما وأشباهُهما ، جعلوا ربَّ مع ما بمنزلة كلمةٍ واحدة وهيَّئُوها ليُذكَر بعدها الفعل ، لأنَّهم لم يكن لهم سبيل إلى رُبَّ يقول ، ولا إلى قَلّ يقُول ، فألحقوهما وأخلَصُوهما للفعل . ومثل

---

(١) سيبويه ١ : ١٢ ، ٤٥٩ وشرح أبياته للسيرافى ١ : ١٠٥ والمقتضب ١ : ٤٨ والأصول ٢ : ٢٤٣ والمنصف ١ : ١٩١/٢ : ٦٩ والمحتسب ١ : ٩٦ والأزهبة ٩٠ وابن الشجرى ٢ : ١٣٩ ، ١٤٤ والإنصاف ١٤٤ وابن يعيش ٤ : ٧/٤٣ : ٨/١١٦ : ١٣٢/ ١٠ : ٧٦ والممتع ٤٨٢ والضرائر ٢٠٢ والتصريح ١ : ٢٦٩ والهمع ٢ : ٨٣ ، ٢٢٤ ، وملحقات ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٩٤ .

ذلك : هَلاّ ، ولولا ، وألاّ ، ألزموهنَّ لا وجعلوا كلَّ واحدة مع لا بمنزلة حرفٍ واحد ، وأخلصوهنَّ للفعل حيث دخل فيهن معنى التَّحضيض . وقد يجوز فى الشِّعر تقديمُ الاسم ، قال :

صددتَ وأطوَلْتَ الصُّدودَ ... البيت . انتهى .

قال النحاس : أخبرنا على بن سليمان ، عن محمد بن يزيد المبرد ، أنّه خالف سيبويه فى هذا وجعل ما زائدة ، وقدَّره : وقلّ وصال يدوم على طول الصدود . قال : والصواب عندى ما ذهب إليه سيبويه ، لأنّه إنّما أراد تقليلَ الدوام ، وقلَّما نَقِيضَةُ كثُرَ ما [1] . وجعل سيبويه ما كافّة . انتهى .

٢٨٨ وقول الشارح المحقّق : « ووصال مبتدأ » ظاهره أنّه عند سيبويه مبتدأ . وليس كذلك ، وقصَدَ به ردَّ خمسةِ أقوال :

أحدُها : ما قدَّمه من أنَّ بعضهم ذهب إلى أنَّ ( ما ) فى الأفعال الثلاثة مصدرّية ، والمصدر فاعل الفعل . قال ابن خلف : لا يجوز أن تكون ما مصدرية لأنَّها معرفة ، وقلَّ تطلب النكرة ، تقول قلَّ رجلٌ يفعل ذلك ، فلذلك حكمتُ على مَنْ فى قولهم : قلَّ من يفعل ذلك ، أنَّها نكرة موصوفة . وأيضاً لو كانت مصدرِيَّةً لجاز أن تدخل على الماضى والمستقبَلِ ، وهى ههنا لا تدخل إلاَّ على المستقبل . انتهى .

ثانيها : قول المبرد ، وهو أنّ ما زائدة ووصالٌ فاعل قَلَّ . قال الأعلم : وهو ضعيف ، لأنّ ما إنّما تزاد فى قَلّ وربَّ ، لتليَهما الأفعالُ ، ويصيرا من الحروف المخترعة لها .

---

(١) فى النسختين : « نفيضه كثر ما » . والوجه ما أثبت . وفى اللسان : « ونقيضك : الذى يخالفك . والأنثى بالهاء » .

ثالثها ورابعها : ما ذهب إليه الأعلم قال : أراد وقلَّما يدوم وصال ، فقدَّم وأخّر مضطرًّا لإقامة الوزن ، والوصال على هذا التقدير فاعل مقدَّم ، والفاعل لا يتقدَّم فى الكلام إلاّ أن يبتدأ به ، وهو من وضع الشىء غيرَ موضعه . ونظيره قولُ الزّباء :

﴿ ما للجمالِ مشيُها وئيدا ﴾

أى وئيداً مشيُها ، فقدّمت وأخّرت ضرورة . وفيه تقدير آخر وهو أن يرتفع بفعل مضمر يدلُّ عليه الظاهر ، فكأنّه قال : وقلما يدوم وصال يدوم . وهذا أسهل فى الضرورة ، والأوّل أصحُّ معنىً وإن كان أبعدَ فى اللفظ . انتهى .

وإلى الأوَّل منهما ذهب ابن عصفور ( فى الضرائر ) قال : يريد : وقلَّما يدوم وصال على طول الصدود . ففصَل بين قلّما والفعل بالاسم المرفوع وبالمجرور .

خامسها : ما ذهب إليه ابن السرَّاج ، قال ( فى فصل الضرائر من الأصول ): ليس يجوز أن ترفع وصالاً بيدوم ، ولكن يجوز عندى على إضمار يكون ، كأنّه قال : قلما يكون وصال يدوم على طول الصُّدود .

ولا يخفى أنّ هذا ليس من مواضع حذف كان . وقال أبو على : فاعلٌ ليثبت [١] أو يبقى ونحوه مما يفسّره يدوم .

وقد رَدّ أبو على وابن يعيش ما اختاره الشارح [٢] قال ( فى البغداديات ) : ولا يصلح ارتفاع وصال بالابتداء لأنّه موضع فعل ، كما لايصلح أن يرتفع الاسم عند سيبويه بعد هَلاّ التى للتحضيض ، وإن التى للجزاء ، وإذا الدالّةِ على الزمان

---

(١) ش : « هو فاعل يثبته » .

(٢) ش : « وقدره أبو على وابن يعيش بما اختاره الشارح » ، صوابه فى ط .

بالابتداء ، ولكن يكون العامل فى الاسم الواقع بعد هذه الحروف فعلاً يفسِّرُهُ ما يظهر بعدها من الأفعال .

وقد لخَّص ابن هشام ( فى المغنى ) هذه الأقوال فقال : وأمّا قوله :

* صددت فأطولت الصدود وقلما * ... البيت

فقال سيبويه : ضرورة . فقيل : وجه الضرورة أنَّ حقّها أن يليَها الفعلُ صريحاً ، والشاعر أوْلاها فعلاً مقدَّرا ، فإنّ وصال مرتفع بيدوم محذوفاً مفسَّرا بالمذكور . وقيل وجّهها أنّه قدم الفاعل . وردَّه ابن السِّيد بأنّ البصريِّين لا يجيزون تقديم الفاعل فى شعر ولا نثر . وقيل وجهُها أنّه أناب الجملة الاسمية عن الفعلية ، كقوله :

* فهلا نفس ليلى شفيعها [1] *

وزعم المبرّد أنَّ ما زائدة ، ووصال فاعل لا مبتدأ . وزعم بعضُهم أنَّ ما مع هذه الأفعال مصدريّة لا كافةٌ . انتهى .

وأُورد على ابن السِّيد بأنّ نصَّ سيبويه ظاهر بأنّ وجه الضرورة تقديم الاسم على رافعه . وإليه ذهب ابن عصفور . وليس هذا معنى كلام سيبويه ، فإنَّ معناه لما اضطُرَّ الشاعر قدّم الاسم بعد قلّما وأضمر الفعل ، لأنَّ قلَّما من أدوات الفعل ، فإنّها بمنزلة حرف النفى . كذا قرّره ابن خلف وغيرُه .

وقول ابن هشام : « ووصال فاعل لا مبتدأ » ، غير جَيّد ، فإنَّ المبرّد مراده أنّ وصالا فاعل قَلّ لا أنّه فاعل يدوم المذكور ، ولا غيرُه من الأوجه المذكورة .

---

(١) للصِّمة القشيرى ، كما سبق فى ٣ : ٦٠ . وهو بتمامه :

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة إلىَّ فهلا نفس ليلى شفيعها

٢٨٩ واختار أبو على مذهبَهُ وأيَّده فقال : ولو قال قائل إنّ ما فى البيت صلة ، ووصال فاعل قلّ ومرتفع به ، ويدوم صفة لوصال ، فلا يكون التأويل على ما ذكره سيبويه ، لأنّ الفعل يبقى بلا فاعل ، ولم نر فى سائر كلامهم الفعلَ بلا فاعل . وأيضاً فإنّ الفعل على تأويله يصير داخلا على فعل ، وهذا أيضاً غير موجود ، لكان عندى أثبت . ويقوّى هذا أنّ الفعل مع دخول ما هذه عليه ، تجدُه دالاًّ على ما كان يدلُّ عليه قبل دخول هذا الحرف من الحدَث والزمان ، فحكمه أن يقتضىَ الفاعلَ ولا يخلوَ منه كما لم يخلُ منه قبلُ . ألا ترى أنَّ الاسم فى حال دخولِ هذا الحرفِ إيّاه على ما كان عليه قبلُ ، من انتصابه بالظرف ، وتعلُّقه بالفعل . فقوله :

أعلاقةً أُمَّ الوليِّدِ بعدَما أفنانُ رأسِكَ كالثُّغام المُخْلسِ (١)

بعدَ منتصبٌ بما نصب به المصدر الذى هو علاقةً ، فكذلك ينبغى أن يكون الفعل على ما كان عليه قبل دخول هذا الحرف ، من اقتضائه للفاعل وإسناده إليه . هذا كلامه .

وقوله : « ولم نر فى سائر كلامهم الفعل بلا فاعل » يرِدُ عليه زيادة كان فى نحو : ما كان أحسن زيدا . وفيه أيضا دخول فعل على فعل . فقوله « غير موجود » ممنوع .

وقوله : « ويقوِّى هذا أنَّ الفعل مع دخولِ ما هذه تجدُه دالاًّ » إلى اخره ، يرِدُ عليه أن الحرف المكفوف عن عمله باقٍ على معناه ، ولا يُنكَر أن يُكفَّ الفعل عن عمله فى الفاعل مع بقائه على معناه .

وقوله : « ألا ترى أنّ الاسم فى حالِ دخول هذا الحرف إياه على ما كان

---

(١) للمرار الأسدى ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٦٠ ، ٢٨٣ . وهو الشاهد ٩١٩ من الخزانة فيما سيأتى .

عليه قبل من انتصابه بالظرف وتعلُّقه بالفعلِ » إلخ هذا يشهد عليه لا له ، فإنَّ الكلام فى طلب المعمول لا فى طلب العامل ، والمعمول لبعدَ بالإضافة مفقودٌ لوجود المانع ، وهو الكفّ . وهذا هو المدّعَى . فلا يَرِدُ على سيبويه شىءٌ ممّا ذكره . والله أعلم .

وروى أبو محمد الأعرابى :

صددتَ فأطولتَ الصُّدودَ ولا أرى وصالاً على طُول الصُّدود يدومُ

وعليه لا شاهد فيه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للمرّار الفقعسى ، أوردها أبو محمد الأعرابى ( فى ضالّة الأديب ، و ( فى فُرحة الأديب ) ، وهى :

أبيات الشاهد

( صَرمتَ ولم تصرِمْ وأنت صَرومُ وكيف تصابِى من يقال حليمُ
صَددتَ فأطولْتَ الصُّدودَ وقلّما وصالٌ على طُول الصُّدود يدومُ
وليس الغوانى للجَفَاء ولا الذى له عن تَقاضِى دَيْنهنَّ هُمومُ
ولكنّما يستنجز الوعدَ تابعٌ هَواهُنَّ حَلاّفٌ لهن أثيمُ )

الصَّرم : القطع ، صرمه صَرما من باب ضرب ، والاسم الصُّرم بالضم . وكيف استفهام إنكارىّ . وتَصابِى : مصدر تصابى : تكلُّف الصَّبْوة ، وهو الميل إلى الجهل والفتوّة . يقال صبا يصبو صَبْوة . والحليم : الرَّزِينُ الوقور . يعنى أيَجوز أن يتصابَى من يقال هو حليم .

و ( الصدود ) كالإعراض . و ( أطْوَلْتَ ) كان القياس فيه أطلت ، لكنّه جاء مصحَّحا على الأصل كاستحوذ .

والغوانى : جمع غانية ، الجارية التى غَنِيت بزوجها ، وقد تكون التى غَنيَتْ بحسنها وجمالِها عن الزِّينة . والجفاءُ : خلاف البرّ ، وجفوته أجْفُوهُ ، إذا أعرضتَ

عنه . والتقاضى والاقتضاء : طلب الدَّين ، بفتح الدال . وهموم : جمع همّ ، مبتدأ وله خبر مقدَّم .

ويستنجز : يطلب النَّجاز ، وهو الوفاء . ويروى : « مُناهُنَّ » بدل « هواهنَّ » . قال أبو محمد : يقول : صرمتَ ولم تصرم صرم بَتَاتٍ ، ولكن صرمَ دلال . يخاطِب نفسَه ويلومُها على طول الصدود ، أى لا يدوم وصالُ الغوانى إلاّ لمن يلازمُهنَّ ويخضع لهنَّ . وفسر ذلك بالبيتين بعدهما . انتهى . ولمَّا كان العاشق لا يحصل منه صرم وإنّما الصرم يكون من المعشوق ، أجاب بأنه صَرَمَ دلالاً . وأجاب غيره بأنّه صرم تجلُّدٍ لا إعراض .

وظنَّ ابنُ هشامٍ أنَّ الخطاب مع الحبيبة لا مع النفس ، فقال فى بعض تعاليقه : إنّ الصواب فى البيت أن يقال : « وقلَّما وداد » عِوَض « وصال » ، وإن كان سيبويه وغيره أورده كذلك .

ونقله الدمامينى عنه ( فى الحاشية الهندية ) وقال : يعنى أنَّ تسليط النفى على دوام الوصال يقتضى وجود أصله ، وليس كذلك ، فإنّه لا وصال أصلاً مع الصُّدود طال أو لم يطل . انتهى .

ولا يخفى أنّه إذا كان خطاباً مع النفس فلا يرد هذا ، إذْ من الجائز أن يبقى الوصال من المحبوبة مع صدود المحبّ .

ولمّا لم يقف الدمامينى على الأبيات ظنّه وارداً ، فأجاب عنه بقوله : قد يقال عبَّر بالوصال عن إرادته وتوقُّعه ، أو على حذف مضافٍ للقرينة ، فإنّ المحبَّ قد ييأس من الوصل بطول الصدود واستمرار الإعراض ، فينقطِعُ رجاؤه منه ، وتوقُّعه له ، فيكون ذلك سبباً لسلوِّه وعدم إرادته للوصال . وكثيراً ما يقع ذلك لبعض الناس . انتهى .

وأجاب غيره أيضاً بأنّه إن أراد لا وصال مع الصُّدود فى زمنه فمُسَلَّم ، لكن من أين أنَّ ذلك مرادُ الشاعر . وإن أريد أنّه لا وصال منه مطلقاً فممنوعٌ ، لجوازِ تقدُّم الوصال على الصدود أو تأخُّره عنه . هذا كلامه .

ولو وقفوا على الأبياتِ لما فتحوا باب الإيراد والجواب .

وترجمة المرَّارِ الفقعسى تقدّمت فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

( يَجْرَحْ فى عَراقِيبِها نَصْلِى )

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

( وإنْ تعتذْر بالمَحْلِ من ذِى ضُروعها إلى الضَّيف يَجْرَحْ فى عَراقيبِها نَصْلِى )

فاعل تعتذر ضمير الإبل . والمحْلُ : انقطاع المطر ويُبس الأرض . والمراد بذى ضروعها : اللبن . والنصل : حديدة السيف . ومعنى اعتذارها للضيف أن لا يُرى فى ضروعها لبن . يريد إنْ عُدِم لبنُها عَرقبتُها بالسَّيف وأطعمتُ لحمها للضُّيوف بدل لبنها .

وتقدّم شرحه فى الشاهد الثالث بعد المائة (٢) .

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ — ٢٨٩ .

(٢) الخزانة ٢ : ١٢٨ — ١٣٠ .

# الحروف المشبَّهة بالفعل

أنشد فيها ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [١] :

**٨٤١** ( ياليتَ أيّامَ الصِّبَا رواجعَا )

على أنّ الفراء استشهد به على نصب المبتدأ والخَبر بليت .

٢٩١ وقدَّر الكسائىُّ رواجعَ خبراً لكان المحذوفة ، لأنَّ كان تستعمل كثيراً هنا ، قال تعالى : ﴿ يا ليتَها كانَتِ القَاضيةَ [٢] ﴾ وقال تعالى : ﴿ ياليتَنى كُنْتُ معهم [٣] ﴾ ، وقال الشاعر :

* يا ليتَها كانت لأهلى إبِلا [٤] *

وقد بيَّن الشارح المحقق ضعفه . ومثله ( فى مغنى اللبيب ) ، واعتَرَضَ عليه بأنّ تقدُّم إن ولو الشرطيتين شرطٌ لكثرة حذف كان مع اسمها وبقاء خبرها .

ولا محذور فى كون البيت من القليل .

والبصريُّون يقدرون خبر ليت محذوفا ، ورواجعَ حال من ضميره ، والتقدير : ياليت لنا أيام الصبا رَوَاجع ، ويا ليتها أقبلت رواجع . قال سيبويه ( فى

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وانظر ابن سلام ٦٥ ودلائل الإعجاز ٢١٠ وابن يعيش ١ : ١٠٣ ، ١٠٤ / ٨ : ٨٤ ورصف المبانى ٢٩٨ والمغنى ٢٨٥ والهمع ١ : ١٣٤ والأشمونى ٢ : ٢٧٠ وملحقات ديوان رؤبة ٨٢ .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحاقة .

(٣) الآية ٧٣ من سورة النساء .

(٤) من شواهد سيبويه ٢ : ٤٦ وابن يعيش ٦ : ٣٤ ، ٩٧ - ٩٨ .

باب ما يحسن عليه السكوتُ ، فى هذه الأحرف الخمسة ) يعنى إنّ وأخواتها ، نحو : إنّ مالا وإنَّ ولدًا . إلى أنْ قال : ومثل ذلك قولُ الشاعر :

* ياليت أيامَ الصِّبا رواجعا *

فهذا كقولك : ألا ماء بارداً ، كأنّه قال : ألا ماء لنا بارداً . وكأنَّه قال : ياليت لنا أيامَ الصبا رواجعَ ، أى ياليت أيام الصبا أقبلت رواجع . انتهى .

وقال أبو حيان ( فى الارتشاف ) : المشهور رفع أخبار هذه الحروف . وذهب ابنُ سلاّم ( فى طبقات الشعراء ) وجماعةٌ من المتأخرين إلى جواز نصبه ، والكسائىُّ إلى جوازه فى ليت . وكذا فى نقْلٍ عن الفرَّاء ، وعنه أيضا فى ليت وكأنّ ولعلّ . وزعم ابنُ سلاّم أنّها لغة رؤبة وقومِه ، وحُكىَ عن تميم أنّهم ينصبون بلعلَّ ، وسُمع ذلك فى خبر إنّ وكأنّ ولعلّ ، وكثُر فى خبر ليت حتَّى عمِل عليه المولَّدون . قال ابن المعتز :

مرّت بنا سحراً طيرٌ فقلُت لها ... طوباكِ ياليتنى إيّاكِ طُوباكِ (١)

ولم يحفظ فى خبر أنّ ولا فى خبر لكنّ . انتهى .

قال ابن هشام : ويصحُّ بيت ابن المعتز على إنابة ضمير النَّصب عن ضمير الرفع . انتهى .

وزعم أبو حنيفة الدينورى ( فى كتاب النبات ) أنّ نصب الجزأين بليتَ لغة بنى تميم . قال عند ذكر أسماء القوس ، وأورد مثلاً من أمثالهم ، ما هذا نصُّه : وزعم أبو زيادٍ أنّ يد القوس السِّيَة اليُمنى . قال : واليمنى ما يكون عن يمينك (٢)

---

(١) المغنى ٢٨٥ وديوان ابن المعتز ٢٢٠ صنعة الصولى ، وأوراق الصولى ٢٨٦ .

(٢) ط : « على يمينك » .

حين تقبضُ عليها وترمى ، ورجلها عن يسارك حين ترمى . وقال : رِجْل القوس أتمُّ من يدها . قال : ومن أمثال العرب : ليت القياسَ كلَّها أرجُلاً .

كذا قالها نصبا ، وهى لغة لبنى تميم . وقال ابن الأعرابى : أرجُل القسىِّ إذا أُوترت : أعاليها ؛ وأيديها : أسافلها ؛ وأرجُلها أشدُّ من أيديها . وأنشد :

* ليت القسىَّ كلَّها من أرجلِ (١) *

والقول ما قال أبو زياد . انتهى .

وظهر من كلام ابن الأعرابىّ أنّ المثل المذكور بيت ، وأنّ خبر ليت فيه الجار والمجرور ، لا كما رواه أبو زياد ؛ فإنّه مغيَّر من هذا . والله أعلم .

والبيت الشاهد من الأبيات الخمسين التى ما عرف قائلوها . والله أعلم .

وبيت ابن المعتز من أبياتٍ قالها حين ما سُلِّم لمؤنِس (٢) للقتلِ ، وهى :

يا نفسُ صبراً لعلَّ الخير عقباكِ  خانتكِ من بعد طُول الأمنِ دُنياكِ
مرَّت بنا سحراً طيرٌ فقلت لها  طوباكِ ياليتنى إيَّاكِ طوباكِ
إن كان قصدُك شوقاً بالسَّلام على  شاطِى الفراتِ آبْلِغى إن كان مثواكِ(٣)
من مُوثَق بالمَنَايَا لا فِكاك له  يبكى الدِّماءَ على إلفٍ له باكِى(٤)

---

(١) أمثال الميدانى ٣ : ١٠٤ والمستقصى ٢ : ٣٠٢ .

(٢) مؤنس الخادم المظفر ، أو خادم المعتضد ، وصاحب الشرطة ، وكان قد قام بحبس عبد الله بن المعتز . وقصى بن المؤيد ، وعبد العزيز بن المعتمد ، بأمر الوزير القاسم بن عبيد الله ، فحبسهم إلى أن أمر المكتفى بالله بن المعتضد بالله بإطلاقهم ، ولما تولى الأمر أخوه المقتدر بن المعتضد سنة ٢٩٥ ، حدثت فتنة بويع خلالها عبد الله بن المعتز فتولى الخلافة يوما وليلة ، ثم حدثت فتنة الخزر وهرب عبد الله بن المعتز إلى دار ابن الجصاص واستخفى عنده ، وسعى خادم لابن الجصاص فحدر إلى دار الخليفة ، ثم سلم إلى مؤنس الخادم فقتله ووجه به إلى منزله فدفن هنالك . التنبيه والإشراف ٣٢٦ — ٣٢٧ وتاريخ بغداد ١٠ : ٩٥ — ١٠١ . ط : « ليؤنس » ش : « لنيونس » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) فى تاريخ بغداد ١٠ : ١٠٠ :

إن كان قصدك شرقا فالسلام على  شاطى الصراة ابلغى إن كان مَسراك

(٤) فى النسختين : « من موثق بالمنى ما لا فكاك له » ، صوابه من تاريخ بغداد .

إلى أن قال :

أظنُّه آخرَ الأيام من عُمرى وأوشكَ اليومَ أن يبكِى له الباكى[1] ٢٩٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الثمانمائة [2] :

**٨٤٢** ( كأنَّ أذْنَيــهِ إذَا تشوَّفــا قادمةً أو قلماً مُحرَّفــا )

على أن أصحابَ الفرّاء جوَّزوا نصبَ الجزأين بالخمسة الباقية أيضا ، ومنها كأنَّ ، وقد نصب الشاعرُ بها الجزأين : الأول أذنيه [3] ، والثانى قادمة .

فإن قلت : كيف أخبر عن الاثنين بالواحد ؟ قلت : إنَّ العضوين المشترِكين فى فعلٍ واحد مع اتّفاقهما فى التسمية يجوز إفرادُ خبرِهما ، لأنّ حكمهما واحد .

وقد ذكرناهُ مفصَّلاً فى باب المثنى .

وقد أجيب عن نصب الخبر بأجوبة :

( أحدها ) : ما قاله الشارح المحّقق ، أنّه لحنٌ ، وقد خطِّئ قائله وقتَ إنشاده وأُصلِح له بما ذِكر . قال المبرد ( فى الكامل ) : حدِّثت أنّ العُمَانىَّ الراجز أنشد الرشيدَ فى صفة فَرس : صاحب الشاهد

كأنّ أُذْنيــه إذا تشوَّفــا قادمةً أو قلمــاً محرَّفــا

---

(١) فى تاريخ بغداد : « لى الباكى » ، وهو الوجه .

(٢) الكامل ٥١٣ والعقد ٥ : ٣٦٧ والسمط ٨٧٦ والخصائص ٢ : ٤٣٠ وزهر الآداب ٣٠٧ والمخصّص ١ : ٨٢ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٧١ والضرائر ١٠٧ والمغنى ١٩٣ والهمع ١ : ١٣٤ والأشمونى ١ : ١٧٠ .

(٣) ط : « والأول أذنيه » .

فعلم القومُ كلُّهم أنه قد لحَن ، ولم يهتدِ أحدٌ منهم لإصلاح البيت [١] إلاّ الرشيد ، فإنّه قال له : قل :

* تخالُ أُذْنيهِ إذا تشوَّفا *

والراجز وإن كان قد لحن فقد أحسن التشبيه . انتهى .

وكذا نقل ابن عبد ربه ( فى العقد الفريد ) ، وكذا روى الصولىّ ( فى كتاب الأوراق ) عن الطيِّب بن محمد الباهلى ، عن موسى بن سعيد بن مسلم [٢] ، أنّه قال : كان أبى يقول : كان فهمُ الرّشيد فهْمَ العلماء ، أنشده العُمانىُّ فى صفة فرسٍ : « كأنّ أذنيه » البيت ، فقال له : دَعْ كأنّ وقُلْ : تخال أُذْنيه ، حتَّى يستوىَ الشعر .

وقال ابن هشام ( فى المغنى ) : وقيل أخطأ قائله ، وقد أنشده بحضرة الرشيد فلحَّنه أبو عمرو والأصمعىُّ . وهذا وهمٌ ، فإنّ أبا عمرٍو توفِّىَ قبل الرشيد . وتعقَّبه شُرّاحه بأنَّ هذا لا يصلح تعليلاً للوهم ؛ فإنّ سَبْق وفاةِ أبى عمرٍو الرشيدَ لا ينافى حضورَ مجلسه ولو غير خليفة ، إلاّ أن يراد وهو خليفة ، لأنّ أبا عَمرو توفِّىَ سنة أربع وخمسين ومائة ، والرَّشيد إنّما ولى الخلافة سنة سبعين ومائة .

---

(١) هذا ما فى ط والكامل . وفى ش : « إلى إصلاح البيت » .

(٢) لم أجد هذا الخبر فيما طبع من الأوراق . لكن ورد فى بعض الأسناد من الأوراق ٧٧ « موسى بن سعيد بن سالم » ، وفى طبقات ابن المعتز ١٣٢ « موسى بن سعيد بن مسلم » كما هنا . والصولى يكثر من ذكر سعيد بن سالم الباهلى ، وذلك فى قسم أخبار الشعراء ٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ولا ريب أن صوابه سعيد بن سلم الباهلى . وأنشد ابن المعتز فى الطبقات ٢٣٩ من هجاء مسلم بن الوليد لسعيد بن سلم :

وأحببت من حبها الباخليـــ ـــن حتى وَمِقتُ ابن سلم سعيدا

وانظر جمهرة ابن حزم ٢٤٦ وتاريخ بغداد ٩ : ٧٤ .

واعترض ابن السيد البطليوسى ( فى حاشية الكامل ) على المبرِّد بأنّ هذا لا يُعدُّ لحناً ، لأنّه قد حُكى أنّ من العرب من ينصب خبر كأنّ ويشبِّهها بظننت . وعلى هذا أُنشِد قول ذى الرمة :

كأنَّ جلودَهنَّ مموَّهاتٍ ... على أبشارها ذهباً زُلالا [(١)]

وعليه قول النابغة الذبيانى :

كأنَّ التاجَ معصوباً عليه ... لأذْوادٍ أُصبن بذى أبانِ [(٢)]

فى أحد التأويلين . انتهى .

ويُمنَع الأوّل بجعل ممّوهاتٍ حالا من جلود ، لأنّه مفعول فى المعنى ، والخبر هو قوله على أبشارِها . والرواية مموهاتٌ على الخبرية . يصف النِّساءَ . والممَوَّهات : المطْليّات . والأبشار : جمع بشَرَة ، وهى ظاهر الجلد . وذهباً المفعول الثانى لمُمَوَّهات . يقال موَّهه ذهباً . والزُّلال : الصافى من كلّ شئ .

ويُمنع الثانى أيضاً بجعل عليه هو الخبر ، ومعصوباً حالاً من التاج . وذو أبان : موضع . يريد أنّه أغار على قومٍ فأخذ منهم أذوادَ إبل ، فيظنُّ نفسه مَلِكاً . يهزأ به .

والجواب ( الثانى ) أنّ خبَر كأنّ محذوف ، وقادمة مفعوله ، والتقدير : يحكيان قادمة .

و( الثالث ) : أنّ الرواية :

٢٩٣

---

(١) ديوان ذى الرمة ٤٣٣ وأساس البلاغة ( زلل ) . وأنشده فى اللسان ( زلل ٣٢٧ ) برواية : « ذهب زلال » محرفا .

(٢) ديوان النابغة ٧٦ .

* قادمتَا أو قلمَا محرَّفا *

بألفاتٍ من غير تنوين ، على أنَّ الأَصل قادمتان وقلمان محرَّفان ، فحذفت النون لضرورة الشِّعر . وعليه اقتصر ابن عصفور ( فى كتاب الضرائر ) وقال : هكذا أنشده الكوفيُّون ، ونظَّروا به قولَ أبى حِنّاء (١):

* قد سالم الحياتِ منه القدَما *

بنصب الحيات وحذف النون من القدمان .

و ( الرابع ) : أنّ الرواية : « تخال أذنَيه » لا : كأنّ أذنيه .

حكى هذه الأجوبَة ابنُ هشامٍ ( فى المغنى ) .

والعامل فى إذا ما فى كأنَّ من معنى التّشبيه . وتشوَّف : تطَلَّع . والمراد نصب الأذن للاستماع . ويجوز أن تكون ضمير الاثنين ، وأن تكون للإطلاق .

و ( القادمة ) : إحدى قوادم الطير ، وهى مقاديم ريشهِ ، فى كلِّ جناح عشرة . و ( القلم ) : آلة الكتابة . و ( المحرَّف ) : المقطوطُ لا عَلَى جهة الاستواء ، بل يكون الشقُّ الوحشىّ أطولَ من الشق الإنسى .

وهذا المعنى أصلُه لعدىّ بن زيدٍ العِبادى ، وهو :

يَخْرُجْنَ مِنْ مستطير النَّقعِ داميةً    كأنَّ آذانها أطرافُ أقلامِ (٢)

العُمانىّ الراجز

والعُمَانى من مخضرمى الدولتين ، عاش مائة وثلاثين سنة . قال ابن قتيبة

(١) كذا فى الضرائر ١٠٧ . وانظر معجم الشواهد حيث نسب إلى أبى حيان الفقعسى ، أو العجاج ، أو مساور العبسى .

(٢) ملحقات ديوان عدى ٢٠٢ . ونسب فى العمدة ١ : ١٧٦ إلى جرير ، وليس فى ديوان جرير . وورد بدون نسبة فى الأمالى ٢ : ٢٤٧ لكنه نسب فى السمط ٨٧٦ والعقد ١ : ١٦١/٣ : ٤٦٣ إلى عدى بن الرقاع .

( فى كتاب الشعراء ) : العمانى الفُقَيمى هو محمد بن ذؤيب ، ولم يكن من أهل عُمَان ، ولكن نظر إليه دُكينٌ الراجز فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنّه كان مصفرًّا مطحولا ، وكذلك أهل عُمان . وقال الشاعر :

ومَن يسكُن البَحرينِ يعظُمْ طِحالُه ويُغبَطْ بما فى بطنه وهو جائعُ [١]

ودخَل على الرشيد لينشده ، وعليه قَلنسوةٌ وخُفٌّ ساذَج ، فقال : إيَّاك وأن تدخل إلىّ [٢] إلاّ وعليك خُفّانِ دُمالِقان [٣] وعمامةٌ عظيمة الكَوْر . فدخل عليه وقد تزيَّا بزىِّ الأعراب ، فأنشده وقبَّل يده وقال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدتُ مروانَ ورأيتُ وجهَه وقبّلتُ يدهَ ، وأخذتُ جائزته . ثم يزيدَ بن الوليد ، وإبراهيم بنَ الوليد ، ثم السَّفاح ، ثم المنصورَ ، ثم المهدِىَّ ؛ كلَّ هؤلاء رأيتُ وَجْهَهم وقبلّت أيدِيَهم وأخذتُ جوائزهم ، لا والله ما رأيت فيهم يا أمير المؤمنين أندى كَفًّا ، ولا أبهى منظراً ولا أحسن وجهاً منك . فأجزَل له الرشيد الجائزةَ وأضعَفَها له على كلامه ، وأقبل عليه فبسَطَه ، حتَّى تمنّى جميع مَن حضرَ أنّه قام ذلك المقام . انتهى .

وعزا بعضُهم هذا الشعرَ لأبى نُخيلة ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد العشرين من أول الكتاب [٤] .

وزعم ابن المُلاّ ( فى شرح المغنى ) أنّ العُمانى كنيته أبو نخيلة . وهو خلاف الواقع ، بل هما راجزان .

---

(١) الحيوان ٤ : ١٣٩ والشعراء ٧٥٥ .

(٢) ش : « وأن تدخل علىّ » .

(٣) فى النسختين : « دلقمان » ، وهو المطابق لما فى الشعر والشعراء ، وعيون الأخبار . ولا وجه له ، والصواب « دمالقان » كما فى البيان ١ : ٩٥ . والدمالق : المستدير الأملس . وانظر العقد ٢ : ١٣٩ فالكلمة فيه محرفة أيضا .

(٤) الخزانة ١ : ١٦٥ .

وعُمَان بضم العين وتخفيف الميم : بلد على شاطئ البحرين ، بين البَصرة وعدن ، وإليه يضاف الأزد فيقال : أزد عُمَان . كذا بخط مُغُلْطاى على هامش ( معجم ما استعجم للبكرى ) . وقال البكرى : عُمان : مدينةٌ معروفة إليها ينسب العُمانىّ الراجز ، سمِّيت بعُمان بن سنان بن إبراهيم ، كان أوّل من اختطَّها . ذكر ذلك الشرقىُّ بن القُطامّى . وأمّا عَمَّان بفتح العين وتشديد الميم ، فهى قرية من عمل دمشق ، سمِّيت بعَمَّان بن لوط عليه السلام . انتهى .

## تتمَّة

قول الشارح المحقِّق : ويجوز عند بعض أصحاب الفراء نصب الجزأين بالخمسة الباقية أيضاً ، تقدم عن أبى حيَّان أنّه لم يرد نصب خبر أنّ المفتوحة الهمزة وخبر لكنّ [١] ، فالوا رِدُ عندهم إنّما هو فى أربعةٍ منها : فى ليت وفى كأنَّ ، وتقدَّما . الثالث : إنّ المكسورة . وأنشدوا :

٢٩٤ إذا اسودَّ جُنح اللَّيل فلتأتِ ولتكُنْ خُطاك خِفافاً إنَّ حُرّاسَنا أُسدا[٢]

وخُرّج على حذف الخبر ونصب أسدًا على الحاليَّة ، أى تلقاهم أُسدا .

وأمَّا الحديث فقد أورده ابن هشام ( فى المغنى ) كذا : « إن قعرَ جهنَّم سبعين خرِيفاً » بلا لام ، وقال : خُرِّج الحديثُ على أنّ القعر مصدر قعرت البئر ، إذا بلغتَ قعرها . وسبعين ظرف ، أى إنَّ بلوغ قعرها يكون فى سبعين عاما .

وهذا التخريج والرواية غير ما ذكره الشارح .

---

(١) انظر ما مضى فى ص ٢٣٥ س ١٣ .

(٢) نُسِب فى شرح الشواهد للسيوطى ٤٥ وللبغدادى ١ : ١٨٣ إلى عمر بن أبى ربيعة . وليس فى ديوانه .

والرابع : لعلّ . قال ابن هشام ( فى المغنى ) : قال بعض أصحاب الفرّاء : وقد تنصبهما . وزعم يونس أنّ ذلك لغةٌ لبعض العرب ، وحَكى لعلَّ أباك منطلقاً ، وتأويله عندنا على إضمار يوجد ، وعند الكسائىِّ على إضمار يكون . انتهى .

وذاك الحديث هو كلام أبى هريرة لا من كلام النبى ﷺ ، والمروى : « لسبعين » باللام . والحديث رواه مسلم ( فى أحاديث الشفاعة [1] فى أواخر كتاب الإيمان من أول صحيحه ) عن أبى هريرة وحُذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمعُ اللهُ تبارك وتعالى الناسَ فيقومُ المؤمنون حَتّى تُزْلَفَ لهم الجنّةُ ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتحْ لنا الجنَّة . فيقول : وهل أخرجَكُمْ من الجنّة إلاّ خطيئة أبيكم آدم ».وذكر الحديث بطُوله ، وآخرُه : « والذى نفس أبى هريرة بيده إنّ قَعرَ جهنّم لسبعون خريفا » . قال النَّووى : وقع فى بعض الأصول « لسبعون » بالواو ، وهو ظاهر ، وفيه حذفٌ تقديره : إنّ مسافة قعر جهنم سيرُ سبعين سنة . ووقع فى معظم الأصول والرِّوايات : « لَسَبعين » بالياء ، وهو صحيحٌ أيضاً ، إمّا على مذهب من يحذف المضاف ويُبقى المضاف إليه على جرّه فيكون التقدير : سير سبعين . وإمّا على أن قعر جهنَّم مصدر ، يقال قعرت الشىءَ إذا بلغتَ قعره ، ويكون سبعين ظرف زمان ، وفيه خبر إنَّ ، والتقدير : إنَّ بلوغ قعر جهنم لكائنٌ فى سبعين خريفاً . انتهى .

وقال القرطبى : الأجود رفع لسبعون على الخبر ، وبعضهم يرويه لسبعين ، يتأوَّل فيه الظرف . وفيه بُعدٌ . انتهى .

* * *

(١) الحق أنه فى باب ( أدنى أهل الجنة منزلة فيها ) . انظر صحيح مسلم ١ : ١٢٩ صبيح و ١ : ١٨٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٤٣ ( يا ليتَ أنّى وسُبيعاً فى غَنَمْ والخُرْجُ منها فوق كَرّازٍ أجَمّْ )

على أنّ ( أنَّ ) مع اسمها وخبرها مُغْنية عن المعمولين ، وهذا مما انفردت به ليت .

قال أبو حيان ( فى الارتشاف ) : ولا يجوز دخول لعلّ على أنّ فتقول : لعلّ أنّ زيداً قائم ، ولا كأنّ [٢] فتقول : كأنَّ أنّك ذاهب ، ولا لكنَّ [٣] فتقول : لكنَّ أنّك منطلق ، خلافاً للأخفش فى هذه الثلاثة . ولا دخولُ إنَّ على أنَّ فتقول إنّ أنَّ زيداً منطلقٌ حقّ ، وإنّ أنّك قائم يُعجبنى . خلافاً للفراء وهشام . ومذهبُ سيبويه أنّه لا يجوز شىءٌ من هذا إلاّ بفصل أخبار بينها وبين أنّ ، إلاّ ما جاء فى ليت . فتقول : إنّ عندى أنّك فاضل ، وكأنَّ فى نفسك أنّك عالم ، وكذا ما قبلها . انتهى .

وقال ابن الخباز ( فى النهاية ) : يجوز إدخال إنّ وأنَّ على أنْ المصدرية من غير فعل ، نحو : إنَّ أن تزورنا خير لك ، وعلمت أنّ أنْ تطيع الله خيرٌ لك . انتهى .

واعلم أنّه قد تزاد الباء فى أنَّ بعد ليتَ ، نحو قوله :

* فليت بأنّه فى جوفِ عِكمِ *

كما نبَّه عليه الشارح المحقّق فى خبر ما ولا ، وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والسبعين بعد المائتين [٤] . ٢٩٥

---

(١) إصلاح المنطق ٤٥١ وابن يعيش ٨ : ١١١ واللسان ( كرز ٢٦٦ سبع ١٣ ) .

(٢) فى النسختين : « ولا على كأن » والصواب حذف « على » فيهما ليستقيم القول .

(٣) فى النسختين : « ولا على لكن » ، وإنما المراد أن لكن لا تدخل على أنّ .

(٤) الخزانة ٤ : ١٥٢ . وهو عجز بيت للحطيئة صدره :

* ندمت على لسان كان منى *

والبيت أنشده ابن السكيت ( فى إصلاح المنطق ) قال فيه : يقال جعل مَتَاعَه فى خُرجِهِ وكرزه ، والكُرز والخرج سواء . ويقال للكبش الذى يحمل خُرج الراعى كَرّاز . قال الراجز :

ياليت أنّى وسبيعاً إلخ . قال شارحه اللَّبْليُّ : الخُرْج : الوعاء من صوفٍ أو أدمٍ أو كَتَّان ، والجمع أخراج وخِرَجَة . وقال أبو عبيدة : الكُرز : الجوالق الصَّغير ، وإنّما سمى الكبش كرّازًا لأنّه يحملَ خُرجَ الراعى بزاده وبأداة كِنْفِه ، وحجارته وزناده . وقوله : إنّ الخرج والكرز واحدٌ هو الصحيح ، لأنَّ الكبش لا يحمل الجُوالق إنّما يحمل الخُرج . وقوله : « يا ليت أنى » البيت يقول : ياليتنى وهذا الرجلَ فى غنمٍ نسوقهُا ، وقد عَلّقتُ على كبشٍ منها خُرجاً فيه زادى . انتهى .

وقال شارح أبياته يوسف بن السِّيرافى : الأجمّ ، بالجيم : الذى لا قرنَ له . وإنّما تمنّى أن يكون الخرج على كبشٍ أجمَّ لأنّه لا ينطح ولا يُؤذى . وسُبَيع : اسم رجل ، يجوز أن يكون ابنَه أو صاحبه . انتهى .

وأورده الجوهرى فى موضعين ( من الصحاح ) أوَّلهما فى ( كرز ) قال فيه : ابن السكيت : الكرز : الخُرج . قال : والجمع الكِرَزة مثل جُحر وجِحرَة . والكرّاز : الكبش الذى يحمل كُرزَ الراعى ولا يكون إلاّ أجمّ ، لأنَّ الأقرَنَ يشتغل بالنطاح . وأنشد : « يا ليت أنّى وسبُيعاً » إلخ . والموضع الثانى أورده فى مادة ( سبع ) قال : سُبَيع بالتصغير : اسم رجل .

ولم يكتب ابن برى ( فى حاشيته عليه ) هنا شيئاً . وكذلك الصَّفَدى . وحذا حذوه الصاغانى ( فى العباب ) ، ولم أر منهم من ذكر قائله .

وقوله : ( والخرج ) مبتدأ ، وفوق ظرفٌ خبره ، ومنها حال من الضمير المستتر فى أجمّ .

* * *

وأنشد بعده :

( جاءوا بَمذقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قَطّ )

على أن جملة ( هل رأيتَ ) إلخ فى موضع الصفة لمذق ، بتأويلٍ ، وهو أن تكون محكيّةً بقول محذوف هو الوصف ، والتقدير : جاءوا بمذق مقولٍ فيه : هل رأيت إلخ .

وتقدَّم شرحه فى الشاهد السادس والتسعين (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٤٤ ( ولو أرادَتْ لقالت وهى صادقةٌ إنّ الرياضةَ لا تُنصِبْكَ للشِّيبِ )

على أنّ الجملة الطلبية يجوز أن تقع خبراً لإنّ كما هنا ، فإنَّ جملة النهى ، وهى جملة لا تنصبك ، خبر إنّ . وكذا قال أبو على ( فى كتاب الشعر ) ، وأنشد هذا البيت :

............... ذكِّرينى ودَلِّى دَلَّ ماجدةٍ صَنَاعِ (٣)

و ( فى الارتشاف ) : وفى دخول إنَّ على ما خبرهُ نهىٌ خلاف ، صحَّح ابن عصفور جوازه ( فى شرحه الصغير للجمل ) ، وتأوَّل ذلك ( فى شرحه الكبير ) فى قوله :

* إنّ الرياضة لا تُنصِبْك للشيبِ *

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ – ١١٢ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٣٢ ورصف المبانى ١٢٠ برواية : « للكذب » محرفة ، والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣٦ . وهو من أبيات المفضليات ٣٤ .

(٣) نوادر أبى زيد ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٨ . وهو لبعض بنى نهشل ، وهو الشاهد ٧٣٨ من الخزانة . وصدره :

* وكونى بالمكارم ذكرينى *

وعلى المنع نصوصُ شيوخنا . وقال ( فى شرحه الصغير لكتاب الجُمَل [١] ) : أمَّا الجملة غير المحتملة للصدق والكذب ففى وقوعها خبراً لهذه الحروف خلاف ، والصحيح أنّها تقع فى موضع خبرها . انتهى . فأطلق . ولا يصحُّ أن يكون فى ليت ، ولا لعلّ ، ولا كأنّ . وإنْ أُلحقَ لكنَّ بإنّ فيمكن . انتهى .

وكان عليه أن يضم إلى هذه الثلاثة أنّ المفتوحة الهمزة كما بينّه الشارح المحقق . فظهر أنّ وقوع الطلبية فى إنّ المكسورة فيه خلاف : منهم مَنْ أجاز ، ومنهم من منع . ٢٩٦

ولم يصب ابن هشام فى النَّقل عن النحويِّين أنَّهم منعوا وقوع الطلبية خبراً لها ، وأضمر القول فى قوله :

إنّ الذين قتلتم أمسِ سيِّدَهمْ لا تحسبوا ليلَهمْ عن ليلكم ناما[٢]

وقول الآخر :

إنى إذا ما القومُ كانوا أنجيَـهْ واضطربَ القومُ اضطرابَ الأرشَيه

* هناك أوصينى ولا تُوصى بيَهْ [٣] *

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عدّتها اثنا عشر بيتا ، للجُميح الأسدى ، ذكر فيها نشوزَ امرأته لقلَّة ماله ، أوردها المفضل الضبى ( فى المفضليات ) ، وأوَّلها :

أبيات الشاهد

أمست أمامةُ صمتاً ما تكلِّمنـا مجنونةٌ أم أحسَّتْ أهلَ خَرُّوبِ

مرّتْ براكب ملهوزٍ فقـال لها ضُرِّى الجميـحَ ومَسِّيـه بتعـذيبِ

ولو أصابت لقالت وهى صادقة إنّ الرياضةَ لا تنصبْك للشيِّبِ )

(١) ط : « على الجملة » ، صوابه فى ش .

(٢) البيت لأبى مكعت ، وتخريجه فى معجم الشواهد .

(٣) لسحيم بن وثيل كما فى معجم الشواهد .

أُمامة : زوج الجميح . وصمتاً : مصدر وقع حالا . وأهل خَرّوب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء : قومُها [١] . قال ابن الأنبارى ( فى شرحه ) : يقول : ما لها أمست صامتةً أى ساكتةً لا تكلّمنا ، أخالطها جنونٌ أمْ لقيت أهل خرّوب ، وهم قومها ، فأفسدوها فغضبت .

وقوله : « مرت براكب » إلخ يقول : مرَّت براكبِ جَملٍ ملهوزٍ [٢] فأفسَدَها على زوجها . والملهوز : الموسوم فى أصل لَحييه ، أى أمرها بمضارّة زوجها ليطلّقها فيتزوَّجها . قال ابن الأنبارى : ملهوز : موسوم بغير ميسمه . يقول : مرَّت برجلٍ من أعدائه ومَنْ مِيسَمُه غير ميسمى ، فأمرها بمضارَّتى . ويقال : مرَّت برجل من قَومِها فأفسدها عليه ليتزوَّجها . وضُرِّى بضم الضاد : أمر بالضرّ . ومَسِّيهِ ، بفتح الميم ، أى أوصلى إليه العذاب . فى المصباح : مَسِسته من باب تعب ، وفى لغة مسَسْتُه مسًّا ، من باب قتل : أفضيت إليه من غير حائل . هكذا قيَّدوه .

وقوله : ( ولو أرادت لقالت ) رواية ابن الأنبارى « ولو أصابت لقالت » . والرياضة : تهذيب الأخلاق النَّفسية . و ( تنصبك ) : مضارع أنصبه إنصابا أى أتعبه ، متعدِّى نَصِب نصَباً من باب فرح ، إذا تعب وأعيا . وللشِّيب متعلّق برياضة ، وهو جمع أشيب . فى المصباح : شاب يشيب شيبا وشَيبةً ، والرجل أشيَب على غير قياس ، والجمع شِيب . ولا يقال امرأةٌ شيباءُ ، وإن قيل شاب رأسُها . والمَشيب : الدُّخول فى حدِّ الشّيب . وقد يستعمل المشيب بمعنى الشّيب ، وهو ابيضاض الشعَرِ المسودّ . قال ابن الأنبارى : يقول : أناشَيْخٌ مجرِّب

---

(١) وأما خروب فهو موضع فى ديار غطفان كما فى معجم البكرى ١ : ٤٩٣ . واكتفى ياقوت بقوله: « وهو اسم موضع » ، ولم يعينه .

(٢) ط : « مرت بجمل ملهوز » ، صوابه ما أثبت من ش .

لا أحفِل بمضارّتها ، لعلمى بإرادتها . وقال الأصمعىّ : قوله لا تُنصبك للشّيب ، نهاه عن رياضة المَسانّ . يقول : ولو أصابت الصَّواب ووَفِقَتْ له لقالت للرجلِ الذى أمرَه بمضارّتى : لاجَعلك الله ممن يَنْصَبُ برياضة المسَانّ ، فإنّ رياضتك إيّاهم عناءٌ عليك ، وتعبٌ لا يُجدِى عليك شيئا ، لأنهم قد يئسوا عن ذلك وجَرّبوا ، فلا يسمعون ما يؤمرون به ، لما مَعهم من التجربة . وهذا دعاءٌ فى صورة النهى : قال بعض المحْدَثين :

كبِر الكبيــرُ عن الأدَبْ  أدبُ الكبير من التَّعَبْ

الجميح الأسدى

والجُميح ، بضم الجيم وفتح الميم مصغّر ، قال ابن الأنبارى : هو لقب ، واسمهُ منقِذ بن الطَّمّاح بن قيس بن طَريف بن عمرو بن قُعَين بن طريف بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر بن نزار ابن معَدّ بن عدنان . قال أحمد [١] : والطمَّاح بن منقذ هو صاحبُ امرئ القيس الذى دخلَ معه بلادَ الرُّوم ، ووشىَ به إلى قيصر فصار سبباً لهلاكه . وإيّاه عنَى امرؤُ القيس بقوله :

٢٩٧

لقد طمحَ الطمَّاحُ من بُعدِ أرضه  ليُلبِسَنى من دائه ما تلبَّسا[٢] . انتهى

وقال أبو عبيد البكرى ( فى شرح أمالى القالى ) : الجميح لقبُه ، واسمهُ منقذ بن الطمّاح بن قيس الأسَدى . وهو فارسٌ شاعر جاهلىٌّ ، قتل يومَ جبلة . انتهى .

والبيت الذى أورده ابن هشام ، وهو :

* إنّ الذين قَتلتم أمسِ سيِّدَهم * إلخ

---

(١) أحمد بن عبيد بن ناصح ، حدث عن الأصمعى والواقدى ، وعنه القاسم بن محمد الأنبارى . توفى سنة ٢٧٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ١٠٨ .

لم يعرفه شُرّاح المغنى . وقد أورده أبو محمدٍ الأعرابىّ ( فى ضالَّة الأديب ) من جملة أبيات . قال : خرج غلامٌ من بنى سعد بن ثعلبة ، وغلام من بنى مالك ابن مالك ، فى إبلٍ لهما ، ومع السعدىِّ سيفٌ له ، فقال المالكى : ما فى سيفك هذا خَير ، لو ضربتَ به عُنقى ما قطعه . قال : فمُدَّ عنُقَك . ففعَل فضرب السعدىُّ عنقَه فقطعَه . فخرجت بنو مالك بن مالكٍ ، وأخذوا السعدىَّ فقتلوه ، فاحتربت بنو سَعد بن ثعلبة ، وبنو مالك بن مالك ، فمشَت السُّفراء بينهم ، فقالت بنو سعد بن ثعلبة: لا نرضَى حتَّى نُعطَى مائةً من صاحِبنا وتُعطَى بنو مالكٍ سبعين . فغضب لهم بنو سعد بن مالك ، فقال أبو مُكْعِت ، أخو بنى سعد بن مالك :

إنّ الذين قتلتم أمسِ سيِّدَهم لا تحسبوا ليلَهُمْ عن ليْلِكم ناما
مَن يُولِهِمْ صالحاً نُمسِكْ بجانبه ومن يَضِمْهم فإيّانا إذَنْ ضاما
أدُّوا الذى نقصت سبعين من مائةٍ أو ابعثوا حكماً بالحقِّ عَلاَّما

— أى أدُّونا مائة كاملة ، فإذا وضعتَ سبعين من مائةٍ بقيت ثلاثون . فكأنَّه قال : أدُّوا الدية التى التزمتم منها سبعين من مائة —

أو آذِنونا بحربٍ تأتكم سَمَراً حربٌ تُغادر تحتَ النَّقع أقواماً [(١)]
أبلغْ بنى مالك عنىّ مغلغَلة أنَّ السِّنان ، إذا ما أُكرِهَ اعتاما

وأبو مكعت هو الذى كان يَحِيض فى الجاهليَّة . انتهى .

* * *

(١) فى النسختين : « نأتكم » بالنون ، تحريف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [١]:

**٨٤٥** ( قالتْ ألا ليتَما هذا الحمامُ لَنا إلى حَمامَتِنا أو نصفُه فَقَدِ )

على أنّ ( ليت ) إذا اتَّصلَ بها ( ما ) جاز أن تعمل وأن تلغى .

وقد روى هذا البيت بالوجهين ، والإلغاء أكثر . قال سيبويه : وأمّا ليتما زيداً منطلق فإنّ الإلغاء فيه حَسَن ، وقد كان رؤبة بن العَجَّاج ينشد هذا البيت رفعاً ، وهو قول النابغة الذبيانى : « ألا ليتما هذا الحمام » البيت . فرفعه على وجهين : على أن يكون بمنزلة قول من قال ﴿ مثلاً ما بعوضةٌ [٢] ﴾ ، أو يكون بمنزلة قوله : إنَّما زيد منطلق .

وأمَّا لعلَّما فهو بمنزلة كأنَّما . قال الشاعر [٣] :

تحَلَّلْ وعالجْ ذات نفسِكَ وانظُرنْ أباجُعَل لعلَّمَا أنت حالِـمُ

وقال الخليل : إنمّا لا تعمل فيما بعدها كما أنَّ أرى إذا كانت لغواً لم تعمل ، فجعلوا هذا نظيرَها من الفعل كما كان نظير إنَّ من الفعل ما يعمل . ونظير إنَّما قول الشاعر :

أعلاقــةً أُمَّ الوليِّــد بعدمــــا أفنانُ رأسِكَ كالثَّغامِ المُخْلسِ [٤]

٢٩٨

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٢ . وانظر الأصول ١ : ٢٨٢ والخصائص ٢ : ٤٦٠ والأزهية ٨٨ ، ١١٩ والإنصاف ٤٧٩ وابن يعيش ٨ : ٥٤ ، ٥٨ والمقرب ١ : ١١٠ وشذور الذهب ٢٨٠ والمغنى ٦٣ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨ والعينى ٢ : ٢٥٤ والتصريح ١ : ٢٢٥ والهمع ١ : ٦٥ والأشمونى ١ : ٢٨٤ . وهو فى ديوان النابغة ٢٤ .

(٢) الآية ٢٦ من البقرة . وقراءة الرفع هى قراءة الضحاك ، وابن أبى عبلة ، ورؤبة بن العجاج ، وقطرب . تفسير أبى حيان ١ : ١٢٣ . وانظر ما سبق فى حواشى ص ١٨٣ .

(٣) هو سويد بن كراع . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٨٣ . وانظر معجم الشواهد .

(٤) للمرار الأسدى ، وهو الشاهد ٩١٩ فيما سيأتى فى حروف المصدر .

جعل ( بعد ) مع ( ما ) بمنزلة حرفٍ واحد ، وابتدأ ما بعده . انتهى .

ونقل ابن الشجرى هذا الكلام وقال : سيبويه وغيرُه من النحويِّين يرَوْن إلغاء ما فى ليتما حسناً ، فيرجّحون النصب فى ليتما زيداً منطلق ، ويجيزون أن تكون كافّة . وتشبيهُه لها بأرى يدلّ على أنّها ربَّما أُعملت ، لأنّ أرى ليست تُلغَى على كلِّ حالٍ ، وتشبيهُه إنمّا ببَعْدَما ، مانعٌ من إعمال إنّما ، كما أنّ قوله بَعْدَمَا لا يصحُّ إعماله . وقوله لعلَّما بمنزلة كأنَّما يغلب عليها أن تكون ما فيها كافّة ، وإنَّما ولكنَّما فى هذا نظيرَتانِ ، ليس فيهما فى الأغلبِ الأكثرِ إلاّ الكفُّ ، فهما فى إلغاء ما ، دون لعلَّما وكأنَّما . وإنمّا غلب على ليتما العملُ لقُوَّةِ شبهِ ليتَ بالفعل . ألا ترى أنّ وَدِدت بمعنى تمنَّيت ، وليت هى عَلَم التمنّى ، فلذلك حسُن نصب الجوابِ فى قولك : وددت أنَّه زارنى فأُكرِمَه . انتهى .

فظهر بما نقلْنا إنَّ إلغاء ليتما جائز حسن ، وإعمالَها أَحْسَنُ وأكثر ، خلافَ ما زعمه الشارح المحقق .

وذهب الفرّاء إلى أنّه لا يجوز كفّ ما لليت ولا لِلعلّ (١) بل يجب إعمالُهما .

وقول الشارح المحقّق لأنّها تخرج بما عن اختصاصها بالجملة الاسمية ، يعنى فتدخل على الجملة الفعلية . وفيه خلاف . قال صاحب الارتشاف : وأمّا مجىء الفعل بعد لعلّما وليتما فهو مذهب البصريِّين ، أجازوا : ليتما ذهبت ، ولعلَّما قمت . وزعم الفراء أنّ ذلك لا يجوز ، فلا تجىء الجملة الفعليّة بعدهما . ووافقه على ذلك فى ليتما خاصّةً أصحابُنا المتأخّرون ، زعموا أنَّ ليتما باقية على اختصاصها بالجملة الاسميّة . انتهى .

---

(١) ط : « ولا لعل » .

وجزم ابن هشام ( فى المغنى ) بالاختصاص ، تبعاً لابن الناظم وغيره ، قال : وتقترن بها ما الحرفية فلا تزيلها عن الاختصاص بالأسماء ، لا يقال ليتما قال زيد ، خلافاً لابن أبى الربيع ، وطاهرٍ القزوينى . ويجوز : ليتما زيداً ألقاه على الإعمال ، ويمتنع على إضمار فعلٍ على شريطة التفسير . انتهى . وهذا هو الجيّد ، إذ لم يسمع دخولُها على الفعليَّة . وقول سيبويه « فرفعه على وجهين : على أن يكون بمنزلة مَنْ قال ( مثلاً ما بعوضةٌ ) إلخ » قال النحاس : يريد أنّ ما موصولة وأنّه يضمر مبتدأ ، أى فياليت الذى هو هذا الحمام لنا . ويريد بالوجه الثانى أنّ ما كافّة . ويجوز النصب على أنْ تكون ما زائدة للتوكيد ، ويكون الحمام بدلاً من هذا .

وكذا قال الأعلم فى هذه الوجوه .

وضعَّف ابنُ هشام ( فى المغنى ) موصوليَّة ما فى بحث ليت ، وفى بحث ما الكافّة ، قال : هو مرجوح ، لأنَّ حذف العائد المرفوع بالابتداء فى صِلةِ غيرِ أىّ ، مع عدم طول الصِّلة قليل . وزاد فى بحث ما : وسهَّل ذلك تضمُّنهُ إبقاء الإعمال . ورُدّ عليه بأنّ الصلة هنا قد طالت بالصفة ، ومع احتمال الموصولية لا دليلَ على إهمالها ، ولولا أن سيبويه ذكر الإهمال لمنع .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى ، يُخاطِب بها النعمانَ بن المنذر ، ويعاتبه ويعتذر إليه مما اتُّهم به عنده . وقد مضى شرحُ سببها وأكثرِها فى مواضع عديدة ، فلنذكر هُنا منها ما يُتمّ معنى البيت . وقبله :

أبيات الشاهد

(فاحكُم كحكم فَتاةِ الحىِّ إذْ نَظَرتْ ... إلى حمامٍ شراعٍ وارد الثَّمَـــدِ

يحفُّــه جانبــا نِيــق وتتبعُــه ... مثلُ الزجاجة لم تُكحَل من الرَّمَدِ

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنـا أو نصفُـه فقَـدِ

فحسبُّوه فألفَــوْه كما ذكَــرَتْ ... تِسعاً وتسعين لم تَنقُصْ ولم تَزدِ[1]

٢٩٩

(١) ضبط « فحسبوه » بتشديد السين ، نص عليه البغدادى فيما سيأتى ٢٥٩ .

فكمَّلت مائةً فيها حَمامتُها وأسرعت حِسبةً فى ذلك العددِ )

قوله : « فاحكم كحكم » أى كن حكيماً كهذه الفتاة ، أى أصبْ فى أمرى كإصابتها فى حَدْسها بالنظر . قال الجواليقى ( فى شرح أدب الكاتب ) : الحُكْم : الحِكمة ، مثلُ نُعْم ونعمة . وكذا فى ( شرح ابن السِّيد ) قال : هو من الحُكم الذى يُراد به الحكمة لا من الحُكم الذى يراد بهِ القَضاء . قال تعالى : ﴿ ولمَّا بلغَ أشُدَّه واستوَى آتيناه حُكماً وعلما [1] ﴾ ، أى حِكمة ، يقال من ذلك : حكَمَ الرجلَ يحكُم من باب نصر ، إذا صار حكيما . قال النمر بنُ تولب :

وأحبِبْ حبيبكَ حُبًّا رُوَيداً فليس يَعُولُكَ أن تَصرما [2]
وأبْغِضْ بغيضكَ بُغضاً رُويداً إذا أنتَ حاولت أن تَحكُما [3] .انتهى .

وأراد بفتاة الحىّ : زرقاءَ اليمامة . قال الزمخشرى [ فى ] « أبصر من الزرقاء » من مستقصى الأمثال [4] : هى من بناتِ لقمان بن عاد ، ملكةُ اليمامة . واليمامة اسمُها ، فسميِّت البلدة باسمها . وقيل اسمها عَنْز ، وهى إحدى الزُّرق الثلاث أعينها [5]، والزبّاء ، والبسوس . وكانت جَدِيسيَّة ، وحين قَتل جَدِيسٌ طسماً

(١) الآية ١٤ من سورة القصص . وفى سورة يوسف ٢٢ : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما » ، فالنصان الكريمان متشابهان .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٢٩٤ . لكن فى مختارات ابن الشجرى ١٩ : « لئلا يعولك أن تصرما » . وفى اللسان ( عول ٥١١ ) : « فليس يعولك » . و « تصرما » روى بالبناء للفاعل وللمفعول أيضا . ويعولك ، أى يشق عليك ويغلبك . والمعنى صالح مع مختلف هذه الروايات .

(٣) تحكم : تصير حكيما . اللسان ( حكم ٣٠ ) عند إنشاد هذا البيت . وفى شرح المختارات . ويروى : « أن تُحكِما » ، أى تحكم أمرك . ويقال أحكمته ، أى منعته ورددته عما يريد . قال جرير :

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا

(٤) كلمة « فى » تكملة من ش . وانظر المستقصى ١ : ١٨ .

(٥) فى ش والمستقصى : « أعنيها » بتقديم النون ، صوابه فى ط . وانظر للزرق العيون . الحيوان ٥ : ٣٣١ .

استجاش قبيلةُ طسم (١) حَسّانَ بن تُبّع إلى اليمامة ، فلما صارُوا من جوّ على مسيرة ثلاثٍ ليالٍ صَعِدت الأُطمَ الذى يقال له الكلب ، فنظرت إليهم وقد استتر كلٌّ بشجرةٍ تلبيساً عليها ، فارتجزت بقولها :

أُقسِمُ باللهِ لقد دَبَّ الشّجرْ أو حِمْيرٌ قد أخذت شيئاً تجُرّْ

فكذَّبها قومها ، فقالت : والله لقد أرى رجلا ينهشُ (٢) كتفاً ، أو يخصف نعلا . فما تأهَّبوا حتى صَبَّحَهم الجيش . ولمَّا ظفر بها حسّان قال : ما كان طعامك ؟ قالت : دَرمكة (٣) فى كلِّ يوم بمُخّ . قال : فبِم كنت تكتحلين ؟ قالت : بالإثمد (٤) . وشقّ عينها (٥) فرأى عروقاً سُوداً من الإثمد . وهى أوّل من اكتحل بالإثمد من العرب . انتهى المقصود منه .

وقال ابن المستوفِى : كانت زرقاء اليمامة تُبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام ، ويُضرَب بها المثل يقال : « أبصر من زرقاء اليمامة » . واليمامة بلد ، وكان اسمها الجوّ فسمِّيت باسم هذه المرأةِ لكثرة ما أضيفَ إليها ، وقيل : جوُّ اليمامة . وقالوا : هى من بنات لقمان بن عاد ، وقيل هى من جديس . انتهى .

والحمام ، قال ابن قتيبة ( فى أدب الكاتب ) : يذهب الناس إلى أنّها الدواجن التى تُستفرَخ فى البيوت ، وذلك غلطٌ ، إنّما الحمام ذواتُ الأطواقِ وما أشبهها ، مثل الفَواخت والقَمَاريّ والقطا . قال ذلك الأصمعيُّ ، ووافقه عليه

---

(١) فى المستقصى : « وحين قتلت جديس طسما استجاش رجل طسمى » ، وفى الميدانى : « فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسَّان بن تبَّع فاستجاشه » .

(٢) ط والميدانى : « ينهس » بالسِّين المهملة . وهما بمعنًى . أو النهش باطباق الأسنان والنهس بالأسنان والأضراس .

(٣) الدرمكة : واحدة الدرمك ، وهو دقيق الحوَّارَى النقى ، تريد خبزة مصنوعه منها .

(٤) فى المستقصى : « قالت بغبوق من صبر ، وصبوح من إثمد » .

(٥) ش والميدانى وشرح قصيدة ابن عبدون ٦٧ : « عينيها » بالتثنية .

الكسائى . قال حُمَيد بن ثَور :

وما هاجَ هذا الشَّوقَ إلاّ حمامةٌ دعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرحةً وترنُّما[١]

فالحمامة ههنا القُمرية . وقال النابغة :

واحكم كحُكْمِ فتاة الحىّ ... البيت

قال الأصمعى : هذه زرقاء اليمامة ، نظَرتْ إلى قَطًا . قال : وأمَّا الدواجن فى البيوت فإنَّها وما شاكلها من طيرِ الصحراءِ : اليمام . انتهى .

قال ابن السِّيد ( فى شرحه ) : ما نقله عن الأصمعىّ والكسائىّ صحيح ، وقد يقال لليمام [٢] حمام أيضا . حكى أبو عبيد ( فى الغريب المصنف ) عن الأصمعىّ أنه قال : اليمام ضَربٌ من الحمام بَرِّىّ . وحكى أبو حاتم عن الأصمعى ( فى كتاب الطير الكبير [٣] ) : واليمام ، واحده يمامة ، الحمام البرى . وحمامُ مكة يمامٌ أجمع . قال أبو حاتم : والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام : أنّ أسفل ذنبِ الحمام مما يلى ظهرها إلى البياض [٤] ، وكذا حمام الأمصار ، وأسفلُ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه [٥] . وليس فى بيت النابغة من الدليل على أنّه أراد بالحمام القطا مثلُ ما فى بيت حُميد بن ثور من الدليل على أنّه أراد بالحمامة القُمْريّة . وإنّما عُلِمَ ذلك بالخبر المروىّ عن زرقاء اليمامة ، أنَّها نظرَتَ إلى قطًا فقالت :

٣٠٠

(١) ديوان حميد ٢٤ والأشباه والنظائر ٤ : ١٤٩ .

(٢) فى النسختين : « يقال اليمام » ، ووجهه من الاقتضاب ١١٠ .

(٣) فى الاقتضاب : « كتاب الطير » فقط .

(٤) فى الاقتضاب : « مائل إلى البياض » .

(٥) الكلام بعده منقول من الاقتضاب ٢٩٤ . فقد مزج البغدادى بين النقلين .

يالَيتَ ذا القطا لنا ومثلَ نصفِه معه [١]
إلى قطاةِ أهلِنا إذن لنا قطاً مائه [٢]

وقد روى أنها قالت :

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه
ونصفه قَدِيَهْ تمَّ الحمامُ مِيَه [٣]

ثم قال : وكان الأصمعيّ يروى : « شراع » بالشين المكسورة المعجمة [٤] يريد التى شرعت فى الماء . وروى غيرُهُ : « سِراع » بالسين غير معجمة ، وهما جمع شارعة وسريعة . والرواية الثانية أولَى ، لاستغنائها عن دعوى التأكيد [٥] . والثَّمد : الماء القليل . وأُفردَ واردًا وإن كان صفةً لحمام حملاً على معنى الجمع ، كما قال تعالى : ﴿ مِن الشَّجرِ الأخضَرِ [٦] ﴾ . انتهى .

---

(١) وكذا ورد عند الجواليقى فى شرح أدب الكاتب ١٢٨ . ولا يخفى ما يكون من تخالف الروى فى هذا البيت وتاليه . وفى الاقتضاب ١١٠ : « ومثل نصفه ليه » ، وفى البيتِ الثانى : « إذن لنا قطاً ميَه » . وفى الأغانى ٩ : ١٦٨ :

يالیت ذا القطا ليه ومثل نصف معيه
إلى قطاة أهليه إذن لنا قطاً ميه

فيكون بذلك من منهوك الرجز ، وتكون رواية الاقتضاب من مجزو الرجز .

(٢) انظر التعليق السابق .

(٣) وكذا فى الاقتضاب : لكن فى الأغانى مع مغايرة فى ترتيب الأشطار :

ليت الحمام ليه ونصفه قديه
إلى حَمامَتيَه تم الحمام ميه

(٤) ش : « بالشين المكسورة معجمة » ، وفى الاقتضاب : « بالشين معجمة » .

(٥) الكلام بعد كلمة « معجمة » ساقط من النسخة المطبوعة من الاقتضاب . والمراد بالتأكيد تأكيد الشراع بكلمة « وارد » .

(٦) الآية ٨٠ من سورة يسٓ .

فإنَّ الحمام اسمُ جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، ومثله يجوز أن يعتبر جمعاً ومفردا كما هنا ، فإنّ وصفَه جُمِع تارةً وهو شراع ، وأُفرد أخرى وهو وارد .

وهذا البيت من شواهد سيبويه ، قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة وارد إلى الثمد ، على نية التنوين والنصب ، ولذلك نعت به النكرة مع إضافته إلى المعرفة ، إذ كانت إضافتُه غير مَحْضة .

وقوله : « يحفُّه جانبا نِيق » الخ أى أحاط به . والضمير للحمام . وجانبَا : مثنَّى جانب ، حذفت نونه للإضافة ، وهو فاعل يحفّه . والنِّيق ، بكسر النون ، قال ابن قتيبة ( فى أبيات المعانى ) : النِّيق : الجبل . يقول : كانَ الحمامُ فى موضع ضيِّقٍ قد ركب بعضُه بعضاً ، فهو أشدُّ لعدِّهِ [١] . وقوله : « وتُتبعه » إلخ مضارع أتبَعه ، وفاعله ضمير الفتاة ، والهاء ضمير الحمام ، ومثل مفعول صفة لمحذوف . قال ابن قتيبة : أى تُتبعه عيناً مثلَ الزجاجة . لم تُكحَل تلك الفتاة من الرَّمَد ، أى لم يكن بها رمَد فتكحَلَ منه . مثل قول الآخر [٢] :

* على لاحبٍ لا يُهتدى بمنارِهِ [٣] *

وقوله : ( قالت ألا ليتما ) إلخ قال ابن قتيبة : أو نصفه ، أرادت ونصفه ، أوْ بمعنى الواو . قال ابن هشام ( فى المغنى ) : هذا قول الكوفيِّين والأخفش والجرمى . واحتجُّوا بأبياتٍ منها هذا البيت . ويقوِّيه أنه روى : « ونصفَه » ، بالواو . انتهى .

---

(١) أى تشتد الصعوبة فى عده . وفى النسختين : « لعدوه » ، ووجهه ما أثبتُّ من المعانى الكبير ٢٩٩ . وعند التبريزى فى شرح القصائد العشر ٤٠٣ : « قال الأصمعى : إذا كان الحمام بين جانبى نيق كان أشد لعَدَدِهِ ، لأنه يتكاثف ويكون بعض فوق بعض ، وإذا كان فى موضع واسع كان أسهل لعدده » .

(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٦٦ واللسان ( سوف ) .

(٣) فى النسختين : « لمناره » ، تحريف ، وصوابه من الديوان وسائر المراجع . وعجزه :

* إذا سافه العَوْد النباطى جرجرا *

وردَّ ابن الأنبارى ( فى مسائل الخلاف ) على الكوفيين بأنّ الرواية بالواو لا بأو ، ولو سلَّمنا فنقول : أو فيه باقية على أصلها ، وهو أن يكون التقدير ليتما هذا الحمام أو هو ونصفه ، فحذف المعطوف وحرف العطف ، كقوله تعالى : ﴿ فقلنا اضرب بعَصَاكَ الحجرَ فانفَجَرَتْ [1] ﴾ ، أى فضرب فانفجرت . وعلى هذا قولُ الشاعر :

* ألا فالبثا شهرينِ أو نصفَ ثالثٍ [2] *

أى : أو شهرَينِ ونصف ثالث . ألا ترى أنك لا تقول مبتدِئاً نصفَ ثالث . وإذا وجب أن يكون المعطوف عليه محذوفاً كانت أوْ باقيةً على أصلها . ٣٠١

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ تخريجه لا يتمشّى على رواية النصب ، وإنَّما هو على رواية الرفع ، مع أنَّ المعنى ليس عليه ، فإنّها لم تتمنَّ أحدهما وإنَّما تمنّت كليهما ، وإن كان لرفع نصفُه مع نصب الحمام وجهٌ ذكره ابن هشام ( فى شرح الشواهد ) ، قال : وقد يجوز الرفع مع نصب الحمام . وذلك على أن تجعله معطوفا على الضمير المستتر فى لنا ، وحسن ذلك لأجل الفصل .

وقوله : « فحسَّبوه فألفَوْه » حسَّب بتشديد السين بمعنى المخفَّف ، أى عَدُّوه . والهاء فى الموضعين ضمير الحمام . وألفوه : وجَدوه . قال ابن قتيبة : نظرتْ هذه المرأةُ إلى حمامٍ مرَّ بها بين جبلين ، وكان ستًّا وستين ، فقالت : ليت لى هذا الحمامَ ونصفه ، وهو ثلاث وثلاثون ، إلى حمامتى ، فيتمّ لى مائة . فنظروا فإذا هو كما قالت .

---

(١) الآية ٦٠ من سورة البقرة .

(٢) صدر بيت لابن أحمر فى ديوانه ١٧١ ، كما فى معجم الشواهد ، وعجزه :

* إلى ذاكما ما غيبتنى غيابيا *

قال حمزة الأصفهانى ( فى أمثاله ) : قال بعض أصحاب المعانى : إنّ النابغة لما أراد مدحَ هذه الحكيمةِ الحاسبةِ بسرعة إصابتها ، شدَّد الأمْرَ وضيَّقَهُ ليكون أحسن له إذا أصاب [(١)] ، فجعله حَزرْ طير ، إذ كان الطَّير أخفَّ ما يتحرَّك ، ثم جعله حماماً إذْ كان الحمام أسرعَ الطير ، ثم كثَّر العدد إذْ كانت المسابقة والمنافسة ، ثم ذكر أنّها صارت بين نِيقَينِ ، لأنّ الحمام إذا كان فى مَضيقٍ من الهواء كان أسرعَ طَيراناً [(٢)] منه إذا اتَّسع عليه الفضاء ، ثمَّ جعلها واردةً للماءِ [(٣)] أعانها الحرصُ للماء على سُرعة الطَّيران . انتهى .

وأغرب الجواليقىُّ هنا فقال [(٤)] : قال الأصمعى : سمعت ناساً يحدِّثون أنَّ ابنة الخُسِّ كانت قاعدةً فى جَوَارٍ ، فمرَّ بها قطاً واردٌ فى مَضيق من الجبل ، فقالت :

ياليتَ ذا القطا لنا ومثلَ نصفِه معه
إلى قطاة أهْلنا إذن لنا قطاً مائه

فأُتبِعَت القطا فعُدَّت على الماء ، فإذا هى ستٌّ وستّون . انتهى .

هند بنت الخُسّ

وابنة الخُسّ بضم الخاء المعجمة وتشديد السين المهملة ، واسمها هندٌ الإياديّة . وهى جاهليّة قديمة ، وقد أدركتِ القلمَّس أحدَ حكّام العرب فى

---

(١) فى النسختين : « إذا أضاقه » ، ولا وجه له ، كما أن أضاق لم ترد إلا فى لغة حكاها ابن جنى . والصواب من الدرة الفاخرة لحمزة ١٦٢ .

(٢) هذا ما فى ش وأمثال حمزة . وفى ط : « طيرا » ، وهى صحيحة أيضا ، يقال طار طيرا وطيرانا . لكن انظر ما مضى فى حواشى ٢٣١

(٣) بعده فى الدرة الفاخرة : « لأن الحمام إذا وردت الماء أعانها الحرص للماء على سرعة الطيران » .

(٤) شرح أدب الكاتب للجواليقى ١٢٨ .

الجاهليّة ، تحاكمت هى وأختها خُمعة [١] إليه فى كلامٍ لهما ، ومدحَتْه بأبياتٍ منها :

إذا الله جازى منعماً بوفائه فجازاكَ عنىِّ يا قلَمَّسُ بالكَرَمْ [٢]

وبعضُ الرواة يزعم أنّها ماتت فى زمن النُّعمان عند هندٍ ابنته ، ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق :

وفيتَ بعهدٍ كان منك تكرُّما كما لابنة الخُسِّ الإيادِى وفَتْ هندُ [٣]

وليس الأمر كذلك ، وإنّما مراد الفرزدق أنَّ هندا وفت لأختها خمعة بنةِ الخُسّ ، لا أنَّها عند ابنة النعمان .

وقد ترجمها الشريف المرتضى ( فى أماليه ) وذكر طرفا من أمورها [٤] .

زرقاء اليمامة

وقد أجحف الزمخشرى فى قصّة الزرقاء فيَقول [٥] : إنَّ اليمامة كان اسمها جوًّا فى الزَّمن الأوّل ، وكانت لأُمَّتينِ إحداهُما : طَسْم بن لَوذ بن سام بن نوح ، والأخرى : جَديس بن جاثر [٦] بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانوا أصحابَ زرعٍ ونخيلٍ ومواش ، وكان مَلِكُهم من طسم يقال له عُملوق

---

(١) ويقال لها أيضا « جمعة » بالجيم ، وهى جمعة بنت الخس بن حابس ، وتنسب إلى جدها فيقال جمعة بنت حابس ، أخت هند بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادية . انظر حواشى البيان ١ : ٣١٢ وسرح العيون ٤٦ وبلاغات النساء لطيفور ٥٨ .

(٢) فى سرح العيون ٤٦ : « جازى محسنا » .

(٣) لم يرد فى ديوان الفرزدق ولا فى النقائض .

(٤) أمالى المرتضى ١ : ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٥) ط : « فنقول » ، صوابه فى ش .

(٦) جاثر بالثاء المثلثة ، كما فى القاموس ( جثر ) والمحبر ٣٨٤ والطبرى ١ : ١١٠ ونهاية الأرب ٢ : ٢٩١ . وانظر حواشى جمهرة ابن حزم ٤٦٢ .

أو عِمليق ، أفرط فى جَوره على جَديس حتّى أمر أن لا تُزَفَّ امرأةٌ من جَديس إلاّ أُتىَ بها إليه حتَّى يفتضَّها قبل زوجها ، فلما افتضَّ بنت غَفار [١] خرجت من عنده رافعةً صوتَها ، ملطَّخة بدَمها ، وهى تقول : ٣٠٢

لا أحدٌ أذلَّ من جديسٍ أهكـذا يُفْعَـل بالعَــروسِ

فى أبيات ، كما تقدَّم شرح هذه القصَّة مفصَّلا فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائة [٢] . فلما سمِع قوْمُها ذلك اشتدّ غضبهم [٣] ومشى بعضُهم إلى بعض ، وكان أخوها ابن غفار [٤] سيِّدَهم ، فلما رأى ذلك من حال القومِ قال : أطيعونى وإلاّ قتلتُ نفسى . قال : أكتبُ إلى الملك : إنِّى قد زوَّجتُ أختى فليحضُر المَلكُ وجميعُ أهلِه إلى طعامى . فإذا أتوكم قام كلُّ واحدٍ منكم على رأسِ رجلٍ منهم وقد دَفَن سلاحَه تحت رجله ، فإذا قرِّب الطعامُ فليقتلْ كلُّ رجل منكم مَن يليه . فقُتلوا جميعهم إلاَّ رجلا يقال له رِياح بن مُرّة [٥] فإنّه أفلتَ منهم واستصحب كلبةً له ، وأخذ جريدةً من جرائد نخلهم فطلاها بالطِّين ، ثم توجَّه حتَّى أتَى حسَّانَ بن تُبّع مذعوراً فقال له : ما وراءك ؟ قال : أتيتُك من عند قومٍ كنّا ملوكَهم وساداتِهم وقد وثبوا علينا ظُلماً – وذكر القصَّة – وفيهم زروعٌ ومواشٍ وتبرٌ ووَرِقٌ ومسك وعنبر ، وجميعُ آلة الدُّنيا ، وفيهم امرأةٌ يقال لها « عنز » تغَذَّى بالزُّبد والشُّهد والمُخّ ، كأنَّها القمرُ ليلَةَ البدر . فلمّا سمع ذلك حسَّانُ

---

(١) هى الشموس عفيرة بنت عَفار كما فى كتاب المغتالين ( نوادر المخطوطات ) ٢ : ١١٨ وشرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ٦٣ . وهى فى الخزانة ٢ : ٢٧٣ : عميرة بن غفار أخت الأسود .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٧١ – ٢٧٥ .

(٣) ش : « غضبها » .

(٤) هو الأسود بن غفار الجديسى .

(٥) فى شرح قصيدة ابن عبدون : « رباح » بالباء الموحدة فى جميع المواضع ، تحريف . وانظر تحقيق البغدادى لهذا الاسم فى الخزانة ٢ : ٢٦٩ – ٢٧٠ .

دعا قومَه وأسمعهم كلام رياح ، فقالوا : ما لنا ولأمَّةٍ قَتلت أختَها ، ليس بيننا وبينهم حرب ، على أنّ بلدهم شاسع ، ومسلكَهم بعيد . قال الملك : أرأيتُم إن ظلم أخٌ أخاه أليس يجبُ على الملك أن ينصره ؟ قالوا : بلى . قال لهم رياح : كيف يكون بلدى شاسعاً وهذه جريدةٌ من نخلها رطبة ، فلو كان بعيداً يبست ، وهذه كلبتى قد تبعتْنى عرجاءَ . وكان قد ضربَها عند دخوله فعَرِجت ! فلم يزل بهم حسّان حتَّى أجابوه إلى المسير فسارُوا فى ثلثمائة ألف ، فلمَّا كان من جوٍ على مسيرة ثلاثة أيام قال لهم رياح : إنّ فيهم امرأةً يقال لها اليمامة تُبصر الراكبَ من مسيرة ثلاثة أيام ، فاقطَعُوا الشجرَ وليضعْ كلُّ راكب منكم بين يديه غُصناً من أغصانها ليشتبه عليها . فقامت اليمامةُ على رأس حصنٍ لهم يقال له : البَتيل [١] ، فقالت : أىْ قومِ ، زحفَتْ إليكم حِميرُ ، وأرى شجراً ، وخلفها بشرا . فكذّبوها وقالوا : ما تزالين تأتيننا بالإفك [٢] ! ثم رجَعَت بصرَها فوضح لها صِدقُ ما رأت فقالت :

خُذوا حِذَاركُمُ يا قومِ ينفعُكمْ ... فليس ما قد أرى بالأمس يُحتَقَرُ [٣]
إنّى أرى شجراً من خلفهَا بشرٌ ... وكيف تجتَمعُ الأشجارُ والبشرُ
خُذوا طوائفَكم من قبلِ داهيةٍ ... من الأمور التى تُخشَى وتنتُظَر [٤]

---

(١) فى معجم البلدان : « وبَتيلُ حَجْرٍ : بناءٌ هناك عادىٌّ مرتفع ، مربع الأسفل محدّد الأعلى ، مرتفع نحو ثمانين ذراعا » . وفى النسختين : « النبيل » ، تحريف .

(٢) « تأتينا » بحذف إحدى النونين فى النسختين ، والصواب ما أثبت ؛ إذ لم يرد حذف نون الرفع وجوبًا إلا مع نون التوكيد فى المضارع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة ، وجوازًا مع هذا المضارع المتصل بنون الوقاية . وفى غير هذين لم تحذف إلاّ فى ضرورة الشعر . وأما النثر فقد قال ابن عصفور : « ولا يحفظ شىء من ذلك فى الكلام ، إلاّ ماجا ، من حديث خرجه مسلم فى قتلى بدر حين قام عليهم رسول الله ﷺ فناداهم .... الحديث فسمع عمر قول النبى فقال : « يا رسول الله كيف يسمعوا ، وأنى يجيبوا ، وقد جيَّفوا » . الضرائر ١١٠ .

(٣) فى شرح القصيدة ٦٧ : « خذوا لهم حذركم » و « ما قد أرى بالأمر » .

(٤) فى شرح القصيدة : « صفوا الطوائف منكم » .

فقد زجرتُ سَنِيحَ القـوم باكـرةً لو كان يعلم ذاك القومُ إذْ بكروا
إنِّى أرى رجلاً فى كفِّه كتِـفٌ أو يخصِفُ النّعْلَ خصفاً ليس يُبتدرُ [١]
فغـوِّروا كلَّ ماءٍ قبـل ثالثـةٍ فليس من بعـده وِردٌ ولا صدَرُ [٢]
وناهِضوا القومَ بعضَ اللَّيل إذْ رقدوا ولا تخافوا لهم حَربـاً وإن كثُـروا [٣]

فكذبها بعضٌ ، وقال بعضٌ : إن كانت أُمّةٌ طلبَتْ غيرَنا لَمْ نبدأْهم بتغوير المياه والمناهضة . فلم يلبثوا أنّ صبَّحَهم حسّان بعد أربعة ، فقتل الرّجالَ وسبىَ النّساء ، ودعا باليمامة فقلع عينَها ، فوجد فيها عروقا سُودًا ، فسأل : ما الذى كانت تكتحل به ؟ فقالوا : حجرٌ يقال له الإثمد . [ فاستعمل الإثمدَ [٤] ] من ذلك اليوم .

٣٠٣

فلمّا قتلها صلبها على باب جوّ فسمِّيت بذلك اليمامة . وأتِيَتْ عنزٌ بالجمل فلم تدر ما الجمل من العِزّة [٥] .

وإنّ الأسود بن غفار أفلتَ فلحق بجبلَىْ طيىء [٦] فقتله عمرو بن الغوث ابن طىّ ، كما تقدَّم شرحه فى الشاهد الثامن والثمانين من أوائل الكتاب [٧] .

وترجمة النابغة الذبيانى تقدّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [٨] .

* * *

(١) فى شرح القصيدة : « ليس يعتذر » .
(٢) فى شرح القصيدة : « وغوروا كل ماء دون منزلهم فليس من دونه » .
(٣) فى شرح القصيدة : « أو عاجلو القوم عند الليل إن رقدوا » .
(٤) التكملة من ش .
(٥) ش : « الغرة » أى الغفلة ، لكن مع محاولة تغيير للكلمة .
(٦) ط : « بجبل طيىء » ، وأثبت ما فى ش . وجبلاهم هما أجأ وسلمى .
(٧) الخزانة ٢ : ٣٩ — ٤٠ .
(٨) الخزانة ٢ : ١٣٥ — ١٣٨

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٤٦ ( وكنتُ أُرى زيداً كما قِيلَ سيِّداً     إذا إنّه عبدُ القَفا واللَّهازم )

على أنه يجوز كسر إنّ وفتحها بعد إذا الفجائية .

قال سيبويه : سمعتُ رجلاً من العرب ينشد هذا البيت كما أُخبرُك به – أى بالكسر – فحالُ إذَا ههنا كحالها إذا قلت : هو عبد القفا واللَّهازم . وإنّما جاءت إنَّ هنا لأنّ هذا المعنى أردتَ كما أردتَ فى حتّى [ معنى حتّى [(٢)] ] هو منطلقٌ . ولو قلت : مررت فإذا أنَّه عبدٌ [(٣)] تريد فإذا العبوديَّة واللؤم [(٤)] ، كأنّك قلت : مررتُ فإذا أمره العبودية واللؤم ، ثم وضعت إنَّ فى هذا الموضع ، جاز . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى جواز فتح إنّ وكسرها بعد إذا . والكسر على نيَّة وقوع المبتدأ والخبر بعد إذا ، والتقدير : إذا هو عبد القفا . والفتح على تأويل المصدر مبتدأً والإخبار عنه بإذا . انتهى .

والإخبار بإذا مَبنىٌّ على كونها اسما ، وليس الإخبار بها واجباً عند القائل به . قال ابن هشام ( فى شرح الشواهد ) ، كما قال ابن يعيش : مَن يَرى أنّ إذا ظرفٌ صحَّ تقديرها خبراً ولم يقدِّر محذوفاً [(٥)] ، أى فبالحضرة العبودِّية . وصحّ

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٥١ والأصول ١ : ٣٢١ والخصائص ٤ : ٣٠٣ وابن يعيش ٤ : ٨/٩٧ : ٦١ والشذور ٢٠٧ والتصريح ١ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ٢٧٦ .

(٢) التكملة من سيبويه . وسيبويه يشير بذلك إلى ما مثل به قبل هذا النص وهو « انطلق القوم حتى إن زيداً لمنطلق » ويعنى أن إذا ابتدائية ، مثلها فى ذلك مثل حتى الداخلة على إنّ .

(٣) ط : « ان عبد » ، صوابه فى ش وسيبويه .

(٤) فى سيبويه : « فإذا أمره العبودية واللؤم » .

(٥) ط : « ولم يقدر محذوف » ، وتقرأ بالبناء للمجهول .

تقديرها متعلِّقة بخبر محذوف ، أى فبالحضرة العبودية موجودة . وإن قيل : إنّها حرفٌ وجب دعْوَى الحذف . انتهى .

وإذا عند الشارح المحقّق حرفٌ كما قرَّره فى باب المبتدأ وباب الظروف ، ولهذا قدّر الخبر . وكذا هى حرفٌ عند السِّيرافى ، إلاّ أنَّه جعل المحذوف المبتدأ ، قال : وإذا فُتِحت قدِّر ما بعدها المصدر ، أى فإذا أمرُه العبُوديَّة ، وذاك أنَّ أنَّ المفتوحة مقدَّرة بالمصدر ، وإذا حرفٌ لا عاملَ لها ، لأنّها دخلت لمعنى المفاجأة ، وهى فى معنى حروف العطف . انتهى .

وقد فَرَق ابن يعيشَ معنى الكسر عن معنى الفتح ، قال : إذا فتحتَ أردتَ المصدر ، وكأنَّك قلت فإذا العبوديَّة واللؤم ، كأنَّه رأى فِعلَ العبد . وإذا كسرتَ ، كأنَّه قد رآهُ نفسَه عبداً [١] .

وقوله : ( وكنتُ أُرَى ) بضم الهمزة بمعنى أظنّ ، متعدّ إلى ثلاثة مفاعيل : أولها نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، وثانيها زيد ، وثالثها سيّد .

وقول الشارح المحقق : أى عبدٌ قفاه ، برفع عبدٌ منوَّنا ، أشار بهذا التفسير إلى أنّ عبد القفا من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها . وقَصَد به الردَّ على صاحب ( المقتبس [٢] ) فى زعمه أنّ القفا مقحم [٣] ، ثم فسر كونَ قفاه عبداً باللئيم ، لأنَّه حاصلُ المعنى . واللئيم : المَهين والدنىء النفس ، والشحيح ، ونحو ذلك ، لأنَّ اللؤم ضدُّ الكرم ، ولهذا يضاف اللؤم إلى القفا كما يضاف الكرم إلى الوجه ، فيقال لئيم القفا وكريم الوجه .

---

(١) فى النسختين : « كأنه قد رَأى نفسه عبدا » صوابه فى ابن يعيش ٨ : ٦١ .

(٢) المقتبس فى توضيح ما التبس ، لأبى عاصم على بن عمر بن خليل بن على الفقيهى ، الملقب بالفخر الاسفيذرى المتوفى سنة ٦٩٨ كما فى كشف الظنون ٢ : ٤٩٠ فى ختام الكلام على المفصل للزمخشرى . وقد اقتبس مواده من كتب جرت مجرى الشروح للمفصل . وانظر ما سبق فى حواشى ٥ : ٣٠٩ .

(٣) ط : « معجم » ، صوابه فى ش .

ثُمَّ فسَّر الشارح جهةَ كونه لئيما بصَفْعَان ، وهو من يُمكِنُ مِن صفع قفاه ليأخذ شيئا . ولا يرتضى هذا لنفسه إلاّ من هو فى غاية المهانة والدَّناءة . قال الجوهرى : الصَّفْع كلمة مولدة ، والرجُل صَفْعانُ . انتهى . ولم يتعرَّض له ابن برّيّ ولا الصَّفَدىُّ بشىء . وردَّ عليه الفيُّومىُّ ( فى المصباح ) قال : صفعه صفعا . والصَّفعةُ المرَّة ، وهو أن يبسُط الرجلَ كفَّه فيضربَ بها قفا إنسان أو بدَنه ، فإذا قبض كفَّه ثم ضربه فليس بصَفعٍ ، بل يقال : ضرَبَه بجُمْع كفِّه . قاله الأزهرىُّ وغيرُه . ورجل صَفْعانُ لمن يُفعَل به ذلك . ولا عبرة بقول مَن جعل هذه الكلمة مولَّدة مع شُهرتها فى كتب الأئمة . انتهى .

وقول الشارح المحقق : « واللِّهزِمتان : عظْمانِ » ، إلخ اللِّهْزمة ، بكسرِ اللام والزاى ، وسكون الهاء . والناتىء : اسم فاعل من نتأ الشىء بالهمز ينتأ بفتحتين نُتوءاً ، إذا خرجَ من موضعه وارتفع من غير أنَ يبِين . ويجوز تخفيف الفعل كما يخفَّف قرأ ، فهو ناتٍ منقوص . واللَّحْى ، بفتح اللام وسكون الحاء المهملة : عظم الحَنك ، وهو الذى يثبت عليه الأسنان .

وقوله : « جمعهُما الشاعرُ بما حولهما » يريد أنّ لكلِّ حيوانٍ لهزمتين لا غير ، فالجمع على تأويل جُبَّ مذاكيرُ فلانٍ ، بضم الجيم وتشديد الباء . قال صاحب المصباح : جببته جَبًّا من باب قتل : قطعته ، ومنه جببته فهو مجبوب بيِّن الجِباب بالكسر ، إذا استُؤصلت مذاكيره . وقال أيضا الذكر : الفرج من الحيوان ، جمعه ذِكَرة مثالُ عِنَبة ، ومذاكير على غير قياس .

وما ذكره الشارح من تفسير اللِّهزمتين هو كلام صاحب الصحاح ، وقال بعده : ويقال هما مُضغتان عَلِبَتَانِ تحتهما . والمُضْغة اللَّحم ، سمِّى بها لأنَّها مقدار ما يُمضَغ . والعَلِبة بالموحَّدة ، من عَلب اللحم بكسر اللام واستعلَب ، إذا غَلُظ . وروى أيضا عَلِيَّتان بالمثنَّاة التحتيّة المشدّدة . وقال أبو جعفر أحمد بن محمد : اللَّهازم : عروقٌ فى القفا . والصحيح ما قاله الجوهرى .

قال الأعلم : ومعنى ( عبد القفا واللهازم ) أنَّ من ينظُرهُما يتبيَّن عبودَّيته ولؤمه ؛ لأنَّ القفا موضع الصَّفع ، واللِّهزمة موضع اللكز ، وهو بفتح اللام وسكون الكاف وآخره زاء معجمة : مصدر لكَزَه لكزاً من باب قتل ، إذا ضربه بجُمع كفِّه ، بضم الجيم وسكون الميم . يقال ضربه بجُمْع كفِّه أى مقبوضةً . والمعنى : كنت أظنُّ زيداً سيّداً شريفا كما قيل فيه إنّه سيّد ، فظهر أنّه لئيمٌ وكان ما قيل فيه باطلا .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يُعرف قائل [ كلِّ [1] ] بيتٍ منها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [2] :

٨٤٧ ( إنِّى إذا خَفِيتْ نارٌ لمرمِلةٍ ... أُلفَى بأرفع تَلٍّ رافعاً نارى

ذاكَ وإنِّى على جارى لَذُو حدبٍ ... أحنُو عليه بما يُحنَى على الجار )

على أن إنَّ فى هذا البيت ليس فيها إلاّ الكسر .

قال سيبويه : تقول ذاك وأنّ لك عندى ما أحببت . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ذلك وأنَّ الله مُوهِنٌ كيدَ الكافرين [3] ﴾ ، وقال جل ثناؤه ﴿ ذلكمْ فذُوقوه وأنَّ

---

(١) التكملة من ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٦٣ . وانظر الأغانى ٦ : ١١ والخصائص ٤ : ٣٠٤ والسمط ٥٧١ وديوان الأحوص ١٠٧ .

(٣) الآية ١٨ من سورة الأنفال . وهذه قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى . وقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم فى إحدى قراءتيه : « مُوَهِّنٌ » بتشديد الهاء والتنوين أيضا . وقرأ حفص : « موهن كيدِ » بالتخفيف والإضافة . إتحاف فضلاء البشر ٢٣٦ .

للكافِرِينَ عذابَ النارِ (١) ﴾ . وذلك لأنّها شَرِكت ذلك فيما حمل عليه ، كأنّه قال : الأمر ذلك وأنّ الله . ولو جاءت مبتدأة لجازت ، يدلُّك على ذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك ومَنْ عاقبَ بمثل ما عُوقِبَ به (٢) ﴾ ، وليس محمولاً على ما حمل عليه ذلك (٣) ، فكذلك يجوز أن تكون إنَّ منقطعةً من ذلك . قال الأحوص :

٣٠٥

صاحب الشاهد

عَوَّدتُ قومى إذا ما الضَّيْفُ نبَّهنى عَقْرَ العِشارِ على عُسرِى وإيسارِى
إنى إذا خَفِـيَتْ نار لمرملـة .................. إلى آخر الشعر

فهذا لا يكون إلاّ مستأنفا غير محمول على ما حُمل عليه ذاك . فهذا أيضاً يقوِّى ابتداء إنَّ فى الأوَّل . انتهى .

قال النحاس : إنّما لم يجزْ فى إنَّ ههنا إلاّ الكسرُ لأنَّ بعدها اللامَ ، كما قال تعالى : ﴿ إنَّ ربَّهمْ بِهِمْ يومَئِذٍ لخَبيرٌ (٤) ﴾ .

وقال الأعلم : الشاهد فى كسر إنَّ لدخول لام التأكيد ، ولو لم تدخل لفُتِحتْ حملاً على ما قبلها . انتهى .

ولما كان كلام سيبويه فيه بعضُ خفاء لخَّصَه الشارح المحقّق وأوضحَه . وذلك أنَّ محصَّل كلام سيبويه جوازُ الوجهين فى إنَّ المذكورة ، وقد جاء على الفتح وهو أحد الجائزين (٥) من قوله تعالى : ﴿ ذلكم وأنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيدِ الكافرين (٦) ﴾ ، وقولُه تعالى : ﴿ ذلكم فَذُوقُوهُ وأنَّ للكافرين عذابَ النار ﴾

(١) الآية ١٤ من سورة الأنفال .
(٢) الآية ٦٠ من سورة الحج .
(٣) الذى فى سيبويه : « فمن ليس محمولا على ما حمل عليه ذلك » .
(٤) الآية ١١ من سورة العاديات .
(٥) ش : « أحد الجائز » ، صوابه فى ط .
(٦) الآية ١٨ من سورة الأنفال ، وقد سبق القول فيها وفى تاليتها .

فاسمُ الإشارة فى الآية الأولى خبر مبتدأ محذوف ، التقدير : الأمر ذلكم ، وأنَّ مع معموليها فى تأويل مصدرٍ مرفوع معطوف على ذلك ، وقد شاركته أنَّ مع معموليها فى الخبريَّة للمبتدأ المقدَّر . وهذا معنى قول سيبويه : « وذلك لأنَّها شَرِكت ذلك فيما حُمل عليه » ، كأنَّه قال : الأمر ذلك وأنَّ الله .

قال البيضاوى : ذلكم إشارةٌ إلى البلاء الحَسن ، أو القتلِ ، أو الرَّمْى ؛ ومحلُّه الرفع ، أى المقصود أو الأمرُ ذلكم . وقوله تعالى : ﴿ وأنّ الله ﴾ إلخ معطوف عليه ، أى المقصودُ إبلاءُ المؤمنين ، وتوهينُ كيد الكافرين وإبطالُ حِيَلهم . انتهى .

وهذا يكون من عطف المفردات . وأما قول الشارح المحقِّق : أى الأمر ذلكم والأمر أيضاً أنّ الله موهن ، فتكرير المبتدأ للإيضاح ، لا أنَّه من عطف الجمل .

ثم قال سيبويه : « ولو جاءت مبتدأة لجازت » إلخ يريد : لو جاءت إنّ بعد اسم الاشارة مكسورة كما تكسر فى ابتداء الكلام لجازت . وهذا الوجهُ الثانى من الجائزَين ، وقد جاء عليه قوله تعالى : ﴿ ذلك وإنَّ له عندنا لزُلفَى وحُسْنَ مآب [1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هذا ذكرٌ وإنّ للمتَّقين لحُسْنَ مآب [2] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هذا وإنّ للطاغينَ لَشرَّ مآب [3] ﴾ فذلك فى الأولى ، وهذا فى الثالثة خبر مبتدأ محذوف ، أى الأمر ذلك والأمر هذا . وجملة إنَّ معطوفة على الجملة قبلها فى الثّلاث ، وهذا من عطف الجمل ، وليس من العطف على اسم الاشارة حتَّى تشاركه فى الخبريَّة . ومثلُ هذه الآياتِ قولُ الشاعر :

* ذاك وإنِّى على جارى لذو حَدَب *

---

(١) من الآيتين ٢٥ ، ٤٠ من سورة صٓ .
(٢) الآية ٤٩ من سورة صٓ .
(٣) الآية ٥٥ من سورة صٓ .

فذاك خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : شأنى ذاك وأمرى ذاك . وجملة « إنّى على جارى » إلخ معطوفة على الجملة قبلها . ويدلُّ على أنَّ هذا من عطف الجمل قولُه تعالى فى سورة الحج : ﴿ ذلك وَمَنْ عاقَبَ بمثْلِ ما عُوقِبَ به ثم بُغِىَ عليه لينصُرَنَّه الله [1] ﴾ فقوله لينصرنه الله جوابُ قسَمٍ مقدَّر ، وجملة القسم المقدَّر مع جوابه خبر من عاقب إلخ ، وجمله من عاقب إلخ معطوفةٌ على الجملة المحذوف مبتدؤها ، أى الأمر ذلك ومن عاقب إلخ . فالبيت المذكور مثل هذه الآية فى الإعراب .

وقول الشارح المحقّق : « فالجملة القسميَّة عطفٌ على الجملة المقدِّمة » ، فيه مسامحة ، وأراد الجملة التى خبر مبتدئِها جملة قسمَّية .

٣٠٦ ولنرجعْ إلى شرح الأبيات فنقول : قوله « عوّدت قومى » إلخ أراد بقوله نبَّهنى طرَقنى ليلاً فنبهَّنَى . وعَقْرَ المفعول الثانى لعوّد ، ومفعوله الأوّل قومى ، وهو مصدر عقرت البعير ، من باب ضرب ، إذا ضربتَ قوائمه بالسَّيف . ولا يكون العقرُ فى غير القوائم ، وربَّما قيل عقره إذا نحره . والعِشَار : جمع عُشَرَاء ، وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ، ومثله نِفاس جمع نُفَساء . ولا ثالثَ لهما . والعِشار عند العرب أعزُّ الإبل ، فذبْحُها للضَّيف يكون غايةً فى الجود والإكرام . وقوله : « على عسرى وإيسارى » أى أعقِرُها على كلِّ حالةٍ سواءٌ كنتُ معسراً أو موسرا . والعُسْر : الفقر ، وهو اسمٌ للإعسار . يقال أعسَرَ الرجُلُ ، إذا افتقر . والإيسار : مصدر أيسَرَ الرجلُ ، إذا صار ذا غنًى . والاسم اليَسَار بالفتح ، وهو الغِنى .

وقوله : ( إنّى إذا خَفِيتْ ) إلخ أُلْفَى جواب إذا ، وجملة إذا خفيت إلخ خبر إنّى . قال الأعلم : قوله أنّ بالفتح محمول على البدل من العَقر ، لأنَّ عقر العشار

(١) الآية ٦٠ من سورة الحج .

مشتملٌ على إيقاد النار ودالٌّ عليه ، فكأنه قال : عوَّدت قومى أنى أُوقد النّارَ للطارق . وكسر إنّ ههنا أجودُ على الاستئناف والقطع . والمرملة : الجماعة التى نَفِد زادُها . ورجلٌ مُرْمل : لا شئ له ، مشتق من الرَّمْل ، كأنّه لا يملك غيره ، كما يقال تَرِبَ الرجلُ ، إذا افتقر . يقال أرمل الرجل ، إذا نَفِدَ زاده وافتقر ، فهو مُرْمل . وجاء أرملُ على غير قياس ، والجمع أرامل . وأرملت المرأة فهى أرملة ، للتى لا زوجَ لها ، لافتقارها إلى مَن ينفق عليها . وقال الأزهرىّ : لا يقال لها أرملةٌ إلاّ إذا كانت فقيرةً ، فإن كانت موسرة فليست بأرملةٍ . والجمع أرامل . وأُلفَى بالبناء للمجهول من ألفيته إذا وجدَته ، متعدٍّ لمفعولين أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، وثانيهما قوله رافعا . والتَّلُّ : ما ارتفع من الأرض . وإيقاد النَّار فى الأماكن العالية من أخلاق الكرام حتَّى يهتدِىَ الضَّيْفُ إليه فى اللَّيل المظلم ويأتى . يقول : إذا خفيتْ نارُ غيرى بأن لا تُوْقَد فى أيَّام الجدب والقحط فأنا أُوقدها فى تلك الأيَّام . يصف نفسَه بشدَّة الكرم .

وقوله : ( ذاكَ ) إشارة إلى عَقْر العشار وإيقاد النّار . فإن قلت : كيف أُشيرَ بذاك إلى اثنين ؟ قلت : صحَّ لأنّه بتأويل ما ذُكر . وكذا قوله : ﴿ عوانٌ بَيْنَ ذلك [1] ﴾ أى بين الفارض والبكر . وذاك خبرُ مبتدأ محذوف ، أى شأْنى وأمرى ذاك . وجملة إنّى لذو حَدب معطوفة على الجملة المحذوف صدرها ، وأوجب كسر إنّ هنا لوجود اللام فى الخبر ، ولولاها لجاز فتح إنّ وكانت مؤوّلةً مع معموليها بمصدر مرفوعٍ معطوف على ذاك ، عطفَ مفرد على مفرد . ( والحدب ) بفتح الحاء المهملة والدال : مصدر حَدِب عليه كفرح ، إذا عطَفَ عليه ، و ( أحْنو ) خبر [ بعد خَبر [2] ] والحنوُّ بمعنى الحَدَب . فى المصباح : حنت المرأة على ولدها

(١) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٢) التكملة من ش .

تحنى وتحنو حُنوًّا : عطفت وأشفقت فلم تتزوّجْ بعد أبيهم . وقوله : ( بما يُحْنَى ) بالبناء للمفعول .

والأحوص بمهملتين شاعر إسلاميّ ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والثمانين أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٨٤٨ ( أحقاً أنَّ أخطَلَكُمْ هَجَانى ) ٣٠٧

على أنَّ ( حَقًّا ) فى معنى الظرف ، فأنَّ مع معموليها [٣] مؤوّلة بمصدرٍ فاعلٍ لثبَتَ محذوفا ، أو فاعل للظرف على الخلاف فى نحو : أعندك زيد ، أو مبتدأ مؤخرّ والظرف قبله خبر . وإنَّما قال فى معنى الظرف ، لأنَّه ظرفٌ مجازىٌّ مشتمل على المحقَّق ، كاشتمال الظرف على المظرُوف . والدَّليل على أنَّه جارٍ مجرى الظرف وقوعُه خبراً عن المصدر دون الجثَّة ، كما أنَّ ظرف الزمان كذلك .

قال الأعلم : جاز وقوعه ظرفاً وهو مصدرٌ فى الأصل ، لما بين الفعل والزمان من المضارعة ، وكأنّه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه ، كما قالوا : أتيتُك خفوقَ النجم ، فكأنّ تقديره : أفى وقتِ حقٍّ . انتهى .

وهذا الوجهان معروفان فى الظرف المعتمِد . هذا إن كان حقا منصوبا على

---

(١) الخزانة ٢ : ١٦ — ٢٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٦٩ . وانظر العينى ١ : ٤٠٥ والهمع ١ : ٧٢ والمزهر ٢ : ٤٩١ والأشمونى ١ : ١٨٥ وديوان الجعدى ١٦٤ .

(٣) ش : « معمولها » ، صوابه فى ش .

المصدر فأنَّ فاعلٌ لا غير ، تقول : أحقا أنَّك ذاهب ، أى أحَقَّ ذلك حقًّا . فقولك : حَقَّ فعل ماض هو الناصب لحقًّا ، وأنَّ فاعل المصدر ، أو فاعل الفعل على الخلاف فيه ، والهمزة للاستفهام .

فإن قلت : إذا كان حقًّا تفسيراً لأَمَا فمن أين جاء الاستفهام حتَّى قال الشارح المحقق : أى أأحقَّ ذلك حقا ؟

قلت : تفسيرها بحقاً أحد قولين ، والثانى أنَّها بمعنى أحقًّا مع همزة الاستفهام ، وهو الصحيح .

فإن قلت : ظاهر ( أَمَا ) أنَّها حرفٌ فكيف تكون بمعنى حقًّا أو أحقًّا ، وكيف تكون أنَّ فى قولهم : أمَا أنَّك قائم فاعلاً أو مبتدأ ؟ قلت : قال ابن هشام ( فى المغنى ) قال بعضهم : هى اسمٌ بمعنى حقّا ، وقال آخرون : هى كلمتان الهمزة للاستفهام وما اسم بمعنى شئ حقٌّ ، فالمعنى أحقًّا . وهذا هو الصواب ، وموضع ما النصبُ على الظرفية كما انتصب حقًّا على ذلك فى نحو قوله :

* أحقًّا أنَّ جيرتَنا استقلُّوا[1] *

وهو قول سيبويه ، وهو الصحيح ، بدليل قوله :

* أفى الحقِّ أنّى مغرم بكِ هائمٌ [2] *

---

(١) للمفضل النكرى . كما فى معجم الشواهد . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٦٨ . وعجزه كما سيأتى :

* فنيتنا ونيَّتهم فريق *

(٢) لعائذ بن المنذر ، كما فى العينى ٣ : ٨١ وشرح شواهد المغنى ٦٣ . وعجزه :

* وأنك لا خل هواك ولا خمر *

وانظر ما سبق فى ١ : ٤٠١ .

فأدخل عليها فى ، وأنّ وصلتها مبتدأ والظرف خبره . وقال المبرد : حقًّا مصدر لحقَّ محذوفا ، وأنّ وصلتها فاعل . انتهى .

ووجه الصَّواب فى كونها بمعنى أحقا : أنَّك إذا قلت أمَا أنَّك قائمٌ ، فيه معنى الاستفهام ، فلو كان أَمَا مجموعُها بمعنى حقًّا لزم إمّا أن لا يكون استفهام ، وهو خلاف المعنى ؛ وإمّا أن يقدَّر أداتُه دائما ، ويَرِدُ أنّه لم يلفظ به معها فى وقتٍ قطّ مع أنَّ حذف الهمزة بدون أنّ شاذٌّ عند سيبويه ، ضرورةٌ عند غيره ، وكلُّها بعيدة عن الصواب . وإذا كانت مركبة من الهمزة وما ، كان كلُّ معنى مستفاداً من لفظه الموضوع له . وما هذه نكرة تامّة لا تحتاج إلى صفةٍ أو صلةٍ ، عامّة بمعنى شىء ، ومن ما صَدَقاتها حَقّ . ولذلك قال : بمعنى شىء وذلك حقّ ، ولم يقل ابتداءً بمعنى حقّ . وليست التامة التى فى قوله تعالى : ﴿ إنْ تُبدُوا الصَّدَقاتِ فنعِمَّا هى [1] ﴾ ؛ لأنّها بمعنى الشىء ، خلافا لابن المُلاّ ، فإنَّه زعم أنَّها كالتى فى الآية ، وقال : أى فنعم شيئاً هى . فأخطأ فى موضعين .

وإذا كان مجموع أمَا بمعنى حقًّا غير صواب ، فما الظنُّ بالقول بحرفيَّتها ؟

قال ابن هشام : وهى حرفٌ عند ابن خروف ، وجَعَلَها مع أنَّ ومعموليها كلاماً تركّب من حرف واسم ، كما قال الفارسى فى يا زيد . انتهى .

وهذا بعيدٌ عن الصَّواب بمراحلَ كما لايخفى .

وقول ابن هشام : « وأنَّ وصلتها مبتدأ والظرف خبره » ، هذا مرجوح ، والراجح كونه فاعلاً للظرف أو لثبت محذوفا . وما نقله عن المبِّرد هو المشهور .

٣٠٨ وزعم العينى أنّ مذهبه كون حقا صفةً لمصدر محذوف ، أى أهَجَانى أخطلكم هجواً حقًّا . وهذا غير مشهورٌ ، ومذهب سيبويه فى حقًّا هو الراجح ، ووجهه ما ذكره الشارح وابن هشام .

(١) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

و ( فى التذكرة القصرية ) : قلت لأبى على : قوله أحقا أنّ أخطلكم هجانى يدلُّ على أنّ حقا بمعنى أفى الحق ، لأنّه ليس يريد أتحقُّون حقًّا أنَّ أخطلكم هجانى ، وإنّما يريد أفى الحق ، أى أخبرونى هل هجانى أخطلكم ؟ وليس يريد : أتحقُّون هذا الخبر ؟ فلم ينكر أبو على هذا وصحَّحه وصوَّبه . انتهى .

وبهذا يُعلم أنّه ليس المعنى أهجانى هجواً حقا .

وهذا نصُّ سيبويه وفيه فوائد كثيرة ، قال ( فى باب من أبواب إنّ تكون أنَّ فيه مبنيّة على ما قبلها ) : وذلك قولك : أحقًّا أنَّك ذاهب ، والحقُّ أنّك ذاهب [١] ، وكذلك : أأكبَرُ ظنّك أنّك ذاهب ، وأجَهْدَ رأيِكَ أنَّك ذاهب . وكذلك هُما فى الخبر . وسألت الخليلَ رحمه الله فقلت له : ما منعَهُم أن يقولوا : حقًّا إنّكَ ذاهبٌ ، على القلب ، كأنّك قلت : إنَّك ذاهب حقًّا ، وإنّكٌ ذاهبٌ الحق ؟ فقال : لأنَّ إنَّ لا تبتدأ فى كل موضع ، ولو جاز هذا لجاز يوم الجمعة إنَّك ذاهب ، تريد إنّك ذاهب يوم الجمعة . ولقلت أيضا : لا محالة إنّك ذاهب ، تُريد [٢] : إنَّك لا محالة ذاهب . فلمّا لم يجز ذلك حملوه على أحقٌّ أنّك ذاهب ، وأفى أكبر ظنك أنّك ذاهب ، وصارت أنَّ مبنيّةً عليه كما تَبنى الرَّحيل على غدٍ إذا قلت : غداً الرَّحيل . والدليل على ذلك إنشادُ العرب [٣] كما أخبرتك . زعم يونس أنّه سمع العرب يقولون فى بيت الأسود بن يعفر :

أَحَقًّا بنى أبناءِ سَلمى بن جندلٍ تهدُّدُكم إيَّـــاىَ وسْطَ المجالسِ

---

(١) ط : « أألحق أنك ذاهب » بهمزتين ، صوابه فى ش . وذلك أن همز الوصل المفتوح يبدل مدا مع الاستفهام ، أو يسهل بين الهمزة والألف . ولا يحقق ، لأن همز الوصل لا يثبت فى الدرج إلا لضرورة . الأشمونى ٤ : ٢٧٧ .

(٢) ط : « يريد » ، صوابه فى ش وسيبويه .

(٣) سيبويه : « إنشاد العرب هذا البيت » .

فزعم الخليل أنّ التهدُّد هنا بمنزلة الرّحيلُ بعد غد ، وأنّ أنَّ بمنزلته ، وموضعُه كموضعه . ونظير أحقًّا أنّك ذاهبٌ ، من أشعار العرب ، قولُ العبدىّ :

أحقًّا أنَّ جِيرَتَنا استقلُّوا فنيَّتُنا ونيَّتُهُمْ فريقُ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أألحقَّ إنْ دارُ الرَّباب تباعدَتْ أو انبتَّ حبلٌ أنَّ قلبَك طائرُ

وقال النابغة الجعدىّ :

ألا أبلِغْ بنىَ خَلَفٍ رسولاً أحقًّا أنَّ أخطلَكُم هجانىِ

فكُلّ هذه البيوت [١] سمعناها من أهل الثقة هكذا ، والرفع فى جميع هذا جيِّدٌ قوىٌّ . وذلك أنّك إن شئتَ قلت : أحقٌّ أنّك ذاهب ، وأأكبر ظنك أنّك منطلق ، تجعل الآخِر هو ألاوَّلَ . انتهى .

يريد أنّك تجعل أنّ مبتدأ مؤخّراً وما قبلها خبراً مقدَّما .

وقد تقدَّم ما يتعلق به فى الشاهد الرابع والستين [٢] ، فى باب المبتدأ والخبر .

وقوله :

ألا أبلغْ بنى خلفٍ رَسولاً أحقًّا أنَّ أخطلَكُمْ هجانى

الأخطل هنا هو الشاعر المشهور النَّصرانى ، وكانت بينه وبين النابغة الجعدى الصَّحابى مهاجاةٌ . وبَنُو خَلف : رهط الأخطل من بنى تغلب . وروى :

* أَلاَ أبلغْ بنى جُشَمٍ رسولا *

---

(١) يجمع البيت من الشعر على أبيات ، وبيوت أيضا . وفى تاج العروس : « وحكى سيبويه فى جمعه بيوت » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٠١ – ٤٠٤ .

وجشم ، بضم الجيم وفتح الشين المعجمة ، من بنى تغلب أيضا . قال الأعلم : الرسول ههنا بمعنى الرسالة ، وهو مما جاء على فَعُول كالوضوء والطَّهور . ونظيرُها الألوك ، وهى الرسالةُ أيضاً . انتهى . ٣٠٩

وقال ابن هشام ( فى شرح أبيات ابن الناظم ) : رسولا حال من الفاعل ، أو اسمٌ للمصدر ، أو بمعنى الرِّسالة ، مثلُها فى قوله :

لقد كذَبَ الواشونَ ما بُحْتُ عندَهمْ بليلَى ولا أرْسلتُهمْ برسولِ (١)

فيكون مفعولاً ثانيا . ولو منع مانع مجىء رسول بمعنى الرسالة محتجًّا بأنّهم لم يستندوا فى ذلك إلاّ إلى هذا البيت ، وهو محتملٌ للوصفية على أنّه حال ، لم يحسُنْ لأنّه يلزم عنه كون الحال مؤكّدة لعاملها لفظاً ومعنى ، ومجىء فَعولٍ للجماعة ، وزيادة الباء فى الحال . وهذه وإن كانت أموراً ثابتة ، نحو : ﴿ وأرسلناكَ للنّاس رَسُولاً (٢) ﴾ ، ونحو : ﴿ فإنهمْ عَدوٌّ لى (٣) ﴾ ، ونحو :

فما رجَعَتْ بخائبةٍ ركابٌ حكيم بن المسيَّب منتهاها (٤)

إلاّ أنّ اجتماعَها بعيد . انتهى .

وقد أخذ العينىُّ هذا الكلامَ بإخلالٍ فيه ، ولم يعزُه إليه .

وهذا البيت استشهد به ابن الناظم ( فى شرح الألفية ) على أنّه إذا غلب الاسمُ بالألف واللام لم يجزْ نزعُها منهُ إلاّ فى نداء ، نحو : يا نابغة ويا أخطل ، أو إضافةٍ نحو : نابغة بنى ذبيان ، وأخطلَكم فى هذا البيت .

---

(١) لكثير عزة فى ديوانه ١١٠ واللسان ( رسل ٣٠١ ) .

(٢) الآية ٧٩ من سورة النساء .

(٣) الآية ٧٧ من سورة الشعراء .

(٤) مجهول القائل . وهو من شواهد المغنى ١١٠ والهمع ١ : ١٢٧ واللسان ( منى ١٦٢ ) .

والاستفهام هنا للتقرير ، ومعناه حملك المخاطبَ على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده ثبوتُهُ أو نفيُه . وقال العينى : الهمزة للإنكار التوبيخىّ ، فيقتضى تحقُّقَ ما بعدَها وأنَّ فاعله ملومٌ على ذلك ، وكلاهما خارجان عن الاستفهام الحقيقى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الجَعْدىّ ، هجا بها الأخطل وبنى سعد بن زيدِ مَناة ، ومدح بها كعب بن جُعَيلٍ ؛ لقضائه له على بَنى سعد . وبعده :

أبيات الشاهد

( فلولا أنَّ تغلبَ رهطُ أُمِّى ... وكعبٌ وهو منِّى ذو مكانِ [(١)]

تراجَمنا بصَدْرِ القَول حتَّى ... نصيرَ كأنَّنا فرسَا رهانِ )

ومطلع القصيدة :

( وظَلّ لنسوةِ النُّعمان منَّا ... على سَفَوانَ يومٌ أرْوَنانى [(٢)]

فأعتقْنا حليلتَه وجئنا ... بما قد كان جمَّع مِن هِجانِ [(٣)] )

وسَفَوان ، بالتحريك : اسم ماء . وأَرْوَنانىٌّ : شديد . والحَليلة : الزَّوجة . والهجان : كرائم الأموالِ وأشرفُها .

وترجمة النابغة الجعدى تقدَّمت فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [(٤)] .

* * *

(١) ديوان النابغة الجعدى ١٦٥ .

(٢) الحق أن هذا البيت ليس مطلعا للقصيدة ولا يصلح لذلك . وإنما مطلعها كما فى الديوان ١٦٠ :

فمن يك سائلا عنى فإنى ... من الفتيان فى عام الخنان

ويشير بقوله : « نسوة النعمان » إلى ما روى من أن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، أغار على النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو على سفوان ، فأخذ امرأته المتجردة فى نسوة من نساء المنذر ، وأصاب أموالا كثيرة . النقائض ٤٠٤ .

(٣) فى الديوان والنقائض : « فأردفنا حليلته » .

(٤) الخزانة ٣ : ١٦٧ – ١٧٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الثمانمائة [١] :

**٨٤٩** ( أفى حَقٍّ مُواساتى أخَاكُمْ   بِمالِي ثم يَظلِمُنى السِّرِيسُ )

على أن مجىء ( فى ) مع ( حقٍّ ) يدلُّ على أنّ حقًّا إنّما نُصب على الظرفية بتقدير فى . وهذا ظاهر .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لأبى زُبيدٍ الطائى النّصرانى ، أوّلُها :

أبيات الشاهد

( ألا أبلغْ بنى عمرِو بنِ كعب   بأنّى فى مودَّتكم نفيسُ )

وفيها يقول :

( فما أنا بالضَّعيفِ فتظلمونى   ولا حظِّى اللَّفاءُ ولا الخسيسُ
أفى حقٍّ مواساتى أخـــاكم   بِمالِى ثم يظلمُنى السَّرِيسُ )

٣١٠

وسببُها كما نُقل عن ابن الأعرابىّ قال :

كان أخوالُ أبى زُبيد تغلبَ ، وكان يقيم فيهم أكثرَ أيَّامِه ، وكان له غلامٌ يرعى إبله ، فغزت بهراءُ بنى تغلبَ فمرَّ بنو تغلبَ بغلامِه فدَفَعَ إليهم إبل أبى زُبيد ، وقال : انطلِقُوا أدلُّكم على عَورة القوم وأُقاتل معكم . والتقَوْا فانهزمت بَهْراءُ وقُتِل الغلام ، ولم يبعثْ إليه بنو تغلب ديةَ غلامِه وما ذهَبَ له منْ إبله . فقال فى ذلك هذه القصيدة .

ونفيس : راغبٌ فيه لنفاسته ، يقال نَفِست فيه نفاسةً أى رغبتُ فيه ، ونافست فى الشئ منافسة ونِفاسا ، إذا رغبتَ فيه على وجه المباراة فى الكرم [٢] .

---

(١) ديوان أبى زُبيد الطائى ١٠١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٩٨٣ واللسان ( سرس ٤١٠ ) .

(٢) ط : « المباداة فى الكرم » ، صوابه فى ش .

واللَّفاء بفتح اللام بعدها فاء ، قال صاحب الصحاح : هو الخسيس من الشَّئ ، وكلُّ شئ يسير حقيرٍ فهو لَفاء . وأنشد هذا البيت ، وقال : يقال رَضِىَ فلانٌ من الوفاء باللَّفاء ، أى من حقّه الوافى بالقليل . ويقال:لَفاهُ حقّه ، أى بَخَسَه . والخسيس : الدَّنئ .

والمواساة : مصدر واسَاه بماله ، قال صاحب الصحاح : آسيته بمالى مؤاساةً ، أى جعلته أُسوتى فيه . وواسيتُه لغة ضعيفة فيه . وفى المصباح : آسيته بنفسى بالمَدّ : سوَّيته . ويجوز إبدال الهمزة واواً فى لغة اليمن ، فيقال واسيته .

والسَّريس ، بسينين مهملتين ، قال صاحب الصحاح : هو الذى لا يأتى النساء . قال أبو عُبيدٍ : هو العِنِّين . وأنشد لأبى زُبيدٍ الطائى :

* أفى حقٍّ مواساتى أخاكم * البيت

أقول : أنشده أبو عبيدٍ ( فى الغريب المصنَّف ) . قال شارح أبياته ابن السيرافى : يقول : أيكون فى الحق أنْ أبذُل مالى وأتفضَّل بإعطاءِ مالا يُستَحقُّ علىَّ ، ثم أُظلَمَ وأُمْنَعَ مالى ، ويتِمَّ علىَّ ذلك من رجلٍ سريس . يريد أنَّ الذى ظلمه ليس بكاملٍ من الرجال . انتهى .

وفى درة الغوّاص للحريرى [1] : العرب تسمّى العِنِّين السَّريسَ ، كما قال الشاعر :

ألاَ حُيِّيتِ عنَّا يالميسُ  عَلانيَةً فقد بَلغَ النَّسيسُ
رغبتُ إليكِ كيما تَنكِحينى  فقلتِ بأنَّه رجلٌ سَريسُ
ولو جَرَّبتِنى فى ذاكِ يوماً  رضيتِ وقلتِ : أنتَ الدَّردبيس . انتهى

ولَميس : اسم امرأة . والنَّسيس بالنون بعدها سين مهملة : بقيَّة الروح . والدَّردبيس : الداهية .

---

(١) درة الغواص ٩٤ .

وترجمة أبى زُبيدٍ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين [(١)]

* * *

وأنشد بعده :

( أحقّاً بنى أبناءِ سَلْمى بن جَندلٍ )

تمامه :

( تهدُّدُكم إيّاىَ وَسْطَ المجالِسِ )

فى أنّه مثل قوله :

* أفى حقٍّ مواساتى أخاكم *

فى أنَّ تهدُّدَكم فاعل أحقاً ، أو مبتدأٌ وَأَحَقًّا ظرف وقع خبراً له . وكذلك مواساتى فاعل والظرف قبله خبره . وقد جاء فيهما الفاعلُ الصريح أو المبتدأُ الصَّريح موضعَ أنَّ المؤوّلة بأحدهما .

وبنى : منادى . وقد أنشد الشارح هذا البيت ابتداءً فى باب المبتدأ ، وفى باب المفعول المطلق ، وفى باب الحال ، ولهذا قال البيتَ ولم ينشِدْه كاملا . وقد شرحناه فى الشاهد الرابع والستين [(٢)] .

* * *

---

(١) الخزانة ٤ : ١٩٢ — ١٩٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٠١ — ٤٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

**٨٥٠** ( ولقد طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طعنةً جَرَمَتْ فَزارةُ بَعْدَها أن يَغْضَبوا )

على أنَّ سيبويه قال : جرمَ فى البيت فعلٌ ماض بمعنى حَقَّ ، وفزارةُ فاعل ، وأن يغضَبوا بدل اشتمال . أى حقَّ غضبُ فزارة بعده . وقال الفراء : بل الرواية بنصب فزارة ، أى كسبت الطَّعنةُ فزارةَ الغضبَ ، أى جَرَمَتْ لهم الغضب . هذا كلام الشارح ، وليس فى كلام سيبويه ما نقله عنه ، وهذا نصُّه : ٣١١

وأما قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنّ لهُمُ النّارَ وأنّهم مُفْرَطُون [٢] ﴾ ؛ فإنَّ جَرم عملتْ لأنّها فعل ، ومعناها لقد حقَّ أنّ لهم النار ، ولقد استحقَّ أنَّ لهم النارَ . وقول المفسِّرين : معناها حَقًّا أنَّ لهم النارَ ، يَدُلُّك على أنَّها بمنزلة هذا الفعل إذا مثّلتَ . فجرم بعد لا عملت فى أنّ عملَها فى قول الفزارىّ [٣] :

ولقد طَعنت أبا عُيينَةَ طعنـةً جَرمت فزارةَ بعدَها أن يغضبوا [٤]

أى أحقَّت فزارة . وزعم الخليل أنَّ جرم إنّما تكون جواباً لما قبلها من الكلام ، يقول الرجل : كان كذا وكذا ، فتقول : لا جرمَ أنَّهم سيندمون ، وأنَّه سيكون كذا وكذا . انتهى كلامه .

فليس فيه ما يقتضى أنّ فزارة فاعل وأنْ يغضبوا بدل ، وإنَّما أورد البيت تأييداً لكون جَرَم فى الآية ونحوِها فى الأصل فعلاً يرفع الفاعل ، وفاعلها فى البيت

(١) فى كتابه ١ : ٤٦٩ والمقتضب ٢ : ٣٥٢ وأمالى المرتضى واللسان ( جرم ٣٦٠ ) .

(٢) الآية ٨٢ من سورة النحل .

(٣) ط : « الفرزدق » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « أبا عيينة » ، صوابه فى ش .

ضمير الطَّعنة ، ولا يريد أنَّ فزارة مرفوعٌ بها ، وإلاَّ لما كان لقولِهِ : أحقَّت فزارةَ وجه . وإنّما أتى به ليَفرقَ بين ما فى الآية وبين ما فى البيت ، فأفاد أنَّها فى البيت متعدِّية ، ولذا قال أحقَّت بالألف . قال أبو جعفر النحاس : وعندى عن أبى الحسن فى كتاب سيبويه : أى أحقَّت فزارة ، بالألف . انتهى .

وقال الأعلم : الشاهد فى قوله جَرَمَتْ فزارة ، ومعناه على مذهب سيبويه حَقَّتها للغضب . وغيره يزعم أنَّ معنى جرمت فزارةَ أن يغضبوا أكسَبْتهُم الغضبَ ، من قوله عزّ وجل : ﴿ لا يَجرِمَنَّكمْ شَنَآنُ قَومٍ [١] ﴾ . ويقال حَقَقْتُه أن يفعلَ ، بمعنى أحققته . وحَقّقته ، أى جعلته حقيقاً بفعله . انتهى .

وكأنَّ روايتَه فى الكتاب : أى حَقّت فزارةَ ، بلا ألف . وحَقّت متعدِّية كما بَيَّنها . ويدلُّ لما قلنا أيضاً قولُ ابن السِّيد ( فى شرح أبياتِ أدب الكاتب ) ، قال : قوله : جرَمت فزارة بعدها أن يغضَبوا ، أى كسَبَت فزارةَ الغضبَ عليك . وقول الفراء : وليس قولُ من قال حَقّ لفزارةَ الغضبُ بشىء ، ردًّا [٢] منه على سيبويه والخليل ، لأنّ معناه عندهما : أَحَقَّت فزارةَ بالغضب . فأنْ يغضبوا على تأويلهما مفعولٌ سقط منه حرفُ الجّر ، وهو على قول الفراء مفعولٌ لا تقديرَ فيه لحرف الجرّ . وكلا التأويلين صحيح ، وجملة جَرمت فزارةَ صفةٌ لطعنةً ، كأنّه قال : طعنة جارمة . انتهى .

وكأنّه لم يقف على كلام الفرّاء . وهذا نصُّه ( فى تفسيره ) عند قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّهم فى الآخرة هم الأخسَرون [٣] ﴾ ، من سورةِ هود ، قال قوله : لا جرمَ أنَّهم ، كلمةٌ كانت فى الأصل ، والله أعلم ، بمنزلة لابدّ أنّك قائمٌ ،

---

(١) الآية ٢ ، ٨ من سورة المائدة .

(٢) فى النسختين : « رد » بالرفع ، صوابه فى الاقتضاب ٣١٣ .

(٣) الآية ٢٢ من سورة هود . وانظر معانى الفراء ٢ : ٨ - ٩ .

ولا محالةَ أنَّك ذاهب ، فجرَتْ على ذلك ، وكثُر استعمالهم إيّاها حتّى صارت بمنزلة حقًّا . ألا ترى أنَّ العرب تقول : لا جرمَ لآتينَّك ، لا جرمَ لقد أحسنت . وكذلك فسَّرها المفسِّرون بمعنى الحقّ ، وأصلها من جرمَتْ أى كسَبت الذنب . وليس قولُ من قال إنّ جرمَتْ كقولك : حُقِقَت أو حَقُقت بشىء ، وإنَّما لبَّس على قائله قولُ الشاعر :

ولقد طعنت أبا عُيينة .. البيت .

فرفعوا فزارة وقالوا : نجعل الفعلَ لفزارة ، كأنّه بمنزلة حَقّ أو حُقّ لها أن تغضب . وفزارةَ منصوبة فى قول الفراء ، أى جرمتهم الطَّعنةُ أن يغضبوا ، أى كسبتهم . وموضع أنْ مرفوع ، كقول الشاعر : ٣١٢

أحقًّا عبادَ الله جُرأَةُ مِحْلقٍ ... علَىّ وقد أعيَيْتُ عاداً وتُبَّعا[1]

ومِحْلق : رجل . انتهى كلامه ، ونقلته من خطّ الخطيب البغدادى المحدِّث المشهور .

فجرمَ عند الفراء اسمٌ ، وعند سيبويه فعلٌ ماض . وليس ما ردَّه الفرّاء موجودًا فى كلام سيبويه حتى يكون ردًّا على كلام سيبويه والخليل ، وإنّما هو ردٌّ على من قاله غير سيبويه ، كأبى عمرو بن العلاء ، وأبى زيد ، ويُونُس ، وأضرابهم .

ويؤيِّده أنَّ الشريف المرتضَى نقل كلامَ الفراء وما ردَّه ( فى أماليه ) ، ولم يُجْرِ لسيبويه ذكراً . قال : فأمَّا قوله لا جرم فقال قومٌ : معنى جَرم كسب . وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّ لهم النارَ ﴾ إنّ ( لا ) ردٌّ على الكفار ، ثم ابتدأ فقال: جَرَمَ أنَّ لهم النار ، بمعنى كسَب قولُهم أنّ لهم النار . وقول الشاعر :

---

(١) فى معانى الفراء ١ : ٤٥٧ : « عادا » مصروفا ، لكن فى ٢ : ٩ ، ١٩ : « عاد » ممنوعا من الصرف .

نصبنا رأسَه فى رأس جِذعٍ بما جرَمَتْ يداه وما اعتدَينا[١]

أى بما كسَبَت . وقال آخرون : معنى جرم حَقّ ، وتأولوا الآية بمعنى حقَّق قولُهم أنَّ لهم النار . وأنشدوا :

* ولقد طعنت أبا عيينة طعنةً * ... البيت .

أراد : حقَّقت فزارةُ . وروى الفراء « فزارةَ » بالنصب ، على معنى كسبت الطعنةُ فزارةَ الغضبَ . وقال[٢] الفراء : لا جرم فى الأصلِ مثلُ لابدَّ ولا مَحالة ، ثم استعملتْه العربُ[٣] فى معنى حقًّا ، وجاءت فيه بجواب الأَيمان[٤] . انتهى .

وقد نقل الجوهرى كلامَ الفرّاءِ بعينه ( فى الصحاح ) . والعجبُ من ابن برّىّ فى قوله ، تبعاً لابن السِّيد : هذا ردٌّ على الخليل وسيبويه ، لأنَّهما قدَّراه أَحقَّتْ فزارةَ الغَضبَ أى بالغضب ، فأُسقِط الباء . وفى قَولِ الفراء لا يُحتاج إلى إسقاط حرف الجرّ فيه ، لأنَّ تقديره كسبَتْ فزارةَ الغضبَ عليك . انتهى .

وما نقله منهما حقٌّ لا شُبْهة فيه . وأمّا ما وجه التعجب فإنّه كيف يصحُّ قوله : هذا ردٌّ على الخليل وسيبويه لأنَّهما قدَّراهُ : أَحَقَّتْ فزارة الغضب ، مع قول الفراء:« فرَفعوا فزارة » بِجعلِه قولَ سيبويه والخليل ؟

والذى قاله الشارح ، رأيتُه ( فى تفسير الزجاج ) وهو متأخِّر عن الفراء ، قال عند قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّ اللهَ يَعْلَم ما يُسرُّون وما يُعْلِنونِ[٥] ﴾ ، من سورة النحل ، ما نصُّه :

---

(١) أمالى المرتضى ١ : ١١٠ .

(٢) فى النسختين : « فقال » ، صوابه من أمالى المرتضى .

(٣) ط : « استعمله » ، وأثبت ما فى ش وأمالى المرتضى .

(٤) بعده فى الأمالى : « فقالوا : لا جرم لأقومن » .

(٥) الآية ٢٣ من سورة النحل .

معنى لا جرم حَقَّ أنّ الله ، ووجَبَ أنَّ الله . وقوله ( لا ) ردٌّ لفعلهم . قال الشاعر :

ولقد طعنتُ أبا عيينة .... البيت .

المعنى : حقَّت فزارَةُ بالغضب . انتهى .

وقال أيضا فى هذه السورة عند قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّ لهم النارَ ﴾ : ( لا ) ردٌّ لقولهم . المعنى والله أعلم : ليس ذلك كما وصَفُوا ، جَرَم فِعلُهم هذا ، أى كسَب . وقيل إنَّ أنَّ فى موضع رفع . ذكر ذلك قُطرب . انتهى .

وقطرب تلميذُ سيبويه .

وقول الشارح رحمه الله : أى جرمَتْ لهم الغضب ، كقوله تعالى : ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكم شنَآنُ قومٍ ﴾ أى لا يَجرمنّ لكم ، ظاهرُه أنَّ هذا من كلام الفراء . وليس كذلك كما نقلنا كلاَمه . وهذه عبارتُه فى آية المائدة : وقوله : ﴿ ولا يَجرمنَّكم شنَآنُ قومٍ أن صَدُّوكم عن المَسْجدِ الحَرَام أن تَعْتَدُوا ﴾ قرأ يحيى بن وَثّاب والأعمش : ﴿ ولا يُجْرِمنَّكم ﴾ مِن أجرمت . وكلامُ العرب وقراءة القُرَّاء ﴿ يَجرمَنَّكم ﴾ بفتح الياء ، جاء التفسير : ولا يحملنَّكم بُغض قوم . قال الفراء : وسمعت العرب تقول : فلانٌ جريمة أهلِه ، يريدون كاسبٌ لأهله . وخرَج يَجْرِمُهمْ : يكسِب لهم ، والمعنى فيهما متقارب ، أى لا يكسبنَّكم بغضُ قوم أن تفعلوا شرًّا ، فأنْ فى موضع نصب . فإذا جعلت فى أنْ تعتدوا ( علَى ) ، ذهبتَ إلى معنى لا يحملنَّكم بغضُهم على أن تعتدوا ، فيصحُّ طرحُ علَى كما تقول : حملتَنِى أن أسوءَك ، وعلى أنْ أسوءك . انتهى كلامه .

٣١٣

وقد أخذه صاحب الكشّاف وأوضحَه قال : جرمَ يجرى مجرى كسَب فى تعديته إلى مفعولٍ واحد واثنين ، تقول : جرمَ ذنباً نحو كسَبه ، وجَرمتُه ذَنْبًا نحو

كسبتهُ إيَّاه . ويقال أجرمته ذنْباً على نقل المتعدى إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين ، كقولهم : أكسبته ذنبا . وعليه قراءة عبدِ الله : ﴿ لا يُجْرِمنَّكم [١] ﴾ ، بضم الياء ، وأوَّل المفعولين على القراءتين ضمير المخاطَبِينَ ، والثانى أنْ تعتدوا ، وأنْ صدُّوكم بفتح الهمزة متعلِّق بالشنآن بمعنى العِلَّة [٢] . والشنآن : شدة البغض . والمعنى : لا يُكسبنَّكم بغضُ قومٍ لأن صدُّوكم الاعتداءَ [٣] ولا يَحمِلنَّكم عليه . انتهى .

وقال أيضا فى قوله تعالى : ﴿ لا يَجرمَنّكم شِقَاقِى أنْ يُصيبَكُمْ [٤] ﴾ من سورة هود : جرم مثل كسَبَ فى تعدِّيه إلى مفعول واحدٍ ، وإلى مفعولين . تقول : جرم ذنبًا وكسَبَه ، وجَرمتُه ذنباً وكسَبْتُه إيَّاه [٥] . قال :

* جرمت فزارةَ بعدَها أنْ يغضَبُوا *

ومنه قوله تعالى : ﴿ لا يَجرِمَنَّكم شِقاق أن يُصِيبَكُم ﴾ أى لا يَكسِبنَّكم شِقاقى إصابةَ العذاب .

وكذا قال الزجاج ( فى تفسيره ) ، قال : أى لا يحملنّكم بغضُكم المشركينَ على ترك العدل . يقال أجرَمنى كذا وجَرَمنى ، وجرَمْتُ وأجرمتُ بمعنىً واحد . وقيل لا يُجْرِمنّكم : لا يدُخِلنّكم فى الجُرْمِ ، كما تقول آثمته : أدخلتُه فى الإثم [٦] . انتهى .

---

(١) من الآيتين ٢ ، ٨ فى سورة المائدة .

(٢) لم يسجل أبو حيان فى تفسيره هذه القراءة ، لكن وردت فى معانى الفراء ١ : ٢٩٩ واللسان ( جرم ٣٥٩ ) منسوبة إلى يحيى بن وثاب والأعمش ، كما وردت فى القراءات الشاذة لابن خالويه ٣١ منسوبة إلى عبد الله بن مسعود والأعمش أيضا .

(٣) أى التعليل ، أى لأن صدوكم . وفى ش : « القلة » ، صوابه فى ط والكشاف .

(٤) الآية ٨٩ من سورة هود . وفى ط : « ولا يجرمنكم شقاق » والوجه حذف الواو كما فى ش ، لأنها إذا أثبتت كان صواب النصّ : « ويا قوم لا يجرمنكم شقاق » .

(٥) فى اللسان : « وكسَبتُ الرجُلَ خيراً فكسَبَه ، وأكسبه إيّاه . والأوّل أعلى » .

(٦) فى اللسان ( أثم ٢٧١ ) : « وآثمهُ بالمد : أوقعه فى الإثم . عن الزجاج » .

وحاصله أنَّ لا جرم فعلٌ عند سيبويه بمعنى حقَّ يطلبُ فاعلا ، ومصدرٌ عند الفرّاء يطلب فاعلاً أيضا . وهذا عندهما إذا كانت أنَّ بعدها ، وأمَّا فى القسم نحو لا جَرمَ لقد كان كذا ، فلا . و ( لا ) عند سيبويه زائدة ، إلاّ أنَّها لزِمتْ جَرَمَ لأنّها كالمَثَل . كذا قال الأعلم .

وقال أبو حيان ( فى الارتشاف ) : والوقف على لا عند سيبويه ، ولا يجوز أن تُوصل [1] بجرمَ ، لأنَّها ليست نفيَها . انتهى .

وعند الفراء لا ركّبت مع جرم ، وصارت بمعنى لابدّ ولا مَحالة ، ثم استُعمِلت بمعنى حقًّا ، كما تقدَّم .

وقال أبو حيان : وذهب الفراء إلى أنَّ جرم بمعنى كسَب ، ركّبت مع لا وصارت بمنزلة لابدَّ . ولا يقِف على لا . وأنَّ بعدها على تقدير مِن ، كما تقول : لابدَّ أنّك ذاهب ، أى مِن أنَّك ذاهب . هذا كلامه وفيه نظر .

وأمَّا جرم بدون لا ، المتصرِّفةُ كالتى فى البيت ، فهى فعلٌ متعدٍّ عند سيبويه كما يظهر من قولِهِ : أى أحقّت فزارة ، بالألف . وعند الفراء متعدِّية تارة إلى مفعولين كقوله فى سورة هود ، وليس الأوّل على تقدير حرف الجر كما أوّله الشارح ، وإلى واحدٍ تارةً كقوله فى سورة المائدة . وعليه مشى الزجّاج والزَّمخشرى . ولم يقلْ أحدٌ فيما رأيت إنّها فعلٌ لازم غير قطرب .

وقول الشارح المحقق : « وحكى الكوفيُّون فيها عن العرب وجوهاً من التغيير » حكى الفراء منها وجهين : قال فى تفسير آية هُود : ولكثْرتها فى الكلام

(١) ش : « يوصل » .

حُذفت منها الميم ، فبنُو فَزارةَ يقولون:لا جَرَ أنّك قائم [١]. وتُوصَل مِنْ أوّلها بذا . أنشدنى بعضُ بنى كلاب :

إنّ كلاباً والِدى لا ذا جَرِمْ [٢] لأهدِرنَّ اليومَ هَدْراً فى النَّعَمْ

٣١٤ * هدر المعنَّى ذى الشَّقاشيق اللِّهَمّ * انتهى .

قال السيد المرتضى ( فى أماليه ) وذكر هذين الوجهين والشِّعْر : معنّى : الذى يُدخَل العُنَّة من الإبل ، وهى الحظيرة . وذلك أنّ الفحل اللئيمَ إذا هاجَ حُبِس حتى لا يَضرِبَ فى النُّوق الكرام ، ومنه قول الوليد بن عُقْبة :

قَطعتَ الدَّهر كالسَّدِم المعنَّى تُهدِّرُ فى دِمشق فلا تَرِيمُ

وأصله المعنَّن ، فقُلبت إحدى النونات ياء . واللِّهَمُّ بكسر اللام وفتح الهاء : الذى يلتهم كلَّ شىء ، أى يبتلعه [٣] .

وقد زاد لغة ثالثة وهى لا جُرْم بضم الجيم وتسكين الراء مع الميم [٤] . انتهى .

وهذه زيادةٌ على ما أورده الشارح المحقّق .

ونقل المفضَّل بن سَلَمة ( فى كتاب الفاخر ) وجهَى الفراء وقال : وحكى غير الفرّاء لا أنّ ذا جَرَم ، ولا ذو جَرَمَ . انتهى .

وهذه الأخيرة زيادةٌ على ما ذكره الشّارح .

---

(١) فى النسختين : « لا جرم أنك قائم » ، صوابه ما أثبت من معانى الفراء ٢ : ٩ واللسان ( جرم ٣٦١ ) وأمالى المرتضى ، بحذف الميم .

(٢) معانى الفراء ٢ : ٩ وأمالى المرتضى ١ : ١١٠ .

(٣) النص السابق إلى هنا ورد فى أمالى المرتضى ١ : ١١٠ – ١١١ منسوبا إلى حواشى مخطوطاته ، ولم يرد فى صلبها .

(٤) أما هذا النص فقد ورد فى صلب أمالى المرتضى ١ : ١١٠ .

وزاد ابنُ الأعرابى ( ذى ) على ما نقله عنه ابنُ مكرَّم ( فى لسان العرب ) قال : قال ابن الأعرابى : لا جرم لقد كان كذا ، أى حقًّا ، ولا ذا جَرَمَ ، ولا ذا جَرَ . والعرب ، تصِلُ كلامها بذى وذا وذو ، فتكون حشْواً ولا يُعتدُّ بها .

وأمَّا بقية اللغات التى أوردها الشارح فقد نقلها ابن مكرَّم فقال : قال ثعلب : الفراء والكسائى يقولان : لا جرَم تبرئةٌ بمعنى لابدّ ، ويقال لا جَرم ولا ذا جَرَم ، ولا عن ذا جرمَ ، ولا جَرَ بلا ميم . وذلك أنّه كثُر فى الكلام فحذفت الميم كما قالوا : حاشَ لله والأصل:حاشا . وسَوْ أفعل والأصل:سَوفَ أفعل . انتهى .

صاحب الشاهد

ولنرجع الآن إلى شرح البيت فنقول : قال ابن السِّيد ( فى شرح أبيات أدب الكاتب ) : البيت لأبى أسماء بن الضَّريبة ، وقيل بل هو لعطيّة بن عُفَيف . ويقرأ طعنتُ بضم التّاء [1] ، وهو غلطٌ والصواب فتحها ، لأنّ الشاعر خاطب بها كُرزًا العُقَيلى ورثاه ، وكان طعن أبا عُيينة ، وهو حِصن بن حُذيفة بن بدر الفزارىّ ، يوم الحاجر [2] . ويدل على ذلك قوله قبله :

يا كرز إنّك قد فتكتَ بفارسٍ بطلٍ إذا هابَ الكماة وجبَّبُوا[3]

وجَبَّبوا بالجيم والباء الأولى مشدّدة . قال صاحب الصحاح : التجبيب : النّفار . يقال جَبَّب فلانٌ فذهب . وقال غيره : التجبيب : الفِرار .

وكُرز بضم الكاف .

---

(١) فى النسختين : « بضم الطاء » ، صوابه ما أثبت من ش مع أثر تغيير .

(٢) الحاجر : موضع قبل معدن النقرة ، كما فى معجم البلدان . أو موضع فى ديار بنى تميم كما ذكر البكرى . وأورد خبر اليوم صاحب العقد ٥ : ٢١١ والبكرى فى رسم ( الحاجر ) .

(٣) الاقتضاب ٣١٣ ومعجم البكرى واللسان ( جرم ٣٦١ ) .

وأبو أسماء جاهلى . والضَّريبة فعيلة من الضَّرب . وكذا عَطيّة بن عُفَيف جاهلىّ [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون [٢] بعد الثمانمائة [٣] :

**٨٥١** ( أعَنْ ترسَّمتَ مِن خَرقاءَ مَنْزِلةً )

تمامه :

( ماءُ الصَّبابةِ من عينيكَ مسجومُ )

على أنّ ( عَنْ ) أصلها أنْ فأبدلت الألف عينا .

وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى حروف المصدر .

والهمزة للاستفهام ، وعن مصدرية ، واللام مقدّرة قبلها علّة للمصراع الثانى . و ( ترسَّمت ) الدار : تأمّلتُ رَسْمهَا . والتاء للخطاب . وخَرقاء : اسم معشوقة ذى الرُّمَّة غَيلان ، وهو قائل البيتِ وهو مطلع قصيدة . و ( منزلةً ) مفعول ترسّمت . و ( الصَّبابة ) : رقة الشَّوق . و ( مسجوم ) من سجمَتِ العينُ الدمعَ ، أى أسالته ، والتقدير : ألأجْلِ ترسُّمِكَ ونظرِكِ دارَها التى نزلَتْ فيها بَكَتْ عينُك .

صاحب الشاهد

---

(١) هو عطية بن عازب بن عُفيف ، بالتصغير ، كما فى الإصابة ٥٥٦٤ . وينسب إلى جده أيضا فيقال عطية بن عفيف . وقال ابن حجر أيضا : « وذكره المرزبانى فى الشعراء فقال : كان جاهليا . وأنشد له شعرا فى مقتل حصن بن حذيفة بن بدر » .

(٢) ش : « الواحد والخمسون » .

(٣) ديوان ذى الرمة ٥٦٧ ومجالس ثعلب ١٠١ والخصائص ٢ : ١١ وسر الصناعة ١ : ٢٣٤ وابن يعيش ٨ : ٧٩ ، ١٤٩ / ١٠ : ١٦ . والمقرب ٢ : ١٨٢ والممتع ٤١٣ والمغنى ١٤٩ وشرح شواهد الشافية ٤٢٧ ورصف المبانى ٢٦ ، ٣٧٠ وحاشية الدمنهورى ٧٤ .

٣١٥

ويأتى إن شاء الله تعالى بقية الكلام هناك .

وذو الرمة تقدمت ترجمته فى الشاهد الثامن من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

**٨٥٢** ( وإلاَّ فاعْلَمُوا أنَّـا وأنتُـمْ بُغاةٌ ما بَقِينا فى شِقاقِ )

على أنَّ سيبويه استشهد به على العطف على محل اسم إنّ المكسورة ، بتقدير حذف الخبر من الأوّل ، والتقدير : إنّا بغاةٌ وأنتم بُغاة .

هذا نقْلُه ، ولم يقل سيبويه كذا ، وإنّما قال : أنتم فى نية [ التأخير ، وبُغاة فى نية [٣] ] التقديم ، وهذا نصُّه :

واعلم أنَّ ناساً من العرب يَغلَطُون فيقولون : إنَّهم أجمعون ذاهبون ، وإنّك وزيد ذاهبان . وذلك أنّ معناه معنى الابتداء فيُرَى أنّه قال : هم ، كما قال :

* ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا [٤] *

على ما ذكرت لك . وأما قوله عز وجل : ﴿ والصابئون [٥] ﴾ ، فعلى التقديم

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ – ١١٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر الأصول لابن السراج ١ : ٣٠٧ ودلائل الإعجاز ٢٤ والإنصاف ١٩٠ وابن يعيش ٤ : ٣١٥ والتصريح ١ : ٢٢٨ وديوان بشر بن أبى خازم ١٦٥ .

(٣) التكملة من ش .

(٤) ط : « إذا كان غائبا » ، صوابه فى ش وسيبويه . والبيت لزهير فى ديوانه ٢٨٧ وقد سبق فى الخزانة ٩ : ١٠٢ ، وهو الشاهد ٧٠٤ . وصدره :

* بدا لى أنى لست مدرك ما مضى *

(٥) من الآية ٦٩ فى سورة المائدة .

والتأخير ، كأنه ابتداء على قوله : والصابئون ، بعد ما يمضى الخبر [١] . وقال الشاعر :

وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم بُغاةٌ ما بَقِينا فى شِقاقِ

كأنه قال : نحن بغاة ما بقينا ، وأنتم . انتهى كلامه .

قال النحاس : يعنى أنَّه عطف أنتم على الموضع ، مثل إنّى منطلق وزيدٌ . انتهى .

وكذا نقل الزمخشرى ( فى المفصل ) .

وقال الأعلم : الشاهد فى قوله : وأنتم ، على التقديم والتأخير ، أى فاعلموا أنّا بغاةٌ وأنتم ، فأنتم مبتدأ والخبر محذوف لعلم السامع ، والمعنى : وأنتم بُغاةٌ . ويجوز أن يكون المحذوف خبر أنَّ كما تقول ، إنَّ هندا وزيد منطلقٌ . والمعنى إن هندًا منطلقةٌ وزيد منطلق ، فحذفتَ خبر الأوّل لدلالة الآخر عليه .

والآية التى استشهد بها سيبويه مع البيت إنّما هى آية الصابئين كما رأيت . وأما آية براءة ، فلم يُورِدها سيبويه مع البيت ، وإنّما أوردها قبله بثلاثة أبواب ، وهو باب العطف على اسم إنّ [٢] ، قال : تقول : إنَّ عمرا منطلق وسعيد ، فسعيد يرتفع على وجهين : حسنٍ وضعيف . فأمَّا الحَسن فأن يكون محمولا على الابتداء ، لأنّ معنى إنّ زيداً منطلق زيد منطلق ، وإنَّ دخلَتْ توكيداً . وفى القرآن مثله : ﴿ وأذانٌ من الله ورَسُولِه إلى النَّاسِ يومَ الحَجِّ الأكْبَرِ أنَّ الله بَرِىءٌ مِنَ المُشركين ورَسولُه [٣] ﴾ . وأما الوجه الآخر الضَّعيف فأنْ يكون محمولاً

(١) سيبويه : « بعد ما مضى الخبر » .

(٢) انظر سيبويه ١ : ٢٨٥ بولاق و ٢ : ١٤٤ هارون .

(٣) الآية ٣ من سورة براءة .

على الاسم المضمر فى المنطلق . فإذا أردت ذلك فأحسَنُه أن تقول : منطلق هو وعَمْرٌو [١] . وإن شئتَ جعلت الكلام على الأوّل فقلت : إنَّ زيداً منطلق وعمراً ظريف ، فجعلته على قوله عز وجل : ﴿ ولو أنَّ ما فى الأرضِ مِنْ شجرةٍ أقلامٌ والبحرَ يَمُدُّه مِنْ بعدِه [٢] ﴾ . وقد رفعه قوم على : لو ضربتَ عمراً [٣] وزيد قائم ما ضَرَّك ، أى لو ضربت عمراً وزيدٌ فى هذه الحال ، كأنّه قال : ولو أنَّ ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحرُ هذا أمره ما نَفِدَتْ كلماتُ الله . انتهى .

قال الشاطبى ( فى شرح الألفيّة ) : يمكن أن يكون رفع البحر فى الآية على مثل الرفع فى إنّ المكسورة ، لا على أنَّها حالية ، وإن أجاز ذلك سيبويه ، بدليل القراءة الأخرى بالنصب ، ليتَّحِدَ معنى القراءتين . انتهى .

وإنَّما فسر الشارح المحقّق أذانٌ بإعلامٌ لأنَّ شرط أنَّ المفتوحةِ فى العطف على اسمها عند المصنّف ، أن تقعَ بعد ما يفيد العلم . وإليه ذهب ابن مالك ( فى شرح التسهيل ) قال : ومثل إنّ ولكنّ فى رفع المعطوف : أنَّ إذا تقدَّمها علِمٌ أو معناه ، ثم مثَّل العِلْم بالبيت ، ومعناه بهذه الآية . وقال السيرافى بعد أنَّ قرر كلامَ سيبويه على التقديم والتأخير : يجوز أن يكون خبر الذين محذوفاً لدلالة خبَرِ والصَّابئون عليه ، وهو قوله : ( من آمَنَ بالله ) ، فيكون على حدّ قول الشاعر : ٣١٦

نحنُ بما عندنـــــا وأنت بما عندكَ راضٍ والرأىُ مختلفُ [٤]

أراد : نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راضٍ . ونظم الآية هو : ﴿ إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا والصابئون والنَّصارى من آمن بالله واليوم الآخِر وعَمِل

(١) ش : « تقول أم منطلق هو وعمرو » ، صوابه فى ط وسيبويه .

(٢) الآية ٢٧ من سورة لقمان.وهى قراءة أبى عمرو ويعقوب . والباقون برفع « البحر » .

(٣) سيبويه : « عبد الله » فى هذا الموضع وتاليه .

(٤) لقيس بن الخطيم . جمهرة القرشى ١٢٧ وملحقات ديوانه ١٧٣ . أو لحسان بن ثابت فى ديوانه ١٧٢ . وانظر معجم الشواهد .

صالحاً فلا خوفٌ عليهم ﴾ وإنّ فيها مكسورة ، وفى البيت مفتوحة . وقد سوَّى بينَهما سيبويه فى الحكم . وكلام المصنف الذى ردَّه الشارح مذكور فى شرحه و ( فى أماليه ) قال فيها : إنما سدَّت أنَّ المشددة والمخفّفة منها مسدَّ المفعولين فى باب ظننت وأخواتها لاشتمالها على محكومٍ به ومحكوم عليه ، وهو ما تقتضيه . وتتعلَّق بهما فى المعنى على حسب ما كان ، فلم تقتض أمراً آخر ، ومن ههنا جاز كسرها عند إدخال اللام كقولك : ظننت إنّ زيداً لقائم . ولولا أنَّ معناها ما ذكرناه لم يجز ذلك . ألا ترى أنّك لا تقول : أعجبنى إنّ زيداً لقائم [١] لتعذر تقديرها فى معنى الجملة المستقلّة لكونه فاعلا . ومن ههنا أيضا عُطف على موضعها بالرفع وإن كانت مفتوحة لفظاً لأنَّها فى معنى المكسورة باعتبار ما ذكرناه ، فتقول : ظننت أنَّ زيدا قائم وعمرو ، كما تقول : إن زيدا قائم وعمرٌو . ولا يجوز ذلك فى المفتوحة فى غيرها ، كقولك : أعجبَنى أن زيدا قائم وعمرٌو ، لكونها ليست فى معنى الجملة . انتهى .

وهو مسبوق بآبن جنى قال : فأمَّا وجه القياس فهو أنَّ المفتوحة وإن لم تكن من مواضع الابتداء فإنّها فى التحقيق مثل المكسورة ، فلمَّا استويَا فى المعنى والعمل وتقاربا فى اللفظ صارت كلُّ واحدةٍ كأنّها أختها . يَزِيد ذلك وضوحاً أنَّك تقول : علمت أنَّ زيدا قائم وعلمت إنّ زيدا لقائم ، فتجد معنى المكسورة كمعنى المفتوحة ، تؤكِّد فى الموضعين كِليهما قيامَ زيدٍ لا محالة ، والقيام مصدر كما ترى . وتأتى هنا بصريح الابتداء فتَقول : قد علمت لزيد أفضل منك ، كما تقول : علمت أنَّ زيدا أفضلُ منك . أفلا ترى إلى تَجارِى هذه التراكيب إلى معنىً ، وتناظُر بعضها إلى بعض . وسبب ذلك كلِّه ما ذكرتُ لك من مشابهة أنَّ لإنَّ لفظا ، ومعنى ، وعملا . انتهى .

---

(١) ما بعده إلى « كقولك : أعجبنى أن زيدا قائم » ساقط من ش .

وقد ردّ ابن جنى كلامَ السيرافى قياساً وسماعا كما يأتى فى البيت الآتى .

وأمّا قول سيبويه : « واعلمْ أنَّ ناساً من العرب يغلَطُون » ، يأتى إن شاء الله شرحه فى البيت الثانى بعد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدةٍ لبشر بن أبى خازم الأسدىّ ، مطلعُها :

أبيات الشاهد

( أَهمَّتْ منك سَلْمَى بانْطلاقِ     وليس وصالُ غانيةٍ بباقى [1] )

وفيها يقول :

( وسَوف أخُصُّ بالكلمات أَوساً     فيلقاه بما قد قُلتُ لاقى )

إلى أن قال :

( فإذْ جُزَّت نَواصِي آلِ بدرٍ     فأدُّوها وأسرَى فى الوَثاقِ

وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم     بُغاةٌ ما بقينا فى شِقاقِ [2] )

٣١٧

وسبب هذا الشعر كما فى شرح ديوانه ، ونقله ابن السيرافى ( فى شرح أبيات سيبويه ) أنَّ قوما من آل بدر الفزاريِّين جاوَرُوا بنى لأْمٍ من طيِّى ، فعمَد بنو لأمٍ إلى الفَزاريِّين فجزُّوا نواصيَهم وقالوا : قد مننَّا عليكم ولم نقتلْكم — وبنو فزارة حلفاء بنى أسد — فغضب بنو أسَدٍ [3] لأجل ما صُنِع بالبدريِّين ، فقال بشرٌ هذه القصيدة ، يذكرُ فيها ما صُنع ببنى بدر ، ويقول للطائيِّين : فإذْ قد جززتم نواصيَهم فاحْمِلوها إلينا ، وأطِلقُوا مَنْ قد أسرتم منهم ، وإنْ لمْ تفعلوا فاعلموا أنَّا نَبْغيكم ونطلبُكم ، فإن أصبنا أحداً منكم طلبتمونا به ، فصار كلُّ واحدٍ منّا يبغى صاحبَه ، فنبقَى فى شقاقٍ وعداوةٍ أبدا .

---

(١) ديوان بشر ١٦١ . يهجو أوس بن حارثة .

(٢) فى الديوان ١٦٥ : « بغاة ما حيينا » .

(٣) فى النسختين : « بنو فزارة » ، صوابه ما أثبت من شرح السيرافى ٢ : ١٤ . وإلا يكن ذلك فلا وجه للاعتراض التالى .

وقد تحرَّف هذا الكلام على ابن هشام فقال ( فى شرح الشواهد ) ، وتبعه العينى : والسببُ فيه أنّ قوماً من آل بدر جاورُوا الفزاريِّين من بنى لأم من طيِّىء ، فجزُّوا نواصيَهُم وقالوا : مننَّا عليكم ولم نقتلْكم . فغضب بنو فزارةَ لذلك ، فقال بشر ذلك . هذا كلامه .

ولا يصحُّ هذا إلاّ إذا كان بشرٌ فزاريًّا ، وإنمّا هو [ من [1] ] أسد بن خزيمة .

وقوله :

* وسوف أخصُّ بالكلماتِ أوساً *

هو أوس بن حارثة بن لأمٍ الطائى ، أحد الأجواد المشهورين .

وقوله : « فإذْ جزَّتْ نواصِى » الخ جُزّت بالبناء للمفعول . والجزّ ، بالجيم والزاى : قطع الصُّوف والشعر . والنواصى : جمع ناصِيَة ، وهى الشَّعر فى مقدَّم الرأس فوق الجبْهة . وكانت العربُ إذا أنعمَتْ على الرَّجُل الشَّريف بعد أسرِهِ جزُّوا ناصيتَهُ وأطلقوه ، فتكون الناصيةُ عند الرَّجلِ ، يفخر بها . وأسرى : جمع أسير . والوَثاق : القَيد والحبلُ ونحوه .

وقوله : « وإلاَّ » أى وإن لم تؤدُّوا النواصىَ المجزوزة مع الأسرى . وأخطأ العينىُّ فى قوله : أى وإن لم تجزُّوا نواصيهَم وتُطلِقوا أسراهم . انتهى. وبغاة : جمع باغٍ ، وهو الطالب ، أو معناه يبغى بعضُنا على بعضٍ . وفى ديوانه : « بِغاء » بكسر الموَحَّدة وضمّها مع المدّ . أمّا المكسورة فهو مصدر بغَى أى سعى فى الفَساد . وأمَّا المضموم فهو اسمٌ للمصدر ، يقال بغيته بَغْيا : طلبته ، والاسم البُغاء بالضم ، وعليهما يكون فيهما مضافٌ محذوف ، أى ذو بغاء . وما مصدريّة

---

(١) التكملة من ش .

ظرفيَّة ، أى مدة بقائنا . وروى بدله : « ما حيينا » من الحياة . والشِّقاق : مصدر شاقّه مشاقّة وشِقاقا ، أى خالفه . وحقيقته أن يأتى كلٌّ منهما ما يشقُّ على صاحبه ، فيكون كلٌّ منهما فى شِقٍ غير شِقِّ صاحبِهِ . والشِّقّ : بالكسر : الجانب ، والمَشقَّة ، ونصف الشيء . و « أنتم » فى قول سيبويه مؤخّر ، والتقدير : إنا بغاة ما بقينا وأنتم . وقد قرَّر فيما نقلْنا عنه فى : إنّ زيدا منطلقٌ وسعيدٌ ، أن يكون سعيد مرفوعاً على الابتداء فيكون من عطف الجمل كما يأتى بيانه من الكشاف . وكذلك العطفُ على ما نقله الشَّارح ، إلاّ أنّه من عطف جملة على جملةٍ حذف عجزُها . وأُوردَ عليه بأنّ فيه الحذفَ من الأوَّل لدَلالة الثانى ، وإنّما الكثير العكس . وخرَّجه بعضُهم كما نقله العينى على أنّ بغاة خبر إنّا ، وخبر أنتم محذوف ، والتقدير إنّا بغاة وأنتم كذلك ، فيكون جملةُ « وأنتم » كذلك ، اعترِض بها بين المبتدأ والخبر . ويَرِدُ على التخاريج الثلاثة أنَّ المتكلم لا يُثبت لنفسه البَغْىَ والعُدوان ، وإنّما ينسبه إلى المخاطَب . ويجاب بأنَّ المعنى ما ذُكر فى سبب هذا الشعر كما تقدَّم ، وليس معناه ما أُورِدَ . وكأنَّ الشارح المحقّق لحظَ هذا الورودَ فخرَّجه على أنّ قوله ما بقينا فى شقاق خبر إنّا ، وجملة وأنتم بغُاةٌ اعتراضية . وهذا التخريج لا غبارَ عليه ، جيِّدٌ إعراباً ومعنىً . وجعلُ الجملة اعتراضيّةً أحسَنُ من جعلها عاطفة ، لأنَّه يلزم عليه العطف قبل تمام المعطوف عليه . وإلى هذا ذهب صاحب اللباب ، قال : وقد يتوهَّم أنّ أنَّ المفتوحة فى باب علمت لها حكم المكسورة فى صحَّة العطف على المحل ، كقوله :

٣١٨

* وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم * البيت

وليس بثبْتٍ ؛ لاحتمال أنْ يكون العطف باعتبار الجمل لا باعتبار التشريك فى العامل . وإنّه جائز فى الجميع .

قال شارحه الفالى [١] : يعنى يحتمل أن لا يكون معطوفا عليه عطفَ المفرد باعتبار تشريكهما فى عاملٍ واحد ، بل باعتبار عطف الجملة على الجملة ، بأنْ يكون خبر إنّا هو « فى شقاق » ، إذ ليس يَنسبون البغىَ إلى أنفسهم بل إلى المخاطَبين خاصَّة . فالعطف باعتبار الجُمَل لا باعتبار التشريك . والعطف باعتبار الجُمَل جائزٌ فى الجميع .

وقد أوضح صاحب الكشاف فى تفسير المائدة ، وتبعه البيضاوىّ ، كلامَ سيبويه فى التقديم والتأخير فقال : والصابئون رفعٌ على الابتداء وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما فى حيِّز إنّ من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنَّصارى حكمُهم كذا ، والصابئون كذلك . وأنشد سيبويه شاهداً له :

وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم بُغاةٌ ، ما بَقِينا فى شِقاقِ

أى فاعلموا أنّا بغاة وأنتم كذلك .

فإن قلت : هلاَّ زعمت أنَّ ارتفاعَه للعطف على محل أنَّ واسمِها ؟ قلتُ : لا يصحُّ ذلك قبل الفراغ من الخبر ، لا تقول : إنَّ زَيداً وعمرٌو منطلقان .

فإن قلت : لم لا يصحُّ والنية به التأخير ، فكأنّك قلت : إن زيداً منطلق وعمرو ؟ قلت : لأنِّى إذا رفعته رفعتُه عطفاً على محل إنّ واسمها ، والعامل فى محلِّها هو الابتداء ، فيجب أن يكون هو العامل فى الخبر ، لأنَّ الابتداء ينتظم الجزأين فى عمله كما تنتظمُهُما إنّ فى عملها ، فلو رفعت الصابئون المنوىَّ به التأخيرُ بالابتداء وقد رفعت الخبر بإنّ ، لَأَعملتَ فيهما رافعَينِ مختلفين .

---

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، صوابه بالفاء كما سبق التنبيه عليه فى أكثر من موضع .

فإن قلت : فقوله : « والصابئون » معطوفٌ لا بدَّ له من معطوف عليه فما هو ؟ قلت : هو مع خبره المحذوفِ جملةٌ معطوفة على جملة قوله : إنّ الذين آمنُوا إلخ ، ولا محلَّ لها كما لا محلَّ للتى عُطِفَتْ عليها .

فإنْ قلت : ما التقديم والتأخير إلاّ لفائدة ، فما فائدة هذا التقديم ؟ قلت : فائدته التنبيه على أنّ الصابئين يُتابُ عليهم إن صحَّ منهم الإيمانُ والعمل الصالح ، فما الظَّنُّ بغيرهم ؟ وذلك أنّ الصابئين أبْيَنُ هؤلاء المعدودِين ضَلالاً وأشدُّهم غَيًّا ، وما سُمُّوا صابئين إلاّ لأنّهم صَبَئُوا عن الأديانِ كلِّها ، أى خرجوا ، كما أنَّ الشاعر قدَّم قوله وأنتم ، تنبيهاً على أنّ المخاطبين أوغَلُ فى الوصف بالبُغاة من قومه ، حيث عاجَلَ به قبل الخبر الذى هو بُغاة ، لئلاّ يُدخل قومَه فى البغى قَبْلهم مع كونهم أوغلَ فيه منهم . وأثبتَ قدَما . انتهى .

وكون هذا عند سيبويه من عطف الجمل لا من عطف المفردات هو صريحُ كلامِه .

قال الشاطبى : والذى عليه الأكثر أنّ الرفع فى المعطوف على الابتداء هو استئنافُ جملةٍ معطوفةٍ على أخرى ، وهو الأظهر من كلام سيبويه . ونُقل عن الأخفش والفراء والمبرِّد وابن السرّاج والفارسىّ فى غير الإيضاح ، وابن أبى العافية ، والشَّلَوبين فى آخِر قوليه ، وجماعةٍ من أصحابه . ومنهم من جَعل ذلك عطفاً حقيقةً من باب عطف المفردات ، وأنَّ قولك : إنّ زيدا قائم وعمرو ، عُطف فيه عمروٌ على موضع زيد ، وهو الرفع ، كما عطف على موضع خبر ليس فى نحو : ٣١٩

* فلسنا بالجبال ولا الحديدا (١) *

---

(١) لعبد الله بن الزَّبيرِ الأسدى ، كما فى معجم الشواهد . وصدره :

* معاوى إننا بشر فأسجح *

وإليه ذهب الشَّلوبين فى أوّل قَوليه ، وابن أبى الربيع . وهو ظاهر الإيضاح وجُمَلِ الزجاجى ، ومالَ إليه بعضُ من شرح كلامَهُما أخذاً بالظاهر من كلامهما . وتأوّل بعضُهم عليه كلامَ سيبويه .

وذهب ابن مالك ( فى شرح التسهيل ) إلى الأوّل ونَصرَه وزيَّف غيره ، وهو الصحيح من المذهبين ، والمعتمد المعضود بالدَّليل .

وقد تصدَّى ابن أبى العافية لنَصره فى مسألةٍ أفردَها . وابنُ الزُّبير من شيوخ شيوخنا اعتنى بالمسألة جدًّا وطوّل فيها الكلام . وهو الذى ذهب إليه مَن اعتمدناه من شيوخنا فتلقَّيناهُ عنهم . فمن أراد الترجيح بين المذهبين فعليه بكلام ابن الزُّبير ففيه غاية الشفاء فى المسألة .

وقد احتج له ابن مالك بأنَّهم اقتصروا فى هذا العطف على الإتيان به بعد تمام الجملة . ولو كان من عطف المفردات لكان وقوعه قبلَ التمام أولى ، لأنّ وصلَ المعطوف بالمعطوف عليه أجوَدُ من فصله . وأيضا لو كان كذلك لجاز وقوعُ [1] غيره من التوابع . ولم يحتَجْ سيبويه فى قوله تعالى : ﴿ قل إنَّ ربِّى يَقذِف بالحقِّ علّامُ الغُيوب [2] ﴾ إلى أن يجعله خبر مبتدأ ، أو بدلا من فاعل يقذف . واستدلَّ بغير ذلك ممّا يطولُ به الكلام . انتهى كلامه المقصود منه [3] .

وبشر بن أبى خازم شاعرٌ جاهلى تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الثلثمائة [4] .

* * *

---

(١) ش : « رفع » .

(٢) الآية ٤٨ من سورة سبأ . وسيبويه ١ : ٢٨٦ بولاق ٢ : ١٤٧ هارون .

(٣) يعنى كلام الشاطبى الذى بدأ فى ص ٢٧٣

(٤) الخزانة ٤ : ٤٤١ — ٤٤٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الثمانمائة [١] :

**٨٥٣** (فلا تَحْسَبِى أنِّى تخشَّعتُ بعدكمْ    لشىءٍ ولا أنِّى من الموتِ أفرَقُ
ولا أنا مِمَّن يَزدهِيهِ وَعيدُكمْ    ولا أنَّنى بالمشْىِ فى القَيدِ أُخرقُ )

على أنَّ تخريج البيت السابق وهو جعل جملة ( وأنتم بغاة ) اعتراضاً بين أنّا وخبره ، وهو قوله ( ما بقينا فى شقاق ) لا يتمشَّى مثلُه هنا ، لأنَّ قوله :

* ولا أنَّنى بالمشى فى القَيدِ أخرقُ *

عطفٌ على أنّى تخشّعت . فلو جعل قوله :

* ولا أنا ممّن يَزدهيهِ وعيدُكم *

جملةً اعتراضية لكان لا داخلةً على معرفة بلا تكرير ، ولا يجوِّز ذلك إلاّ المبرِّد . ولو روى : « ولا إنّنى بالمشى » بالكسر لارتفع الإشكال ، وكان قوله ولا أنا ممن يزدهيه مستأنفاً ، ولا مكرَّرة .

يريد أنّ قوله : « ولا أنا ممن » إلخ معطوفٌ على اسم أنَّ المفتوحة فى قوله : فلا تحسبى أنّى تخشعت ، البتة ، كما أجاز سيبويه رفع المعطوف على اسم [ أن [٢] ] المفتوحة ، ولا يمكن تخريجه على وجهٍ لا يكون فيه العطف على اسم المفتوحة كما أمكن تخريج الآية والبيتِ قبله . وإن جعل جملة و « لا أنا ممن » إلخ معترضةً بين المتعاطفين مُنع بعدم تكرُّر لا ، فإنَّها يجب تكررُّها عند الجمهور فى غير دعاءٍ وغيرِ جوابِ قسم . ولو كانت الرواية فى أنَّنى الثالثة الكسر لجعلت الواو فى : « ولا أنا » استئنافيّة ، وكان مدخولها مع ما بعده جملتين مستأنفتين ،

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقى ٥٤ وللتبريزى ١ : ٥٤ .
(٢) التكملة من ش .

وزال الإشكال بتكرُّر لا . وحينئذ لم يتعيَّن التخريج على قول سيبويه . لكنّه لم يُرْو الكسر ، فتحتَّم التخريج على قول سيبويه .

٣٢٠ وتخريج الآية والبيت على ما ذكره الشارح السيرافى فإنّه خالف سيبويه وزعمَ أنَّ أنَّ المفتوحة لا تلحق بالمكسورة فى ذلك ، لأنَّ المكسورة على شرط الابتداء وليست المفتوحة كذلك ، إنمَّا تجعل الكلام شأناً وحديثا بمنزلة المفرد . وليس فى قوله تعالى : ﴿ أنَّ اللهَ برىءٌ مِنَ المشركين ورسُولُه [1] ﴾ دليلٌ له ، لصحَّة حمله على وجهين جيِّدين :

أحدهما:أن يكون ورسوله عطفاً على أنَّ وما بعدها ، لأنَّها اسم مفرد ، فالتقدير : براءة الله من المشركين ورسوله ، أى وبراءة رسوله . وهذا وجهٌ جيّد كما تقول : أعجبنى أنّك منطلق وإسراعك .

والثانى : أن يكون ورسوله معطوفاً على الضمير فى برىءٌ ، وحسُن للفصل . وإذا كان كذلك لم يكن فى الآية دليلٌ على ما قالوه . فالاستشهاد بها وهمٌ جرَىَ على سيبويه والنحويِّين .

وقد ردّ عليه ابن جنى ( فى إعراب الحماسة ) وأثبت ما ذهبَ إليه سيبويه سماعاً وقياسا . وهذه عبارته :

وفى قوله :

* ولا أنا ممَّن يزدَهِيهِ وعيدُكُمْ *

شاهدٌ لجواز استدلال سيبويه بقول الله سبحانه : ﴿ أَنَّ اللهَ برىءٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَرَسُولُهُ ﴾ بالرفع على معنى الابتداء ، وردٌّ وردعٌ لإنكارِ مَن أنكر ذلك

---

(١) الآية ٣ من سورة التوبة .

عليهِ من بعض المتأخّرين . وقوله « إنَّ هذا إنَّما يسوغ بعد إنّ المكسورة لأنّها على شرط الابتداء ، وليس فى الآية إنّ مكسورة ، وإنمّا فيها أنَّ مفتوحة ، والمفتوحة لا تَصْرِف الكلامَ إلى معنى الابتداء ، وإنمّا تجعل الكلامَ شأناً وحديثا ، ومواضعُها تختصُّ بالمفرد لا بالجملة . هذا معنى ما أوردَه هذا المنكرُ على صاحب الكتاب فى هذا الموضع . والقولُ فيما بعدُ مع صاحب الكتاب لا عليه سماعاً وقياساً . أمّا السَّماع فما جاء فى هذا البيت ، وهو قوله :

* فلا تحسبُوا أنّى تخشَّعْتُ بَعْدكُم *

ثم قال :

* ولا أنا ممَّن يزدهِيه وعيدُكم *

فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على قوله أنّى تخشَّعت ، وهو يريد معنى أنّ المفتوحة . يدلّ على ذلك روايةُ مَنْ روى :

* ولا أنَّ نَفسى يَزدَهيها وعيدُكم *

وقد جاء ذلك أيضاً فى التنزيل ، قال الله عزّ اسمُه : ﴿ وأَنَّ هذه أُمَّتُكم أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتَّقُون (١) ﴾ . ألا ترى أنَّ معناه : ولأنّ هذه أُمَّتُكم أمّة واحدة ولأنّى ربُّكم فاتَّقونى (٢) . فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على أنّ وفيها

---

(١) الآية ٥٢ من سورة المؤمنون ، وهى تلتبس بالآية ٩٢ من الأنبياء : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، ولا واو فى أولها . وفى النسختين هنا فى نهاية الآية : « فاعبدون » ، وهو تحريف . وقراءة : « وأن » هنا بفتح الهمزة وتشديد النون هى قراءة أبى عمرو والحرميَّين : أى نافع وابن كثير ، ومعناها « ولأنّ » . وقرأ ابن عامر : « ولأن » ، بالفتح وتخفيف النون ، وهى المخففة من الثقيلة . وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بكسر الهمزة وتشديد النون . ومما يجدر ذكره أن منشأ هذا التحريف والخطأ هو ابن جنى نفسه فى إعراب الحماسة الورقة ١٤ .

(٢) فى النسختين تبعا لإعراب الحماسة : « فاعبدونى » فى هذا الموضع وتاليه ، وانظر ما سبق من تحقيق .

معنى اللام كما تقدَّم . وهذا يزيل معنى الابتداء عندَه ويصرف الكلام إلى معنى المصدر ، أى ولكونى ربّكم فاتَّقونى . ونحوهُ أيضاً قولُه تعالى : ﴿ ضربَ لكم مثلاً مِنْ أنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمانُكم مِنْ شُرَكاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فأَنْتم فيهِ سواءٌ [١] ﴾ ، أى فتستوُوا . قال أبو على : فأوقَع الجملة المركَّبة من المبتدأ والخبر موقع الفعل المنصوب بأَنْ . والفعلُ إذا انتصبَ انصرفَ القولُ به والرَّأى فيه إلى مَذهب المصدر . ومعلومٌ أنَّ المصدر أحدُ الآحاد ، ولا نسبة بينه وبين الجملة ، وقد ترى الجملة التى هى قوله : ( وأنا ربُّكم ) معطوفةً على أنَّ المفتوحة ، وعبرتُها عبرة المفرد من حيث كانت مصدراً ، والمصدر أحدُ الأسماء المفردة . ووجَدْتُ أنا فى التنزيل موضعاً لم أر أبا علىّ ذكَره على سَعَة بحثِه ولُطْف مأخذه ، وهو قوله تعالى : ﴿ أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهوَ يَرَى [٢] ﴾ ، أى فيرى.ألا ترى أنَّ الفاء جواب الاستفهام ، وهى تَصرف الفعل بعدها إلى الانتصاب بأَنْ مضمرة ، وأَنْ الفعلُ المنصوب بها مصدرٌ فى المعنى لا محالة ، حتَّى كأنه قال : أعنده علمُ الغيب فرؤيَتُه ، كما أنَّ قوله : ﴿ فأنتم فيه سَواء ﴾ أى هل هناك شِركةٌ بينكم فاستواء . فهذا وجه السَّماع .

٣٢١

وأمّا وجه القياس فهو أنّ [ أنّ [٣] ] المفتوحة وإن لم تكن من مواضع الابتداء فإنَّها من مواضع التحقيق والاعتلاء كما أنّ إنّ المكسورة كذلك ، فلما استوَتا فى العمل والمعنى ، وتقاربَتا فى اللفظ ، صارتْ كلُّ واحدةٍ كأنَّها أُختُها . يزيد ذلك وضوحا [٤] أنّك تقول : علمت أنَّ زيدا قائم ، وعلمت إنّ زيداً لقائم ،

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الروم .

(٢) الآية ٣٥ من سورة النجم .

(٣) التكملة من ش وإعراب الحماسة الورقة ١٥ .

(٤) ذلك ، ساقطة من ش .

فتجد معنى المكسورة كمعنى المفتوحة ، ويُؤكِّد فى الموضعين كليهما قيامُ زيدٍ لا محالة ، والقيام مصدر كما ترى . نَعَمْ وتأتى هنا بصريح الابتداء ، فتقول : علمت لزيدٌ أفضَلُ منك ، كما تقول : علمت أنَّ زيدًا أفضل منك . أفلا ترى إلى تَجارِى هذه التراكيب إلى معنىً واحد ، وتناظُرِ بعضها إلى بعض (١) . وسبب ذلك كلِّه ما ذكرتُه لك من مشابهة أنّ لإنَّ لفظاً وعملا . فإذا كان كذلك سقط اعتراضُ هذا المتأخِّر على ما أورده سيبويه ، وأُسقِط كلفته عنه . ويزيدُ فيما نحن عليه وضوحاً قولُه فيما بعد :

* ولا أنَّنى بالمشى فى القيد أخرق *

فعاد إلى أنَّ البَّتة . انتهى كلام ابن جنى .

صاحب الشاهد

والبيتان من أبيات سبعة لجعفر بن علبة الحارثى ، أوردها أبو تمام فى أول الحماسة وهى :

أبيات الشاهد

( هوایَ مع الرَّكب اليمانِينَ مُصعِدٌ … جَنيبٌ وجُثْمانى بمكــة مُوثَــقُ
عَجِبتُ لمسرَاها وأنَّـى تَخـلَّصَتْ … إلىّ وبـابُ السجـن دونـىَ مُغلَـقُ
عَجِبتُ لمسراهـا وسِربٍ أتَتْ به … بُعَيد الكَرَى كادت له الأرض تُشرِقُ (٢)
ألمَّتْ فحيَّت ثم قامت فودَّعت … فلمـا تولَّت كادت النفسُ تزهَـقُ
فلا تحسبى أنِّـى تخشَّعت بعـدكم … لشىءٍ ولا أنِّـى من الموتِ أفـرَقُ
ولا أنّ نفسى يزدهيها وعيــدُكم … ولا أننى بالمشْىِ فى القَيـد أخـرقُ
ولكنْ عَرَتْنـى مِن هَواكِ ضَمانـةٌ … كما كنتُ ألقى منكِ إذْ أنا مطلقُ (٣) )

(١) فى إعراب الحماسة : « وتناظرها بعضها لبعض » .
(٢) لم يرد هذا البيت عند المرزوقى ولا التبريزى ، كما لم يرد فى إعراب الحماسة لابن جنى .
(٣) عند المرزوقى والتبريزى : « من هواك صبابة » ، وعند ابن جنى : « ضمانة » كما هنا .

قوله : « هوایَ مع الركب » الخ أورده القزويني ( فى تلخيص المفتاح ) على أنَّ تعريف المسند إليه بالإضافة لكونه أخصر طريق . قال السعد ( فى شرحه ) : هواى أى مهويّى ، وهذا أخصر من الذى أهواه ونحوِ ذلك . والاختصار مطلوبٌ لضيق المقام وفَرط السآمة ، لكونه فى السجن ، وحبيبته على الرحيل . و « مُصعِد » : ذاهبٌ فى الأرض . والجنيب : المجنوب المستتبَع . و « الجثمان » الشخص . و « الموثَق » : المقيَّد . ولفظ البيت خبرٌ ومعناه تأسُّفٌ وتحسُّر على بُعد الحبيب . انتهى .

وقال أمين الدين الطَّبْرسىّ [1] ( فى شرح الحماسة ) : الرَّكب : جمع راكب ، مثل صحب جمع صاحب ، والجُثمان : الجسم ، قاله الأصمعىّ . وقال الخليل : هو الشَّخْص ، يستعمل فى بدنِ الإنسانِ إذا كان قائما . وأصعد فى الأرض : أبعَدَ . ومعنى البيت : هَوایَ راحلةٌ مُبعِدة مع رُكبان الإبل القاصدين نحو اليمن ، وبدنى مقيَّد بمكّة . وإنمَّا قال هذه الأبياتَ لما كان محبوساً بمكة ، لدمٍ كان عليه لبنى عُقيل . وذكر فى هذه الأبيات صبرَه على البلاء ، وعدمَ خوفه من الموت ، واستهانتَه بوعيد المتوعِّد ، وحذقَه بمشى المقيدِّ .

وقوله : « عجبت لمسراها » المَسْرَى : مصدر ميمى بمعنى السُّرى ، والضمير لخيال الحبيبة ، وهى مؤنثة ، وهى وإن لم يَجْرِ لها ذكرٌ لكنها معلومة من المقام . وأنّى معناه كيف أو من أين ؟ وتخلَّصَتْ : توصَّلَتْ . يقول : تعجبت من سير هذه الخيال [2] ومن حسن توصُّلها إلىَّ مع هِذه الحال ، وهو أنَّ باب السجن مُغْلَقٌ علىّ .

٣٢٢

(١) ط : « الطبيرسى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق فى ٨ : ٣١٥ ، ٣٨٥ ، ٥٣٦ .
(٢) كذا فى النسختين بتأنيث الخيال .

قال ابن جنى ( فى إعراب الحماسة ) : لا يجوز عطف أنّى على مسراها ، لأنّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، بلْ هى منصوبة بقوله : تخلَّصَتْ ، وتمَّ الكلام على قوله : عجبتُ لمسراها ، ثم استأنف كلاماً آخر بقوله : وأنّى تخلصت ، أى ومن أين تخلَّصت . هذا وضعُ الإعراب ومقتضى الصَّنعة فيه . فأمَّا حقيقة المعنى فكأنّه قال : عجبت لمسراها ولتخلُّصها إلىَّ ، لأنَّ العَجب اشتمل عليهما جميعا . ولا يُستَنكَر أن يكون وضعُ الإعراب مخالفاً لحصول المعنى . ألاَ تراك تقول « أهلكَ واللَّيل » فمعناه الحقْ أهلَكَ قبل الليل ، وإعرابه على غير ذلك . انتهى .

وقوله : « وسِرب أتَتْ به » السِّرب بالكسر : الجماعة من النساء ، يريد نساءً رآهنَّ معها فى نومه . وأتت به ، أى بالسِّرب . وأشرقَت الأرض : أضاءت .

وقوله :« ألمَّتْ فحيَّت » إلخ الإلمام : الزيارة الخفيفة . وحَيَّت من التحيّة . وزهَقت النفس : خرجت بِسرُعة . حكى حالَ الخيال فقال : جاءتنا فسلَّمت علينا ثم لم تلبثْ إلاّ قليلا حتَّى قامت وأعرضَت ، فلمَّا تولت كادت النفس تخرج فى أثَرها .

وقوله : « فلا تحسبِى أنّى » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وتخشَّع : تكلَّف الخشوع . والخشوع يكون فى الصوت والبصَر ، والخشوع فى البدن [1] .وقال ابن جنى : تخشَّعت بمعنى خشعت ، وقد جاء تفعَّل بمعنى فَعَل [2] . وأفرَقُ : أخافَ ، وفعله من باب فرح .

وقوله : « ولا أنا ممَّنْ » إلخ غالب [3] رواية الحماسة : « ولا أنَّ نفسى

---

(١) الأَولَى أن يقال : والخشوع يكون فى الصوت والبصر والبدن ، والخضوع يكون فى البدن ، كما فى اللسان . ونحوه فى القاموس .

(٢) بعده فى إعراب الحماسة الورقة ١٢ : « وذلك نحو قول الله سبحانه : الجبار المتكبر ، أى الكبير » .

(٣) ط : « غاية » ، صوابه فى ش .

يزدهيها » إلخ ونَّبه شراحها على الروايتين . وازدهاه : استخفَّه ، من الزَّهو وهو الخِفَّة . والأخرق ، الذى لم يحسن عملَ شئ ، يقال فلانٌ أخرق إذا لم يُحسن شيئاً ، وفلان صَنَع بفتحتين إذا أحسَنَ عملَ كلِّ شئ . يقول : لا تظنِّى أنَّ نفسى تُستَخَفُّ من الوعيد ، ولا أنَّها تضجر من المشى فى القيد . يَستهينُ بما اجتمع عليه من الحبس والقَيد ، ويتجحَّ بالصبر على الشدائد . وبهذين البيتين أدخِلَتْ هذه الأبياتُ فى باب الحماسة .

وقوله : « ولكنْ عَرَتْنى » إلخ عراه يَعرُوه : أصابه ونزل به . والضَّمانة : الزمانة ، وهو عدم الاستطاعة على النُّهوض والقيام . قال ابن جنى : يجوز أن تعلَّق منكِ [(١)] بنفسِ عَرَتْنى فلا يكون فيها ضمير ، ولا يجوز أن تكون حالا من ضمانةٌ على أنَّها صفة فى الأصل لضمانة ، فلمّا قدِّمت صارت حالاً ، ففيها إذن ضميرٌ لتعلُّقها بالمحذوف . وأما الكاف فيجوز أن تكون وصفا لضمانة فتعلق بمحذوف وتتضمَّن ضميرها ، ويجوز أن تكون منصوبة على المصدر ، أى عرتنى ضمانة عرُوّاً مثلَ ما كانت تعرونى وأنا مُطلَق . أى لم يُنسنى ما أنا فيه من الشدَّة ما كنتُ عليه أيَّامَ الرخاء . فيجرى هذا مجرى قولك : قمت فى حاجتك كما كنت أنهض بها . إنتهى .

وروى : « صبابةٌ » بدلَ « ضمانة » ، وهى رقَّة الشوق . قال الطَّبْرِسى [(٢)] : والأجود حينئذ أن تكون ما موصوفة لا موصولة ، لأنَّ القصدَ تشبيه صبابةٍ مجهولة بمثلها ، والتقدير : عرتنى صبابة تشبه صبابةً كنت أكابدُها فيك زمن إطلاق .

جعفر بن عُلبة

وجعفر بن عُلبة ، بضم العين المهملة وسكون اللام بعدها موحَّدة ، ينتهى نسبه إلى كعب بن الحارث . والحارث : قبيلة من اليمن . قال الأصفهانى ( فى

---

(١) فى النسختين : « من » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة لابن جنى ١٥ .

(٢) ط : « الطيبرسى » ، صوابه ما أثبت من ش . وانظر ما سبق فى حواشى ٨ : ٣٨٥ .

الأغانى ) : ويكنى جعفرٌ أبا عارمٍ ، بولدٍ له . وهو من مخضرمى الدولتين الأمويَّة والعباسية . وجعفرٌ شاعرٌ مقلٌّ غزِل ، فارسٌ مذكور فى قومه . وقُتِل جعفرٌ فى قِصاصٍ اختُلف فى سببه على ثلاثة أقوال ، ثالثها : أنّها كان يزُور نساءً من عُقَيل ابن كعب [١] ، وكانوا متجاورِين ، هم وبنو الحارث ، فأخذتْه عُقَيل وكشَفوا عورتَه ، وكَتَفوه وضربُوه بالسِّياط ، ثم أقبلُوا به إلى النسوة اللاتى كان يتحدَّث إليهنّ ليغيظوهنَّ ويفضحوه عندهنّ ، فقال لهم : يا قومِ لا تفعلوا فإنّ هذا الفعلَ مُثْلة ، وأنا أحلف لكم أنْ لا أزورَ بيوتَكم أبداً . فلم يقبلوا منه ، فقال لهم : حسبُكم ما مضى ومُنُّوا علىَّ بالكفِّ عنِّى ، فإنِّى أعُدُّهُ نعمةً لكم لا أكفرُها أبدا ، أو فاقتلونى وأريحونى فأكونَ رجلاً آذى قومَه فى دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجَعَلوا يكشفون عورتَه بين أيدِى النِّساء ، ويَضربونه ويُغْرون به سفهاءَهم حتّى شفَوْا أنفسهم منه ، ثم خلَّوا سبيلَه ، فلم تمض إلاّ أيامٌ قليلةٌ حتَّى عاد جعفر ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوتَ ثم مضى . فلمَّا كان فى نُقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عُقيل أقْفَى خلقِ الله لأثَر ، فتبعوهُ حتَّى انتهَوْا إليه ، وليس معهم سِلاحٌ ولا عصاً ، فوثب عليهم جعفرٌ وصاحباه بالسُّيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخرَ وافترقوا . فاستعدَتْ عليهم عُقيلٌ السرىَّ بنَ عبدِ الله الهاشمى ، عاملَ المنصور على مكةَ ، فأحضرَهُم وحبسَهم وأقاد من الجارح ، ودافع عن جعفر ، وكان يحبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ لخؤولة السفاح فى بنى الحارث ، ولأنَّ أختَ جعفر كانت تحتَ السرىّ ، وكانت حَظِيَّةً [٢] عنده ، إلى أن أقاموا عنده قسامةً أنّه قتل صاحبَهم ، وتوعّدوه بالخروج إلى أبى جعفر المنصور والتظلُّم

---

(١) عقيل هذا ضبط فى الاشتقاق ٢٩٧ بهيئة التصغير ، قال ابن دريد : « إمّا تصغير عقل أو تصغير أعقل ، والعقل ( بالتحريك ) : دنوّ الركبتين ، وهو دون الصكك » .

(٢) الحظية : المرأة تحظى عند زوجها وتعلو مكانتها . ط : « حظيته » ، وأثبت ما فى ش والأغانى ١١ : ١٤٤ .

إليه ، فحينئذ دعا جعفراً وأقَاد منه . فلما خرج جعفرٌ إلى القَوَد انقطع شِسْعُ نعله ، فوقَف فأصلحه ، فقال له رجلٌ : ما يشغلُك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشدُّ قِبالَ نعلىَ أن يرانى عدوِّى للحوادثِ مُستكينا

وعن أبى عبيدة أنّه قال : لما قُتل جعفرٌ قام نساءُ الحىِّ يبكين عليه ، وقام أبوه إلى كلِّ شاةٍ وناقةٍ فنحر أولادَها وألقاها بين أيديها ، وقال : ابكِينَ معنا على جعفر . فما زالت النُّوق ترغو ، والشِّياهُ تثغُو ، والنِّساء يَصِحن ويبكين ، وهو يبكى معهُنَّ ، فما رُئِىَ يومٌ كان أوجعَ وأحرقَ مأتما منه [١] .

وأطال صاحبُ الأغانى ترجمتَه ، وفى هذا القدر كفاية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

**٨٥٤** ( فمن يَكُ أمسَى بالمدينةِ رَحْلهُ فإنِّى وقيّارٌ بها لَغَرِيبُ )

على أنّ قوله : « قيّار » مبتدأ حذف خبره ، والجملة اعتراضية بين اسم إنّ وخبرها ، والتقدير : فإنّى وقيار بها كذلك لَغريب .

وإنمَّا لمْ يجُعل الخبر لقيَّار ويكون خبر إنّ محذوفاً لأنَّ اللام لا تدخل فى خبر المبتدأ حتّى يقدَّم ، نحو : لقائم زيد . وكذلك الصَّابئون فى الآية مبتدأ خبره محذوف ، والجملة اعتراض كذلك كما قرَّره الشارح .

---

(١) فى الأغانى ١١ : ١٤٦ : « فما رئى يوم كان أوجع وأحرق مأتما فى العرب من يومئذ » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨ . وانظر نوادر أبى زيد ٢٠ ومعانى الفراء ١ : ٣١١ ومجالس ثعلب ٣١٦ ، ٥٩٨ والشعراء ٣٥١ والكامل ١٨١ والأصول ١ : ٣١٢ والإنصاف ٩٤ وابن يعيش ١ : ٩٣/ ٨ : ٦٨ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٥ والهمع ٢ : ١٤٤ والتصريح ١ : ٢٢٨ والأشباه والنظائر ١ : ٤٢ والأشمونى ١ : ٢٦٨ .

وهذا تخريجٌ له خلاف مذهب سيبويه ، فإنَّ الجملة عنده فى نية التأخير ، وهى معطوفة لا معترضة ، كما تقدم نصُّه وإيضاحُه فى كلام الكشّاف . وكأنَّه عدَل عنه لئلاَّ يلزم تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوفِ عليها ، كما أورده عليه ابن هشام ( فى المغنى ) . وجوَّز السيرافى أن يكون الخبر للصابئين ويكون خبر إنّ محذوفا كما تقدَّم عنه . وأورَدَ عليه أيضاً ابنُ هشام بأنّ فيه الحذفَ من الأوَّل لدلالة الثانى ، وإنمّا الكثير العكس .

٣٢٤

وذهب الفرّاء إلى أنَّ الصابئون معطوفٌ على اسم إنّ فيشاركه فى الخبر ، فهو من عطف مفرد على مفرد ، وهذا نصُّه فى تفسير الآية قال : وأمَّا الصابئون فإنّ رفعه على أنّه عطفٌ على الذين ، والذين حرف على جهةٍ واحدة فى رفعه ونصبه وخفضه [1] ، فلما كان إعرابُه واحدا وكان نصب إنّ ضعيفا ، وضعفُه أنّه يقع على الاسم ولا يقع على خبره ، جاز رفع الصابئين . ولا أستحبُّ أن أقول : إنّ عبدَ الله وزيدٌ قائمان ، لتبيُّنِ الإعراب فى عبدَ الله . وقد كان الكسائىُّ يجيزه لضعف إنّ . وقد أنشدوا هذا البيت رفعاً ونصبا :

فمن يكُ أمسى بالمدينةِ رحلُه ... فإنّى وقياراً بها لغــــريبُ

و « قيارٌ » . وليس هذا بحجّة للكسائى فى إجازته : إنّ عمرا وزيدٌ قائمان ، لأنَّ قيارًا قد عطف على اسم مكنىّ عنه ، والمكنىّ لا إعرابَ له فسُهل ذلك كما سهل فى الذِين إذا عطفتَ عليه الصابئون . وهذا أقوى فى الجواز من الصابئونَ ، لأنَّ المكنىّ لا يتبيَّن فيه الرفع فى حال . والذين قد يقال اللذون فيُرفَع فى حال . وأنشدنى :

---

(١) يعنى أنه مبنى ، لا يظهر عليه الإعراب .

وإلاّ فاعلمُوا أنّا وأنتم بُغاةٌ ما حَيِينا فى شِقاقِ [(١)]

وقال آخر :

يا ليتنى وأنتِ يا لميسُ ببلدٍ ليس به أنيسُ [(٢)]

وأنشدنى بعضهم :

ياليتنى وهُما نَخْلو بمنزلةٍ حتَّى يرى بعضُنا بعضا ونأتلفُ [(٣)]

قال الكسائىُّ : أرفعُ الصابئون على إتباعه الاسم الذى فى هادُوا ، ونجعله [(٤)] من قوله : ﴿ إنَّا هُدْنا إليك [(٥)] ﴾ ، لا من اليهوديّة . وجاء التفسير بغير ذلك ، لأنّه وصفَ الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ثم ذكر اليهود والنصارى فقال : من آمن منهم فله كذا ، فجعلهم يهوداً ونصارى . انتهى كلام الفراء .

قال الزجاج فى تفسير الآية بعد أن نقل مذهب الكسائىِّ والفراء : هذا التفسير إقدامٌ عظيم على كتاب الله ، وذلك أنَّهم زعموا أنّ نصب إنّ ضعيف ، لأنّها إنَّما تغيِّر الاسم ولا تغيِّر الخبر . وهذا غلط لأنّ إنَّ قد عملت عملين : الرفع والنصب ، وليس فى العربية ناصب ليس معه مرفوع ، لأنَّ كل منصوب مشبَّه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلاّ فيما لم يسمَّ فاعله . وكيف يكون نصب إنّ ضعيفا وهى تتخطَّى الظروف فتنصب ما بعدها نحو : ﴿ إنّ فيها قوماً جبَّارين [(٦)] ﴾ ، ونصب إنّ من أقوى المنصوبات . وقال الكسائىُ : الصابئون نَسَقٌ

---

(١) هو الشاهد ٨٥٢ السابق قريبا .

(٢) الرجز لجران العود ، وهو الشاهد ٨٠٤ .

(٣) انظر الضرائر لابن عصفور ٢٦٠ .

(٤) فى معانى الفراء ١ : ٣١٢ : « ويجعله » .

(٥) من الآية ١٥٦ فى سورة الأعراف . والمراد بهدنا : رجعنا إلى الحق وتبنا .

(٦) الآية ٢٢ من سورة المائدة .

على ما فى هادوا ، كأنّه قال : هادوا هم والصابئون . وهذا القول خطأ من جهتين : إحداهما أنَّ الصابئ لا يشارك اليهوديَّ فى اليهودية . وإنْ ذَكَر أنّ هادوا فى معنى تابوا فهذا خطأ فى هذا الموضع أيضاً ، لأنّ معنى الذين آمنوا ههنا إنّما هو إيمانٌ بأفواهِهم ؛ لأنّه يُعنَى به المنافقون [١] . وقال سيبويه والخليلُ وجميعُ البَصريِّين : إنَّ الصابئين محمولٌ على التأخير ومرفوع بالابتداء ، المعنى : إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا من آمن بالله واليومِ الآخر فلا خوفٌ عليهم ، والصَّابئون والنصارى كذلك أيضا . وأنشدوا فى ذلك قولَ الشاعر : ٣٢٥

* وإلاّ فاعلمُوا أنَّا وأنتم * .... البيت

المعنى : أنَّا بغاةٌ وأنتم أيضا كذلك . وزعم سيبويه أنّ قوماً من العرب يَغْلَطون فيقولونَ :إنَّهم أجمعُون ذاهبون ، وإنَّك وزيدٌ ذاهبان . فجعل سيبويه هذا غلطاً ، وجعله كقول الشاعر :

بدا لىَ أنّى لستُ مدرِكَ ما مضَى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

انتهى كلام الزجاجى .

ومراد سيبويه بالغلط توهُّم عدم ذكر إنّ ، لا حقيقة الغلط . كيف وهو القائل إنَّ العرب لا تطاوعُهم ألسنتُهم فى اللحن والخطأ ، كما نُقل عنه فى المسألة الزُّنبورية .

قال الشاطبى ( فى شرح الألفية ) : يعنى سيبويه أنَّهم توهَّموا أنْ ليس ثَمَّ إنَّ ، حتّى كأنَّهم قالوا : هم أجمعون ذاهبون ، وأنت وزيدٌ ذاهبان . وأنَّسَ بهذا عدَمُ ظهورِ الإعراب فى اسم أنَّ فى الموضعين . والدّليل على صحة هذا أنَّه لم

---

(١) بعده فى تفسير الزجاج ٢ : ٢١٤ : « ألا ترى أنه قال : من آمن بالله ؟ فلو كانوا مؤمنين لم يحتج أن يقال إن آمنوا فلهم أجرهم » .

يجىْء فيما ظهر فيه الإعراب ، نحو : إنّ زيداً وعمرٌو قائمان ، إذ لو كان الرفع على غير التوهُّم لكان خليقاً أن يجىء مع ظهوره . فلمَّا لم يكن كذلك دلَّ على أنّهم اعتقدوا أنّ المنصوب مرفوع ، فعطفوا على اللفظ كما قال الشاعر : « ولا سابقٍ شيئا » بالخفض ، متوهِّما أنّه قال : لست بمدركٍ ما مضى ، فلذلك جعله سيبويه من باب الغلط . والله أعلم . انتهى .

وكذا ( فى المغنى لابن هشام ) قال : أُجيبَ عنه بأمرين : أحدهما : أنّه عطف على توهُّم عدم ذكر إنّ . والثانى أنّه تابعٌ لمبتدأٍ محذوف ، أى إنّك أنت وزيدٌ ذاهبان . وعليهما خرِّج قولهم : إنّهم أجمعون ذاهبون . انتهى .

وفى أمالى الزجاجى الصغرى [١] : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رُستَم الطَّبرىُّ قال : أخبرنا أبو عثمانَ المازنىّ قال : قرأ محمد بن سليمان الهاشمى ، وهو أمير البصرة ، على المِنبر : ﴿ إنّ اللهَ وملائكتهُ يُصلُّونَ عَلَى النّبى [٢] ﴾ ، بالرفع ، فعلم أنَّه قد لَحن ، فبعث إلى النحويِّين وقال لهم : خرِّجوا له وجها . فقالوا : نعطف به على موضع إنّ ، لأنَّها داخلة على المبتدأ والخبر . فأحسَنَ صِلتهم ولم يرجع عنها ، لئلاً يقال لحن الأمير .

وأخبرنا أبو إسحاق الزجاجُ قال : أخبرنا أبو العباس المبَرِّد عن المازنىِّ قال : حدَّثنى الأخفش قال : كان أميرٌ فى البَصرة يقرأ على المِنبر : ﴿ إنّ الله وملائكته يُصَلُّون على النبى [٢] ﴾ ، بالرفع ، فصرتُ إليه ناصحاً له ، ومنبِّها ، فتهدَّدنى وأوعَدَنى وقال : تلحِّنون أمراءكم ! ثم عُزِل وتقلَّد محمد بن سُليمان

---

(١) الخبر كذلك فى مجالس العلماء ٥٤ — ٥٥ وإنباه الرواة ٢ : ٤٣ . وطرف منه فى البيان ١ : ٢٩٥ . وانظر ملحقات أمالى الزجاجى ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٢) الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

الهاشمىُّ ، فكأنّه تلقّنها مِن فِى المعزول [١] فقلت : هذا هاشمىٌّ نصيحتُه واجبة ، فجبُنْتُ عنه وخشِيتُ أنْ يتلقّانى بمثلِ ما تلقّانى به الأوّل ، ثم حَمَلتُ على نفسى فأتيتُه فإذا هو فى غرفةٍ له ، وعنده أخوه ، والغِلمانُ على رأسه ، فقلت : هذا . وأومأتُ إلى أخيه . فنهضَ أخوه وتفرّق الغِلمان ، فقلت : أصلحَ الله الأمير ، أنتم أهلُ بيتِ النُّبوَّةِ ، ومَعدِنُ الرسالِة والفصاحة وتقرأ : « إنّ الله وملائكتُه » بالرفع ، وهو لحنٌ ولا وجهَ له ! فقال : جزاكَ الله خيرًا ، قد نبَّهتَ ونصَحْت ، فانصرِفْ مشكوراً . فانصرفتُ فلمّا صِرتُ فى نِصف الدرجة إذا قائلٌ يقول لى : قف . فوقفتُ وخِفت أن يكون أخوه أغراهُ بى ، فإذا بغلةٌ سَفْواءُ [٢] وغُلامٌ وبَدْرة [٣] ، وتختُ ثياب [٤] ، وقائلٌ يقول : هذا لك ، قد أمر به الأمير . فانصرفتُ مغتبطا [٥] . انتهى كلامه .

٣٢٦

هذا وقد أنشد سيبويه البيتَ بنصب قيَّار ، وأورده فى باب التنازع من أول الكتاب مستشهداً به لتقوية ما جاز مِن حذف المفعول الذى هو فضلةٌ مستغنًى عنها ، فى قولهم : ضربتُ وضربنى زيد .

قال السيرافى : يجوز أن يكون لَغريبُ خبر إنّى ، وخبر قيار محذوفا . ويجوز العكس . انتهى .

وكذلك رواه أبو زيد ( فى نوادرهِ ) بالنصب لا غير . قال السُّكَّرىّ : أراد : فإنى لغريب وإنّ قيارًا أيضاً لغريب . ولو قال لغريبان كان أجود . قال أبو عُمَر :

---

(١) فى مجالس العلماء : « من المعزول » فقط . وفى إنباه الرواة : « من فم المعزول » .

(٢) السفواء من البغال : السريعة ، أو هى الخفيفة الناصية .

(٣) البدرة ، بالفتح : كيس به مقدار من المال يقدم فى العطاء ، واختلف مقداره باختلاف العهود .

(٤) التخت : وعاء تحفظ فيه الثياب .

(٥) فى مجالس العلماء : « مغتبطا بذلك كلّه » .

بعضهم يُنشِد فإنّى وقيارٌ بالرفع ، والنصبُ أجود ، كأنّه أراد فإنّى لغريب وقيارٌ ، ثم قدَّم هذا بعد ما كان موضعُه التأخير . فعلى هذا يجوز الرفع . انتهى ما فى نوادر أبى زيد .

وكذلك رواه المبرد ( فى الكامل ) بالنصب وقال : فإنّى وقيارًا بها لَغريبُ ، أراد : فإنى لغريبٌ بها وقيّارًا . ولو رفع لكان جيّدا . تقول : إنّ زيداً منطلقٌ وعمراً ، وعمرٌو . انتهى .

واعلم أنَّ العينىَّ قد خبَطَ هنا وخلَّط ، فإنّ ابن هشام أنشد البيت ( فى شرح الألفية ) بالرفع ، وهو شَرَحَه بتوجيهِ من رواه بالنصب ، قال : قوله فإنّى الضميرُ اسم إنّ وخبَرُها محذوف . ويقال لغريبُ خبر إنّى ، وقيارٌ مبتدأ وخبره محذوف . ويقال : لغريبُ خبر عن الاسمين جميعاً ، لأنَّ فعيلا يُخْبَر بِهِ عن الواحد فما فوقه ، نحو : ﴿ والملائكةُ بَعْدَ ذلك ظهير [1] ﴾ . وردَّه شيخ شيخى الخَلخالىُّ بأنَّه لا يكون للاثنين وإن كان يجوز كونُه للجمع . وكذلك قال فى فعول فقال : لا يقال رجلان صَبُورٌ وإنْ صحَّ فى الجمع . وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ عن اليمينِ وعن الشِّمالِ قعيدٌ [2] ﴾ إنَّ المرادَ قعيدان . ثمّ كلامه يُوهِم أنّ ذلك يقال بالقياس ، وليس كذلك ، وإنّما المانع فى البيت من أن يكون غريب خبراً عن الاسمين هو لزوم توارد عاملَين على الخبر ، وإنَّما يصحُّ هذا على رأى الكوفيين . هذا كلامه .

وقوله : « خبر إنّ محذوفٌ » ، هذا أحد وجهَىْ ما جوَّزه السيرافى فى رواية النصب كما تقدَّم . وأمَّا على رواية الرفع فيتعيَّن جعلُ قوله لغريب خبر إنّى ، ولا يجوز أنْ يكون خبراً لقيّار ، لأنَّ خبر المبتدأ لا يجوز أن يقترن باللام إلاّ إذا تقدَّم على

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .

(٢) الآية ١٧ من سورة ق .

المبتدأ ، نحو لقائمٌ زيد . وقوله : « ويقال لَغريبٌ خبر عن الاسمين جميعا » ، هذا إنّما يُتصوَّر على رواية نصب قيَّار لا على رواية رفعه . وفى بقيَّة كلامه ما لا يخفى على المتأمِّل .

وهذا البيت أورده صاحب ( تلخيص المفتاح ) فى أول باب المسند ، على أنّه قد يحذف المسند لقصد الاختصار والاحتراز عن العَبث فى الظّاهر ، مع ضيق المقام بِسبب التحسُّر ومحافظة الوزن [1] . وهذه النُّكتة تجرى فيه على رواية نصب قيّار ورفعه ، فلا ينبغى قصرُها على رواية الرفع كما صنع السعد ( فى المطوَّل ) ، وتبعه العبَّاسىُّ ( فى معاهد التنصيص ) ، وكأنّه لم تبلغهما رواية النصب .

ولفظ البيت خبرٌ ومعناه التحسُّر على الغُربة ، والتوجُّعُ من الكُرْبة .

و ( قيَّار ) بفتح القاف وتشديد المثناة التحتية ، قال أبو زيد ( فى نوادره ) : هو اسم جَمَلِهِ . ونُقل عن الخليل أنّه اسمُ فرسٍ له غبراء ، وإليه ذهب أبو محمَّدٍ الأعرابىُّ ( فى فُرحة الأديب ) ، وقال : هو الفرس الذى أوطأَهُ ضابىءٌ بعضَ صبيان أهل المدينة [2] حين أخذه عثمانِ وحبسَه . وقيل : اسم رجل . قاله العينى . ٣٢٧

والسِّرُّ فى تقديمه على الأوَّلين قصد التسوية بينهما فى التحسُّر على الاغتراب ، كأنَّه أثّر فى غير ذوى العقول أيضاً . ولو قال : إنِّى غريب وقيارٌ ، لجاز أن يتوهَّم أنَّ له مزيَّةً على قيّار فى التأثر عن الغُربة ، لأنَّ ثبوت الحكم أوَّلاً أقوى ، فقدَّمه لذلك . قاله السعد .

و ( الرحل ) : المنزِل والمأوَى . ورواية أبى زيد [3] :

---

(١) ط : « محافظة الورق » ، صوابه فى ش .

(٢) كلمة « بعض » ساقطة من ش .

(٣) ط : « أبو زيد » .

* من يك أمسى بالمدينة رهطه *

بدون الفاء فى أوله ، على الخرْم بالراء المهملة . وكذا رواية المبرد ( فى الكامل ) .

صاحب الشاهد

وهو أول أبياتٍ لضابئ بن الحارث البُرجُمى ، قالها وهو محبوسٌ بالمدينة فى زمن عثمان بنِ عفّانَ رضى الله عنه . وبعده أبياتٌ ثلاثة أوردها المبرِّد ( فى الكامل ) [1] ، وهى :

أبيات الشاهد

( وما عاجلات الطَّير تُدِنى من الفتى نَجاحاً ، ولا عن رَيْثهنَّ يخيبُ
ورُبَّ أمـــورٍ لا تَضيرك ضَيرةً وللقـلب من مَخشاتهنَّ وجـيبُ
ولا خيرَ فيمن لا يوطِّـنُ نفسَه على نائبات الدَّهرِ حين تنوبُ )

وزاد بعدها بيتاً ابن قُتيبة ( فى ترجمة قائلها من كتاب الشعراء ) ، وهو :

( وفى الشكِّ تفريطٌ وفى الحزم قُوَّةٌ ويُخْطِى الفتى فى حَدْسه ويُصيبُ )

وزاد بعده بيتا أبو تمام ( فى مختار أشعار القبائل ) ، وهو :

( ولستَ بمستبقٍ صديقاً ولا أخاً إذا لم تَعُدَّ الشَّىءَ وهو يُريبُ )

قوله : ( أمسَى بالمدينة رَحْلُه ) الرحل : المنزل . وروى : « رهطه » ، رهط الرَّجلِ : قومُه وقبيلته الأقربُون . وقوله : « وما عاجلاتُ الطَّير » إلخ قال المبرد ( فى الكامل ) : يقول إذا لم تَعْجَل له طيرٌ سانحةٌ فليس ذلك بمبعدٍ خيْراً عنه ، ولا إذا أبطأت خاب ، فعاجلها لا يأتيه بخير ، وآجلها لا يدفع عنه ، إنَّما له ما قُدِّر له . والعرب تزجُر على السانح وتتبرَّك به ، وتكره البارح وتتشاءم به . والسانح : ما أراك

---

(١) الذى فى الكامل : « ومن يك أمسى » بالواو ، سالما من الخرم .

مَياسرِهُ [١] فأمكن الصَّائد . والبارح : ما أراكَ مَيامِنَهُ [٢] فلم يُمكن الصائدِ إلاّ أن يتحرَّف له . قال الشاعر :

لا يعلم المرءُ ليلاً ما يصبِّحُه     إلاَّ كواذبَ مما يُخبر الفالُ

والفالُ والزجر والكُهَّان كُلُّهم     مُضَلَّلون ودُونَ الغيبِ أقفال .انتهى .

وقال ابن خلف : إذا خرج الإنسانُ من منزلِهِ فأراد أن يزجُر الطَّيرَ فما مرّ به فى أوّل ما يُبصر ، فهو عاجلات الطير . وإن أبطأَت عنه وانتظرها فقد راثَت ، أى أبطأت . والأوَّل عندهم محمود ، والثانى مذموم . يقول : ليس النُّجح بأنْ يعجِّل الطائر الطَّيرانَ كما يقول الذين يزجُرون الطَّير ، ولا الخيبةُ فى إبطائها . وهذا ردٌّ على مذهب الأعراب .

وقوله : « وربَّ أمُورٍ لا تضيرك » إلخ قال المبرد : تقول ضاره يَضيره ، ولا ضَيْر عليه ، وضَرَّه يضرُّه ولا ضَرَّ عليه . ويقال أصابه ضُرٌّ بالضم ، وأصابه ضَرٌّ [٣] بمعنىً . والضَّرُّ بالفتح : مصدر ، والضُّرُّ بالضم : اسم . وقد يكون الضُّرُّ من المرض ، والضَّرُّ عامًّا . وهذا معنىً حسن .

وقد قال أحد المحدَثين ، وهو أبو العتاهية :

وقد يَهلِكُ الإنسانُ من باب أَمنِه     وينجو بإذنِ الله من حيثُ يحذَرُ [٤]

وقال الله عز وجل : ﴿ فعسَىَ أنْ تَكرَهُوا شيئاً ويَجْعلَ اللّٰهُ فيه خيراً كثيراً [٥] ﴾ . انتهى . ٣٢٨

---

(١) فى النسختين : « ما أتاك مياسرة » ، وأثبت ما فى الكامل ١٨٢ .

(٢) فى النسختين : « ما أتاك ميامنة » ، وأثبت ما فى الكامل .

(٣) فى النسختين : « ضرر » ، صوابه من الكامل ١٨٣ .

(٤) فى ديوان أبى العتاهية ١٥١ : « وينجو لعمر الله » .

(٥) الآية ١٩ من سورة النساء .

والمَخشاة : مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الخشية ، وهى الخوف . والوجيب : السُّقوط ، والخَفَقان ، والاضطراب .

وقوله : « ولا خير فيمن لا يوِّطن نفسه » ، قال المبرد : نظيره قول كثيِّر :

أقول لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النّفسُ ذَلَّتِ[١]

وكان عبد الملك بن مَرْوان يقول : لو كان هذا البيتُ فى صفة الحرب لكان أشعَرَ الناس .

وحُكى عن بعض الصالحين أنَّ ابناً له مات فلم يُرَ بهِ جزعٌ ، فقيل له فى ذلك ، فقال : هذا أمرٌ كنّا نتوقَّعه ، فلما وقع لم نُنكره .

وقوله « إذا لم تَعَدَّ الشئ » أى إذا لم تتعدّه [٢] وتتجاوَزْه . ويُريب ، مِن أراب الشئ ، إذا أوقعَ فى ريبة وشُبهة .

وسبب هذه الأبياتِ مع ترجمة قائِلها تقدَّم فى الشاهد التاسع والأربعين بعد السبعمائة [٣] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الثمانمائة [٤] :

٨٥٥ ( أُمُّ الحُلَيسِ لَعجوزٌ شَهرَبَهْ )

---

(١) ديوان كثير ٩٧ والإنصاف ٤٦٢ .

(٢) فى النسختين : « إذا لم تتعداه » ، صوابه ما أثبت .

(٣) الخزانة ٩ : ٣٢٣ — ٣٢٧ .

(٤) الأصول لابن السراج ١ : ٣٣٣ وابن يعيش ٣ : ١٣٠ / ٧ : ٥٧ / ٨ : ٢٣ والضرائر ٥٩ ورصف المبانى ٣٣٦ والمغنى ٢٣٠ ، ٢٣٣ والعينى ١ : ٥٣٤/ ٢ : ١٥١/ ٤ : ٤٣٩ عرضا واللسان ( شهرب ) وملحق ديوان رؤبة ١٧٠ .

على أنَّه شذَّ دخول اللام على خبر المبتدأ المؤخر مجرّدًا من إنَّ كما هنا . وقدَّر بعضُهم : لهى عجوز ، لتكون فى التقدير داخلةً على المبتدأ (١) .

قال ابن السراج ( فى الأصول ) : قال أبو عثمان : وقرأ سعيد بن جُبير : ﴿ إلاَّ أنَّهم لَيأْكُلونَ الطَّعام (٢) ﴾ ، فتح أنَّ وجعلَ اللام زائدة ، كما زيدت فى قوله :

أُمُّ الحُليس لعجوزٌ شَهرَبَهْ ترضَى من اللّحمِ بعَظْم الرَّقَبَهْ

انتهى .

وعند ابن جنى غير زائدة ، لكنها فى البيت ضرورة . قال ( فى سر الصناعة ) : وأما الضرورة التى تدخل لها اللام فى غير خبر إنّ فمن ضرورات الشعر ، ولا يقاس عليها . والوجه أنْ يقال : لَأُمُّ الحليس عجوزٌ شَهْرَبه ، كما يقال : لزيدٌ قائم . وقال الآخر :

خالى لأنتَ ومَنْ جريرٌ خالُه يَنَلِ السَّماءَ ويكرُمِ الأخوالا(٣)

فهذا يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون أراد : لخالى أنت ، فأخَّر اللام إلى الخبر ضرورة . والآخر : أن يكون أراد : لأنت خالى ، فقدم الخبرَ على المبتدأ وإن كانت فيه اللام ضرورة . وأخبرنى أبو على أنّ أبا الحسَن حَكَى : إنَّ زيداً وجهُه لَحسَنٌ . فهذه أيضا ضرورة . وربَّما أدخلوها فى خبر أَنّ المفتوحة ، أخبرنا على بن محمد يرفعُه بإسناده إلى قطرب :

ألم تكنْ حلفتَ بالله العَلى أنَّ مطاياك لَمن خيرِ المَطِى(٤)

---

(١) فى شرح الرضى ٢ : ٣٣١ : « داخلة فى المبتدأ كما شذ فى خبر أن المفتوحة .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفرقان .

(٣) العينى ١ : ٥٥٦ والتصريح ١ : ١٧٤ والأشمونى ١ : ٢١١ .

(٤) انظر الخصائص ١ : ٣١٥ والضرائر ٥٧ والهمع ١ : ١٤٠ واللسان ( مطا ) .

والوجه هنا كسر إنّ لتزولَ الضرورة ، إلاّ أنّا سمعناها مفتوحة الهمزة . انتهى .

وكذا عدَّ هذا ابن عصفور من الضرائر ، مع أنَّه أورد الآية وما حكاه أبو الحسن الأخفش ، وجعَلهُما من الشاذّ .

وأمَّا التخريج على إضمار المبتدأ فلم يرتضه ابنُ جنى ، لما فيه من الجمع بين حذف المؤكَّد وتوكيده . قال بعدَ ما نقلنا عنه : وأخبرنا أبو علىّ أنّ أبا إسحاق ذهب فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ هذانِ لسَاحِران [1] ﴾ إلى أنَّ إنَّ بمعنى نعم ، وهذانِ مرفوع بالابتداء ، وأنَّ اللام فى لساحران داخلةٌ فى موضعها على غير ضرورة ، والتقدير على هذا : نَعَمْ هذان لَهما ساحران . وحَكَى عن أبى إسحاق أنّه قال : هذا الذى عندى فيه . والله أعلم . وكنتُ عرضتُه على عالمنا محمد بن يزيد ، وعلى إسماعيل بن إسحاق [2] فقبلاه وذكرا أنّه أجودُ ما سمعناه .

٣٢٩

واعلمْ أنّ هذا الذى رواه أبو إسحاق فى هذه المسألة مدخُولٌ غير صحيح ، وأنا أذكرُه لتقفَ منه على ما فى قوله . ووجه الخطأ فيه أنّ هما المحذوفة التى قدّرها مرفوعةً بالابتداء ، لم تحذف إلاّ بعد العلم بها والمعرفة بموضعها . وكذلك كلُّ محذوفٍ لا يُحذف إلاَّ مع العلم به ، ولولا ذلك لكان فى حذفه مع الجَهْل بمكانه ، ضربٌ من تكليف علم الغَيب للمخاطب . وإذا كان معروفاً فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام . ألا ترى أنّه يقبُح أن تأتى بالمؤكّد وتترك

---

(١) الآية ٦٣ من سورة طه .

(٢) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم ، أبو إسحاق القاضى . ترجم له البغدادى فى التاريخ ٦ : ٢٨٤ — ٢٩٠ وياقوت فى معجمه ٦ : ١٢٩ — ١٤٠ والسيوطى فى البغية ١٩٣.وذكر الخطيب البغدادى أن المبرد كان يقول فى شأنه : « القاضى أعلم منى بالتصريف » . وله كتاب أحكام القرآن ، ومعانى القرآن وغيرهما . ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٨٢ .

المؤكَّد فلا تأتَى به ؟ أوَ لا تَرى أنَّ التأكيد من مواضع [١] الإسهاب والإطناب ، والحذفَ من مواضع الاكتفاء والاختصار ؟! فهما إذن لمَا ذكرتُ من ذلكَ ضِدَّانِ ، لا يجوز أن يشتمل عليهما عقد كلام [٢] . ويزيدُك وضوحاً امتناعُ أصحابِنا من تأكيد الضمير المحذوف العائد على المبتدأ ، فى نحو : زَيدٌ ضربت ، فيمن أجازه ، فلا يجيزون : زيدٌ ضربتُ نفسَه ، على أن تجعل النفسَ توكيداً للهاء المرادة فى ضربته ، لأنَّ الحذف لا يكون إلاّ بعد التحقُّق والعلم ، وإذا كان ذلك كذلك فقد استغنى عن تأكيده . ويؤكِّد عندك ما ذكرتُ لك أنّ أبا عثمان وغيرَه من النحويِّين حمَلُوا قولَ الشاعر :

* أمُّ الحُليسِ لَعجوزٌ شَهربَه *

على أنَّ الشاعر أدخل اللام على الخبر ضرورة . ولو كان ما ذهب إليه أبو إسحاق جائزاً لما عدَل عنه النحويُّون ، ولا حَمَلوا الكلامَ على الاضطرار ، إذا وجدوا له وجهاً ظاهراً قويًّا .

وحذف المبتدأ وإن كان سائغاً فى مواضعَ كثيرة فإنّه إذا نُقِل عن أوّل الكلام قبُح حذفه . ألا تَرى إلى ضعف قراءِة من قرأ : ﴿ تماماً على الذى أحسَنُ [٣] ﴾ ، قالوا : ووجه قُبحه أنّه حذف المبتدأ فى موضع الإيضاح والبيان ، لأنّ الصلة وقعَتْ فى الكلام ، فغير لائقٍ به الحذف . وإذا طال الكلام جاز فيه من الحذف ما لا يجوز فيه إذا قصُر . ألا ترى إلى ما حكاه الخليل من قولهم : ما أنا بالذى قائلٌ لك شيئاً . ولو قلت : ما أنا بالذى قائم لقبُح . انتهى .

---

(١) ما بعده إلى كلمة « مواضع » التالية ساقط من ش .

(٢) ش : « عقد الكلام » .

(٣) الآية ١٥٤ من سورة الإنعام . وقراءة الرفع سبق التنبيه عليها فى حواشى صفحة ٢٠٥ .

وذهب صاحب اللباب إلى أنّ اللام إنّما دخلت على الخبر لتوهُّم ذكر إنَّ ، فكأنّه قيل : إنّ أمّ الحليس .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه الصاغانى ( فى العباب ) إلى عَنترة بنِ عَرْوَش ، [ قال فى مادة ( شهرب ) : الشَّهْرَبة : العجوز الكبيرة ، مثل الشَّهبرة . قال عنترة بن عَرْوَش [1] ] : « أم الحليس » البيت . قال بعض الناس : اللام مقحمة فى لَعَجوزٌ .

وأنشد الآمدى [2] فى ترجمة عنترة هذا :

* ربَّ عجوز من سُليم شَهربَه *

انتهى .

وقد رجعت إلى المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء للآمدى ، ولم أر فيه البيت الذى نقله عنه . وهذا مافيه :

عنترة بن عَروس

ومنهم : عنترة بن عَرُوس مولى ثقيف ، وكان عَروسٌ مولّدًا ولد فى بلاد أزد شنوءة ، شاعراً . وكان يزيد بن ضبّة الثقفى هَجاه ، فقال يهجو عَمَّارة امرأة يزيد :

تقول عَمّارة لى يا عنترهْ شَقَّ حِرِى هذا العظيمُ الحَوثَره

وهى أبيات تسعة وقافيتها رائيَّة ، خلافُ ما نقل . والله أعلم .

وعروس فيه بلفظ العروس المعروف ، لا بالشين المعجمة على وزن جعفر ، كما فى خطِّه .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) انظر المؤتلف والمختلف ١٥٢ .

وهذا الشعر مذكورٌ ( فى صحاح الجوهرى ) أيضاً فى تلك المادة . ولم يتعرَّض له ابن بَرّىّ ولا الصَّفَدىُّ فيما كتبا على الصحاح بشىء . والله أعلم بقائله .

وقال العينى : قائله رؤبة بن العجَّاج . ونسبه الصَّاغانى ( فى العباب ) إلى عنترة بن عَرْوَش ، وهو الصحيح . هذا كلامه .

والحُليس ، بضم الحاء المهملة وفتح اللام ، ومِنْ فى البيت الثانى للبدل ، أى ترضى بدل اللَّحم . وقدَّر العينى مضافاً قبل عظم ، وقال : التقدير ترضى بدل اللحم بلحمِ عظم الرقبة . هذا كلامه . ٣٣٠

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الثمانمائة [1] :

**٨٥٦** ( مَرُّوا عِجَالاً وقالوا : كيفَ صاحبُكم     قال الذى سَأَلوا : أَمسى لَمجهودَا )

على أنَّ دخول اللام على خبر ( أمسى ) شاذّ .

وهذا البيت أنشده ثعلب فى ( آخر الجزء الثالث من أماليه ) مع بيتٍ بعده ، وهو :

( ياويحَ نفسِىَ من غَبراءَ مظلمةٍ     قِيسَتْ على أطول الأقوامِ ممدودا )

و ( مَرُّوا ) من المرور . و ( عِجالاً ) : جمع عَجُل بضم الجيم ، كرجال جمع رَجُل . ورواه العينى : ( عَجَالى ) وقال : هو جمع عجلان ، كسَكارى جمع سكران .

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٥ والخصائص ١ : ٣١٦/ ٢ : ٢٨٣ وابن يعيش ٨ : ٦٤ ، ٨٧ والضرائر ٥٨ ورصف المبانى ٢٣٨ والهمع ١ : ١٤٤ والعينى ٢ : ٣١٠ والأشمونى ٢ : ٢١٤ .

ورواه أبو على ( فى كتاب الشعر ) : « مرُّوا سراعا » ، وهو جمع سريع .

ووقع ( فى شرح ابن عقيل على الألفيّة ) : « سيِّدُكم » موضع : صاحبكم .

وقوله : ( قال الذِى سألوا ) إلخ الذى فاعل قال ، وسألوا صلته ، والعائد محذوفٌ ضرورةً ، أى سألوا عنه . وجملة ( أمسى لَمجهُودَا ) مقول القَول . واسم أمسى ضمير الصَّاحب . يريد : إنّ المريضَ نفسَه أجابهم على طريق الغَيبة بقوله : أمسى لمجهودا ، ثم رجع إلى التكُّلم بقوله : « يا ويح نفسى » إلخ . وقوله : « من غبراءَ مظلمة » أى تُربْة غبراء ، يريد القبر . وقيست ، من القياس ، أى حُفِرت تلك التربة الغبراء على قياس أطولِ الأقوام حال كونه ممدوداً فيها ، يريد به نفسه .

وهذا البيت شائعٌ فى كتب النحو ، ذكره أبو على فى غالب كتبه ، وابن جنى كذلك ، وكلهم يرويه عن ثعلب ، وثعلبٌ أنشده غير معزُوٍّ إلى أحد . والله أعلم بقائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الثمانمائة [(١)] ) :

**٨٥٧** ( وما زِلتُ مِن لَيْلَى لَدُنْ أنْ عَرفْتُها لكالهائم المُقصَى بكلِّ مَذادِ )

على أنَّ زيادة اللام فى خبر زال شاذَّة .

هكذا رواه ابن جنى ( فى سر الصناعة ) ونسبَه لكثيِّر عزة . و ( المذاد ) : مصدر ميمى بمعنى الذَّود ، وهو الطرد . ووقع ( فى المغنى وغيره ) : « بكلّ

---

(١) ديوان كثيرٌ ٤٤٣ عن الخزانة . وانظر أيضا الضرائر ٥٨ والمغنى ٢٣٣ والعينى ٢ : ٢٤٩ والهمع ١ : ١٤١ والأشمونى ١ : ٢٨٠ .

مَرَاد » ، بفتح الميم والراء ، وهو المكان الذى يُذهَب فيه ويُجاء ، من الرَّود ، وهو التردُّد فى المجىء والذهاب . والرَّود أيضا : طلبُ الكلأ ، أى العُشْب . والهائم من الإبل : الذى يصيبه داء الهُيام ، بالضم ، وهو الجُنون . والمُقصَى : اسم مفعول مِنْ أقصاه ، أى أبعده . شبَّه نفسَه فى طرد ليلى له ، بالبعير الذى يُصيبه داء الهُيام ، فيُطرد عن الإبل خشيةَ أن يصيبهَا ما أصابه . والهائم أيضا : اسم فاعل من هامَ على وجهه ، أى ذَهب ، من عشقٍ أو غيره .

أبيات الشاهد

والبيت قافيتُه مغيَّرة ، وصوابه : « بكل سبيل » . وأول القصيدة :

( ألا حيِّيَا ليلى أجدّ رحيلى وآذَنَ أصحابى غداً بقفولِ )

ومنها :

( أُرِيدُ لأنسَى ذِكرها فكأنّما تَمثَّلُ ليلَى بكلِّ سبيلِ )

ورُوِى البيت أيضا كذا :

( ومازلتُ من ليلى لدن طَرَّ شاربى إلى اليوم كالمُقْصَى بكل سبيل [١] )

ولا شاهد على هذه الرواية . وفى الروايتين استعمال ( لَدُنْ ) بغير ( مِنْ ) ، ولم تأت فى التنزيل إلاّ مقرونة بها .

وطرّ النبتُ يَطِرُّ طُروراً : نَبتَ . ومنه طَرَّ شارب الغلام فهو طارٌّ . وظنَّ ابن هشام ( فى شرح أبيات ابن الناظم ) أن البيت بالرواية الأُولى بالقافية الداليَّة ليس من شعر كثيِّر ، فإنّه قال : ولكثيرٍ عزة بيتٌ يشبه هذا فى معناه وغالبِ لفظه ، فلا أدرى مَن الآخذُ من صاحبه . وقد يكونان توارَدَا عليه . انتهى .

٣٣١

صاحب الشاهد

وترجمة كثيِّر تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة [٢] .

* * *

(١) ط : « ولا زلتُ » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٥ : ٢٢١ – ٢٢٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الثمانمائة [١] :

٨٥٨ ( وأعْلَمُ أنّ تسليماً وتَركاً لَلاَ مُتشابهانِ ولا سواءُ )

على أنَّ دخول اللام على حرف النفى شاذٌّ .

قال ابن جنى ( فى سر الصناعة ) : إنمّا أدخل اللام وهى للإيجاب ، على لا وهى للنفى ، من قِبَلِ أنّه شبَّهها بغير ، فكأنّه قال : لغير متشابهين ، كما شبَّه الآخَر ما التى للنفى بما التى فى معنى الذى ، فقال :

لَمَا أغفلتُ شكرَك فاصطنعنى فكيفَ ومِن عطائك جُلُّ مالِى [٢]

ولم يكن سبيل اللام الموجِبة أن تدخل على ما النافية ، لولا ما ذكرتُ من الشَبه اللفظى . انتهى .

وظاهر كلام الشارح أنّ إنَّ فى البيت مكسورة لوجود اللام ، ولو كانت مفتوحة شذّ ، لدخولها فى خبر أنَّ المفتوحة وعلى حرف النفى ، فلمَّا لم يقل أشذّ عُرف أنّها مكسورة .

وبه صرَّح ابن هشام ( فى شرح أبيات ابن الناظم ) قال : إنّ بالكسر ، لدخول اللام فى الخبر ومثله : ﴿ والله يَعْلَمُ إنَّكَ لرسُوله [٣] ﴾ .

والرواية فيه فتح أنَّ ، نقله ابن عصفور ( فى كتاب الضرائر ) عن الفراء . فيكون شذوذ اللام فيه من جهتين كما بيّنّاه .

---

(١) المحتسب ١ : ٤٣ والضرائر ٥٨ والعينى ٢ : ٢٤٤ والهمع ١ : ٨٨ ، ١٤٠ والتصريح ١ : ٢٢٢ والأشمونى ١ : ٢٨١ .

(٢) الأصول ١ : ٣٥٠ والمغنى ٦٨٠ والدرر ١ : ١١٦ .

(٣) الآية الأولى من سورة المنافقون .

قال ابن هشام : تكرار لا هنا واجبٌ ، لكون الخبر الأوّل مفرداً . وإفراد سواء واجبٌ وإن كان خبراً عن متعدِّد ، لأنّه فى الأَصل مصدر بمعنَى الاستواء ، فحذِف زائدُهُ ونقل إلى معنى الوصف . ومثله قول السَّموءل :

سَلِى إن جَهلتِ النَّاسَ عنّا وعنهمُ　　فليس سواءٌ عالمٌ وجَهولُ

وربَّما ثُنّى ، كقول قيس بن مُعاذ :

فياربِّ إن لم تَقسِم الحبَّ بيننا　　سواءَينِ فاجعلنى على حبِّها جَلْدا [1]

ومعنى البيت أنَّ التسليم على الناس وعدمَهُ ليسا مستوِيين ، ولا قريبيَن من السَّواء . وكان حقُّه لولا الضرورة أن يقول : للاسواءٌ ولا متشابهان . انتهى .

قال العينى : وقد قيل إنّ المعنى : أعلم أنّ تسليمَ الأمر لكم وتركَهُ ليسا متساويين ولا متشابهين . انتهى .

قال ابن جنى ( فى المحتسب ) : مُفاد نكرة الجنس مُفاد معرفته ، من حيث كان فى كلِّ جزءٍ منه معنى ما فى جُملته . ألا ترى إلى قوله :

* وأعلم أنَّ تسليماً وتركا * ... البيت

فهذا فى المعنى كقوله : إنَّ التسليمَ والتَّركَ لا متشابهان ولا سواء . انتهى .

صاحب الشاهد

ونسب ابن جنى ( فى سر الصناعة ) هذا البيتَ إلى أبى حِزامٍ العُكْلىِّ ، واسمه غالب بن الحارث . وعُكْل بضم العين وسكون الكاف : قبيلة .

* * *

(١) انظر أيضا المغنى ١٣٩ واللسان ( سوى ١٣٦ ) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الثمانمائة [١] :

**٨٥٩** ( فبادَ حَتَّى لكَأَنْ لم يكُنِ فاليوَم أبكى ومَتَى لم يُبْكِنِى )

على أنّ دخول اللام على كأنّ شاذٌ أيضاً .

و ( باد ) الشيء : هلك وتلف ، وفاعله ضمير الهالك المتقدم فى بيت قبله . و ( حَتّى ) للغاية وهى ابتدائية . و ( كأنْ ) بسكون النون مخفّفة ، واسمها محذوف ، وهو ضمير الشيء الهالك ، وجملة ( لم يكن ) خبرها . يقول : لم يبق أثرٌ لذلك الهالك حتَّى كأنَّه لم يكن موجوداً . وكسرت النون من يكن للقافية .

٣٣٢ وقوله : ( فاليوم أبكى ) أى عليه . يقال بكيتُه ، وبكيت عليه ، وبكيت له ، وبكَّيتُه بالتشديد . كذا فى المصباح .

واليومَ ظرفٌ لأبكى . وقوله : ( ومتى لم يبكنى ) استفهامٌ إنكارىّ . يريد : إنَّه يُبكينى فى جميع الأوقات .

وهذا البيت لم أره إلاَّ فى سر الصناعة لابن جنى ، ولم أقف على ما قبلَه ولا على شيء من خبرِه . قال ابن جنى : اعلم أن اللام قد لحقت بعضَ الحروف للتَّوكيد ، نحو : لعلَّ زيدا قائم ، إنما هو عَلَّ ، واللام زائدة مؤكِّدة . وقال الراجز :

* فباد حتَّى لكأنْ لم يكُنِ *

فأكد الحرف باللام . وقال الآخر :

* للَولا قاسمٌ ويَدا بَسِيلٍ * ... البيت

* * *

(١) لم يرد فى الجزء المطبوع من سر الصناعة ؛ لأنه ينتهى عند باب الكاف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٠ ( لَلَوْلاَ قاسمٌ ويَدَا بَسيلٍ  لقد جَرّت عليك يدٌ غَشُومُ )

على أنَّ اللام الداخلة على لولا زائدة ، وأمَّا لام لقد بدون لولا فالمشهور أنَّها لام القسم ، وأمَّا مَعَها فقد قال ابن جنى ( فى سر الصناعة ) : ومثل لام القسم اللام التى دخلت فى جواب لو نحو : والله لو قمتَ لقمتُ . وقد تُحذَف هذه اللام من بعد لو ، إذا لم يكن القَسم ظاهراً . قال :

فلو أنَّ قومى أنطقَتْنِى رماحُهـمْ  نطقتُ ولكنَّ الرِّماحَ أجرّتِ [٢]

أى لنطقت . ومثل هذه اللام اللامُ التى فى جواب لولا ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولولا رَهْطُك لرجَمْنَاكَ [٣] ﴾ ، وقال الشاعر :

فواللهِ لولا اللهُ لا شىء غيـــرُهُ  لَزُعْزِعَ من هذا السَّرِيرِ جوانبُهْ [٤]

فهذه اللام فى جواب لولا إنمّا هى جواب القسم . وربَّما حذفت إذا لم يظهر القسم إلى اللفظ . قال :

وكم من موطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى  بأجرامِهِ من قُلَّةِ النِّيق مُنْهوِى [٥]

---

(١) رصف المبانى ٢٤٨ واللسان ( غشم ٣٣٣ ) .

(٢) الأصمعيات ١٢٢ وشرح المرزوقى للحماسة ١٦٢ واللسان ( جرر ١٩٦ ) .

(٣) الآية ٩١ من سورة هود .

(٤) لامرأة كان زوجها فى بعث عمر بن الخطاب . الحماسة البصرية ٢ : ٣٥ واللسان ( زعع ٤ ) . وقبله :

تطاول هذا الليل وازورَّ جانبه  وأرقنى أن لا خليلَ أداعبـه

وبعده : مخافةَ ربِّى والحياء يصوننـى  وأكرِمُ زوجى أن تُنالَ مراكبه

(٥) ليزيد بن الحكم ، وانظر الشاهد ١٨٠ من الخزانة ٣ : ٤٩٥ — ٤٩٩ .

أى لَطِحْتَ . ولا تدخل اللام فى جواب لو ولولا إلاَّ على الماضى ، دون المستقبل . وكان أبو على قال لى قديما : إنَّ اللام فى جواب لولا زائدة مؤكِّدَة ، واستدلَّ على ذلك بجواز سقوطها . وكذلك مذهبُه فى لو على هذا القياس ، لجواز خلوِّ جوابها من اللام . انتهى .

وقاسم وبَسِيلٌ : رجلان . والبَسيل فى اللغة : الكَرِيهُ الوجه . و ( جرَّتْ ) من جَرَّ عليهم جريرةً ، أى جنى جناية . ويدٌ فاعل جرت . و ( غشوم ): جائرةٌ ، والغَشْم : الظُّلْم . والحرب غَشومٌ لأنّها تنال غيرَ الجانى . وهو بالغين والشين المعجمتين .

وهذا أيضاً لم أره إلاّ ( فى سِرِّ الصناعة ) ، ولم أَقِفْ له على خبر . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

( ولقد علمتُ لتأْتِيَنَّ منيَّتي )

على أنَّ علمتُ منزَّلٌ منزلَة القسم ، وجملة لتأْتِينَّ منيَّتِي جواب القسم .

وقد تقدّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد السادسَ عشرَ بعد السبعمائة [1] .

وهو صدرٌ وعجزه :

( إنّ المنايا لا تَطِيشُ سِهامُها )

* * *

وأنشد بعده :

( إنّى وجدتُ مِلاكُ الشِّيمةِ الأدَبُ )

---

(١) الخزانة ٩ : ١٥٩ — ١٦١ .

على أنَّ اللام المعلَّقة محذوفة والأصل : إنّى وجدتُ لمَلاكُ .

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث عشر بعد السبعمائة [١] . وهو عجزٌ وصدره :

( كذاك أُدِّبْتُ حتّى صار مِنْ خُلُقِى )

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٦١ ( لَهِنَّا لمقضىٌّ علينا التَّهاجُرُ )

على أنّ بعض العرب يقول : « لَهِنَّك لَرجلُ صِدقٍ » بلامين ، كما فى المصراعين . وقد تحذف الثانية فيقال : لَهِنّك رجلُ صِدق ، كما فى البيت [٣].

٣٣٣ ويريد أنّ الثانية لام الابتداء التى تكون مع إنّ . ولا وجه لتقييد الحذف بالقِلَّة ، إذْ لم يغلب ذكرُها مع إنّ ، ولم يكثرُ حتَّى يقال إنّ حذفها قليل ، وإنّما تكون معها بحسب اختيار المتكلّم ، فإنْ قصَدَ زيادة التوكيد أوردَهَا ، وإلاّ فلا .

قال ابن جنى ( فى سر الصناعة ) : وإذا كانت إنّ مشدّدة فأنْتَ فى إدخال اللام فى الخبر وتركها مخيَّر : فإن خفَّفتَ لزمت اللامُ لئلا تلتبس بإن النافية . وأمَّا اللام الأُولى فهى مع الهاء على قول الفرّاء والمفضَّل بن سلمة بقيَّةُ لفظ الجلالة . وأما على قول سيبويه بجعل الهاء بدلاً من همزِ إنّ فلم يظهر من كلام الشارح ما هى عندَه . وربَّما يؤخذ منه أنَّها زائدة عنده ، ولهذا أورد كلامَه فى ذيل مَبحث اللام الزائدة .

---

(١) الخزانة ٩ : ١٣٩ – ١٤٣ .

(٢) لم أجد له تخريجا .

(٣) يعنى الشاهد ٨٦٣ فيما سيأتى .

وهو مذهب ابن مالك . قال ( فى التسهيل ) : وربَّما زيدت اللام قبل همزتها مبدلةً هاء مع تأكيد الخبر وتجريده . وهذا ظاهر قول الجوهرى ( فى الصحاح ) : اللام الأولى للتَّوكيد ، والثانية لام إنّ . وهذا ليس مذهبَ سيبويه ، وإنمّا هى عنده لامُ جواب قسمٍ مقدر ، وهذا نصّه ، ونقله ابن السَّراج ( فى الأصول ) : لهنَّك لرجلُ صدق : هذه كلمةٌ تتكلَّم بها العرب فى حال اليمين ، وليس كلُّ العرب يتكلَّم بها ، فهى إنَّ ولكنَّهم أبدلوا الهاء مكان الألف ، كقولك : هَرقت . ولحقت هذه اللامُ إنّ كما لحقت ما حين قلت : إنّ زيداً لما ليَنطلقَنَّ ، فلحقت إنَّ اللامُ فى اليمين كما لحقت ما . فاللام الأولى فى لهنّك لام اليمين ، والثانية لام إنّ ، وفى : لما لينطلقنّ ، اللام الأولى لإنّ ، والثانية لليمين . والدليل على ذلك أنَّ النون معها . انتهى .

وفى شرحٍ قديم لهذه المقدّمة [١] : مذهب سيبويه فى اللام الواحدة : أنَّها لام التأكيد ، دخلت على إنّ لما غُيِّرت بإبدال همزتها هاء . وفى اللامين : أنّ الأولى جواب قسم ، والثانية لتأكيد الخبر . انتهى .

ويدلُّ لما ذهب إليه سيبويه قولُ المَرَّار الفقعسىّ :

وأَمَا لهنَّك من تذكُّر أهلها     لَعلى شفا يأسٍ وإنْ لم تيأسِ [٢]

ووجه الدليل أنَّ أمَا بالتخفيف يكثُر الإتيانُ بها قبلَ القسم .

وجوَّزه أبو على ( فى التذكرة القصرية ) قال : ويجوز أن تكون اللام فى لهنَّك اللام فى لأفعلَن ، التى لا تدخُل إلاّ على الفعل . ويدلُّ على ذلك لزوُم لهِنَّك لليمين ، وأنّها لا تقال إلاّ فى اليمين . فإنْ قلت : لام لأفعلَنَّ لا تقع إلاّ

(١) يعنى المقدمة الحاجبية ، وهى المعروفة بالكافية .

(٢) نوادر أبى زيد ٢٨ .

على الفعل . قلت : إنمّا جاز لهنَّك وإنْ لم يكن فعلاً لأنَّ الجملة الاسمية وقعت موقع الجملة الفعلية . انتهى .

وذهب الزجاج إلى أنّ اللام الأولى هى لامُ إنّ واللام الثانية زائدة . واختاره أبو على فى ( فى التذكِرة القصرية ) وأيَّده وأوضحَه . وتبعه تلميذُه أبو الفتح بن جنى .

والتذكرة القصْريَّة : هى المسائل التى جرت بينه وبين صاحبه [ أبى [1] ] الطيِّب محمد بن طوسىّ المعروف بالقَصرىّ ، قال فيها : لِهنّك لَرجلُ صِدقٍ ، بمنزلة ما جاء على أصله من العَيْنات المعتلَّة ، ليدُلّوا بذلك على أنَّ أصل المعتلّ هذا . وأُوقِعت اللامُ التى كانت فى الخبر إنّك لَرجلُ صدقٍ قبل إنّ ، ليدلَّ ذلك على أنَّ حقَّها أن تقع قبل إنّ ، فأتَوْا بهذا على أصله ، وأبدلوا الهمزة هاء فِراراً من إيقاع اللام قبل إنَّ ، فغيِّر اللفظ على ذلك ، لأنّه ليس يخلو امتناعُهم من إيقاع اللام قبل إنّ من أن يكون ذلك من جِهة المعنى ، أو من جهة اللفظ . فلا يجوز أن يكون من جهة المعنى بدلالة قولهم : إنّ فى الدار لزيدًا ، فاللام قد وليت إنّ من جهة المعنى ، فثبت أنّ المكروه لفظُهما [2] ، فإبدال الهمزة هاءً بمنزلة الفصل بين إنّ واللام بالظرف ، فجاز لهنّك . ويؤكدّ أنَّ اللام فى لهنَّك لام الابتداء إبدالُ الهاء من الهمزة . وإبدالُ الهاء من الهمزة يؤكِّد أنَّ اللام غير زائدة ، واللام التى فى لرجلُ زائدة ، لأنّه لا يجوز أن يكونا جميعاً غير زائدتين ، لأنّك إن فعلت ذلك لزمك أنْ تدخل اللامَ فى لَرجلٌ على اللام التى فى لَهنَّك .

٣٣٤

---

(١) التكملة من ش . وانظر ترجمة أبى الطيب محمد بن طوسى القصرى فى إنباه الرواة ٣ : ١٥٤ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ — ٢٠٧ وبغية الوعاة ٥٠ . والقصرى : نسبة إلى قصر ابن هبيرة بضواحى الكوفة . وابن هبيرة هذا هو يزيد بن عمر بن هبيرة بن مُعَيّة بن سُكين .

(٢) أى اجتماع لفظهما فى أول الكلام بدون إبدال الهاء من همزة إنّ .

فإنْ قلت : أجعلُ لام لهنّك زائدة . قلت : ذلك غير جائز ، لأنَّ لام لِهنّك قد وقعت موقعَها ، فلا يستقيم أنْ تقدّرها أنَّها ليست واقعة فى غير هذا الموضع ، وهذا يجوز فى لام لَرجل ؛ لأنَّها لم تقع موقعها الذى هو قبل إنّ . ومثلُ امتناع تقدير لام لهنَّك زائدةً لأنها قد وقعت موقعَها فلا يستقيم أن يقدَّر بها غير ذلك — قولُك : ضرب زيداً غلامُه ، لا يجوز فيه أن تقول : ضرب غلامُه زيداً ، لأنَّ الغلام قد وقع موقعه فلا يستقيم أن يقدَّر به غير ذلك . انتهى .

وحققه ابن جنىّ أيضا ( فى باب اصلاح اللفظ من الخصائص ) وقال : ويدلُّ على أنّ موضع اللام فى خبر إنّ أول الجملة قبل إنّ ، أنَّ العربَ لما جَفَا عليها اجتماعُ هذين الحرفين قلبوا الهمزةَ هاءً ليزول لفظ إنّ ، فيزول أيضا ما كان مُستكرهاً من ذلك ، فقالوا : لَهِنَّك قائم . وعليه قوله فيما رويناه عن محمد بن سلمة عن أبى العباس :

ألاَ يا سنا برقٍ على قُلَلِ الحِمىَ لِهنّك من برقٍ علىَّ كريمُ [(١)]

فإن قلت : فما تصنع بقول الآخَر :

ثمانين حولاً لا أرى منكِ راحةً لَهِنَّكِ فى الدُّنيا لبَاقيةُ العُمرِ [(٢)]

وما هاتان اللامان ؟ قيل : أمَّا الأُولى فلام الابتداء على ما تقدَّم . وأمَّا الثانية فى « لَبَاقية العمر » فزائدة ، كزيادتها فى قراءة سعيد بن جُبير : ﴿ ألا إنّهم لَيأكُلونَ الطَّعام [(٣)] ﴾ .

---

(١) الخصائص ١ : ٣١٥/ ٢ : ١٩٥ . وهو الشاهد ٨٦٣ فيما سيأتى ص ٣٢٠ .

(٢) لعروة الرحال ، كما فى معجم الشواهد .

(٣) الآية ٢٠ من سورة الفرقان . ووردت هذه القراءة بفتح الهمزة فى تفسير أبى حيان ٦ : ٤٩٠ وإعراب القرآن للعكبرى ٢ : ١٦١ . ولم تنسب فى كل منهما .

فإن قلت : فلم لا تكون الأولى هى الزائدةَ والأخرى غير زائدة [١] ؟ قيل : يفسُد ذلك من جهتين : إحداهما أنَّها قد ثبتت فى قوله :

* لهِنَّكَ مِن برقٍ علىَّ كريمُ *

هى لام الابتداء لا زائدة . فكذلك ينبغى أن تكون فى هذا الموضع أيضاً هى لامَ الابتداء .

وثانيهما : أنَّك لو جعلت الأولى هى الزائدةَ لكنتَ قد قدَّمتَ الحرف الزائد ، والحروف إنمَّا تزاد لضربٍ من الاتّساع . فإذا كانت للاتساع كان آخر الكلام أولَى بها من أوَّله . ألاَ تراك لا تزيد كان مبتدأةً ، وإنمّا تزيدها حَشْواً أَوْ آخراً . انتهى .

وقد رجع أبو على عن هذا التحقيق وزَيَّفَه ( فى كتابه نقض الهاذور ) ، وهو كتابٌ نَقَضَ ما طعن به ابن خالويه على ( كتاب الأغفال لأبى علىّ ) الذى صنَّفه إصلاحاً لمسائل الزّجَّاج . واختار مذهبَ الفراء وأيَّده ، وأدرج فيه مذهب المفضَّل بن سلمة وجعلهُما [٢] قولا واحداً ، ونسبه إلى أبى زيد الأنصارى . وهذه عبارته .

قال أبو زيد : قال أبو أدهَمَ الكلابىُّ : [ لَهِ [٣] ] ربِّى لا أقولُ ذلك ، بفتح اللام وكسر الهاء فى الإدراج . ومعناه : والله ربى لا أقول ذلك . وأنشد أبو زيد :

لَهِنِّى لأشقَى النّاسِ إن كنتُ غارماً     لدَوْمة بَكراً ضيَّعته الأراقمُ [٤]

---

(١) الكلام من هنا إلى « لا زائدة » فى الصفحة التالية ساقط من ش .

(٢) ط : « وجعلها » ، صوابه فى ش مع أثر تغيير .

(٣) التكملة من ش .

(٤) هو الشاهد ٨٦٢ فيما سيأتى ص ٣٤٧ .

وأنشد أيضا ٠

( أبائنةٌ حُبَّى ، نَعَمْ وتماضِرُ لَهِنّا لمقضِىٌّ علينا التهاجرُ [(١)] )

قال : يقول لله إنّا [(٢)] . وأنشد فى كتاب آخر :

وأمَا لَهِنَّكَ من تذكُّرِ عهدِها لَعَلى شفا يأسٍ وإن لم تيأسِ [(٣)]

وأنشد غير أبى زيد :

لَهِنّكِ من عَبسيَّـةٍ لَوَسيمـةٌ على هَنَوات كاذبٍ مَنَ يقولُها [(٤)]

ووجه الدَّلالة أنَّ اللام لا تخلو من أن تكون الجارَّة ، من قولهم : لله ، أو التى للتعريف ، أو التى هى عَين الفعل . فلا يجوز أنْ تكون التى للتعريف ، لأنّ تلك ساكنة وهذه متحركة . ٣٣٥

فإن قلت : ألقى عليها حركة الهمزة . قلت : لا يجوز ذلك ؛ لأنَّ حركة الهمزة كسرة ، واللام مفتوحة ، لأنَّ أبا زيد قال بفتح اللام .

ولا يجوز أن تكون الجارَّة ؛ لأنَّها مكسورة .

---

(١) رواية صدره فى اللسان ( أله ٣٥٩ ) :

* أبائنة سعدى نعم وتماضر *

(٢) فى اللسان : « يقول : لاهِ إنّا ، فحذف مَدَّة لاهِ وترك همزة إنّا » .

(٣) ورد هذا البيت فى نوادر أبى زيد ٢٨ مع نسبته إلى المرار كما سبق فى الحواشى .

(٤) الإنصاف ٢٠٩ والهمع ١ : ١٤١ واللسان ( لهن ) . وأنشد ابن منظور قبله :

وبى من تباريح الصبابة لوعة قتيلة أشواق وشوق قتيلها

كما أنشد بيتا آخر على روى القاف ، وهو :

لهنك من عبسية لوسيمة على كاذب من وعدها ضوء صادق

فإن قلت : إنَّ أناسا فتحوا الجارّة مع المظهر . قلت : ذلك لا يجوز ؛ لئلاّ يبقى الاسم على حرف واحد ، وليس فى الأسماء المتمكنة اسمٌ على حرفٍ واحد .

فثبت أنَّها عين الفعل ، وأنَّ الهمزة فاءٌ حُذفت كما حذفت من قوله :

يابا المُغيرة ربَّ أمرٍ معُضِلٍ فرَّجتُهُ بالنُّكر منّىَ والدَّهـا (١)

فإن قلت : يكون قوله لَهِ من القول الآخِر فى الاسم ، لا من القول الذى الهمزة فيه فاءُ الفعل . قلت : هذا بعيد ، لأنَّه يحذف على هذا التقدير عين الفعل ، والعين لم تحذف إلاّ فيما لا حكمَ له ولا اعتدادَ به قِلَّةً ، فإذا كان كذلك وجب العدول به والاعتداد له ، وكان الأخذ بالقول الآخِرِ أولى ، لأنَّ الألف تحذف فيه كما يقصر الممدود . وهذا قد جاء فى كلامهم . ألا تراهم قالوا : الحَصَد والحَصَاد . وقد جاء ذلك فى الاسم نفْسِه فى قوله :

ألاَ لا باركَ اللَّـهُ فى سُهيـلٍ إذا ما الله باركَ فى الرِّجالِ (٢)

فعلى هذا حُذفت الألف فى الاسم من قوله « لَهِ ربِّى » على أنَّ القول الآخِر فى الاسم ليس بالشائع ، ولم نعلم أحداً من السَّلف ذهب إليه . وهذا القول قد رُوى مسنداً عن ابن عباس (٣) ، فرَوَى (٤) عن النبى ﷺ أنَّ عيسى بنَ مريم

---

(١) لأبى الأسود الدؤلى ، كما فى معجم الشواهد وملحقات ديوانه ١٣٤ .

(٢) غير منسوب . وانظر معجم الشواهد .

(٣) رواه الطبرى فى تفسيره ١ : ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧ مسنداً إلى عبد الله بن مسعود وأبى سعيد الخدرى فقط ، من حديث مطول موضوع ، فى الدر المنثور للسيوطى ١ : ٨ . وقال ابن كثير فى تفسيره ١ : ١٧ : « وهذا غريب جدا ، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ ، وقد يكون من الإسرائيليات من المرفوعات .

(٤) رواه الطبرى مجزأ فى المواضع الثلاثة السابقة . وفى القطعة الأولى : « إن عيسى بن مريم اسلمته أمه إلى الكتّاب ليعلّمه ، فقال له المعلم : اكتب بسم . فقال له عيسى : وما بسم ؟ فقال له المعلم : ما أدرى . فقال عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته » . وفى القطعة الثانية مع الديباجة المتقدمة : « فقال له المعلم : اكتب الله . فقال له عيسى : أتدرى ما الله ؟ الله إله الآلهة » . وفى القطعة الثالثة ص ١٢٧ بالسند فقط دون الديباجة : « إن عيسى بن مريم قال : الرحمن رحمن الآخرة والدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة » .

قال لرجلٍ : أتدرى ما الله ؟ الله إِلٰهُ الآلهة . وعن ابن عباس : الله ذو الألوهيَّة والعبوديَّة على خلقِه أجمعين .

فإن قلت : هلاَّ قلت إن قوله : لَهِنِّى لأشقَى الناس ، ولَهِنّا لمقضىٌّ علينا ، إنمّا هو لإنّى ولإنّا ، خلافا لأبى زيد ؟ قلت : هذا لا يسُوغ ، لأنّه يجمع فيه بين إنَّ واللام ، ولم يجمعوا بينهما . ألاَ تراهم أخَّروها إلى الخبر من قولهم : إنّ زيداً لمنطلق ، وفصَلوا فى نحو : ﴿ إنّ فى ذلك لآية (١) ﴾ .

فإنْ قلت : يكون القلب فيها بالتغيير لها كالفصل بينهما ؟ قلت : لا يصحُّ ؛ لأنّ البدل فى حكم المبدَل منه عندهم . ألا ترى أنّك لو سمَّيتَ رجلا بهُرِقَ (٢) لم تصرفه كما لا تصرفه لو كانت الهمزة نفْسُها ثابتة . ألا ترى أنَّ الهمزة فى حمراء لمَّا كانت منقلبة عن ألف التأنيث كانَ حُكْمُها حكمَهَا فى منع الصرف ، فكذلك يكون البدل فى لَهِنَّك فى حكم المبدَل منه فى الامتناع من الجمع بينهما . على أنَّ هذا السؤال لا يلزم من وجهٍ آخر ، وهو أنّ ما حكاه أبو زيد من قوله : « لَهِ رَبِّى » لا يجوز أن يُظنَّ فيه أنَّ الهاء بدلٌ من الهمزة ، فإذا كان كذلك رددتَ المواضعَ إلى هذا الموضع الذى لا يجوز فيه إبدال ، وعلمت أنَّ المعنى : لِلَّه إنّى .

فإن قلت : لم لا تقول فى قولهم : لَهِنّا ولَهِنِّى ولَهِنّك : إنمّا هو لَهِ إنَّا ؛ لأنَّ قطرباً قد حكى أنّهم يقولونه بالإسكان ، وإذا كانت الهاء ساكنة وألقيت عليها حركة الهمزة وجب أن تقول لَهِنّا ، فتكون الأبيات على هذا التأويل ، لا على الوجه الذى ذكرتَه ؟ قلت : يُفسد هذا تحريكهُا الهاءَ بالجرّ (٣) فى : « لَهِ ربِّى » . فكما كانت متحرِّكة فى الجر ولا همزة مكسورة بعدها فتحذف وتُلقى حركتُها عليها ،

---

(١) وردت فى ثمانى عشرة آية من القرآن ، أولها فى الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٢) فى اللسان : « يقولون : هرقت الماء هرقا ، وأهرقته إهراقا » .

(٣) ش : « فى الجر » .

كذلك تكون الكسرة فى لَهِنِّى ولَهِنّك ولَهِنَّا الجرّة ، لا حركة الهمزة المحذوفة للتخفيف على ما حكاه قطرب . على أنّ ذلك قليلٌ فى الاستعمال وإنْ كان مُتّجها فى القياس . انتهى كلام أبى على .

قال ابن جنى ( فى الخصائص ) : وأمَّا من قال إنّ لَهِنَّك أصله لله إنّك ، فقد ذكرْنا ما عليه فيه فى موضعٍ آخر . على أنّ أبا علّي قد كان قوّاه بأُخَرَة وفيه تعسُّف . انتهى .

٣٣٦

ورأيت فى شرحٍ قديم لهذه المقدّمة [١] : ومذهبُ أبى زيد ، وقوّاه أبو على ، أنّ أصلَ لَهِنَّك لاه إنّك ، فحذفت همزة إنّ وألف لاه ، فبقى لَهِنّك . ومذهب سيبويه أقوى ، لأنّه ليس فيه إلاّ إبدال الهمزة ، وفى هذا توالَى حذفانِ بعد حذفٍ سابقٍ فى لاه . انتهى .

أقول : ما نسبه أبو على إلى أبى زيد لعلَّه فى غير النوادر ، وإلاّ فما فى النوادر موافقٌ لسيبويه . وهذا ما فى نوادره . قال المرّار بن سَعيد الفَقْعسىّ ، وهو إسلامى :

* وأَمَا لهِنَّكَ من تذكُّر أهلِها * ... البيت .

يريد : أمَا إنّك . أبو حاتم : لهنّك يريد لله إنّك ، فحذَف ثمّ حذَف . انتهى .

قال الأخفش ( فيما كتب على النوادر ) : قول أبى حاتم ليس بشىءٍ عند أصحابِه البصريِّين ، لأنّه حذفٌ مُخِلٌّ بالكلام . وذلك أنّه حذف حرف الجّر وجملة من الاسم المجرور . وهذا لا يجوز عند أهل العربيَّة ، ولا نظير له ، ولكنّ تأويل لَهِنّك بلإنّك صحيح ، وفيه إبدال الهاء من الهمزة ، لأنّها تقرب منها فى المخرج .

---

(١) انظر التعليق الأول فى ص ٣٣٦ .

ونقل صاحب الصحاح عن أبى عُبيدٍ ، أنّ ما نسبه أبو على لأبى زيد هو قول الكسائى ، قال : قال أبو عبيد : أنشدنا الكسائى :

لَهِـنّكِ من عبسيّـةٍ لَوَسيمـةٌ على هَنَواتٍ كاذبٍ من يقولُها

وقال : أراد لِلّه إنّكِ من عبسيّة ، فحذف اللامَ الأولى من الله والألف من إنّك ، كما قال الآخر :

* لاه ابنُ عمك لاَ أفضلتَ فى حسبٍ [1] *

أراد : لله ابنُ عمّك . والقول الأوّل أصحُّ ، أى القول بأنّ أصله لإنَّكَ . ذكره فى مادة ( لهن ) .

ونقل أبو حيان ( فى تذكرته ) المذاهبَ الثّلاثةَ طِبْقَ ما نقله الشارح المحقق ، إلاّ أنّه نسب الثالثَ للمفضَّل بن سَلَمة ، كابن الأنْبارىّ ( فى مسائل الخلاف ) ، لا أنّه حكاه عن بعضهم .

بقيّة الشاهد

واعلم أنَّ المصراع الشاهد عجزُ بيت ، وصدرُه ما أورده أبو على ، وهو :

( أبائنة حُبَّى ، نعَمْ وتُماضِرُ )

ولم أر من ذكره غيرَه ، ولم أقف على قائله .

والهمزة للاستفهام . و ( بائنة ) : اسم فاعل من البَيْن ، وهو الفِراقُ والهجر . وبائنة مبتدأ استَغنَى بمرفوعه ، وهو حُبَّى ، عن الخبر لاعتماده على الاستفهام . و ( حُبَّى ) بضم المهملة وتشديد الموحَّدة بعدها ألفٌ مقصورة ، من أعلام النساء ، غير منصرف . وكذلك ( تُماضِر ) : علم امرأة ، بضمّ المثناة

---

(١) لذى الإصبع العدوانى ، كما فى المفضليات ١٦٠ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* عنى ولا أنت ديانى فتخزونى *

الفوقية بعدها ميم فألف فضاد معجمة مكسورة ، منقول من فعلٍ مضارع من المَضْر ، مصدر مَضِرَ اللبن كنَصَر وفرح وكرم ، أى حَمُضَ . وهو معطوف على حُبِّى عطفاً تلقينيا . و ( نعم ) تصديقٌ للاستفهام . و ( المقضىّ ) : اسم مفعول من قضى عليه قضاءً بالمد ويُقصَر . والقضاء : الحُكْم والحَتْم . و ( التهاجُر ) نائب الفاعل ، وهو تفاعُلٌ من الهجر .

وينبغى أن نشرح الأبياتَ التى أوردها أبو على تكميلاً للفائدة . فقوله :

* لَهِنِّى لأشقَى الناس إنْ كنت غارماً *

يأتى شرحه بعد هذا .

وقوله :

* وأمَا لهِنَّكَ من تذكُّر عهدِها *

نسبه أبو زيدٍ للمرَّار كما تقدّم ، وقال : شفا الشىء : حرفه وناحيته وشَرَفُه . ويقال هو على شَرَفِ خيرٍ أو شرّ .

وقوله :

* لهنّك من عَبسيّةٍ لوسيمةٌ *

أورده صاحب الصحاح عن أبى عبيدة عن الكسائى . قال ابن برى فى أماليه عليه : قبله :

( وبى من تَباريح الصَّبابةِ لوعةٌ قتيلةُ أشواقِى وشوقى قتيلُها )

وروى المصراع الثانى غير الكسائى كذا :

لَهِنّكِ من عبسيّةٍ لوسيمةٌ على كاذبٍ من وعدها ضوءُ صادِقِ [1]

(١) انظر ما سبق من حواشى ٣٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٢ ( لَهِنِّى لأشقَى النَّاسِ إنْ كنت غارماً )

لما تقدَّم قبله . ورأيتُ هذا المصراعَ صدرَ بيتٍ من أشعارٍ ثلاثة .

( أحدها ) : ما رواه أبو على ( فى كتابه نقض الهاذور ) ولم يعزُه إلى أحد ، وهو :

( لِدَوْمة بَكراً ضيَّعته الأراقمُ )

و ( أشقى ) أفعل تفضيل . و ( غارما ) من غرِمت الديةَ والدَّين وغيرَ ذلك ، من باب تعب ، إذا أدَّيته ، غُرْما بالضم ، وغَرامة ومَغرما بفتحهما . وغرَّمته تغريما وأغرمته : جعلته غارما . وغَرِمَ فى تجارته مثل خَسِر : خلافُ ربح . ودَوْمة بفتح الدال : اسم امرأة خَمّارة . و ( البَكْرَ ) بفتح الموحدة : الفتىُّ من الإبل ، وهو مفعول لغارم ، وجملة « ضيَّعْته الأراقم » نعت بكر ، أى جعلَته ضائعا . و ( الأراقم ) : ستّة أحياءٍ من تغلب ، وهم جُشَم ، وعَمْرو ، ومالك ، وثعلبة ، ومعاوية ، والحارث . وهم بنو بكر بن حُبَيْب ، بضم المهملة وفتح الموحّدة الأُولى ، ابن عمرو بن غَنْم ، بفتح المعجمة وسكون النون ، ابن تغلب بن وائل . وقال ابن دريد ( فى الجمهرة ) : الأراقم : بطونٌ من تغلب يجمعهم هذا الاسم ، ذكر أبو عبيدٍ أنّ أباهم نظرَ إليهم لمَّا ترعرعوا ، فإذا لهم جراءةٌ وحِدَّة ، فقال لغلامٍ له : إذا جاء الليلُ فاستغِثْ حتَّى انظر ما يصنعُ أولادى هؤلاء . فذهب إلى حيث أمره فاستغاث ، فسمِعوا صوته فقصدوا قصَدَه ، وقالوا : ويلكَ ما دهاك ؟ وأين القوم ؟ وأقبلوا يتجاذبونه بينهم حتَّى جاء أبوهم فقال له : كفَّ بنيك عنِّى ؛ فإنَّ عيونَهم عيون الأراقم ، فقد كادوا يقتلوننى ! فسُمُّوا بذلك . وقال ابن الكلبى : إنمّا سمُّوا

---

(١) جمهرة أشعار العرب ١٠٨ .

بذلك لأنّ امرأةً دخلت على أمِّهم وهم نيام ، ورءوسهم خارجةٌ من قَطيفة ، فقالت : كأنَّ عيونَهم عيونُ الأراقم ! فسمُّوا به .

وصاحب القاموس لم يحقِّق النظر هنا فقال ، تبعاً لصاحب الصحاح : الأراقم : حيٌّ من تغلبَ ، وهو جمع أرقم ، وهو أخبثُ الحيّاتِ وأطلبُها للناس . وقيل : ما فيه سوادٌ وبياض ، وقيل : ذكر الحيات .

٣٣٨

صاحب الشاهد ( نسبة ثانية )

( ثانيها ) : صدر بيتٍ من قصيدة لخِداشِ بن زُهير العامرى الصَّحابىّ ، وكان ممن شِهد وقعةَ حُنين مع المشركين ، ثم أسلم بعد زمان . تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة [1] . ومن قصيدته :

أبيات الشاهد

فيا راكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ ... عُقيلاً إذا لاقيتَها وأبا بكرِ [2]

بأنّكمُ مِن خير قومٍ لقومكمْ ... على أنَّ قولاً فى المجالس كالهُجْرِ

دَعُوا جانبا إنّا سنترك جانبا ... لكم واسعاً بين اليمامة والقَهْرِ [3]

إلى أن قال :

وإنّا لمن قومٍ كرامٍ أعزّةٍ ... إذا لحقت قومٌ بفرسانها تَجرِى

ونحنُ إذا ما الخيلُ أدرك ركضُها ... لبِسنا لها جِلدَ الأساود بالنُّمرِ [4]

لعمرى لئن أُخبثتما حين قُلتما ... لنا العزُّ والمولى ، فأسرعتُما نفرِى

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٦ .

(٢) فى النسختين : « إذا لاقيته » ، صوابه من الجمهرة . وفى شرحها : « عقيل بن كعب بن عامر ، وهى قبيلة . وأبو بكر بن كلاب بن ربيعة » . فهما قبيلتان كما رأيت .

(٣) ياقوت : القهر : أسافل الحجاز مما يلى نجدا . وأنشد لخداش هذا البيت . وفى النسختين : « والظهر » ، صوابه فى معجم البلدان وجمهرة القرشى ١٠٨ . وصدره فى الجمهرة : « إنا سننزل جانبا » ، وفى معجم البلدان : « دعوا جانبى إنى سأنزل جانبا » .

(٤) فى الجمهرة : « الأساود والنمر » .

أبي فارسُ الضّحياءِ عمرُو بن عامرٍ أَبَى الذمَّ واختارَ الوفاءَ على الغدرِ
لَهِنِّى لأشقَى الناسِ إن كنت غارماً لعاقبةٍ قتلى خُزيمة والخُضْر (١)

وعَرضتَ : أتَيت العَرُوض ، وهى مكّة والمدينة حرسَهما الله تعالى وما حولَهما ، يقال عرضَ الرجل ، إذا أتى العَرُوض . وأخبثَ ، إذا اتَّخذ أصحاباً خُبثاء . والضّحياء : فرس عمرو بن عامر . واللام فى ( لِعاقبةٍ ) بمعنى بَعْد . وقتلى مفعول غارما ، جمع قتيل . والخُضْر ، بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين ، قال صاحب القاموس : وبنو الخُضْر : بطنٌ من قيسِ عَيلان ، منهم أبو شيبة الخُضْرى (٢) .

نسبة ثالثة

( ثالثها ) : ما رأيتُه ( فى كتاب اللصوص للسكرى ) فى شعر تَلِيد الضبى ، بفتح المثناة الفوقية وكسر اللام ، وكان أحدَ اللُّصوص على عهد عمر بنِ عبد العزيز ، أُخِذ وأقيم للناس بأمرِهِ ، ليدفَع ما أخذَه منهم ، فقال فى ذلك :

تَلِيد الضبى

أبيات الشاهد فى النسبة الثالثة

ولو أنَّ بعضَ الناس يَفقِدُ أُمَّه لقيل احتواها فى الرِّحال تليدُ
لَهِنِّى لَأَشقَى الناسِ إنْ كنت غارماً قلائصَ بين الجَلهتيــن تَرودُ
قَلائصَ مِعزابٍ أتى الليلُ دونَها وما النَّاسُ إلاّ عاجز وجَليدُ

فأمره عمر بن عبد العزيز ببناء مسجدٍ ، وأنْ يبنيَه بنفسه ، فقال :

---

(١) فى الجمهرة : « وإنى لأشقى الناس » ، فلا شاهد فى هذه الرواية . وفى شرح الجمهرة و « الخُضْر : ابن محارب بن خصفة . أى لا أغرم قتلاهم » . وفى جمهرة ابن حزم ٢٦٠ أن الخضر هم بنو مالك بن طريف بن خلف بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٢) فى تاج العروس ٣ : ١٨٣ : « وفى أنساب السمعانى : شيبة . روى عن عروة الزبير ، وعنه : إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة . وفى الصحابة أبو شيبة الخضرى ، له حديث رواه يونس بن الحارث الطائفى » . وسماه ابن حجر فى الاصابة ٧ : ١٠٠ « الخدرى » . وانظر أنساب السمعانى ٢٠٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٣ ( ألا يا سَنَا برقٍ على قُلَلِ الحِمىَ    لَهِنَّكَ مِنْ برقٍ علىَّ كريمُ )

على أنّه حذف اللام من خبر لَهِنَّك ، حيث لم يقل : لَعَلَىَّ كريم ، والكثير إثباتها . وتقدَّم ما فيه .

صاحب الشاهد

وهو من جملة أبياتٍ لرجل من بنى نُمير . قال أبو هلال العسكرى ( فى ديوان المعانى ) أخبرنا أبو أحمد . وقال القالى ( فى أماليه ) : حدَّثنى يعقوب وَرَّاق أبى بكر ابن دريد ، قالا [٢] : حدَّثنا أبو بكر بن دريد قال : حدَّثنا الفضل بن محمد بن العَلاّف قال : لمَّا قدم بُغَا [٣] ببنى نميرٍ أسرى ، كنتُ كثيراً ما أذهبُ إليهم فأسمعُ منهم ، وكنت لا أعدَمُ أنْ ألقى الفصيحَ منهم ، فأتيتهم يوماً فى عقب مطرٍ ، وإذا فتىً حَسنُ الوجه قد نَهَكه المرضُ ، يُنشِد :

أبيات الشاهد

( ألا يا سنابرقٍ على قُلَلِ الحِمَى    لَهِنَّكَ من برقٍ علىَّ كريمُ
لمعتَ اقتذاءَ الطَّيرِ والقومُ هجَّعٌ    فهيَّجتَ أسقاماً وأنت سليمُ
فهلْ مِن مُعيرٍ طرفَ عينٍ خليَّةٍ    فإنسانُ عينِ العامرىِّ كليمُ
رمَى قلبَه البرقُ الملالِئ رَميةً    بِذِكر الحِمى وهنًا فباتَ يَهيمُ )

---

(١) مجالس ثعلب ١١٣ وأمالى القالى ١ : ٢٢٠ والسمط ٥١٢ وديوان المعانى ٢ : ١٩٢ وابن يعيش ٨ : ٦٣ / ٩ : ٢٥/١٠ : ٤٢ والمقرب ١ : ١٠٧ والممتع ٣٩٨ والمغنى ٢٣١ والهمع ١ : ١٤١ واللسان ( لهن ، قذى ) .

(٢) يعنى أبا أحمد ، وهو الحسن بن عبد الله العسكرى شيخ أبى هلال ، وأبا يعقوب ورَّاق أبى بكر ابن دريد ، وهو إسحاق بن إبراهيم بن الجنيد . كما فى أمالى القالى ٣ : ٣٩ . ويقال له أيضا إسحاق بن الجنيد ، كما فى البغية وطبقات الزبيدى ٢٠٢ وإنباه الرواة ١ : ٢٢٠ والأمالى ٢ : ٩٣ ، ٣٢٣ .

(٣) بُغا : علم تركى . وبغا هذا هو بغا الكبير ، من قواد الواثق . وقد أمره الواثق بالمسير إلى بنى نمير سنة ٢٣٢ كما فى تاريخ الطبرى وغيره ، وذلك بتحريض من عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . وبغا هذا والد موسى بن بغا ، وخال القائد أوتامش التركى كما فى التنبيه والإشراف ٣١٥ . ومن المعروف أنه كان وزيرا للمعتصم ، وأنه اشترك فى قتل المتوكل بسر من رأى سنة ٢٤٧ . وجاء اسمه محرفا فى الأمالى والسمط برسم « بغاء » ، وإنما هو علم أعجمى .

فقلت : يا هذا إنّك لفى شُغلٍ عن هذا . فقال : صدقتَ ولكنِّى انطقنى البرق .

زاد عليه القالى : ثم اضطجع فما كان ساعةً حتّى مات ، فما يُتوهَّمُ عليه غير الحبّ .

وروى السيوطى ( فى شرح أبيات المغنى ) عن ثعلب ( فى أماليه ) بسندٍ إلى محمد بن مَعْن الغفارى قال : أقحمت سنةٌ بالمدينة ناساً من الأعراب ، فيهم صِرْمٌ من بنى كلاب [1] فأبرقوا ليلةً فى النُّجُدِ [2] وغدوتُ عليهم فإذا غلامٌ منهم قدْ عادَ جِلدًا وعظما ، ورفَع عقيرتَه بأبياتٍ قد قالها من الليل . وأورد الأبيات . قال : فقلت له : فى دونِ ما بك ما يُفْحِم عن الشعر . قال : صدقتَ ولكنَّ البرق أنطقَنى . قال : ثم والله ما لبث يومَه تامًّا حتى مات قبلَ الليل ، ما يُتَّهم عليه غيرُ الحبّ .

وفى رواية وكيع زيادة بيتٍ بعد البيت الثانى ، وهو :

فَبِتُّ بحدِّ المرفَقيـنِ أُشِيمُـه    كأنِّى لبرقٍ بالسِّتّارِ حميمُ

وقد تصفّحت أمالى ثعلب مراراً ولم أر فيها هذه الأبيات ، ولعلَّ ثعلبا رواها فى غير الأمالى [3] ، ولهذا لم يقيِّد ابن جنى ( فى سر الصناعة [4] ) النَّقْل عنه بالأمالى ، قال : قرأتُ على محمد بن الحسن وقُرِئ عليه وأنا حاضر ، عن أحمد بن ٣٤٠

---

(١) الصرم ، بالكسر : كما سيأتى فى التفسير .

(٢) النجد ، بضمتين اجمع نجد ، وهو ما غلظ وأشرف من الأرض .

(٣) كتبت قديما فى حواشى ثعلب ١١٣ : « قلت : هذا دليل على نقص نسخة البغدادى من أمالى ثعلب » .

(٤) فى غير الجزء الأول المطبوع من سر الصناعة .

يحيى . وحَدَّثنا به أيضاً عن أبى العباس محمدِ بن يزيدَ محمدُ بنُ سلمة : « ألا يا سَنا برقٍ » . البيت . فأحمد بن يحيى هو ثعلب ، ومحمد بن يزيد هو المبرد ، ومحمد بن سلمة هو الرَّاوى عن المبرد .

وكذا صنع ( فى الخصائص ) . وكان ابنَ برّىٍ وقع نظرهُ على سند ابن جنّى ولم يحقِّق النظر ، فنسب الشعر فى حاشية الصحاح إلى محمَّد بن سلمة ، وتبعه العينى فى ذلك .

و ( السَّنا ) بالقصر : ضوء البرق . و ( القُلَل ) : جمع قُلّة وهى من كل شىء : أعلاه . ورواه ابن برى : « قُنَن الحِمى » جمع قُنّة بمعنى القُلّة . و ( الحمى ) هو المكان الذى يُحمَى مِن الناسِ فلاَ يقرَبُه أحدٌ ، وأرَاد به حِمَى حبيبته [1] . و ( من برقٍ ) تمييز مجرور بمن . و ( كريمٌ ) خبر لَهِنَّك . وعلىَّ متعلّق به ، مِن كرُم الشىء أى نَفُسَ وعزَّ .

وقوله : « لمعت » . إلخ لمع الشىءُ : أضاء . واقتذاء بالقاف والذال المعجمة ، قال ابن برىّ : اقتذاء الطير هو أن يفتح عينه ثم يُغمِضها إغماضة . انتهى . وكذا فى القاموس . والمصدر هنا قائمٌ مقامَ الظرف . يريد أنَّ البرق لمَعَ وقتَ فِعل الطّيرِ ذلك ، وذلك يكون قُبَيل الصبح . يقال إنّ كلَّ طائرٍ إذا كان آخرُ الليل فتح عينَه ، ثم أغمضَها ثم فتَح . وأصل ذلك من القَذَى ، وهو ما يسقُط فى العين . وروى أبو هلال : « الطرف » بدل الطير .فالطَّرْفُ هنا العَين ، وهو فى الأصل نظرُ العين ، مصدر طَرَفَ البصرُ ، من باب ضرب .

وقوله : « فبِتُّ بحدّ » إلخ حدّ كلَّ شىء : طرفه . وأَشيم : مضارع شِمت البرقَ ، إذا نظرتَ إلى سَحابته أين تُمطر . أراد إنّى اتّكأْتُ على طرفَىْ مِرْفقى

---

(١) ط : « حى حبيبته » ، والوجه ما أثبت من ش .

فنظرتُ إليه . والسِّتار ، بكسر السين المهملة بعدها المثناة الفوقية ، قال البكرى ( فى المعجم ) : هو جبلٌ معروف بالحجاز .

وهذا البيت يبيِّن أنَّ هذه الحكاية وقعت فى مدينة الرسول ﷺ .

والحميم : القريب .

وقوله : « البرقُ المُلَألُىُّ [1] » قال البكرى ( فى شرح أمالى القالى ) : هكذا رواه أبو على القالىُّ ، وقال : مُلألٌ : موضعٌ نسب البرق إليه . وغيرُه ينشد : « البرق الملالىء » بالهمز ، من التلألؤ . ونقل هذا الكلام بعينه ( فى معجم ما استعجم ) ولم يعيِّن الموضعَ . ولم يوردْهُ ياقوتٌ فى معجم البلدانِ أصلاً . وروى أبو هلال بدله : « البرق اليمانى » .

والعقيرة : الصَّوت ، وأصله أنَّ رجلاً قُطِعت إحدى رجليه فرفعَها ووَضَعها على الأخرى وصرخ ، فقيل لكلِّ رافعٍ صوتَه : قد رفع عقيرته . والصِّرم ، بالكسر : أبياتٌ من الناس مجتمعة .

بُغا التركى

وبُغَا : أعظم قائدٍ من قوّاد الواثق بالله بن المعتصم بن هارون الرشيدِ العباسى ، نقل النويرى ( فى تاريخه نهاية الأَرَب [2] ) أنّ بنى سُليم كانت تُفسد حولَ المدينة ، فقويت شوكتُهم واغتصبوا أموالَ الناس ، فوجَّهَ الواثق بُغَا فى سنة ثلاثين بعد المائتين إلى الأعراب الذين أغاروا بنواحى المدينة ، فقَتل منهم خلقاً ، وأسَرَ من أكابر مفسديهم زُهاءَ ألِفِ رجل ، وحبسَهم فى المدينة ، فنقَبوا السِّجن وخرجوا ، فأَحَسَّ بهم أهل المدينة فقتلهم سُودانُها .

---

(١) فى نسخة الأمالى المطبوعة : « البرق الملالى » ، ولا ريب أنه تحريف .

(٢) ط : « الأدب » ، صوابه فى ش .

وقال البكرى ( فى شرح أمالى القالى ) : ذكر أبو على عن مفضَّل بن أحمد [١] قال : لمّا قدِم بُغا ببنى نُميرٍ أسرى ، كان هذا الذى ذكره فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، آخرَ أيّام الواثق . وذلك أنّ عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير امتدحَ الواثقَ بقصيدةٍ ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، ثم كلَّم عمارةُ الواثقَ فى بنى نمير ، وأخبره بعَيْثِهم وإفسادهم فى الأرض ، وغاراتهم على اليمامة وغيرِها ، فكتب الواثق إلى بُغا وهو بالمدينة ، وأمرهُ بحربهم ، وأنهَّم قتلوا أبا نصر بن حُميد بن عبد الحميد الطوسى ، الذى رثاه الطائى ، فسار إليهم حتّى وافاهم فى بطن نخلٍ من عمل اليمامة ، فهزمه بنو نمير ، حتّى بلغ معسكره وأيقَنَ بالهلكة ، ثمّ تشاغلوا بالنهب حتّى ثاب إلى بُغا مَن كان انكشف من أصحابه ، فكرُّوا على بنى نمير فهزموهم ، وقتلوا منهم زُهاءَ ألِف وخمسِمائة ، ونقل إلى بغدادَ منهم نحو ألفَىْ رجل ، ومن بنى كلاب وبنى مُرّة وفزارة . فطَفِئت منذ ذلك جمرةُ بنى نمير ، وكانت إحدى الجمرتين الباقيتين . هذا كلامه ، والله أعلم .

٣٤١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٦٤** ( ألا لا بارَك اللَّهُ فى سُهيلٍ إذا ما اللهُ بارَكَ فى الرِّجالِ )

على أنّه حذف الألف من لفظ الجلالة الأوّل قبل الهاء .

وهذا الحذفُ لضرورة الشعر ، ذكره ابن عصفور ( فى كتاب الضرائر ) .

* * *

(١) فى الأمالى والسمط : « مفضل بن محمد العلاف » .

(٢) إصلاح المنطق ٤٧ ، ٢٦٦ والخصائص ٣ : ١٣٤ والمحتسب ١ : ١٨١ والممتع ٦١١ والضرائر ١٣١ والمخصص ٦ : ١٦٠ والأشباه والنظائر ١ : ١٧١ واللسان ( أله ٣٦٣ ) .

وأنشد بعده :

( أقبل سيلٌ جاءَ مِنْ عندِ اللّهْ   يَحرِدُ حَرْدَ الجنَّةِ المُغِلَّهْ [(١)] )

وقال : أنشدهما قطرُب .

وقال القاضى البيضاوى : حذفُ ألفه لحنٌ تفسُد به الصلاة ، ولا ينعقد به صريحُ اليمين . وقد جاء لضرورة الشعر :

* ألا لا باركَ اللّهُ فى سُهيل * ... البيت .

ـ وهو فاعل لا بارك ، مرفوع بضمة ظاهرة .

وظنّ العصامُ ( فى حاشية القاضى ) أنَّ الهاء ساكنة فقال : كما أنّ حذفَ الألف للضرورة كذا حذفُ الإعراب . ويمكن أن يكون حذف الإعراب لَجرْيِ الوصل مَجرى الوقف . هذا كلامه .

والألف المحذوفة هى ألف فِعَال إذْ أصلُ الله الإله ، فتكون زائدة ، وليست عينَ الفعل ، بناءً على أن أصله لاهٌ ، مصدر لاه يليه لَيْها ، إذا احتجبَ وارتفع ، فيكون أصله لَيَه ، تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فقُلِبَتْ ألفا .

قال ابن جنى ( فى المحتسب ) بعد إنشاد البيت : حَذَف الألف قبل الهاء ، وينبغى أن تكون ألف فِعال لأنّها زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ إِلٰهِ النَّاس ﴾ ولا تكون الألف التى هى عين فَعَلٍ فى أحد قَوْلَىْ س أنّ أصله لاهٌ كتَابٍ ، لأنّ الزائد أولى بالحذف من الأصلىّ . انتهى .

وكون الله أصله لاه فى أحد قولَىْ س نقله الزجّاج عنه فقال : قال سيبويه : سألت الخيل عن هذا الاسم ، يعنى قولنا الله ، فقال إلٰه ، وقال مرّةً أخرى : الأصل لاه .

---

(١) معانى الفراء ٣ : ١٧٦ والكامل ٣٣ ، ١٨٠ وابن الشجرى ٢ : ١٦ والضرائر ١٣٢ والمزهر ١ : ١٨١ واللسان ( حرد ١٢١ أله ٣٥٩ ) .

ورد عليه الفارسى ( فى الأغفال ) بأنَّ هذا الذى حكاه عن سيبويه عن الخليل سهوٌ ؛ لأنَّ سيبويه لم يحكِ عن الخليل أنّ الله أصله إله ، ولا قال : سألته عنه ، ولا حكى عن الخليل القول الآخر الذى قاله ، أنّه لاه .

وردّ ابن خالويه عليٍّ أبى على بأنّه قد صح القولانِ عن سيبويه . ولا نُنكر أنْ تكون هذه الحكاية قد ثبتت عند أبى إسحاق الزجاج بروايةٍ له عن سيبويه من غير جهةِ كتابه ، فلا يكونُ حينئذ سهواً . وقد وقعت إلينا مسائل جَمّةٌ روى سيبويه الجوابَ فيها عن الخليل ولم يضمِّن كتابه شيئاً من ذلك .

وردّ عليه أبو على ( فى نقض الهاذور ) بأنّ الذى يَحكى هذه الحكاياتِ عن سيبويه عن الخليل وعن أبى الحسن متقوِّل كذّاب ، ومتخرِّص [1] أفّاك ، لا يَشُكُّ فى ذلك أحدٌ له أدنى تنبُّهٍ وتيقُّظ . ولم يُصغ إلى القبول منه والاشتغال به إلاّ الأغمارُ الأغفال ، الذين لا معرفةُ لهم بالرُّواة ورواياتهم ، وتمييز صادقِهم من كاذبهم ، وضابِطهم من مُجازفهم ومتجوِّزِهِمْ فى الرواية . وما علمتُ أحداً من شيوخنا الذين أدركناهم ، منهم أبو إسحاق ، روى حكايةً واحدةً فضلاً عن حكايةٍ عن الأخفش عن الخليل ، ولا عن سيبويه عن الخليل ، إلاّ ما ثبت فى كتابه . بَلْ [2] رأيتُ رجلاً روى حكايةً واحدة أسندها إلى الأخفش عن الخليل فى شئٍ من العَروض ، ولم يكن هذا الرجل مَوثوقا به [3] فى خبره ، ولا مسكونا إلى حكايته . فأمّا نحن فلم يقع إلينا من الحكايات عن سيبويه مالم يثبت فى كتابه ، إلاّ حكايتان أو ثلاث : إحداها : عن محمد بن يزيد عن أبى زيد عنه ، وهى أنّ محمد بن السَّرِى روى عن مُحمد بن يزيد أنّه قال : لقى أبو زيدٍ سيبويه فقال

٣٤٢

(١) تخرص : كذب وافتعل الأخبار . ط : « متخوض » بالواو الضاد المعجمة ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « بلى » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) فى النسختين : « موثقا به » تحريف ما أثبت .

أبو زيدٍ لسيبويه : إنّى سمعتُ من العرب من يقول قريْتُ وتوضّيت بالياء ، فيبدل الياء من الهمزة . فقال : فكيف تقول أفعلُ ؟ قال : أقرا ، ولا ينبغى أن تقول أقرِى .

والحكاية الأخرى أو الحكايتان حكاهما أوْ حكاها [(١)] ابنُ سلام عنه على عادة نَقَلة الآثار . هذا مع ما تصفّحنا ما أخذه محمد بن السرىّ عن محمد بن يزيد أو عامّته ، وتصفُّح ما جمعه أبو عبد الله الفَزارى وغيرُه ، ومع صحبة على بن سليمان وإبراهيم بن السرىّ وغيرهم ، فلم نَسمع أحداً روى شيئاً من ذلك . وإنّما عمِلَ هذا الأسنادَ هذا الكذّابُ الأفّاك .

وممّا يدلُّ على غِرّة هذا الإسناد أنّا لم نجد أبا الحسن يُسند إلى الخليل شيئاً إلاّ على جهة الإرسال فيقول : قال الخليل ، أو على جهة الحكاية عن غيره فيقول : زعموا أنَّ الخليلَ كان يقول . ولم نعلمه قال : سمعت الخليل ، أو حدَّثنى الخليل ، كما يقول ذلك فى عيسى ويونس . والذين [(٢)] يحكى عنهم عن الخليل ممّن كان اختصَّ بملازمته وصُحبتِه نفرٌ ، منهم سيبويه ، والنضر بن شُمَيل ، ومؤرِّج السَّدوسى ، وعلى بن نَصْر [(٣)] .

ثم ردّ على ابن خالويه فى نقله بأنَّ من النحويِّين من يقول أصله وَلَهٌ ، وغلَّطه فيه بأنّه تحريف فى الرواية وتزييف . قال : ولم نعلم من النحويِّين بَصريِّهم

---

(١) ط : « وحكاها » ، صوابه فى ش

(٢) فى النسختين : « والذى » .

(٣) ط : « بصير » ش : « نصير » . وكلاهما خطأ ، وإنما هو على بن نصر الجهضمى . قال الصفدى : كان من أصحاب الخليل فى العربية ورفقاء سيبويه . هـ . وروى له الجماعة ، ومات سنة سبع وثمانين ومائة . بغية الوعاة ٣٥٨ . وفى طبقات الزبيدى ٧٨ : « سمعت الأخفش يقول : نفذ من أصحاب الخليل فى النحو أربعة : سيبويه ، والنضر بن شميل ، وعلى بن نصر ، ومؤرِّج السدوسى » . وابنه نصر بن على ابن نصر هو الذى قال : « لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبى : تعال نحيى علم الخليل » . والجهضمى : نسبة إلى جهضم بن عوف بن مالك بن فهم . انظر جمهرة ابن حزم ٣٨٠ .

ولا كوفيٌّهم منَ ذهب فى هذا الاسم إلى أنّه من الوله ، وإنمّا ذهب إليه من ليس من أهل النَّظر فى العربية ، لوضوح خطأ القول بذلك فيها من جهة اللفظ . ألا تَرى أنَّ من أجاز أن يبدل من الفاء التى هى واوٌ الهمزةَ ، لأنّها مكسورة فى قول من رأى البدَل من المكسورة على الاطّراد ، كما يرى الجميع بدلَ الهمزة من المضمومة ، فإنّهم لم يذهبوا إلى ذلك ، لأنّ قولهم فيه تألَّه دلالة على أنّه ليس من الواو . ألا ترى أن من يقول فى الوشاح : إشاح وفى الوسادة : إسادة يقول : توشَّح وتوسَّد . والمستعمل فى هذا الاسم تألَّه . قال :

* سَبَّحْنَ واسترجَعْن من تألُّهِى (١) *

ولو كان من الوله لكان تولَّهَ . ولو كان فى الكلام لغتان لَتعاقبَ الحرفان على الكلمة ، كما جاء ذلك فى سَنَة . فللخطأ الظاهرِ من جهة اللفظ لم يذهب إلى هذا القول نحوىٌّ فيما علمناه .

وممّا يدل على فساد القول بذلك أيضاً من جهة اللفظ أنّهم قالوا فى جمع إله آلهة ، كما قالوا فى جمع إناء آنية ، وأوانٍ آونة . ولو كان من الوله لوجب أن يكون الجمع أولهة ، كما قالوا أوعية . فَللفسادِ الظاهر من جهة اللفظ لم يذهب إليه أحدٌ من أهل العربيَّة . فأمَّا من جهة المعنى فليس بممتنع ، ولا فيه شئ ينبغى أن يُجتنَب ، لأنّ الذى يقول من غير النحويِّين إنّ إله فِعالٌ من الولَه ، إنّما هو لوله العباد إليه ، ودعائهم له ، وإسراعهم إلى ذلك عندما يدهَمهم من الأمور ، وهذا لا يمتنع الوصفُ به كما لا يمتنع فيه التسمية بإلاه . ٣٤٣

ومعنى الإلاهة فى اللُّغة العِبادة ، قال ابن عباس ، فى قوله عز وجل :

(١) فى النسختين : « من تأله » ، صوابه من ديوان رؤبة ١٦٥ والمحتسب ١ : ٢٥٦ والمخصص ١٣ : ٩٧/ ١٧ : ١٣٦ وابن الشجرى ٢ : ١٥ وابن يعيش ١ : ٣ واللسان ( أله ٣٦١ مده ٤٣٧ ) .

﴿ ويَذَرَك وإلٰهَتَكَ [١] ﴾ ، قال : عبادتك . فكما أنَّ العبادة لا تكون من الله سبحانه إنما تكون من عبادِه له ، كذلك لا يكون الولَه من الله سبحانه ، وإنَّما يكون مِن عباده إليه . إلى آخر ما ذكره أبو على .

وأما البيت الثانى فقد قال المبرِّد ( فى الكامل ) ذكر أبو عبيد أنَّ أبا حاتم قال : هذا البيتُ مصنوعٌ ، صنَعهُ مَن لا أحسَنَ الله ذِكره . يعنى قُطرباً .

قال ابن الشجرى ( فى أماليه ) : قائل هذا الرجز إنمّا حذف الألفَ للضرورة وأسكن آخره للوقف عليه ، ورقَّق لامه لانكسار ما قبلها ، ولو لم يأتِ على قافيةِ البيت « المُغِلّه » لأمكن أن يقول : جاء من أمر اللاه ، فيُثبت ألفه ويقف على الهاء بالسكون . انتهى .

وأورده الفراء ( فى تفسيره ) عند قوله تعالى : ﴿ وغدَوا على حَرْدٍ قادرين [٢] ﴾ ، قال : على حَرْد : على حَدٍّ [٣] وقُدْرةٍ فى أنفسهم . والحرد أيضاً : القصد ، كما يقول الرجل للرجل : قد أقبلْتُ قِبَلَكَ ، وقصدت قَصْدَك ، وحردتُ حَرْدَك . وأنشد بعضهم :

وجاء سيلٌ كان من أمر اللّهْ  يَحرِدُ حَرْدَ الجنّةِ المُغِلّه

يريد : يقصد قصدها . انتهى .

واستشهد به ابن السكيت ( فى إصلاح المنطق ) ، وابن الأنبارىّ ( فى شرح المفضليات ) ، والبيضاوى ( فى تفسيره ) على أنّ الحرد فى الآية بمعنى

(١) الآية ١٢٧ من الأعراف . وهذه قراءة ابن مسعود ، وعلى ، وابن عباس ، وأنس ، وجماعة غيرهم ، كما فى تفسير أبى حيان ٤ : ٣٦٧ .

(٢) الآية ٢٥ من سورة القلم . وانظر معانى الفراء ٣ : ١٧٦ .

(٣) الحد بفتح الحاء : الحدة . وفى ش ومعانى الفراء : « جد » بالجيم . والجد ، بالكسر : الاجتهاد والمضاء .

القَصْد . قال ابن السيرافى ( فى شرح أبيات الإصلاح ): الجنَّة : البستان . والمُغِلّة : التى فيها الغَلّة . يقال أغلَّت ، إذا خرجَتْ فيها غَلّة .

صاحب الشاهد

وقال ابن السِّيد ( فى شرح الكامل ) : هذا الرجز لقُطرب بن المستنير ، ورواه بعضهم : « حردَ الحيّة المُغِلّه » بالحاء غير المعجمة والياء . ويجوز أن يريد بالحيّة الأرضَ المخصبة . يقال [1] حَيِيت الأرضُ ، إذا أخصبت ، وماتت ، إذا أجدبت. فيكون مثل رواية من روى « الجنَّة » ، ويكون معنى المُغِلّة ذات الغلّة . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الثمانمائة [2] :

٨٦٥ ( ولكنَّنى من حُبِّها لَعَميدُ )

على أنّ الكوفيِّين استدلُّوا به على جواز دخول اللام فى خبر لكنَّ . ومنعه البصريُّون ، وأجابوا عن هذا بأنّه إمّا شاذٌ ، وإمّا أنّ أصله لكنْ إنَّنى .

ومثله لابن هشام ( فى المغنى ) قال : ولا تدخل اللام فى خبرها ، خلافاً للكوفيِّين ، احتجُّوا بقوله :

* ولكنَّني من حبِّها لَعميدُ *

ولا يعرف له قائلٌ ولا تتمة ولا نظير . ثم هو محمولٌ على زيادة اللام ، أو على أنّ الأصل لكنْ إنّنى ثم حذفت الهمزة تخفيفا ، ونون لكْن للساكنين . انتهى .

---

(١) ط : « قال » ، صوابه فى ش .

(٢) معانى الفراء ١ : ٤٦٥ والانصاف ٢٠٩ برواية « لكميد » فيهما ، وابن يعيش ٨ : ٦٢ ، ٦٤ والضرائر ٥٩ ورصف المبانى ٢٣٥ ، ٢٧٩ والمغنى ٢٣٣ ، ٢٩٢ والعينى ٢ : ٢٤٧ والتصريح ١ : ١١ والهمع ١ : ١٤٠ والأشمونى ١ : ٢٨٠ .

وهذا نصُّ إمام الكوفيين الفراء ( فى تفسيره ) : وإنمّا نصبت العربُ إذْ شُدِّدت نونَها لأنّ أصلها إنَّ ، زيدت على إنّ لام وكاف فصارتا جميعا حرفاً واحدا . ألا ترى أنّ الشاعر قال :

* ولكننى من حبها لَكَميدُ (١) *

فلم تدخل اللام إلاّ أنَّ معناها إنّ ، وهى فيما وصلت به من أولها بمنزلة قول الشاعر :

٣٤٤ لَهِـنّكِ من عبسيَّةٍ لوسيمـةٌ على هَنَواتٍ كاذبٍ مَنْ يقولُها (٢)

وصل إنّ ههنا بلام وهاء كما وصلها ثَمَّ بلام وكاف . والحرف قد يُوصَل من أوّله وآخره . انتهى .

ونسب ابن الأنبارى ( فى مسائل الخلاف ) هذا الكلام إلى الكوفيين وقال :

أجاب البصريون عنه بأنّه محمولٌ على أنّ التقدير ولكنْ إنّنى ، فحذفت الهمزة من إنّ تخفيفا فاجتمع أربع نونات ، فحذفوا نون لكنْ استثقالاً لاجتماع الأمثال . ولو حُمل على ما زعمتم فهو شاذٌّ لا يكاد يُعرف له نظير . ولو كان قياساً لكثُر فى الكلام كما فى خبر إنّ . وأما قولهم إنَّ الأصل إنّ ثم زيدت عليها اللام والكاف ، قلنا : لا نسلِّم ، فإنّه دعوى بلا دليل ، ولا نسلِّم أيضا أنّ الهاء فى لَهنّكِ مع اللام زائدة ، وإنمّا هى مبدلة من ألف إنّ ، فإنَّ الهاء تبدل من الهمزة ، ولهذا جاز أن يجمع بين اللام وبينها ، لتغيُّر صورتها . وقد حُكِى عن أصحابكم فيه وجهان :

---

(١) ش : « لعميد » ، وهما روايتان ، لكن رواية « لكميد » هى رواية الفراء .

(٢) سبق الكلام عليه فى حواشى ص ٣٤٠ .

أحدهما قول الفراء ، وهو أنّ أصله : والله إنك ، فحذفت الهمزة من إنّك والواو وإحدى اللامين والألف ، فبقى لهنَّك .

والوجه الثانى ، وهو قول المفضّل بن سلمة ، أنّ أصله : لله إنّك ، فحذفت لامان والهمزة من إنّ . فسقط الاحتجاج به على كلا المذهبين .

وأما قولهم : إنّ الحرف قد يُوصل فى أوله ، قلنا : إنمَّا جاء قليلاً على خلاف الأصل ، فلا يقاس عليه . انتهى باختصار .

واقتصر الزمخشرى ( فى المفصَّل ) على الجواب الثانى فقال : وقوله :

* ولكننى من حبها لَعَميدُ [1] *

أصله : ولكنْ إنّنى ، كما أنّ أصل قوله تعالى : ﴿ لكنَّا هو الله ربِّى ﴾ : لكنْ أنا . انتهى .

ونقل العينى عن البَعْلىّ[2] بأنّ البصريين أجابوا عنه بأنَّ أصله ولكنْ أنا من حبها لَعميد ، فحذفت الهمزة واتصلت لكن بنا ، فأدغمت النون فى النون فصار كما ترى . انتهى .

أقول : هذا فاسد ، فإنَّه يكون حينئذ من قبيل :

* أُمّ الحُلَيسِ لَعجوزٌ شهرَبَه [3] *

ولا يجوز تخريج الشاذّ على الشاذّ . مع أنَّ البصرِيِّين لم يقولوا ما نقله عنهم . والعميد : الذى هدَّه العشق . قال الجوهرى : عَمَده المرضُ ، إذا فدَحه . ورجلٌ

---

(١) ط : « لكميد » وهما روايتان ، لكن رواية « لعميد » هى رواية الزمخشرى وابن يعيش .

(٢) نسبة إلى بعلبك ، وهو محمد بن أبى الفتح بن أبى الفضل البعلى الحنبلى الفقيه النحوى . ولد سنة ٦٤٥ وقرأ النحو على ابن مالك ، وصنف شرحا على الألفية ، وتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٩ .

(٣) لرؤبة ، أو عنترة بن عروش ، وهو الشاهد ٨٥٥ فيما سبق .

معمود وعميد ، أى هدَّه العشق . والكميد : وصفٌ من الكمَد ، وهو الحزن .

* * *

وأنشد بعده :

( أمُّ الحُلَيسِ لَعجوزٌ شَهربَهْ )

وتقدَّم شرحه قريبا [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٦٦ ( إنَّ الخليفةَ إنَّ الله سَرْبَلَهُ )

هو صدر وعجزه :

( لباسَ مُلْكٍ به تُزْجَى الخواتيمُ )

على أنّ المكسورة يجوز أن تقع خبراً للأحرف الستة .

وهنا وقعت جملة « إنّ الله سربله » خبراً لقوله إنَّ الخليفة ، والرابط الهاء فى سَربَله . ولا يجوز فتح إنَّ هنا لأنّه يصير فى تقدير . إنّ الخليفة سَرْبلَتهُ [٣] ؛ ولا يصح الإخبار بالحدث عن اسم العين ، ولهذا وجب كسرُها . وسربَلَه : ألبسه ، يتعدَّى لمفعولين أولهما ضمير الخليفة ، والثانى اللباس بمعنى الثَّوب . وجملة به تزجى الخواتيم صفة لمُلْك ، والرابط الهاء فى به . ويجوز أن تكون الجملة خبراً

---

(١) الشاهد ٨٥٥ .

(٢) معانى الفراء ٢ : ١٤٠ ، ٢١٨ ومجالس العلماء ٢٩٣ وديوان جرير ٥٢٧ .

(٣) فى النسختين : « سرباله » .

لإنّ الخليفة ، وحينئذ جملة إنّ الله سربله لباسَ مُلك معترضة بين اسم إنّ وخبرها كما قال أبو حيّان ، فتكون الهاء فى به ضميرَ الخليفة . ويجوز أيضاً أن تفتح أنَّ على ٣٤٥ تقدير اللام [١] . وتزجى بالزاى والجيم . والإزجاء : السَّوق . والخواتيم : جمع خاتام لغة فى الخاتَم . يريد إنّ سلاطين الآفاق يُرسِلون إليه خواتمهم خوفاً منه ، فيضاف مُلكهم إلى ملكه . ويروى : « ترجى » بالراء المهملة ، من الرجاء . وهذه الرواية أكثَرُ من الأولى .

ومثل الوجه الأوّل آية سورة الحج ، وهى : ﴿ إنَّ الذين آمَنُوا والذين هادُوا والصَّابئين والنَّصارَى والمَجُوسَ والذين أشْرَكوا إنّ الله يَفصِلُ بينَهُمْ يومَ القِيامة [٢] ﴾ ، قال الزجاج ، وتبعه صاحب الكشاف : خبر إنّ الأولى جملة الكلام مع إنّ الثانية . وقد زُعِم أنّ قولك : إنّ زيدا إنّه قائم ، ردىء ، وأنَّ هذه الآية صَلَحت فى الذين [٣]. ولا فرق بين الذين وغيره فى باب إنّ . [ إنْ [٤] ] قلت : إنّ زيدا إنّه قائم ، كان جيِّدا . ومثلُه قوله الشاعر :

* إنّ الخليفَة إنَّ الله سربَلَه *

وليس بين البصريين خلافٌ فى أن تدخل على كل ابتداءٍ وخبر ، تقول : إنّ زيداً إنّه قائم . انتهى كلامه .

وهذا تعريضٌ بالفراء ، فإنّه قال ( فى تفسيره ) : وقوله : ﴿ إنَّ الذين آمنُوا والذين هادُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ والذين أشركوا ﴾ ثم قال : ﴿ إنّ الله ﴾ فجعل فى خبرهم إنَّ وفى أوّل الكلام إنّ . وأنت لا تقول : إنّ أخاك إنّه ذاهب ، فجاز ذلك لأنّ

---

(١) أى لام التعليل .

(٢) الآية ١٧ من سورة الحج .

(٣) ش : « الذى » ، صوابه فى ط .

(٤) تكملة بمثلها يلتئم الكلام . وفى موضعها بياض فى ط دون ش .

المعنى كالجزاء ، أى من كان مؤمنا أو على شئ من هذه الأديان ففصْلُ بينِهم [١] وحسابُهم على الله . وربَّما قالت العرب : إنّ أخاك إنّ الدَّين عليه لكثير ، فيجعلون إنّ فى خبره إذا كان إنمّا يرفع باسم مضاف إلى ذكره [٢] ، كقول الشاعر :

إنّ الخليفة إنّ الله سَربلَه  سِربالَ مُلكٍ به تُرجَى الخواتيم [٣]

ومن قال هذا لم يقل إنّك إنّك قائم ، ولا إنّ أباك إنّه قائم لأنّ الاسمين قد اختلفا ، فحسُن رفض الأوّل ، وجُعِل الثانى كأنّه هو المبتدأ.فحسُنَ للاختلاف ، وقبُح للاتفاق . انتهى كلامه .

ومثل البيت فى الوجهين آية سورة الكهف ، وهى قوله تعالى ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات إنّا لا نُضيعُ أجْرَ مَنْ أحسَنَ عَملاً . أولئك لهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ [٤] ﴾ ، فيجوز أن يكون إنّا لا نضيع إلخ خبر إنّ الذين ، والرابط العموم . ويجوز أن يكون الخبر جملة أولئك لهم جنات عَدْن ، ويكون [٥] جملة إنّا لا نُضيع إلخ معترضة بين اسم إنّ وخبرها .

قال الزجاج : يجوز أن يكون الخبر إنّا لا نضيع أجْرَ من أحسن عملا ، ومعناه إنّا لا نضيع أجرهم ، لأنَّ ذِكر مَنْ كذكر الذى ، وذِكْر حُسن العمل كذِكر الإيمان ، فيكون كقولك : إنَّ الذين يعملون الصالحات إنّ الله لا يضيع

---

(١) ففصل ، بفاءين فى النسختين ومعانى الفراء ٢/٢١٨ . والفصل : القضاء والحكم ، والتفرقة بين المتخالفين .

(٢) أى الضمير العائد عليه .

(٣) ش : « تزجى » بالزاى .

(٤) الآيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة الكهف . والكلام من هنا إلى « عدن » التالية ساقط من ش .

(٥) ش : « وتكون » بالتاء .

أَجْرَ من آمن ، كقولك : إنّ الله لا يضيع أجره . ويجوز أن يكون خبر إنّ أولئك لهم جنات عدن ، ويكون قوله إنّا لا نضيع أجْرَ من أحسن عملا قد فُصِل به بين الاسم وخبره ، لأنَّ فيه ذِكرَ ما فى الأوّل ، لأنَّ مَنْ أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا . انتهى .

وزاد الفراء وجهين آخرين : أحدُهما أن يكون جملة « إنّا لا نضيع » بدلاً من إنّ الذين . والثانى : أن يكون الذين متضمِّنا لمعنى الشرط لعمومه ، وجملة إنّا لا نضيع الجزاءَ ، بتقدير الفاء . وهما ضعيفان لا يَجُوزان .

وهذه عبارته : خبر الذين آمنوا فى قوله إنّا لا نضيع ، وهو مثل قول الشاعر :

* إنَّ الخليفة إنّ الله سَرْبَلَه *

كأنّه [1] فى المعنى : إنّا لا نضيع أجْرَ من عمل صالحا ، فترك الكلام الأوّل واعتُمِد على الثانى بنية التكرير ، كما قال : ﴿ يسئلونك عن الشهر الحَرامِ [2] ﴾ ، ثم قال : ﴿ قتالٍ فيه ﴾ يريد عن قتال فيه بالتكرير . ويكون أنْ تجعل إنّ الذين آمنوا فى مذهب جزاء ، كقولك : إنّ مَن عمل صالحاً فإنّا لا نضيعُ أجره . فتضمر الفاء [3] ، وإلقاؤها جائز [4] . وهو أحبُّ الوجوه إلىّ . وإن شئتَ جعلت الخبر أولئك لهم جنّات عدن . هذا كلامه .

٣٤٦

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من قصيدةٍ لجرير . لكنَّ الذى رأيتُه فى ديوانه بنسخة صحيحة قديمة :

(١) فى النسختين : « كأن » ، وأثبت ما فى معانى الفراء ٢ : ١٤٠ .

(٢) الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

(٣) فى معانى الفراء : « فتضمر فتضمن الفاء » .

(٤) وإلقاؤها ، أى حذفها . وفى النسختين : « وإلغاؤها » تحريف ، صوابه من معانى الفراء .

* يكفى الخليفةَ أنَّ الله سربله (١) *

وعليه لا شاهد فيه .

وهذه القصيدة مَدح بها عبدَ العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مَرْوان.

ومطلعها :

أبيات الشاهد

( أواصلٌ أنتَ سَلمى بعد مَعْتَبةٍ ... أم صارمُ الحبل من سَلْمىَ فمَصرومُ
قد كنتُ أضمِرُ حاجاتٍ وأكتُمها ... حتَّى متى طولُ هذا الوجدِ مكتومُ )

وبعد البيت الشاهد :

( مَن يُعطه اللهُ منكم يُعْطَ نافلةً ... ويُحرَمِ اليومَ منكم فهو محرومُ
يا آل مروانَ إنّ اللهَ فضَّلكم ... فضلاً قديما ، وفى المسعاة تقديمُ (٢)
قومٌ أبوهمُ أبو العاصى وأورثَهمْ ... جُرثومةً لا تُسامِيها الجَراثيمُ
قد فاز بالغاية العُليا فأحرزَها ... سامٍ خَروجٌ إذا اصطَكَّ الأضاميمُ(٣)
ما الملكُ منتقلٌ عنكم إلى أحدٍ ... ولا بِناؤُكُمُ العاديُّ مهدومُ(٤)

وهذا آخر القصيدة . وجرير تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع من أول الكتاب (٥) .

* * *

(١) هى أيضا رواية الديوان طبع الصاوى ٥٢٧ .
(٢) المسعاة : واحدة المساعى ، وهى المكرمات . وفى الديوان : « تقويم » بالواو .
(٣) فى الديوان : « قد فات » ، أى سبق .
(٤) العادى : القديم ، كأنه منسوب إلى عاد . وفى الديوان : « منتقل منكم » .
(٥) الخزانة ١ : ٧٥ — ٧٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الثمانمائة [(١)] :

٨٦٧ ( لَقَدْ عَلِمَ الحيُّ اليَمَانُونَ أنَّنى إذا قلتُ أمَّا بَعْدُ إنِّى خَطِيبُها )

على أنه رُوِىَ ( أنّى الثانية ) بكسر الهمزة وفتحها . أمَّا الكسر فعلى أنَّ جملة إنِّى خطيبها خبر أننى المفتوحة الهمزة ، ولا يجوز فتحها لئلاَّ يؤدِّىَ إلى الإخبار بالحدث عن اسم العين كما تقدَّم قبله . وأمَّا فتحها فعلى أنّها تكرير للأولى على وجه التأكيد ، وخطيبها خبر أنّ الأولى ولا خبر لأنَّ الثانية ، لأنَّها جاءت مؤكّدة للأولى ، فهى عينها كما قرَّره الشارح فى الآية .

قال شارح اللباب : كان القياس إذا قلتُ أمَّا بعد خطيبُها ، بدون أنّى ؛ ليكون خطيبها خبر أنَّنى المذكورة أوّلاً ، وإنمّا أعيد أنّى لبعد العهد بأنَّنى السابق . انتهى .

والبيت لسحبانِ وائِل.ورُوِى صدره :

* وقد علمت قيسُ بن عَيلان أنَّنى *

وقيس : قبيلة كبيرة ، ولهذا أَنَّثَ عِلِمتْ له . وهو فى الأَصل أبو قبائَل شتَّى . وهو لقبٌ ، واسمه الناس بالنون بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . وعَيْلان بالعين المهملة ، وليس فى العرب عَيْلان غيره . واختُلف فيه : فقيل : عيلانُ لقب مُضَر ، وقيل : عيلان عبدٌ لمضَر فحضن النّاسَ فغَلب عليه ونُسِب إليه ، وقيل : عيلان : اسم فرس لقيس يُضاف إليه ، فيقال قيس عيلان ، كقول العجاج :

* وقَيس عيلانَ ومن تقيَّسا [(٢)] *

---

(١) الدرة الفاخرة ١ : ٩١ وسرح العيون ٢٥ .

(٢) ديوان العجاج ٣٣ .

وقيل غير ذلك . و ( خطيب القوم ) هو المتكلّم عنهم ، لكونه أفصحَ منهم وأبلغَ ، مأخوذ من الخطاب ، وهو القول الذى يَفهمُه المخاطب . ويقال لمن يَعِظُ القوم : خطيبٌ أيضا . يقال خطَبَهم وخطبَ عليهم ، من باب قتل ، خُطبة بالضم ، وهى فُعْلة بمعنى مفعولة ، نحو نسخةٍ بمعنى منسوخة ، وغُرفةٍ من ماءٍ بمعنى مغروفة . ومصدرُه الخَطابة ، وهو قياسٌ مركّب من مقدَّمات مقبولةٍ أو مظنونة ، من شخصٍ معتقدٍ فيه ، والغرضُ منها ترغيبُ الناس فيما ينفعهُم معاشا ومَعاداً .

٣٤٧

و ( أننى ) الأولى فى تأويل مفعولٍ سادٍّ مسَدَّ مفعولى عَلِم ، وإذا ظرفٌ لعلم .

و ( أمَّا بَعْدُ ) مقول القول ، وهى كلمةٌ يبتدىٔ بها كثيرٌ من الخطباء والكُتاب كلامهم ، كأنَّهم يستدعون بها الإصغاء لما يقولونه ، ولذلك فخر بها سحبانُ فى هذا البيت . وكثيراً ما تأتى عَقِب الحمدُ لله ، وتسمَّى حينئذ فصلَ الخطاب ، كأنَّها فصلت بين الكلام الأوَّل والثانى . وتأتى عقب البسملة ، وتأتى ابتداءً كأنَّها عقِبَ الفِكر والرَّويَّة . واختُلف فى أوّل من قالها . قال الزُّبير بن بكّار : أوّل من قال : « أمّا بعد » كعبُ بن لؤى ، كان يجمعُهم يومَ الجمعة ويخطُبهم ، وكان من قوله : « أمَّا بعد فعظِّموا حَرَمكم وزيِّنوهُ وكرِّموه ، فإنّه يخرج منه نبىٌّ كريم » ، وقيل أوّل من قالها قُسُّ بن ساعدةَ الإيادىّ ، كان يجمع بَنيهِ ويقول لهم : « أما بعدُ فإنّ المِعىَ تكفيه البقلة ، وتُرويه المَذْقة [1] » إلى آخر

---

(١) المذقة : الطائفة من اللبن الممذوق ، أى الممزوج بالماء . وفى اللسان أن المِعَى أكثر الكلام على تذكيره ، وربما ذهبوا به إلى التأنيث ، كأنه واحد دل على الجمع كما فى قوله تعالى : « ثم نخرجكم طفلا » ، أى أطفالا . وأنشد فى ذلك :

كأن نسوع رحلى حين ضمت ... حوالب غُرَّزاً ومِعىً جياعا

كلامه . وقيل أوّل من قالها داود النبى عليه السلام ، قال أبو موسى الأشعرىُّ والشَّعْبّى : أمَّا بعد هى فصل الخطاب فى قوله تعالى : ﴿ وآتيناهُ الحِكمةَ وفَصْلَ الخِطاب [١] ﴾ . والصحيح أنّه داود ، وإنمّا قُسّ بن ساعدة أول من خَطب بها فى العربِ وكَتَبها أوّلَ الكتب على ما ذُكر . وقيل فصل الخطاب فى الآية : البينةُ على المدَّعى واليمينُ على من أنكر ، وقيل : الفَصْل بين الحقِّ والباطل ، وقيل : الفِقه فى القضاء .

سحبان وائل

وسحبان أورده ابن حجر ( فى الإصابة ، فى قسم المخضرمينَ الذين أسلموا فى زمن النبى ﷺ ولم يجتمعوا به [٢] ). وهو سحبان بن زُفَر بن إياس الوائلى وائِل باهلة . خطيبٌ مفصِحٌ يضرب به المثلُ فى البيان . أدرك الجاهليَّة وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين .

وحكى الأصمعىّ قال : كان إذا خطب يَسِيل عرَقاً ، ولا يُعيد كلمةً ولا يتوقَّف ولا يقعد حتّى يفرُغ .

وقدم على معاوية وفدٌ من خراسان فيهم سعيد بن عثمان ، فطلبَ سحبانَ فأُتِىَ به ، فقال : تكلَّمْ . فقال : انظُروا لى عصاً تقوِّم من أوَدِى . فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطبُ ربَّه وعصاه فى يَدِه . فضحِك معاوية وقال : هاتوا عَصَاهُ [٣] ، فأخذها ثم قام فتكلَّم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ، ما تنحنَح ولا سَعَلَ ولا توقَّف ، ولا ابتدأ فى معنىً فخرج منه وقد بقى عليه شئ . فما زالت تلك حالتَه حتى أشار معاوية بيده [٤] ، فأشار إليه سحبان أن لا تقطع علىَّ كَلامى .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة صٓ .

(٢) الإصابة ٣٦٥٨ . وهى ترجمة موجزة جدا فى سطور أربعة .

(٣) فى زهر الآداب ٨٨٤ حيث يوجد الخبر : « فجاءوه بعصا فلم يرضها ، فقال : جيئونى بعصاى » .

(٤) فى زهر الآداب : « بيده ، أن اسكت » .

فقال معاوية : الصَّلاة . فقال : هى أمامَكَ ، ونحنُ فى صلاةٍ وتحميد ، ووَعْدٍ ووعيد . فقال معاوية : أنت أخطَب العرب . فقال سحبان : والعجم والإنس والجن .

وممَّا روى من خطبه البليغة : إنَّ الدُّنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار . أيُّها الناس فخذُوا من دار مَمَرِّكُم لدارِ مَقَرِّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عِندَ من لا تَخفَى عليه أسرارکم ، وأخرِجوا من الدُّنيا قلوبَكم قبل أنْ تخرج منها أبدانكم ، ففِيها حَيِيتُم ، ولغيرها خُلقْتم . إنَّ الرجل إذا هلك قال الناسُ : ما تَرَك ؟ وقالت الملائكة : ما قدَّم ؟

قال حمزة الأصبهانى ( فى أمثاله ) فى قولهم : « هو أبلغ من سحبانِ وائل » : كان من خُطباء العرب وبلغائها . وفى نفْسِه يقول :

* لقد علم الحيُّ اليمانون أنَّنى * ... البيت .

وهو الذى يقول لطَلحةِ الطَّلَحات الخُزاعىّ :

يا طلْحَ أكرمَ مَنْ مشَى حسباً وأعطاهمْ لتالِدْ (١)
مِنك العطاءُ فأعِطنى وعلىّ مدحُك فى المَشَاهدْ

فقال طلحة : احتكمْ . فقال : بِرْذونُك الوَرد ، وقصرٌ بزرَنج ، وغلامُك الخبّاز ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أُفٍّ ، لمْ تسألْنى على قدرى وإنمّا سألتَ على قَدْرِكَ وقدْرِ باهلة ؛ ولو سألتنى كلَّ قصرٍ وعبدٍ ودابّةٍ لأعطيتك . ثمَّ أمر له بما سأله ولم يزده شيئاً ، وقال : تالله ما رأيت مسألةَ محكَّمٍ ألأمَ منها .

وزرَنج : مدينةٌ بسجستان ، مات بها طلحة الطلحات .

* * *

(١) البيتان والخبر فى فصل المقال ٤٩٧ وشرح الشريشى للمقامات ١ : ٢٥٣ . وفى فصل المقال : « وأعطاه » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٨ ( تاللهِ رَبِّكَ إنْ قتلتَ لمسلِماً وجبَتْ عليكَ عُقوبةُ المتعمِّدِ )

على أنَّ الكوفيِّين استدلُّوا به على جواز دخول إنْ المخفَّفة على غير الأفعال الناسخة .

وهذا عند البصريِّين شاذٌّ ؛ لأنَّ مذهبهَم إذا خفّفت إنْ وأُهملت لا يليها غالباً إلا فعلٌ ناسخ ، كما قال الشارح . ولم يقيِّدْهُ بالماضى كما قيَّدهُ ابن مالك ، لأنَّ شراحه قالوا : ليس بصحيح ، لقوله تعالى : ﴿ وإنْ نظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبين [٢] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وإنْ يكَادُ الذين كَفَرُوا لَيُزْلِقُونك بأبصارهم [٣] ﴾ . وأمّا الكوفيُّون غير الكسائى فلا يثبتون إنْ مخفَّفة لا عاملة ولا مهملة ، وإنمّا هى عندهم إن النافية واللام بمعنى إلاّ . وهى عند الكسائى مخففةٌ إن دخلتْ على اسم ، ونافيةٌ إن دخلت على فعل . فقوله : « إنْ قتلت لمسلما » عند جميع الكوفيين إنْ فيه نافية واللام بمعنى إلاّ . وعند البصريِّين مخفَّفة مهملة ، واللام فارقة ، ومسلما مفعول قتلتَ ، وجملة إنْ قتلتَ لمسلما جوابُ القسم ، وربِّك صفة لله ، وجملة وجبَتْ إلخ استئناف بَيَانىٌّ ، كأنّه قال : ما شأنى فى قتل مسلم . وتنوين مسلم للتعظيم والتهويل . وعقوبةُ المتعمد فاعل وجبَتْ ، أى إنَّك تَعاقَبُ بما يعاقَبُ به من تعمَّد قتلَ مسلم .

وقال العينى : جملة وجبت عليك جوابُ شرطٍ محذوف ، والتقدير : إنّك

---

(١) المحتسب ٢ : ٢٥٥ وابن يعيش ٨ : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ والمقرب ١ : ١١٢ والإنصاف ٦٤١ والمغنى ٢٤ والعينى ٢ : ٤٧٨ والتصريح ١ : ٢٣١ والهمع ١ : ١٤٢ والأشمونى ١ : ٢٩ .

(٢) الآية ١٨٦ من الشعراء .

(٣) الآية ٥١ من سورة القلم .

إنْ قتلتَ مسلماً وجبت عليك عقوبةُ المتعمِّد . هذا كلامه مع أنّه لم يذكر ما موقع جملة إنْ قتلت ، من الإعراب . ورواية صدر البيت عنده :

* شَلَّتْ يمينُكَ إنْ قتلت *

وعليه فالجملة استئنافٌ لبيان سبب الدعاء عليه .

قال ثعلب ( فى الفصيح ) فى باب فعلت بكسر العين : وقد شلّت يده تَشَلّ ، ولا تَشللْ يدُك ، أى بفتح العين فى المضارع . قال شارحه أبو سهل الهَرَوىّ : شَلّت : يبست ، وقيل استرخت .

وروى أيضا : « هَبِلتْك أُمُّك إنْ قتلتَ » و « ثكلتك أمُّك » ، وهما بمعنىً ، ومن باب فرح . يقال هَبِلته أمُّه أى ثكلته ، ومصدرهما الهَبَل والثَّكَل بفتحتين ، واسم الثانى الثُّكل كقُفل ، وهو أن تفقد المرأةُ ولدها . و ( وجبَتْ ) معناه حَقّت وثبتت . وروى أيضا : « حلّت » بدل « وجبت » ، وهو من الحُلول بمعنى النزول . وروى أيضا : « إنْ قتلت لفارساً » .

قال أبو على ( فى البغداديات ) : إن المخفّفة قد دخلت على الفعل فى نحو : ﴿ إنْ كاد لَيُضِلُّنا [1]﴾ ، و ﴿ إن كانوا ليَقُولون [2] ﴾ . فيقولُ القائل : كيف دخلت على الفعل مخفّفة وامتنعت من الدخول عليه مثقّلة ؟ فالجواب أنّها امتنعت من ذلك مثقّلة لشبهها بالفعل فى إحداثها الرفعَ والنصب كما يحدثهما الفعل ، فمن [3] حيث لم يدخل الفعلُ على الفعل لم تدخل هى أيضاً عليه . وأصلُها أنّها حرف تأكيدٍ وإن كان لها هذا الشبه الذى ذكرنا بالفعل . وإذا خفّفت زال شَبَه

٣٤٩

(١) الآية ٤٢ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ١٦٧ من سورة الصافات .

(٣) ش : « من » بطرح الفاء .

الفعل عنها فلم تمتنع من الدخول على الفعل ، إذْ كانت الجمل الخبرية على ضربين : مبتدأ وَ خبر ، وفعل وفاعل . وقد تحتاج المركَّبة من الفعل والفاعل من التأكيد إلى مثل ما تحتاج إليه المركبة من المبتدأ والخبر ، فدخلت المخفَّفة على الفعل مؤكِّدة ، إذْ كان أصلها التأكيد ، وزال المعنى الذى له كانَ امتنع من الدخول على الفعل وهو شبهها به [(١)] . ولزوال شَبَهه بالفعل اختير فى الاسم الواقع بعده الرفع ، وجاء أكثر القراءة على ذلك . من حيث [(٢)] اختير الرفع فى الاسم الواقع بعدها جاز دخولها على الفعل . فأمّا اللام التى تصحبها مخفّفة هى [(٣)] للفرق بينها وبين إن التى تجىء نافية بمعنى ما ، وليست هذه اللام بالتى تدخل على خبر إنّ المشددة التى هى للابتداء ، لأنَّ تلك كان حكمها أن تدخلَ على إنّ ، فأُخِّرت إلى الخبر لئلا يجتمع تأكيدان ، إذ كان الخبر هو المبتدأ فى المعنى وما هو واقع موقعه وراجعٌ إليه . فهى لا تدخل إلاّ على المبتدأ أو على خبر إنّ إذْ كان إيّاه فى المعنى أو متعلِّقا به . ولا تدخل من الفعل [(٤)] إلاّ على ما كان [(٥)] مضارعاً واقعا فى خبر إنّ وكان فعلاً للحال . فإذا لم تدخل إلاّ على ما ذكرنا لم يجز أن تكون هذه اللام التى تصحب إن الخفيفة إيّاها ، إذْ لا جائز دخولُ لام الابتداء على الفعل الماضى . وقد وقع بعد إنْ هذه الفعلُ نحو : ﴿ إنْ كادُوا [(٦)] ﴾ و ﴿ إنْ وجَدْنا أكثَرهُم لفاسقين [(٧)] ﴾ وقد جاوزت الأفعالَ الواقعة بعد إنْ فعملت فيما بعد اللام . ومعلومٌ أنّ لام

---

(١) يعنى أن تخفيفها أذهب عنها شبه الفعل الذى كان يمنع من دخولها على الأفعال .

(٢) الوجه : « ومن حيث » .

(٣) الوجه : « فهى » .

(٤) يقال دخله ودخل عليه .

(٥) فى النسختين : « إلا ما كان » .

(٦) من الآية ٧٣ ، ٧٦ من سورة الإسراء .

(٧) الآية ١٠٢ من سورة الأعراف .

الابتداء التى تدخل فى خبر إنّ الشديدة لا يعمل الفعل الذى قبلها فيما بعدها ، وذلك نحو : ﴿ وإنْ كنّا عن عِبادتكم لغافلين [(١)] ﴾ وقول القائل :

هبلتك أُمُّكَ إنْ قتلتَ لفارساً حَلّت عليك عقوبةُ المتعمِّـدِ

فلمَّا عمل الفعلُ فيما بعد اللامُ عُلِم أنَّها ليست التى تدخل فى خبر إنّ الشديدة . وليست أيضاً التى تدخل على الفعل المستقبل والماضى للقسمَ نحو : ليفعلنَّ ولفَعلوا . ولو كانت تلك للزم الفعلَ الذى تدخل عليه إحدى النونين ، فلما لم تلزمْ عُلم أنّها ليست إيّاه . قال تعالى : ﴿ إن كاد ليُضِلُّنا عن آلهتنا [(٢)] ﴾ ، و ﴿ إن كانوا ليقولون [(٣)] ﴾ ، فلم تلزم النون . وحكى سيبويه أنّ هذه النون قد لا تلزم الفعل المستقبل فى القَسم فيقال : والله لتفعلُ ، وهم يريدون لتفعلَنّ . قال : إلاَّ أنَّ الأكثرَ على ألسنتهم ما أعلَمتُكَ ، من دخول إحدى النونين ، فلا ينبغى أنْ تقول : إنّ هذه اللام هى التى فى لتفعلنّ ، فتحملَ الآى التى تلوناها على الأقلِّ فى الكلام . على أنَّ هذه اللامَ لو كانت هى التى ذكرنا أنَّها للقسم وتدخلُ على المستقبل والماضى ، لم تدخل على الأسماء فى مثل : ﴿ وإنّ كنّا عن عبادتكم لغافلين [(٤)] ﴾ و « إنْ قتلتَ لفارسا » . والدليل على ذلك أنّها لا تعلّق الأفعال الملغاة قبل إنَّ إذا وقعت فى حيِّزها كما تعلّقها التى تدخل على الخبر . فقَدْ ثبت بما ذكرنا أنَّ هذه اللام مع إن المخففة ليست التى مع إنّ المشددة ولا التى تدخل على الفعل للقسم ، لكنَّها للفصل بينها وبين إن النافية . فهذا حقيقةُ إن الخفيفة واللامِ التى معها عندى . انتهى كلامه .

وقد نقل الشارح المحقّق الجواب عن عدم تعليق اللام .

---

(١) الآية ٢٩ من سورة يونس .

(٢) الآية ٤٢ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ١٦٧ من الصافات .

(٤) الآية ٢٩ من سورة يونس .

ثم قال أبو على : وإذا ثبت أنّ هذه اللامَ ليست للابتداء لم يمتنع أن تنفتح أنّ إذا كانت هذه اللامُ معها ودخَلَ عليه ما يُوجب فتحَها ؛ إذ اللَّامُ المانعةُ من انفتاح أنّ غيرُها . فلو أدخَلنْا علمْتُ فى مثل : إنْ وجَدَك زيدٌ لكاذبا ، وجَبَ انفتاح أنْ ، إذْ ليسَ فى الكلام شئ يعلّق الفعل عنها ، ولم يجب أن يكون فى أنْ ضمير القصَّة من هذه المسألة ، كما تقول : إنَّ فى مثل قوله تعالى : ﴿ أنْ سَيكون منكم [1] ﴾ ضميراً ، لأنَّ هذا الضمير إنمّا يكون فى أن المخففةِ من أنَّ المشددة . وليست هذه تلك ، إنمَّا هى التى كانت قبل دخول الفعل عليها أنْ التى لا تمتنع من الدخول على الفعل ، لزوال العلّة التى كانت تمنعُه من الدخول عليه وهى ثقيلة . فكما تقول فى حال انكسارها : لا ضمير فيها ، كذلك تقول فى حال انفتاحها بعد الفعل ، فإذا قلنا : علمت أنْ وجَدَك زيدٌ كاذبا ، لم تدخل اللام كما كانت تدخل قبل دخول علمت ، ولم يمنع الفعل من فتح أنْ شئ ، وارتفعت الحاجة إلى اللام مع دخول عَلمت . وإذا فَتحت لم تلتبس بإنْ التى معناها ما ، ولولا فتحُها إيّاها لاحتيج إلى اللام ، لأنّ علمت من المواضع التى يقع فيها النفى ، كما وقع بعد ظننت ، فى نحو قوله : ﴿ وظنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيص [2] ﴾ فلو بقيت إن على كسرها بعد علمت للزمتها اللام ، وكان ذلك واجباً لتخليصه من النفى . فإذا لم تُبقِ على الكسرة فلا ضرورة إلى اللام . فإن شئتَ قلت إذا أُدخلت علمتُ عليها ، حذفتُ اللام لزوال المعنى الذى كانت اللام اجتُلبَت له بدون علمت . وإن شئت قلتَ : أتركُها ولا أُحذفها فتكون كالأشياء التى تُذكَر تأكيداً من غير ضرورة إليه . وذلك كثيرٌ فى الكلام . انتهى كلامُه ، ولم أره لغيره ، وهو غريب يحتاج فى إثباته إلى السماع .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة المزّمل .

(٢) الآية ٤٨ من فصلت .

صاحب الشاهد

هذا والبيتُ لعاتكةَ بنت زيد بن عَمْرو بن نُفَيل ، من أبياتٍ رثت بها زوجَها الزُّبيرَ بنَ العوَّام ، وقد قتله عمرو بن جُرموزٍ المجاشعى غدراً ، بعد انصرافه من وقْعة الجمل . وذلك أنَّ الزبير كان خرجَ مع عائشة رضى الله عنهما فى وقعة الجمل ، ولمَّا حَمِىَ القتالُ ناداه علىٌّ رضى الله عنه فقال له : أنشُدُك اللهَ يا زبير ، أما تذكر يومَ قال لك رسول الله ﷺ : « يا زُبيرُ أتحبُّ عليًّا » ؟ قلت : وما يمنعنى من حُبِّى وهو ابن خالى ؟ فقال : « ستُقاتِلُه وأنت ظالمٌ له » . فقال : اللهمَّ بلَى ، قد كان ذلك ولكنِّى قد أُنسِيتُ ذلك . فانصرَفَ الزُّبير من الحرب آخذاً طريق مكّة فنزل على قومٍ من تميمٍ فأضافه ابنُ جرموز ، وخرجَ معه إلى وادى السِّباع وهو على أربعة فراسخ من البصرة ، وأراه أنَّه يريد مسايرته ، فقتله غِيلة ، وذلك فى سنة ست وثلاثين من الهجرة . ورثتْه زوجتُه بهذه الأبيات :

أبيات الشاهد

( غدر ابنُ جرموزٍ بفارس بُهْمةٍ ... يومَ اللقاء وكان غير معرِّدِ [١]

يا عَمْرُو لو نبَّهتَه لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ الجَنانِ ولا اليدِ

٣٥١ شَلَّتْ يمينُك إنْ قتلْتَ لمسلماً ... حَلَّتْ عليك عُقوبةُ المتعمِّدِ

إنّ الزُّبيــرَ لذُو بلاءٍ صادقٍ ... سَمْحٌ سجيَّتهُ كريمُ المَشْهدِ

كم غمرةٍ قد خاضَها لم يَثْنِهِ ... عنها طِرادُك يا ابنَ فَقْعِ القَرددِ

فاذهبْ فما ظفِرَتْ يداك بمثلِه ... فيما مضَى ممَّن يرُوح ويَغتدِى )

البُهْمة ، بضم الموحدة ، معناها هنا الجيش . يقال فلانٌ فارس بُهمةٍ وليثُ غابة . ويقال أيضا بُهمةٌ للفارس الذى لا يُدرَى مِن أين يُؤتَى ، من شدَّة بأسِه ، فكأنَّ الأمرَ فيه مُبهَم . واللِّقاء : الحرب . وعرَّد الرجلُ تعريداً بمهملات ، إذا فرَّ فى الحرب .

---

(١) العقد ٤ : ٣٢٣ والأغانى ١٦ : ١٢٧ .

والغَمْرة بفتح المعجمة : الشِّدّة . ولم يَثْنِه ، أى لم يصرفه . وطِراد : مصدر طارده ، إذا أجرى الخيل فى الحرب أو فى السِّباق . والفَقْع بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف : نوعٌ من الكمأة . قال شارح إصلاح المنطق : الفَقْع : الكمأة الأبيض والأحمر . يقولون : هذا فقعُ قرقرةٍ ، للذليل . والقَرقَرة : الأرض الملساء المستِويَة ، وقيل القاعُ من الأرض . يريدون أنّه بمنزلة الكمء النابت فى السَّهل ، فكلَّما وطئته القدمُ شدَخَتْه . انتهى . والقردد أيضا : المكان المستِوى .

قال الزبير بن بكّار ( فى أنساب قريش [١] ) : تزوّجَ عبد الله بن أبى بكر الصديق عاتكة بنتَ زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وكانت حسناء جَميلة ذاتَ خُلُق بارع ، فشغَلتْه عن مَغَازيهِ فأمَرَه أبوه بطلاقها ، فقال :

يقولون طلِّقْها وخيِّمْ مكانَها    مُقيماً عليك الهمّ أحلام نائمِ [٢]
وإنّ فراق أهلَ بيتٍ جمعتهُم    على كَبْرةٍ منِّى لإحدى العظائم [٣]

ثم طلّقها ، فمرَّ به أبوه وهو يقول :

فلم أرَ مثلى طَلَّقَ اليومَ مِثلها    ولا مِثلَها فى غير جُرمٍ تُطَلَّقُ [٤]

---

(١) الخبر أيضا فى كتاب المردفات من قريش للمدائنى بنوادر المخطوطات ١ : ٦١ – ٦٤ ونسب قريش للمصعب الزبيرى ٢٧٦ – ٢٧٧ والأغانى ١٦ : ١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) البيتان انفرد بهما نسب قريش . والذى فى نسب قريش :

يقولون طلّقْها وأصبح مكانها    مقيما تمنّى النفسَ أحلامَ نائم

(٣) الكبرة ، بالفتح : الكِبرَ وعلو السِّنّ . وفى النسختين : « على كثرة » تحريف صوابه ما أثبت ، يؤيده ما فى نسب قريش : « على كبر » . وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب على كبر أو كبرة بالباء الموحدة لا المثلثة . وللبيتين ثالث فى نسب قريش ، وهو :

أرانى وأهلى كالعَجول تروّحت    إلى بوّها قبل العشار الروائم

(٤) فى نسب قريش : « طلق العام مثلها » . وفى الأغانى : « فى غير شيء تطلق » .

لها خُلقٌ جَزْلٌ ورأىٌ ومَنصبٌ　　وخَلق سوِىٌّ فى الحَياةِ ومَصدَقُ (١)

فرقَّ له أبوه وأمره فراجعها . ثم شهد مع النبى ﷺ غزوةَ الطائِف ، فأصابه سهمٌ فمات منه بعدُ بالمدينة ، فقالت عاتكةُ تبكيه :

رُزِئتُ بخير الناسِ بعد نبيِّهمْ　　وبعد أبى بكرٍ وما كانَ قَصَّرا
فآليتُ لاتنفك عينى حزينـةً　　عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرا (٢)
فلِلّهِ عينَا مَنْ رأى مثلَه فتىً　　أكَرَّ وأحمَى فى الهِيَاج وأصبرَا
إذا شرعَتْ فيه الأسنّةُ خاضَها　　إلى الموت حتّى يترك الرمحَ أحمرا

ثم تزوَّجها عمرُ بن الخطاب فأولَم عليها ، فكان فيمن دعا علىٌّ بن أبى طالب ، فقال له علىٌّ : دعنى أُكلّم عاتكة . فقال : كلِّمها يا أبا الحسن . فأخذ علىٌّ بجانب الخِدْر ثم قال : يا عُدَيَّةَ نَفسِها :

فآليتُ لاتنفكُّ عينى حزينةً　　عليكَ ولا ينفكُّ جلدىَ أغبرا (٣) !

فبكت ، فقال عمر : ما دعاكَ إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كلُّ النساء يفعلُ هذا (٤) . ثم قُتل عنها عمر فقالت تبكيه :

عَينُ جُودِى بعَبْرةٍ ونحَيبِ　　لا تَملّى على الجوادِ النَّجِيب (٥)

---

(١) فى كتاب المردفات : « لها خلق سمح » . وفى الأغانى : « ورأى ومنطق » . وفى الأغانى أيضا : « وخلق مصون فى حياء » . والمصدق : الصدق . وفى النسختين : « فى حياة ومصدق » تحريف ، صوابه فى الأغانى .

(٢) وكذا فى نسب قريش حيث أنشد هذا البيت فريدا . وفى المردفات والأغانى : « سخينة عليك » فى هذا الموضع وتاليه .

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى المردفات : « فى الجهاد » .

(٤) المردفات : « ما أردت إلا أن تفسد علينا أهلنا » ، وفى الأغانى : « ما أردت إلى هذا ؟ فقال : وما أرادتْ إلى أن تقولَ ما لا تفعل » .

(٥) فى المردفات والأغانى : « على الإمام النجيب » .

٣٥٢

فجَّعَتْنى المنونُ بالفارسِ المُعـ ـلمِ يومَ الهِيـاج والتَّشـويبِ (١)
قل لأهل الضَّرَّاءِ والبأس مُوتوا مَذْ سقته المنونُ كأسَ شَعوبِ(٢)

ثم تزوَّجها الزُّبير بن العوام فكانت تخرج إلى المسجد ليلاً وكان يكره خروجها ، فخرجَتْ ليلةً إلى المسجد وخرج الزّبير فسبَقَها إلى مكانٍ مظلم من طريقها ، فلما مرَّت به وضع يده على بَعض جسدها ، فرجَعَتْ ثم لم تخرجْ بعدها ، فقال لها الزُّبير : مالك لا تخرجين إلى المسجد كما كنت تفعلين ؟ فقالتْ : فسَدَ الناس . فقال : أنا فعلتُ ذلكِ . فقالت : أليس يقدِرُ غيرُك أنْ يفعلَ مثله ؟ فلم تخرجْ حتَّى قُتِل عنها الزُّبير ، فقال ترثيه :

* غدر ابنُ جرمُوزٍ بفارس بُهْمةٍ *

الأبيات السابقة . وخطبها عليٌّ بن أبى طالب بعد قَتل الزُّبير فأرسلتْ إليه تقول : إنّى لَأَضنُّ بابنِ عمِّ رسول الله ﷺ عن القتل . انتهى كلام الزبير بن بكار .

وقد تقدم ترجمة والدها زيد فى الشاهد الثامن والسبعين بعد الأربعمائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده :

( فلو أنْكِ فى يومِ الرَّخاءِ سألتِنى طلاقَكِ لم أبخَلْ وأنتِ صديقُ )

---

(١) التثويب : تكرار الدعاء ، يقال ثوَّب الداعى تثويبا ، إذا عاد مرة بعد أخرى ، أو هو من فعل المستصرخ إذا جاء يلوِّح بثوبه ليَرى ويُشهَر . ومنهْ قول زهير بن مسعود الضبى :

فخير نحن عند الناس منكم إذا الداعى المثوِّب قال يا لا

وفى المردفات : « والتذبيب » ، وهو إكثار الذب والدفع . وفى الأغانى : « والتلبيب » ، وهو أن يجعل كنانته وقوسه فى عنقه ثم يقبض على تلبيب نفسه .

(٢) فى المردفات والأغانى : « قد سقته » .

(٣) الخزانة ٦ : ٤١٦ .

على أنَّ أنْ المخفّفة المفتوحة لا تعمل فى الضمير إلاّ فى الشعر .

وتقدَّم عليه الكلام فى الشاهد الثامن بعد الأربعمائة [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الثمانمائة [(٢)] :

**٨٦٩** ( بأنْكَ ربيعٌ وغَيْثٌ مَرِيعٌ وأنْكَ هناك تكون الثِّمالا )

لما تقدَّم قبله .

ومثله ( فى المغنى ) لابن هشام ، قال : وشرط اسم أن المخففة أنّ يكون ضميرًا محذوفا ، وربَّما ثبتَ كقوله :

فلو أنكِ فى يوم الرَّخاء سألِتِنى .................. البيت [(٣)]

وهو مختصٌّ بالضرورة على الأصحّ . وشرط خبرها أنْ يكون جملةً ، ولا يجوز إفرادُه إلا إذا ذُكر الاسمُ فيجوز الأمران . وقد اجتمعا فى قوله :

بأنْك ربيعٌ وغيث مَريعٌ .............. البيت . انتهى .

وتقدَّم فى شرح البيت السابق من باب المضمر أنّ اسمها عند التخفيف يجب أن يكون ضمير شأن محذوف . ونقلنا هناك نصَّ سيبويه .

ففى هذا البيت شذوذٌ من وجهٍ آخر ، وهو كون اسمها غيرَ ضمير شأن . وجوَّزه بعضهم . وإلى الأوَّل يشير كلامُ ابن هشام حيث قال : وربَّما ثبتَ أى اسمها . وإلى الثانى ذهب ابن مالك وأبو حيان . قال الأول : إذا أمكنَ جعلُ

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٥ — ٤٢٩ .

(٢) زهر الآداب ٧٩٥ وحماسة ابن الشجرى ٧٣ والإنصاف ٢٠٧ وابن يعيش ٨ : ٧٥ والمغنى ٣١ والتصريح ١ : ٢٣٢ والأشمونى ١ : ١٩١ .

(٣) مضى فى الصفحة السابقة . والكلام بعده إلى آخر هذه الفقرة ساقط من ش .

الضمير المحذوف ضميرَ حاضرٍ أو غائب غير الشأن فهو أولى . وقال الثانى : لا يلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعضُ أصحابنا ، بل إذا أمكن تقديره بغيره قُدِّر . قال سيبويه فى : ﴿ وَنادَيْناه أَنْ يا ابراهيمُ قد صَدَّقت (١) ﴾ ، بأنْك قد صَدَّقت . وفى قولهم : أرسِلْ إليه أن ما أنت وذا ؟ أى بأنْك ما أنت وذا . انتهى .

هذا . وقد رَوَى البيتَ أبو حنيفة الدينورى ( فى كتاب النبات ) ، وابراهيم الحُصْرى ( فى زهر الآداب ) ، والشريف ( فى حماسته ) هكذا :

بأنّك كنتَ الرَّبيعَ المغِيثَ ... لمن يَعترِيكَ وكُنتَ الثِّمالا

وحينئذ لا شاهد فيه .

والبيت من قصيدةٍ عدّتها عشرون بيتا ، أوردها صاحبُ زهر الآداب . وأورد الشريف منها ( فى حماسته ) ثمانية أبيات ، وأبو حنيفة ثلاثة أبيات ، وقالوا : هى لجَنُوبَ رثَتْ بها أخاها عمراً ذا الكلب ، وهى :

٣٥٣ صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

سألتَ بعَمْرٍو أخى صحبَهُ ... فأفظَعَنى حين ردُّوا السُّؤالا

فقالوا : أُتِيحَ له نائماً ... أعَزُّ السِّباعِ عليه أحالا (٢)

أُتيح له نَمِرَا أجبُلٍ ... فنالا لَعمرُكَ منه مَنالا (٣)

فأقسمتُ يا عمرُو لو نبَّهاكَ ... إذَنْ نبَّها منك أمراً عُضالا (٤)

إذن نبَّها ليثَ عِرِّيسةٍ ... مُفِيدًا مُفيتًا نُفوساً ومالا

إذن نبَّها غيرَ رعديدةٍ ... ولا طائشاً دَهِشاً حينَ صالا

(١) الآيتان ١٠٤ ، ١٠٥ من سورة الصافات .

(٢) فى زهر الآداب : « أغر السلاح عليه أجالا » .

(٣) فى حماسة ابن الشجرى وزهر الآداب : « لعمرك منه ونالا » .

(٤) فى زهر الآداب : « داء عضالا » .

هِزَبْـراً فَرُوساً لأعدائـه هَصُوراً إذا لَقِىَ القِرْنَ صالا (١)

هما معْ تصرُّفِ رَيْبِ المَنونِ من الأرض رُكناً ثَبيتاً أمالا (٢)

هما يومَ حُمَّ له يومُـه وقال أخو فَهْمَ بُطلاً وفالا

وقالـوا قتلْنـاهُ فى غارةٍ بآيةِ أنْ قد ورثنا النِّبالا

فهلاَّ إذَنْ قَبلَ ريبِ المنون فقد كان رَجْلاً وكنتم رجالا (٣)

وقد علمتْ فَهْمُ عند اللقّا بأنَّهـمُ لك كانـوا نِفـالا

كأنَّهـمُ لم يَحَسُّوا به فيُخْلوا النِّساءَ له والحِجالا

ولم يَنزِلوا بمُحُولِ السِّنينَ به فيكونوا عليه عِيالا

وقد علم الضِّيف والمُرمِلون إذا اغبَّر أُفقٌ وهبَّت شَمالا

بأنَّك كنتَ الربيعَ المغيثَ لمن يعتَريك وكنتَ الثِمالا (٤)

وخَرقٍ تجاوزتَ مجهولَـهُ بوجناءَ حَرْفٍ تَشكَّى الكَلالا

فكنتَ النهارَ به شمسَه وكنت دُجَى اللَّيل فيهِ هلالا

وحيٍّ أبحتَ وحيٍّ منحتَ غداةَ اللقاء مَنايا عِجالا (٥)

وكم من قبيلٍ وإن لم تكن أردتَهُمُ منك باتوا وِجالا

نسبة أخرى شاهد

قال السكرى فى شرح هذه القصيدة قال أبو عمرو : قالت هذه القصيدة عَمرةُ بنت العَجلان ، أخت عمرٍو ذى الكلب بن العَجْلان الكاهلى ، ترثى أخاها عَمراً . انتهى .

---

(١) لم يرد فى زهر الآداب .

(٢) فى زهر الآداب : « من الدهر ركنا شديدا » .

(٣) فى زهر الآداب : « فقد كان فذا » .

(٤) فى زهر الآداب : « لمن يعتفيك » ، أى لم يطلب فضلك ويتبغى معروفك .

(٥) فى زهر الآداب : « وحىّ صبحت وحىّ أبحت » .

ونسبها غيرهُ لأخته جَنوب . قال الشريف : كان عمروٌ خرج غازياً فهبط وادياً من أوديتهم فنام فيه ، فوثبَ عليه نَمرانِ فأكلاه .

وقال صاحب زهر الآداب : قال عُمَر بن شَبَّة : كان عَمرٌو هذا يغزو فَهمْاً فيصيب منهم ، فوضعوا له رصَداً على الماء فأخذوه فقتلوه ، ثم مرُّوا بأخته جنوب فقالوا : طلبنا أخاكِ . فقالت : « لئن طلبتموه لتجدُنَّه منيعا ، ولئن وصَفتموه لتجدُنّه مَريعا [١] ، ولئن دعوتموه لتجدُنّه سَريعا . والله لئن سلبتموه لا تجدون ثُنَّتَهُ وافية [٢] ، ولا حُجزتَه جَافية [٣] ، ولرُبَّ ثديٍ منكم قد افترشه ، ونهبٍ قد احتوَشه [٤] ، وضبٍّ قد احترشه [٥] » . ثُمَّ قالت هذه الأبيات . انتهى .

وقولها : « سألت بعمرو » الباء بمعنى عن ، وأخى عطف بيان ، وصحبَه مفعول سألت ، وهو مضاف إلى ضمير عَمرو . وصحب : جمع صاحب ، كشَهْد جمع شاهد . وأفظعنى : هدَّنى قُبحه وشدّتُه . يقال أفظع الأمرُ إفظاعا ، وفَظُع فظاعةً ، إذا جاوز الحدَّ فى القبح . ٣٥٤

وأتيح : مجهولُ أتاح الله له ، بالمثناة والحاء المهملة ، بمعنَى قَضى وقدَّر . والهاء فى له لعمرو ، ونائما حالٌ منها ، وأعَزُّ السِّباع نائب فاعل أتيح ، وهو من

---

(١) أى كثير الخير فى خصب . ويقال رجل مريع الجناب : كثير الخير . ومرع الوادى وأمرع : أخصَب .

(٢) سلبتموه ، من السلب ، وهو الاستيلاء على ما يكون على القِرْن أو معه من ثياب وسلاح ودابة ، والمسلوب من هذا هو السلَب ، بالتحريك . وفى الحديث : « من قتل قتيلا فله سلبه » . والمراد جردتموه من ثيابه . والثنة ، بضم الثاء وتشديد النون : شعر العانة . والوافية : الطويلة ، كناية عن تنظّفه وتنطّفه . وفى النسختين : « ثنيته دامية » ولا وجه لهذا . والصواب ما أثبت من زهر الآداب .

(٣) الحجزة ، بالضم : معقد السراويل والإزار . والجافية : التى تجفو الثياب لا تلتصق بها . كناية عن دقة الخصر وضمر البطن . وفى النسختين : « حامية » ، صوابه فى زهر الآداب .

(٤) احتوشه : استولى عليه . وأصله من احتوش القوم الصيد ، إذا نفَّره بعضهم على بعض .

(٥) احترشه : صاده بطريقة خادعة .

العَرارة بالعين والراء المهملتين ، وهو سُوء الخُلُق . وأحال بالحاء المهملة ، قال السكرى : أى رَكِب عليه فقتله ، وأكله . ونَمِرًا أجبُل : مثنّى نمِرٍ مضاف إلى أجبُل : جمع جبل . وتصحَّفَتْ هذه الكلمةَ على العينى فقال : قولها نمرًا جَيئل ، أى نمرانِ من جيئل ، أى سبعان من جَيْئل . والنمر : السَّبُع . والجيئل ، بفتح الجيم وسكون الياء وفتح الهمزة وهو الضَّبع . وهذا كلامه ، وهو تحريف قطعاً .

وروى العينى : « وثالا » بدل « منالا » وقال : ثالا بالثاء المثلثة ، يقال ثال عليه القومُ ، إذا علَوْه بالضَّرب . والمَنُون : الموت . وحِمامُ المَنون : المقدَّر . قال السكرىّ : قال أبو عمرو :

* فنالا وما نال ثَمَّ قِبالا (١) *

وهذا البيت ساقطٌ من رواية العينى .

وقولها : « فأقسمتُ » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وضمير المثنى فى نبَّهاك للنمَرين . وروى : « داءً عُضَالا » أى شديداً أعيا الأطبّاء .

وقولها : « ليث عِرِّيسة » قال الجوهرى : العِرِّيس والعِرِّيسة : مأوى الأسَد . والمُفيد معناه مُعطى الفائدة وآخذُ الفائدة ، كذا وردَ بالمعنييَن . ومُفِيت ، بالفاء ، قال السكرىُّ : أى مُهلك النُّفوسِ والمال . وتصحَّفَتْ هذه الكلمةُ على العينىّ فرواها بالقاف ، وقال : مُقِيتا أى مقتدرا ، كالذى يُعطى كلَّ رجلٍ قُوتَه . ويقال المُقيت : الحافظ للشئ والشاهد له . والنفوس يرجع إلى المقيت ، والمال يرجع إلى المفيد . هذا كلامه .

---

(١) القبال ، بالكسر : زمام النعل ، وهو السير يكون بين الإصبعين ، يقولون : ما رزأته قبالا ولا زبالا ، مثل للقلة والتفاهة . ش : « قيالا » ، تحريف .

والهِزَبْر : الأسد الضَّخم الشديد . والفَرُوس : الكثير الافتراس للمَصِيد . وهَصُور من الهصر ، وهو الجذْب والأخْذ بقوَّة . والقِرْن ، بالكسر . وهذا البيت ساقطٌ من روايةِ العَيْنى .

ورَيْب المنون : حوادث الدَّهر . قال السكرىّ : ثبيت : ثابت ، وروى غيره بدله : « شديداً » .

وقولها : « هما يومَ حُمّ » إلخ قال السكرى : هما يعنى النمرَين . وحُمّ : قُضِىَ وقُدِّر . وفال بالفاء ، أى أخطأ . رجلٌ فائل الرأى وفِيلٌ ، أى ضعيف الرأى . وفَهْم : قبيلة ، ولهذا منعَهُ الصرف (١) .

وقولها :

* ونحن قتلناهُ فى غارةٍ *

قال السكرى : تهزأ بهم . والآيةُ : العَلامة . والنِّبال : السهام .

ورجْلٌ قال السكرى : هو الرجُل ، يقال رَجْل ورَجُل أى بسكون الجيم وضمها . وروى غيره : « فذًّا » بدل « رَجلاً » . والفَذ بالفاء والذال المعجمة ، هو الفرد .

والنِّفال : الغنائم ، جمع نَفَل بفتحتين ، وهى الغنيمة .

وقولها : « كأنَّهمُ لم يَحَسُّوا به » إلخ من حَسِست بالخبر من باب تعب ، أى علمتُه وشَعَرْتُ به . ويُخْلُوا ، مِن أخليته أى جعلته خالياً . والحِجال : جمع حَجَلة بالتحريك ، وهى بيت يزيَّن بالثِّياب والأسِرّة والسُّتور .

والمُحُول : جمع مَحْل ، وهو القحط .

---

(١) ش : « منعها من الصرف . ويقال منعه الشىء ومنعه منه ، يتعدى ولا يتعدى . كما فى المصباح .

وقولها : « وقد علم الضَّيف والمرملون » هو من أرملَ القومُ ، إذا نفِدَ زادُهم . وروى بدلَه السكرىُّ : و « المجتدون » ، وقال : هم الطالبون الجَدَا [1] ، وهى العطيَّة . وفاعل هبَّت ضمير الريح وإنْ لم يَجْرِ لها ذكِر ، لفهمها من قولها إذا اغبَّر أفق ؛ فإنّ اغبراره إنمَّا يكون فى الشتاء لكثرة الأمطار واختلاف الرياح . والشَّمَال بالفتح ويكسر : ريحٌ تهبُّ من ناحية القُطْب ، وهو حالٌ ، وإنمَّا خصّت هذا الوقتَ بالذِّكر لأنَّه وقتٌ تقلّ فيه الأرزاق وتنقطع السُّبُل ، ويثقُل فيه الضَّيف ، فالجودُ فيه غايةٌ لا تدرك . وزاد أبو حنيفة بعدَه بيتا وهو : ٣٥٥

وخَلّتْ عَنَ اَولادِها المرضِعاتُ ولم تَرَ عَيـنٌ لمُـزْنٍ بِلالاَ

وقال : إنما خلَّت أولادَها من الإعواز ، لم يجدن قُوتاً . واغبرار الأُفُق من الجَدْب . وأراد : هبَّت الرِّيح شَمالا . وهى تُضمَر وإن لم تُذكر لكثرة ما تُذكَر . انتهى . والمُزْن : السَّحاب . والبِلال بالكسر : البَلَل .

وقولها : ( بأنْكَ ربيعٌ ) إلخ ، الربيع هنا : ربيع الزَّمان . قال ابن قتيبة ( فى باب ما يضعه الناس غيرَ موضعهِ ، وهو أوَّل كتابه أدب الكاتب ) : ومن ذلك الرَّبيع ، يذهب الناس إلى أنَّه الفصل الذى يَتبعُ الشِّتاءَ ويأتى فيه الورد والنَّور ، ولا يعرفون الرَّبيعَ غيره . والعربُ تختلف فى ذلك ، فمنهم من يجعل الرَّبيع الفصلَ الذى تُدِرك فيه الثمار ، وهو الخريف ، وفصلُ الشتاء بعده ، ثم فصل الصَّيف بعد الشتاء ، وهو الوقت الذى تدعوه العامّة الرَّبيع ، ثم فصل القيظ بعده ، وهو الذى تدعوه العامة الصَّيف . ومن العرب من يسمِّى الفصلَ الذى تُدرك فيه الثمار ، وهو الخريف : الرَّبيع الأوّل . ويسمِّى الفصلَ الذى يتلو الشتاء ويأتى فيه الكمأة والنَّور : الرَّبيع الثانى . وكلُّهم مجمعون على أنَّ الخريف هو الرَّبيع . انتهى .

---

(١) ط : « الجداء » بالهمز ، صوابه فى ش . والجدا مقصور . وأما الجدَاء بالهمز فهو الغناء والنفع .

قال شارحه ابن السيد : مذهب العامَّة فى الربيع هو مذهب المتقدِّمين ، لأنَّهم كانو يجعلون حلولَ الشمس برأس الحَمل أوّلَ الزمان وشبابَه . وأمّا العرب فإنَّهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أوَّل فصول السَّنة الأربعة ، وسمَّوه الربيع وأمَّا حلول الشمس برأس الحمَل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانيا ، فيكون فى السَّنَة على مذهبهم ربيعان . وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانيا ، فيكون فى السنة على مذهبهم ربيعٌ واحد . وأمَّا الربيعان من الشُّهور فلا خلاف بينهم أنَّهما اثنان : ربيعٌ الأوّل وربيعٌ الآخِر . انتهى .

والغَيث : المطر والكلأ ينبُت بماء السماء ، والمراد به هذا لوصفه بالمَرِيع ، وهو الخَصيب ، بفتح الميم وضمها (١) . فى القاموس : مَرُع الوادى ، مثلثة الراء ، مَرَاعة : أكلأ كأمرع . والثِّمال ، بكسر المثلثة ، قال الدينورى : هو الذُّخر ، وقال غيره : هو الغِياث .

وقولها : « خَرْق » هو بفتح الخاء المعجمة : الفلاة الواسعة تتخرَّق فيها الريّاح . ومَجهولَهُ : الذى لا يُسلَك . والوَجناء ، بالجيم : الناقة الشديدة . والحرف : الضَّامرة الصُّلبة . وتَشكَّى مضارعٌ ، أصله تَتشكَّى بتاءين . والكَلَال : الإعياء .

وقولها : « وَحيٍّ أبحتَ » أى ربّ قبيلةٍ جعلتَها مبُاحةً للنّاهبين ، وربَّ قبيلة أعطيتَهم المنايا يوم القتال . وروى أيضا : « وحيًّا أبحتَ وحَيّا منحت » . والمنايا : جمع منيّة ، وهى الموت . والعِجَال ، بالكسر : جمع عَجُل بفتح فضم ، بمعنى عاجل ، كما يجمع رجُل على رجال .

---

(١) لم يبين البغدادى وجه ضم الميم ، وهذه من أراع الكلأ : زكا وزاد ، وأراعت الشجرة : كثر حملها . ومادة هذه من الريع بالياء .

والقبيل هنا : جمع قبيلة . والوِجال : جمع وَجِل بفتح فكسر ، وهو الخائف ، من الوجَل بفتحتين ، وهو الخوف .

جَنوب بنت العَجْلان

وجنوبُ صاحبة الشعر ، هى امرأةٌ شاعرةٌ جاهليَّة ، بفتح الجيم وضم النون . وأخوها عمرٌو جاهلىٌّ أيضاً ، وهو ابن العجلان بن عامر بن برد بن منبِّه ، أحد بنى كاهل بن لِحْيان بن هُذَيل . وسمِّى ذا الكلب لأنّه كان لا يفارقه كلبٌ له ، قاله ابن الأعرابى . وقال أبو عبيدة : لم يكن له كلبٌ لا يفارقه ، وإنّما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به ، فقال له أصحابه : ياذا الكلب . فثبتَتْ عليه . ومن الناس من يقول له عمرٌو الكلب بغير ذو . والله أعلم .

٣٥٦

وقيل إنّ جنوبَ هى عمرةُ لا أنّهما ثِنتان . وله أختٌ أخرى اسمُها ريطة ، هى شاعرةٌ أيضا ، ومن شعرها فيه [(١)] :

كلُّ امرئٍ بِمِحَال الدّهر مكذوبُ ... وكلُّ مَنْ غالبَ الأيّامَ مغلوبُ

وكلّ حىٍّ وإنْ عزُّوا وإنْ سَلِموا ... يوماً طريقهُمُ فى الشّر دُعبوبُ [(٢)]

أبلغْ هُذيلاً وأبلِغْ مَنْ يبلِّغها ... عنِّى رسولاً ، وبعضُ القول تكذيبُ [(٣)]

بأنَّ ذا الكلب عمراً خيرَهُمْ نسبا ... ببطنِ شِرْيانَ يَعوِى حولَه الذِّيبُ [(٤)]

---

(١) شرح السكرى للهذليين ٥٧٨ – ٥٨١ والعينى ١ : ٣٩٥ وحماسة البحترى ٣٢٩ . ونَسَب العينى الشعر إلى ريطة بنت عاصم ، وقال : « كذا قاله بعضهم ، والصحيح أن قائلتهما هى جنوب أخت عمرو ذى الكلب » . أما البحترى فنسب الأبيات إلى عمرة أخت عمرو ذى الكلب .

(٢) الدعبوب ، بضم الدال : الطريق المذلل الموطوء الواضح الذى يسلكه الناس ، كما فى شرح السكرى واللسان ( دعب ) عند إنشاد البيت ، مع نسبته إلى جنوب الهذلية . وفى النسختين : « رعبوب » بالراء ، وفى العينى : « زعبوب » ، كلاهما محرف . وفى شرح السكرى : « وإن طالت سلامتهم » ، وفى حماسة البحترى : « وإن طالت سلامتُه » .

(٣) فى شرح السكرى ٨٥٠ : « عنى حديثا » .

(٤) عند السكرى والبحترى : « يعوى عنده » .

الطَّاعنُ الطَّعنةَ النجلاءَ يتبعُها ... مُثعنجرٌ من نجيع الجوفِ أُسكوبُ[1]

والتَّاركُ القِرْنَ مصفرًّا أناملُه ... كأنَّه من نجيع الجَوف مخضوبُ

المِخرجُ العاتقَ العذراءَ مُذْعِنةً ... فى السَّبْىِ ينفحُ من أرادنها الطِّيبُ[2]

تَمشى النُّسورُ عليه وهى لاهيةٌ ... مَشْىَ العذارَى عليهنَّ الجلابيبُ[3]

* * *

وأنشد بعده:

( أنْ هالك كلُّ من يَحْفَى وينتعلُ )

هذا عجز ، وصدره :

( فى فتيةٍ كسيوف الهندِ قد عَلِمُوا )

وتقدّم شرحُه فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الستمائة من نواصب الفعل[4]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه[5] :

٨٧٠ ( كأنْ وَرِيدَيْهِ رشاءَا خُلْبِ )

---

(١) المثعنجر : السائل . وعند السكرى : « من دماء الجوف أثعوب » ، وعند البحترى : « من دم الأجواف مسكوب » .

(٢) السكرى : « المخرج الكاعب الحسناء » ، البحترى : « الكاعب العذراء » .

(٣) أنشده فى الحيوان ٦ : ٣٢٩ منسوبا إلى امرأة من هذيل .

(٤) الخزانة ٨ : ٣٩٠ – ٣٩٨ .

(٥) فى كتابه ١ : ٤٨٠ وانظر شرح أبياته للسيرافى ٢٠ : ٧٥ والمقتضب ١ : ٥٠ والأصول ١ : ٢٨٨ والإنصاف ١٩٨ وابن يعيش ٨ : ٧٢ ، ٨٣ والمقرب ١ : ١١٠ والضرائر ٣٠٩ والعينى ٢ : ٢٩٩ والتصريح ١ : ٢٣٤ واللسان ( خلب ٣٥٢ ) وملحقات ديوان رؤبة ١٦٩ .

على أنّ إعمالَ كأنَّ المخففة فصيح ، والأفصح إلغاؤها . وقد جاء إعمالها في هذا وما بعده .

وأراد بالإلغاء عدم إعمالها لفظاً بدليل قوله : « وإذَا لم تُعمِلها لفظاً ففيها ضمير شأن مقدَّر عندهم ، كما فى أنّ المخففة » . وعلى هذا فهى عاملةٌ إمّا لفظاً وإمَّا تقديراً . وهذا مأخوذ من كلام ابن يعيش ، فإنَّ الزمخشريَّ لما قال ( فى المفصَّل ) : « وتخفَّفُ فيبطُل عملها ، ومنهم من يعملها » ، وأنشد البيتين ، قال ابن يعيش : قوله : فيبطُل ، يريد عملها ظاهراً . وأمَّا قوله :

* كأنْ ثدياه حُقّانِ[1] *

فالمراد كأنّه أى الأمر والشأن ، والجملة بعد كأنْ خبرها ، ومراده إرجاع كلام المفصَّل إلى كلام سيبويه ، فإنَّ مذهبَ سيبويه أنّ كأنَّ إذا خفِّفت لا يكون اسمها إلاّ ضميراً محذوفا ، وعملها فى الاسم الظاهرِ خاصٌّ بالضرورة . ولما كان ظاهر قول الزَّمخشريّ « فيبطُلُ عملها » محتملاً لإلغائها عن العمل لفظا وتقديرا ، أوَّلَهُ بما ذكره . إلاّ أنَّ قوله : « ومنهم من يُعملها » لا يفيد أنّه مختصٌّ بالضرورة .

وقيَّد المصنفُ هنا الإلغاءَ بقيد الأفصحيَّة فقال : « وتخفَّف فتُلغى على الأفصح » . ولا يمكن تأويل كلامه بما ذكره ابن يعيش ، لأنّ إعمالها فى الاسم الظاهر ليس بفصيح ، فكان ينبغى للشارح المحقّق أن ينبِّه عليه ولا يجاريَه فى كلامه .

وقد شرحه التِّبريزى على ظاهره فقال : أىْ تخفَّف كأنّ فتلغى على الأفصح ، وجاء إعمالها على غير الأفصح . أمّا إلغاؤها فلفَواتِ مشابهتها بالماضى ، لزوال فتحها بالتخفيف ، وأمَّا إعمالها فلبقاء ثلاثة أحرف والمعنى المقتضى للاسم ،

---

(١) سيأتى قريبا فى الشاهد ٨٧١ ص ٣٩٨ .

٣٥٧ وهو التشبيه . وذهب بعضُهم إلى أنَّ كأنْ المخففة مثل أنْ المخففة المفتوحة ، تعمل فى ضمير الشّأن المقدّر وغيره . انتهى .

وهذا نصُّ سيبويه : ﴿ والخامسةَ أنْ غَضَبُ اللهِ عليها [1] ﴾ كأنّه قال : أنّه غضَبُ الله عليها ، لا تخفِّفها فى الكلام أبدا وبعدها الأسماءُ إلاَّ وأنت تريد الثَّقيلة مُضمراً فيها الاسم ، يَعنى الهاءَ ونحوَها [2] . فلو لم يريدُوا ذلك نصبوا كما ينصبون إذا اضطروُّا فى الشعر بكأنْ إذا خفَّفوا ، يريدون معنى كأنَّ ولم يريدوا الإضمار . وذلك قولُه :

* كأن وريديه رشاءَا خُلْبِ [3] *

وهذه الكاف إنّما هى مضافة إلى أنّ فلما اضُطرِرتَ إلى التخفيف فلم تضمر لم يُغيّر ذلك [4] أنْ تنصبَ بها ، كما أنّك قد تحذف من الفعل فلا يتغيَّر عن عمله . ومثلُ ذلك قولُ الأعشى :

فى فتيةٍ كسُيوف الهِندِ قد عَلموا  أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفَى وينتعلُ [5]

كأنّه قال : أنّه هالك . وإن شئتَ رفعت فى قول الشاعر : « كأنْ وريداه » على مثل الإضمار الذى فى قوله : « من يأتِنا نعطه [6] » ، أو يكون هذا المضمَر ، وهو الذى ذُكِر ، كما قال :

---

(١) الآية ٦ من سورة النور .

(٢) هذه العبارة ليست من نص سيبويه . وفى ط : « تعنى » ، صوابه من ش .

(٣) ط : « رشاء خلب » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ، وهو ما يقتضيه التفسير بعده . لكن فى نص سيبويه : « رشاء خلب » بالإفراد .

(٤) فى النسختين : « لم تغير ذلك » بالتاء .

(٥) ديوان الأعشى ١٤٥ . وانظر بقية التخريج فى نسختى من سيبويه ٣ : ١٦٤ .

(٦) فى سيبويه : « إنه من يأتها تعطه » .

* كأنْ ظبيةٌ تَعطُو إلى وارق السَّلَم [١] * انتهى كلامه .

وقوله : « وهذه الكاف المضافة إلى أنّ » يريد الكاف من كأنَّ المتقدِّمة على أنَّ .

وقوله : « أو يكون هذا المضمر » إلخ يعنى أنَّ الضمير المقدَّر يجوز أن يكون ضميرَ الشَّأن كما فى : إنّه مَنْ يأتنا ، ويجوز أن يكون ضميرَ مذكورٍ مقدَّر كما فى كأنْ ظبيةٌ بالرفع ، أى إنّ تلك المرأة كأنَّها ظبية .

وإلى مذهب سيبويه ذهب ابن مالك فقال ( فى التسهيل ) : وتخفَّف كأنَّ فتعمل فى اسم كاسم أنّ ، والمقدَّر والخبرُ جملةٌ اسمية أو فعليّة مبدوءة بلم أو قد ، أو مفرد . وقد يُبرَز اسمُها فى الشعر . انتهى .

قال المرادى : إذا خفِّفت كأنَّ لم تُلغَ بل تعمل فى اسم ، كاسم أنَّ المفتوحة إذا خفِّفت ، ويكون مقدّرا . ولا يلزم كونه ضمير شأن . ومن وروده غيرَهُ قوله : كأنْ ظبيةٌ ، بالرفع . ومثال الاسمية :

* كأن ثدياه حُقّانِ *

والمبدوءة بلم : ﴿ كأنْ لم تَغْنَ بالأمس [٢] ﴾ ، وبقد : « وكأن قد [٣] » ، أى قد زالت . والمفرد : « كأنْ ظبيةٌ » . واسمُها البارز كأنْ ظبيةً بالنصب .

ثم قوله : « ظاهر كلام سيبويه أنّ ذلك لا يختصُّ بالضرورة » خلافُ ما نقلنا عنه . وكذا عدَّه من الضرورة ابنُ عصفور ( فى كتاب الضرائر ) .

---

(١) لابن صريم اليشكرى ، كما فى سيبويه ١ : ٢٨١ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) الآية ٢٤ من سورة يونس .

(٣) إشارة إلى قول النابغة :

أفد الترحل غير أن ركابنا لما تزُل برحالنا وكأن قد

قال الأعلم فى « كأنْ وريدَيه » : الشاهد فى إعمال أن المخففة تشبيهاً بما حُذِف من الفعل ولم يتغيَّر عمله ، نحو : لم يكُ زيدٌ منطلقاً . والوجه الرفعُ إذا خفِّفت ، لخروجها عن شبه الفعل فى اللفظ .

قال صاحب الكشّاف : والوريدان : عِرقان يكتنفان صَفحتَى العُنق فى مقدَّمهما ، متَّصلان بالوتين ، يَرِدَان من الرأس إليه . وقيل سُمِّى وريداً لأنّ الروح تَرِدُه . وقال صاحب المِصباح : الوريد عرقٌ قيل هو الودَج ، وقيل بجنبْه . وقال الفراء : عرقٌ بين الحلقوم والعلْباوَين [١] . وهو يَنبض أبداً ، فهو من الأوردة التى فيها الحياة ولا يجرِى فيها [ دمٌ [٢] ] ، بل هى مجارى النَّفَس بالحركات . والرِّشاء بكسر الراء والمد : الحبل ، وجمعُه أرشية ، وهو هنا مثنىًّ مرفوع بالألف ، وأصله رشاوانِ بهمزة بين ألفين ، حُذفت نونه عند الإضافة لخُلْب بضم الخاء المعجمة واللام وبتسكينها . قال صاحب الصحاح : والخُلْب : اللِّيف . قال :

* كأنْ وريدَاه رشاءَا خُلْبِ *

ويروى : « وريديه » على إعمال كأنْ وتركِ الاضمار . وكذلك الخُلب بالتسكين . واللِّيفةُ خُلبة وخُلُبة . انتهى .

٣٥٨

وكذا قال فى مادة ( أنن [٣] ) . وقال النحاس : قال إسحاق : اللِّيف ، وقال غيره : الخُلْب : البئر البعيدة القعر . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ونحنُ أقرَبُ إليه مِنْ حَبْل

---

(١) إلى هنا ينتهى نص الفراء ٣ : ٧٦ فى تفسير الآية ١٦ من سورة قٓ : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

(٢) التكملة من المصباح ( ورد ) حيث يستمر النقل منه إلى كلمة « بالحركات » .

(٣) فى النسختين : « أن » ، صوابه ما أثبت ، كما فى الصحاح .

الوريد [١] ﴾ من سورة قٓ . قال : حبل الوريد مثَلٌ فى فرط القُرْب . قال ذو الرُّمَّة :

* والموتُ أدنى لى من الوريد [٢] *

والحبل : العِرْق ، شبِّه بواحد الحبال . ألا ترى إلى قوله :

* كأنْ وريديه رِشاءَا خُلْبِ *

فإن قلت : ما فائدة إضافة الحبل إلى الوريد ، والشىء لا يضاف إلى نفسه ؟ قلتُ : فيه وجهان : أحدهما أن تكون الإضافة للبيان ، كقولهم : بعيرُ سانية . والثانى : أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد ، كما يضاف إلى العاتق . لاجتماعهما فى عضوٍ واحد ، كما لو قيل : حَبل العِلباء مثلا . انتهى .

والبيت غفلٌ فى الكتاب ، ولم ينسُبْه أحد من خَدَمة الكتاب . وقال العينى : قائله رؤبة بن العجاج . وهكذا أنشده سيبويه فى كتابه . وهذا بخلاف الواقع [٣] .

ورأيت ( فى التخمير ، وهو شرح أبيات المفصَّل لبعض فضلاء العجم ) ، وتبِعه الكرمانىُّ ( فى شرح أبيات الموشح ) ، وهو ( شرح الكافية للخبيصى ) أنَّ ما قَبل هذا البيت :

* ومعتدٍ فظٍّ غليظِ القَلْبِ *

---

(١) الآية ١٦ من سورة قٓ .

(٢) وكذا فى الكشاف وشرح شواهده لمحب الدين أفندى ، والمستقصى للزمخشرى ١ : ١٢١ لكن فى الديوان ١٦٨ :

والله أدنى لى من الوريـــد      والموت يلقى أنفس الشهود

والشهود : الحاضرون المقيمون بأهلهم .

(٣) لم أفهم وجه اعتراض البغدادى على العينى ، إلا أن يكون قد ظن أن العينى اعتمد على سيبويه فى نسبة الشاهد فعبر عنها بقوله « وهكذا أنشده سيبويه فى كتابه » . بل الحق أن العينى يريد أن سيبويه رواه بالنصب مرة « كأن وريديه » .

وبعده :

* غادرتُه مجدَّلاً كالكلبِ *

وقالا : المعتدى : المتجاوز عن الحدّ . والفَظّ من الرجال : الغليظ . والمجدَّل : الملْقى على الجَدالة ، وهى الأرض . والمعنى : ربَّ خصم معتدٍ متجاوزٍ عن الحدّ فى كل ما يفعله ، فظّ غليظ القلب قاسِيهِ ، كأنَّ وريديه حبلان فُتِلاَ من ليف النَّخل ، لضخامة عُنقه ، غادرتُه وتركته مُلْقًى على الأرض كالكَلْبِ فى الذلّة . والشُّجعان يُوصَفون بما ذُكر من الاعتداءِ والفظاظة ، وغِلْظة القلب ، وعَبَالة الأعناق . انتهى .

وقول الشاعر :

* كأنْ وريديه رِشاءَا خُلْبِ *

كأنْ فيه عاملة ، ووريديه اسمها ، ورشاءَا خُلب خبرها ، وهو مرفوعٌ بالألف لأنّه مثنًّى كما تقدَّم . ويوجد فى بعض الكتب « رِشاءُ خُلْبِ » بالإفراد ، ولا يصحّ لأنّه خبرٌ عن مثنًّى . وضمير وريديه للمعتدى .

وقول سيبويه « وإنْ شئتَ رفعتَ فى قول الشاعر : كأن وريداه ، على مثلِ الإضمار الذى فى قوله : إنّه من يأتنا نُعطِه » . يريد أنّه إذا رُفع ما بعد كأنْ يكون اسمُها ضَميرَ شأن كما فى المثال ، ويكون جملة وريداه رشاءا خُلب من المبتدأ والخبر خبر كأنْ .

وقوله : « أو يكون هذا المضمر وهو الذى ذُكِر كما قال : كأن ظبية » ، يريد أنّ اسم كأنْ يكون ضميراً محذوفا عائدا على متقدّم مذكور ، وهو المعتدى ، والتقدير : كأنّه وريداه رشاءا خلب . فالهاء المحذوفة وهى ضمير المعتدى اسم كأنْ ، والجملة بعدها خبرها [1] كما فى قوله : كأن ظبية بالرفع ، التقدير : كأنّها

(١) الكلام بعده إلى كلمة « خبرها » التالية ساقط من ش .

ظبية . فالهاء المحذوفة ضمير المرأة المتقدِّمة الذكر وهى اسم كأنْ ، وظبية خبرها . ويأتى مثلُه بعده فى قوله :

* كأَنْ ثدياه حُقّانِ *

وقال العينى : وعلى رواية الرفع فى وريديه يكون الاستشهاد من حيث إهمال عمل كأنْ . وفى الحقيقة ليس فيه شيء يستشهد به . وهذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٨٧١ ( وصَدرٍ مُشْرِقِ النَّحرِ كأنْ ثَديَيْـهِ حُقّـانِ )

لما تقدّم قبله . ويأتى فيه ما ذكرناه .

٣٥٩ قال ابن الشجرى ( فى أماليه ) : وقد خفَّف الشاعر وأعملَها فى الاسم الظاهر فى قوله : وصدرٍ مُشرق النَّحر إلخ . وأنشد بعضهم « ثدياه » رفعا على الابتداء وحُقّان الخبر ، والجملة من المبتدأ والخبر خبرها ، واسمها محذوف ، فالتقدير : كأنّه ثدياهُ حقان . انتهى .

والذى أنشده مرفوعاً سيبويه . قال : ورَوى الخليل أنّ ناسا يقولون : إنَّ بك زيدٌ مأخوذٌ ، فقال : هذا على قوله : إنّه بكَ زيدٌ مأخوذ . وشبَّهه بما يجوز فى الشعر نحو قوله ، وهو ابن صُرَيم اليشكُرىّ :

---

(١) سيبويه ١ : ٢٨١ ، ٢٨٣ والأصول ١ : ٢٩٨ والمحتسب ١ : ٩ والمنصف ٣ : ١٢٨ وابن الشجرى ١ : ٢/٢٣٧ : ٣ ، ٢٤٣ والإنصاف ١٩٧ وابن يعيش ٨ : ٨٢ والشذور ٢٨٥ والعينى ٢ : ٣٠٥ والتصريح ١ : ٢٣٤ والهمع ١ : ١٤٣ والأشمونى ١ : ٢٩٣ .

ويومـاً تُوافينـا بوجـهٍ مقسَّمٍ كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارق السَّلَمْ [١]

أى : كأنَّها ظبية . وقال الآخر :

ووجـهٍ مُشرق النَّحـر كأنْ ثدياه حُقَّـانِ

لأنَّه لا يحسن ههنا الإضمار . وزعم الخليلَ أنَّ هذا يُشبه قولَ الفرزدق :

ولو كنتَ ضَبِّيًّا عَرفتَ قرابتى ولكـنَّ زنجىٌّ عظيـمُ المشافرِ

والنصب أكثر فى كلام العرب . انتهى .

وقوله : « هذا على قوله إنّه بك » إلخ يريد أنَّ اسم إنّ ضمير شأن محذوف ، وأما اسم كأن فى البيتين ، ولكنّ فى بيت الفرزدق فغير ضمير الشأن ، ومراده التشبيه بمطلق الحذف لا بخصوص ضمير الشأن ، بدليل قوله : أى كأنّها ظبية ، والضمير للمرأة المحدَّث عنها ، وبدليل بيت الفرزدق .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع زنجىٌّ على الخبر وحذف اسم لكنّ ضرورة ، والتقدير : ولكنّك زنجىٌّ .

وكذا البيت الثانى . قال ابن هشام ( فى شرح أبيات ابن الناظم ) : قوله كأن ثدياه ، أصله كأنّه ، والضمير للوجه أو للصَّدر أو للشَّأن ، والجملة الاسميَّة خبر . انتهى .

فجوّز أنْ يكون ضمير شأن ، ولم يُوجبْه لضعفه ، لأنّه لا يُصار إليه إلاّ إذا لم يكن للضمير مرجع . ومنه تعلم أنَّ الأولى أن يقدَّر الضمير فى قوله تعالى : ﴿ فلما كشَفْنا عنه ضُرَّه مرَّ كأنْ لم يَدْعُنا [٢] ﴾ للرجل المحدَّث عنه ، لا ضمير

---

(١) هو الشاهد ٨٧٤ فيما سيأتى ص ٤١١ .

(٢) الآية ١٢ من سورة يونس .

شأن ، خلافا للبيضاوىّ تابعاً للكشّاف فى قوله : الأصل كأنّه لم يدْعُنا ، فخفّف وحذف الشأن ، كقول الشاعر :

* كأنْ ثدياه حُقّان *

واقتصر ابن يعيش على الشأن فقال : المراد كأنّه ، أى الأمر والشأن ، وجملة ثدياه حقان خبر كأنْ .

والعجب من العينى فى قوله : الاستشهاد فيه على تخفيف كأنْ وإلغاءِ عملها وحذف اسمها ، ووقوع خبرها جملة . وأصله : كأنّه ، والضمير للوجه أو للنحر أو للشأن . انتهى .

وأعجبُ منه إنكار ابن الأنبارى روايةَ الرفع فيه مع أنَّ سيبويه لم يروِ غيرها . وكذا الزمخشرى لم يرو ( فى المفصل ) غيرها ، قال فى مقام الردّ على الكوفيين : الرواية :

* كأنْ ثدييه حُقّانِ *

و : * كأن وريدَيه رشاءا خُلْبِ *

ولا يجوز أن يقال الإنشاد فى البيتين : كأن ثدياه ، و : كأن وريداه ، لأنّا نقول : بل الرواية المشهورة بالنصب . هذا كلامه .

وقوله : ( وصدر مشرق ) إلخ المشهور جرّ صدر بواو ربّ . وقال ابن هشام ( فى شرح أبيات ابن الناظم ) : مرفوع على الابتداء والخبر محذوف ، أى لها . ومُشرق من أشرق ، أى أضاء . والنحر : موضع القلادة من الصَّدر ، والهاء من ثدييه للصَّدر . وروى سيبويه :

* ووجهٍ مشرق النّحر *

وروى غيره :

* ونحرٍ مشرق اللّون *

فالهاء من ثدييه للوجه أو للنحر بتقدير مضاف ، أى ثديى صاحبِه (١) كذا قال الأعلم وابنُ يَعيشَ وغيرهُما . والحُقّ بالضم ويقال أيضا حُقّة ، قال عمرو بن كلثوم : ٣٦٠

وصدراً مثلَ حُقِّ العاجِ رَخْصاً  حَصاناً من أكفِّ اللاَّمسينا (٢)

ولا حاجة إلى قول صاحب التخمير : الحُقّة بالضم معروفة ، وأراد حُقّتان . ويجوز أن يكون مما يحذف منه تاء التأنيث عند التثنية ، وشبه الثديين بالحُقَّتين فى نهودهما واكتنازهما .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لها قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الثمانمائة (٣) :

٨٧٢ ( عَبَأْتُ له رُمحاً طويلاً وأَلَّةً  كأنْ قبَسٌ يُعْلَى بها حين تُشرَعُ (٤) )

على أنَّ كأن المهملة لفظاً يجىء بعدها جملةٌ اسميّة خبراً لها ، واسمها المقدَّر هنا ضمير الشأن .

---

(١) وكذا بتذكير صاحبه عند الأعلم .

(٢) ط : « وصدر » ، صوابه فى ش ، وقبله فى المعلقات :

تريك إذا دخلت على خلاء  وقد أمنَتْ عيونَ الكاشحينا
ذراعَىْ عيطل أدْماءَ بكر  هِجانِ اللون لم تقرأ جنينا

(٣) الإنصاف ٢٠٣ والحماسة بشرح المرزوقى ٧١٨ وبشرح التبريزى ٢ : ٢٤١ .

(٤) ط : « كأن قيس » صوابه بالباء الموحدة كما فى ش والمراجع .

وهذا تقرير كلامه (١) . وفى كلّ منهما نَظَر :

أمَّا ( أوّلاً ) فلأنّه لا جملةَ اسميّةً بعد كأنْ ، وإنّما بعدها مفردٌ موصوف بجملة فعلية ، فإنّ قَبساً نكرة ، وجملة يُعلَى صفته ، والرابط الضمير المستتر النائب عن الفاعل ، والباء للإلصاق متعلّقة بمحذوف حال من الضمير ، والهاء ضمير الألَّة . ولا يجوز أن يكون مبتدأ خبره جملة يُعلَى ، لئلَّا يلتبس المبتدأ حينئذ بالخبر ، كما قاله الشارح فى باب الابتداء .

• فإن قلت : يكون جملة يُعلى خبراً إذا نصبت قبساً . قلتُ : الإخبارُ عن النكرة فى باب إنّ جائز كما حقَّقه الشارح فى آخر الباب . نعم يجوز أن يكون بها ظرفاً مستقرّاً خبرا لقبس . وإنّما لم نحمل كلامَه عليه ابتداءً لأنّ كلامه الآتى فى رفع ظبية لا يلائمه (٢) .

وأمّا ( ثانيا ) فلما تقدم من أنّ ضمير الشأن لا يُصار إليه مع إمكان المرجع ، وقد أمكن هنا بجعله راجعاً إلى الألّة ، وهى الحَرْبة .

وقال المرزوقى ( فى شرح الحماسة ) : قوله ( كأن قبسٌ ) يجوز فيه الرفع والنّصب والجر . فإذا رفعت فعلى الضمير ، يريد كأنَّها قبسٌ يُعلى بها حين أشرعت . والقَبَس : النار . ومن نصبَ فلأنّه أعمل كأنْ مخففة عملَها مثقّلة ، يريد كأنّ قَبسا يعلى بها ويكون الخبر يُعلَى بها . و مَن جَرَّ فقال : كأن قَبسٍ ، جعل أن زائدة وأعمل الكاف . انتهى .

ويجوز على النصب أن يكون يُعلَى صفة لقبس ، والخبر قوله بها .

---

(١) ش : « تقدير كلامه » ، صوابه فى ط .

(٢) الكلام بعده إلى كلمة « الحربة » ساقط من ش .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ عشرة أوردها أبو تمام ( فى الحماسة ) لمجمِّع بن هلال . قال : غزا مجَمِّع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يُريدُ بَنى سعدِ بن زيدِ مناةَ [1] فلم يصب شيئاً ، فرجع من غَزاته تلك فمرَّ بماءٍ لبنى تميم عليه ناسٌ من بنى مجاشع فقَتل فيهم وأسَر ، فقال فى ذلك :

أبيات الشاهد

( إنْ أُمْسِ ما شيخاً كبيراً فطالما ... عَمِرتُ ولكنْ لا أرى العُمْرَ ينفعُ [2]
مَضت مائةٌ من مَولِدى فنضَيْتها ... وخمسٌ تِباعٌ بعد ذاك وأربعُ [3]
وخيلٍ كأسراب القطا قد وزَعتُها ... لها سَبَلٌ فيه المنيّةُ تلمعُ [4]
شهدتُ ، وغُنْمٍ قد حويتُ ، ولذّةٍ ... أتيتُ ، وماذا العيش إلاّ التمتُّعُ
وعاثرةٍ يوم الهُيَيْما رأيتُها ... وقد ضمَّها من داخل الخُلْب مَجزَعُ
لها غَلَلٌ فالصَّدرُ ليس ببارحٍ ... شجىً نَشِبٌ ، والعينُ بالماء تدمعُ
تقولُ وقد أفردتُها مِنْ حليلِها : ... تَعِسْتَ كما أتعستنى يا مجمّعُ
فقلت لها : بل تَعْسَ أختِ مُجاشعٍ ... وقومِكِ حتّى خدُّك اليومَ أضرَعُ
عَبأتُ له رمحاً طويلاً وألّةً ... كأنْ قبسٌ يُعلَى بها حين تُشرَعُ
وكائن تركتُ مِن كريمةِ مَعْشرٍ ... عليها الخُموشُ ، ذاتُ حزنٍ تفجَّعُ )

٣٦١

قال المرزوقى : قوله : « إن أمس مَاشيخاً » ما زائدة . يقول : إن صرتُ شيخاً طاعنا فى السنّ هدفاً لِسهامِهِ فذلك حقٌّ ، لأنَّ من يَعيش يَكبَرُ [5] ومن

---

(١) فى النسختين : « يزيد بن سعد بن زيد مناة » ، صوابه ما أثبت من شرح المرزوقى ٧١٣ . وليس فى قبائلهم يزيد بن سعد .

(٢) فى المعمرين للسجستانى ٣٢ : « إن أمس شيخا قد بليت فطالما » .

(٣) فى الحماسة : « فنضوتها » . وذكر المرزوقى أنهما روايتان . وفى المعمرين : « وعشر وخمس » ، وهذه الرواية هى التى تستقيم مع ذكر السجستانى أنه عاش ١١٩ سنة .

(٤) فى المعمرين : « فيارب خيل كالقطا » .

(٥) عند المرزوقى : « من يعش يكبر » بالجزم . وهو وجه جائز بقلّة . انظر ص ٤٤٩ .

يَكْبر يهرمُ ، وطول العُمر لا يجدى ، إذْ كان مؤدَّاه إلى الضَّعف ، وغايتُه الموت .
ومعنى عَمِرتُ : بقيت وحَيِيتُ . والعُمْر : الحياة والبقاء .

وقوله : « مضت مائة » يقول : أتَتْ علىَّ مائةُ سنةٍ من ميلادى فألقيتُها ورائى ، كأنّى لبستها ثم خلعتها ، واستتبعت بعدها تسعا توالت . ويروى : « فنضوتها » يقال نضى ثَوْبَه يَنضُو ويَنضِى ، إذا نزعه ، لغتان .

وقوله : « وخمس تِباع » يقال تبع تِباعا ، فهو مصدرٌ وصف به . ويقال أيضا رميتُه بسهمين تباعا ولِاءً ، وتابعَ بينهما تِباعا .

وقوله : « وخيلٍ كأسراب » إلخ تذكّر بما كان منه [1] عند تناهى عمره [ ما كان منه [2] ] فى ريَعان شبابه ، فيقول : ربَّ خيلٍ تتوالى مبادرةً إلى الملتقى ، وتسترسل استرسال فِرَق القطا عند اندفاعها للورد ، أنا بعَثْتُها ولها عارضٌ يُمطِر بالموت ويلمع . والسَّبَل : المطر . ووزَعْتُها يجوز أن يكون معناه كففتُها عن التعجُّل ، ويجوز أن يكون قسَّمتها للتَّعبيَة أو للغارة ، لأنّه يقال وزَعت الشىء ووزَّعته جميعاً . وعلى الوجهين فتدبيرها كان إليه . وجملة « قد وزعتها » من صفة الخيل لأنّ جواب رُبّ فيما بعده . ولها سبَلٌ فى موضع الحال ، وفيه المنيّةُ من صفة السَّبَل ، وتلمع حالٌ من المنيَّة ، والعامل ما يدلُّ عليه الظَّرف .

وقوله : « شهدتُ وغُنْم » . إلخ يقول : ربَّ خيلٍ على هذه الصِّفة حضرتُها مدبِّراً لها ، وربَّ غنيمة تغنَّمتها ، وربَّ لذّة أتيتها . ثم أقبل كالملتفت فقال : ومالعيش إلاَّ التمتع بهذه الأشياء . والتمتُّع : الانتفاع بالشىء زماناً طويلا .

---

(١) ط : « تذكر ما كان منه » ش : « يذكر ما كان منه » ، صوابهما ما أثبت من المرزوقى .
(٢) التكملة من ش ، وبدونها لا يستقيم الكلام .

وقوله : « وعاثرة يومَ » إلخ يقول : ربَّ امرأة فى هذا اليوم لتمكُّن الخوف منها وتملُّك الجزع قلبَها ، رأيتُها تعثُر لوجهها مخافة السِّباء ، وقد ضمَّها مَجزعٌ ، أى استولى عليها الخوفُ والقلق . وقوله : « من داخل الخُلب » بيَّن به منشأ الجزع ومقرَّه . والخُلْب : حجاب القلب .

وقوله : « لها غَلَلٌ فى الصَّدر » إلخ الجملة صفة لعاثرة . والغَلَل بفتحتين أصله الماء الجارى بين الشَّجَر ، فاستعاره لما تداخَلَها من الشَّجا . وروى : « غُلَلٌ » بالضم : جمع غُلَّة . ولو كان كذا لقال ليست ببارحةٍ . والبارح : الزائل . وموضع قوله شجاً نشِبٌ رفع على البدل من غَلل . ويريد بِنشِبٌ أنّه عَلِقَ به كما ينشَب الصَّيْد فى الحبالة .

وقوله : « تقول وقد أفردتها » إلخ . تقول جواب رُبَّ . والمراد : ربَّ عاثرة هذه صفتُها فى يوم الهُيَيما [1] قالت لى بعد أن سبيتُها وفرَّقت بينها وبين زَوجِها بالقَتْل : سقَطتَ لوجهك ، ولا انتعشْتَ من عَثرتك يا مجِّمع .

وقوله : « فقلت لها » إلخ يقول : أجبتها بأن قلت : بل التَّعْس لك ولقومِكِ حين ضَيَّعوك وفعلوا ما أدَّى وبالُه إلى أن صار خدُّك اليوم ضارعا . وبل للإضراب عن الأوّل والإثبات للثانى . وأجرى تَعْساً فى الإضافة مجرى وَيْل ، وذاك أنّ المصادر التى اشتُقّ الأفعال منها إذا دُعِىَ بها تستعمل باللام لا غير ، تقول : تبٌّ لزيد ، وخُسرٌ لعمرٍو . ومالم يشتقّ الفعل منه وهو ويلٌ وويحٌ وويسٌ ، إذا كان معها اللام رفعت ، وصارت باللام جُمَلا . وإذا أفردت عن اللام أضيفت ونُصِبَتْ . ٣٦٢

(١) الهُيْما ، قال ياقوت : موضع كانت فيه وقعة لبنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، على بنى مجاشع . وضبطه بضم الهاء . وأنشد الأبيات الخامس والسابع والثامن . أما البكرى فقد ضبطه بضم الهاء وكسرها أيضا ، فيكون مما كسر أوله فى التصغير ، كما قالوا : شييم وبِيَيْت بكسر أولهما . انظر الاشتقاق ١٩١ والقاموس ( بيت ) . وعيّنه البكرى بأنه موضع فى ديار طيىء .

تقول : ويلٌ لزيد وويحٌ لعمرو فترفع ، وويلَ زيدٍ وويْحَ عمرٍو فتنْصِب . وهذا الشاعر قال بل تَعْسَ أختِ مجاشع ، فأجراه مجرى ويل ، والفعل منه يشتَقّ منه [١] . ومجاشع : قبيلة ، يقال أخت مجاشع كما يقال : يا أخا بكر ، ويا أخا تميم . وأضْرَع بمعنى ضارع . والضّراعة : الانسِفال [٢] فى خضوع .

وقوله : ( عبأت له ) إلخ أخذ يبيِّن كيف تمكّن من قتل زوجها . ويقال عبأت الخيل وعبَّأتها ، إذا هيّأتَها للحرب وعَبَّيتها أيضا . والمراد هيّأت له رمحاً طويلا وسِناناً لمَّاعاً براقا ، كأنَّما يُعلَى به نارٌ إذا أُشرِع للطَّعن . والألّة بفتح الهمزة وتشديد اللام تستعمل فى الحرب [٣] وتُشهَر بها . وأصل الأليل البريق ، والمراد بها هنا السِّنان . وفى لسان العرب لابن مكرَّم : الألّة : الحربة العظيمةُ النَّصْل ، سمِّيت بذلك لبريقها ولَمَعانها . وفرق بعضهم بين الألّة والحَرْبة فقال : الألّة كلُّها حديد ، والحربة بعضُها خشبٌ وبعضها حديد ، والجمع أُلٌّ بحذف الهاء ، وإلاَلٌ [٤] ككتاب . والألُّ أيضا : مصدر ألّه يؤُلّه ألاًّ : طعنه بالألّة . وتُشرَع ، مِن أشرعت الرُّمحَ إشراعا ، إذا صوَّبتَه للطَّعن .

وقوله : « وكائن تركت » إلخ نبَّه بهذا الكلام على أنَّ ما حكاه من حديث العاثرة لم يكن بدعاً مِنْه ، بل ذلك دأبُه مع أمثالها . وكائن : لغة فى كأيّن بالتشديد بمعنى كم للتكثير . يقول : كم امرأةٍ كانت كريمة عَشيرتِها تركتُها وهى تَخمِشُ وجهَها وتتفجَّع جزعاً على قيِّمها من بعلٍ أو أخ أو ابن . والخَمْشُ فى الوجه وفى سائر البدن مثل الخَدْش .

---

(١) عند المرزوقى : « مجرى ويل ، الفعلُ يشتق منه » .

(٢) وكذا فى شرح التبريزى . وعند المرزوقى : « الاستفال » ، وهو الوجه إن شاء الله .

(٣) ط : « فى الحرب » ، صوابه فى ش والمرزوق . وفى المرزوق بعده : « وتشتهر بها » .

(٤) ش : « والإلال » .

مجمع بن هلال

ومجَمِّع على وزن اسم الفاعل ، من جمَّعَ يجمِّع تجميعا . وهو شاعر جاهلىٌّ أورده أبو حاتم السجستانى ( فى المعمرين ) . ونسبُهُ كذا . قالوا : وعاش مجمِّع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن هِلال بن تيم الله بن ثَعلبة بن عُكابة بن صعب بن علىٍّ بن بكر بن وائل . عاش مائة سنة وتسعَ عشرة سنَةً ، فقال فى ذلك :

إنْ أُمس ماشيخاً كبيراً فطالما عَمِرتُ ولكنْ لا أرى العيشَ ينفعُ

إلى آخر الأبيات [١] .

* * *

وأنشد بعده :

( أَزِفَ التَّرحُّلُ غير أنَّ ركابنا لَمّا تَزُلْ برحالنا وكأنْ قَدِ )

على أنَّ كأنْ المهملة لفظاً يجىء بعدها جملة خبرا ، وهى هنا محذوفة ، والتقدير : قد زالت بها . وجاز حذفُها لِدَلالةِ قوله : لما تزل برحالنا . واسمها المحذوفُ عند الشارح ضميرُ الشَّأن . والأَولَى جعله ضمير الرِّكاب لما تقدَّم ، وهى الإبل التى يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، ولا واحد لها من لفظها .

و ( أزِف ) بفتح الهمزة وكسر الزاى بمعنى قرُب ودنا . وروى بدله : ( أفِدَ ) بكسر الفاء ، وهو بمعناه . و ( الترحُّل ) : الرحيل . ولمَّا نافيه بمعنى لم ، و ( تَزُلْ ) بضم الزاى من زال يزول ، بمعنى ذهب وانفصل . يقال زال عن موضعه يزول زوالاً . ويتعدَّى بالهمزة والتضعيف فيقال أزلته وزوَّلته . والباء للمعيَّة . و ( الرِّحال ) بالحاء المهملة : جمع رَحْل ، وهو كلُّ شىء يَعدُّ للرحيل ، من وعاءٍ

---

(١) الحق أنه أنشد الأبيات الأربعة الأولى فقط .

للمتاع ، ومركَبٍ للبعير ، وحِلْسٍ ورَسَن ، وما يستصحبه المسافرُ من المَتَاع والأثاث . وغَيْرَ هنا للاستثناء المنقطع.والمعنى قُرْب الارتحال لكنّ إبلنا لم تذهبْ بمتاعنا إلى الآن مع عزمِنا على الرَّحيل ، وكأنَّها ذهبت . فجملة « قد زالت بها » المحذوفةُ فى محل رفع خبر لكأنْ . و « قد » تروى بكسر دالها للرَّوىّ ، وبتنوينه للتَّرنُّم ، أى لقطعِه ، فإنَّ الترنُّم هو التغنّى ، والتغنِّى يحصُل بألف الإطلاق لَقَبولها لِمَدِّ الصّوتِ فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنَّموا جاءُوا بهذا التنوين . وبهذين الوجهين أروده ابن هشام ( فى موضعين من المغنى ) .

٣٦٣

ونقل ابن الملا ( فى شرحه ) عن ابن جنى ( فى الخصائص ) أنّ الرواية هنا « قَدِى » بمعنى حسبى ، والياء ضميرٌ لا حرفُ إطلاق . وعليه يكون خبر كأنْ مفرداً لا جملة ، ويكون اسمها ضميرَ الترحُّل ، أى كأنَّه قدِى ، أى كأنَّ ذلك الترحُّلَ حسبى .

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى ، تقدَّم فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٧٣** ( تُمَشِّى بها الدَّرماءُ تسحَبُ قُصْبَها
كأنْ بطنُ حُبْلَى ذاتِ أُونينِ مُتْئِمِ )

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٧ — ٢٠٥ .

(٢) معانى الأشناندانى ٢٣ والعمدة ٢ : ١٥٢ والإنصاف ٢٠٤ واللسان ( أون ١٨٢ مشى ١٥٠ ) وملحقات ديوان ذى الرمة ٦٧٤ .

على أنّ ( كأنْ ) إذا وقع بعدها مفردٌ فاسمها يكون غير ضمير شأن . والتقدير : كأن بطنَها بطنُ حبلى . وإنمّا عدل عن ضمير الشأن لأنّ خبره لا يكونُ إلاّ جملة .

وهذا البيت ثانى بيتين أوردهما ابن دُريد [١] عن أبى عثمان سَعيد بن هارون الأُشناندانىّ ( فى كتاب أبيات المعانى ) ، قال : أنشدنى لرجل من بنى سَعد بن زيد مَناة :

( وخيفاءَ ألقَى اللَّيثُ فيها ذِراعَه فسرَّتْ وساءت كلَّ ماشٍ ومُصْرِمِ

تُمَشِّى بها الدَّرماء تسحب قُصْبَها ........................ البيت

خيفاء : روضة فيها رُطب ويَبيس ، وهما لونان : أخضر وأصفر . وكلُّ لونين خَيَفٌ ، وبه تسمَّى الفرس إذا كانت إحدى عينيها كحلاءَ والأخرى زرقاء . وسمِّىَ الخَيْفُ خيفاً لأنّ فيه حجارةً سُوداً وبِيضاً . وقوله : « ألقَى الليثُ فيها ذراعه » ، يقول : مُطِرتْ بنوء الذّراع ، وهى ذِراع الأسَد ، فسرَّت الماشىَ ، أى صاحب الماشية ، وساءت المُصْرِمَ : الذى لا مال له ، لأنّ الماشىَ يُرعِيها ماشيتَه [٢] ، والمُصرم يتلهَّف على ما يرى من حُسْنها وليس له ما يُرْعيها .

وقوله ( تُمَشِّى بها الدَّرماء ) يعنى الأرنب ، وإنمّا سمِّيت الدرماء لتقارُب خَطْوِها ، وذلك لأنَّ الأرانب تَدرم درْماً [٣] تقارِبُ خَطْوَها وتُخفيه ، لئلاَّ يُقصَّ

---

(١) ط : « أبو زيد » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وقد طبع معانى الشعر للأشناندانى المتوفى سنة ٢٨٨ كما فى معجم الأدباء ١١ : ٢٣٠ برواية تلميذه أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . أما أبو زيد سعيد بن أوس فكانت وفاته سنة ٢١٥ .

(٢) وكذا فى معانى الشعر ٣٤ وحاول الشنقيطى أن يجعلها « يرعى ماشيته » .

(٣) الفعل من بابى ضرب ، وذهب .

أثرُها فيقال دَرْماء . وكان ينبغى أن يقول دارمة . وقوله ( تُسحبُ قُصْبها ) وهذا مثلٌ [١] . والقُصْب : المِعَى مقصور ، والجمع أقصاب . وإنّما أراد بالقُصْب البطن بعينه واستعاره . يقول : فالأرنب قد عظُم بطنها من أكل الكلأ وسَمِنت ، فكأنّها حبلى . و ( الأونان ) : العِدْلان . يقول : كأنَّ عليها عِدلين لخروج جنبيها وانتفاجهما [٢] . ويقال أوَّنَ الحِمارُ وغيرُه ، إذا شربَ حتى ينتفخ جنباه . انتهى . ونقلته من نسخةٍ بخطّ أبى الفتح عثمان بن جنى وعليها خطُّ أبى على الفارسى فى أوّلها وآخرها بالإجازة له ، ورواها عن ابن دريد عن الأشناندانىّ .

وكذا شرحَهما [٣] عبد اللطيف البغدادى ( فى شرح نقد الشعر لقدامة ) .

وقوله : فيها رُطْب ويبيس ، الرُّطب بضم الراء : المرعى الأخضرُ من بُقول الربيع . وبعضهم يقول : الرُّطْبة كغرفة : الخَلاَ ، وهو الغضُّ من الكلأ . واليبيس من النَّبات ، على فعيل : ما يبِس منه . ٣٦٤

والنَّوء : سُقُوط نجمٍ من المنازل فى المغرب مع الفجرِ وطلوعُ رقيبهِ من المشرقِ يقابلُه من ساعته إلى ثلاثة عشرَ يوما . وهكذا كلُّ نجم منها إلى انقضاء السنة . وكانت العرب تُضيف الأمطارَ والرّياح والحَرَّ والبردَ إلى الساقط منها . وقال الأصمعى : إلى الطالع منها فى سُلطانه ، فتقول : مُطِرْنا بنوءِ كذا . وذراعُ الأسد : كوكبان نيِّران يَنزِلُهما القمر . واللَّيث من أسماء الأسَد .

والماشية : المال من الإبل والغنم ، وبعضهم يجعل البقرَ من الماشية . ومَشَى

(١) وكذا فى معانى الشعر بالواو قبل « هذا » .

(٢) فى معانى الشعر : « وانتفاخهما » بالخاء .

(٣) أى البيتين ، الشاهد وأخوه .

الرجل وأمشَى ، إذا كثُرت ماشيته . والمُصْرِم : اسم فاعل من أصرمَ الرجلُ ، أى افتقر . و ( تُمَشِّى ) بتشديد الشين المكسورة : مبالغة تَمشِى [١] . وضمير بها لِخَيْفاء ، والدَّرماء بالدال المهملة : الأرنب . وجملة تَسحَبُ حالٌ من الدرماء . والقُصْب بضم القاف وسكون الصاد المهملة : اسمٌ فرد كعُسْر . فى الصحاح : هو المِعَى ، يقال هو يجُرُّ قُصْبه . وذاتِ صفةٌ أولى لحُبلى ، ومُتئِم صفةٌ ثانية . والأَوْن ، بفتح الألف وسكون الواو ، فى الصحاح : هو أحد جانبَي الخُرج . تقول : خُرْجٌ ذو أونين ، وهما كالعِدْلين . ومنه قولهم : أَوَّنَ الحمارُ ، إذا أكل وشرِب وامتلأ بطنه وامتدَّت خاصرتاه فصار مِثْلَ الأَوْن . والانتفاج بالجيم : الارتفاع ، يقال انتفج جَنْبا البعير أى ارتفعا . ومُتئم : اسم فاعل من أتأمت المرأةُ كأفعلَتْ ، إذا وضَعَت اثنين فى بطنٍ ، فهى متئم ، فإذ كان ذلك عادَتَها فهي مِتآم كمِفعال . والولدانِ توأَمانِ يقال هذا توأَمُ هذا على فَوْعل ، وهذه توأَمةُ هذه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

**٨٧٤** ( ويومـاً تُوافينـا بوجـهٍ مقسَّمٍ     كأنْ ظبية تَعْطُو إلى وارقِ السَّلَمْ )

على أنّه روى برفع ( ظبية ) ، ونصبها ، وجرّها .

---

(١) ويجوز ضبطها بتشديد الشين المفتوحة مع فتح التاء ، كما فى اللسان ( أون ، مشى ) ومعانى الأشناندانى ٢٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٨١ ، ٤٨١ . وانظر الكامل ٤٩ والأصول ١ : ٢٩٧ والقالى ٢ : ٢١٠ والمنصف ٣ : ١٢٨ وابن الشجرى ٢ : ٣ والإنصاف ٢٠٢ وابن يعيش ٨ : ٨٢ ، ٨٣ والمقرب ١ : ١١١/٢ : ٢٠٤ والضرائر ٥٩ ، ٣١٠ والمغنى ٣٣ والشذور ٢٨٤ والتصريح ١ : ٢٣٤ والهمع ١ : ١٤٣/٢ : ١٨ والأشمونى ١ : ٢٩٣/٣ : ٢٨٦ واللسان ( قسم ٣٨٢ ) والأصمعيات ١٥٧ .

أما الرفع فيحتمل أن تكون ظبية مبتدأ وجملةُ تعطو خبره ، وهذه الجملة الاسمية خبر كأنْ ، واسمها ضمير شأن محذوف . ويحتمل أن تكون ظبية خبر كأنْ وتعطو صفتُها ، واسمها محذوف ، وهو ضمير المرأة ، لأنَّ الخبر مفرد . هذا تقرير كلامِه على وجه الرفع . ويَرِدُ على الوجه الأوّل أنّه لا يصح الابتداء بظبية لما تقدَّم فى قوله :

* كأن قَبَسٌ يُعَلى بها حين تُشرَعُ [١] *

والوجه الثانى هو الظاهر ، وهو كلام سيبويه كما تقدّم .

وقال الأعلم : الشاهد فيه رفع ظبية على الخبر ، وحذف الاسم ، والتقدير : كأنّها ظبية . وكذا قال ابن الشجرى وابن يعيش وغيرهم . قال ابن هشام ( فى شرح أبيات ابن الناظم ) : وفيه شذوذٌ لكون الخبر مفرداً مع حذف الاسم . وقال ابن الملاّ ( فى شرح المغنى ) : تُوافِينا إمَّا بلفظ الغيبة أو بلفظ الخطاب للمرأة ، على ما صرَّح به العينى ، فيكون التقدير فى حذف الاسم على الاحتمالين : كأنّها أو كأنّكِ . هذا كلامه .

وما نقله عن العينى لا أصلَ له ، وإنّما قال تُوافِينا فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، وهو الضمير الراجع إلى المرأة التى يمدحها .

وقول الشارح : « ويروى بنصب ظبية » على إعمال كأنْ ، هذا الإعمال مع التخفيف خاصٌّ بضرورة الشعر ، كما تقدَّم عن سيبويه فى :

* كأنْ وريديه رشاءا خُلْبِ *

وعليه يكون جملة تعطو صفة ظبية ، ولا يجوز أن تكون خبر كأنْ كما جوّزه العينىّ واقتصر عليه السيوطى ( فى شرح أبيات المغنى ) ، وإن جاز الإخبار عن ٣٦٥

(١) الشاهد ٨٧٢ ص ٤٠١ .

النكرة فى باب إنّ لما قاله الشارح المحقّق فى آخر الباب ؛ لأنّه ليس مراد الشاعر الإخبار عن الظبية بما ذكر ، وإنّما مراده تشبيه المرأة بالظبية ، فالخبر محذوف قدَّرهُ ابن الناظم ظرفا ، قال : والتقدير : كأَنّ مكانها ظبية . وقدّره الأعلم وابن الشجرى وابن السيد ( فى أبيات المعانى ) وابن يعيش وغيرهم ، ضميرها أو اسمَ إشارتها ، والتقدير : كأنّ ظبيةً تعطو إلى وارق السَّلَم هى أو هذه المرأة . قال ابن هشام : وهذا إنمّا يصح على جعل المشبَّه مشبَّها به وبالعكس ، لقصد المبالغة .

ومن رَوى بجرِّ ظبيةٍ فعلى أنّ أنْ زائدة بين الجار والمجرور ، والتقدير كظبية . وعدّ ابن عصفور زيادة أنْ هنا من الضرائر الشعرية . وقال ابن هشام ( فى المغنى ) : هو نادر .

وقد أورد المبرد هذه الأوجهَ الثلاثة ( فى الكامل ) قال : حدَّثنى التوَّزىُّ عن أبى زيدٍ قال : سمعت العربَ تنشد هذا البيت فتنصبُ الظبية وترفعها وتخفضها : أمّا رفعها فعلى الضمير ، يريد : كأنّها ظبية . وهذا شرط أنَّ وكأنَّ إذا خُفِّفتا ، إنما هو على حذف الضمير . وعلى هذا : ﴿ عَلِمَ أنْ سيَكونُ مِنْكم [1] ﴾ . ومن نصب فعلى غير ضمير ، وأعملها مخفَّفةً عملَها مثقّلة ، لأنَّها تعمل لشبهها بالفعل ، فإذا خفِّفت عملت عمل الفعل المحذوف ، كقولك : لم يك زيدٌ منطلقا ، فالفعل إذا حذف يعمل عمله تامًّا ، فيصير التقدير : كأنَّ ظبيةً تعطو إلى وارق السَّلَمِ هذه المرأة ، وحذف الخبر لِمَا تقدَّم مِن ذِكرِه . ومَنْ قال : كأنْ ظبيةٍ جعل أنْ زائدةً وأعمل الكاف ، أراد : كظبية ، وزاد أنْ . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت اختُلف فى قائله : فعند سيبويه هو لابن صُرَيم اليشكرى . وكذا قال النحاسُ والأعلم . وقال القالى ( فى أماليه ) : هو لأرقم اليشكرى . وقال

---

(١) الآية ٢٠ من المزمل .

أبو عبيد البكرى ( فيما كتبه عليها ) : هو لراشد بن شِهابٍ اليشكرىّ . ولم يرو المفضَّل هذا البيت فى قصيدته .

أقول : رأيتُ القصيدة التى أشار إليها لِراشدٍ ، وليس فيها هذا البيت ولا الأبيات الآتية .

وقال ابن المستوفى : هو لابن أصرمَ اليشكرىّ . ووجدته لِعلباء بن أرقم اليشكرى .

وقال ابن برى ( فى حاشية الصحاح ) : هو لباغت بن صُرَيم ، ويقال لِعلباء بن أرقم اليشكرىِّ ، قاله فى امرأته ، وهو الصحيح . وبعده :

أبيات الشاهد

( ويوماً تريد مالَنا مَعَ مالها ... فإنْ لم نُنِلْها لم تُنمنا ولم تنَمْ

تظلُّ كأنَّا فى خُصومٍ عَرامةً ... تُسَمِّعُ جيرانى المآلىَ والقَسَمْ

فقلت لها : إلاَّ تناهَىْ فإنّنى ... أخو الشرِّ حتّى تَقرَعِى السِّنَّ مِن ندَمْ )

انتهى

وضبط ابن هشام باغتاً فقال : هو منقول من بَغته بالأمر ، إذا فاجأهُ به . ونقله العينىّ عنه ولم يزد عليه .

ونسب ابنُ الملاّ إلى العينىّ شيئاً لم يقلْه ، قال : قال العينى : هو بالثاء المثلثة .

وقوله : ( ويوماً توافينا ) إلخ يوم ظرف متعلّق بتُوافِينا ، ولا يجوز أن يجرَّ بجعل الواو واوَ ربَّ ، لأنّه لم يُرِدْ إنشاءَ التكثير ، وإنما أخبر عن أحوالها فى الأيّام . ولم يتنبَّه له العينىّ وله العذر ، لأنّه لم يقف على ما بعده ، فقال : وأنشده بعض شُرّاح المفصَّل بالجر ، وقال : الواو فيه واو ربّ . وتوافينا : تأتينا ، يقال وافيته موافاةً : أتيتُه .

وقال العينى ، وتبعه السيوطى : الموافاة هى المقابلة بالإحسانِ والخير ، والمجازاةُ الحسَنة . وفاعل توافينا ضمير المرأةِ التى يمدحُها ، والباء فى قوله بوجهٍ بمعنى مع . هذا كلامه . ٣٦٦

قال الأعلم : المقسَّم : المحسَّن ، وأصله من القَسِمات [1] ، وهى مَجارى الدّموع ، وأعالى الوجه ، ويقال لها أيضا التَّناصُف ، لأنّها فى منتصف الوجه إذا قُسِّم ، وهى أحسنُ ما فى الوجه وأنورُه ، فينسَب إليه الحُسْنُ فيقال له : القَسَام ، لظُهوره هناك وتبيُّنه . انتهى .

وقال المبرد ( فى الكامل ) : زعم أبو عبيدة أنّ القسِمات مجارى الدُّموع ، واحدتها قسِمة بكسر السين فيهما . وقال الأصمعىّ القَسِمات : أعالى الوجه . ولم يبيّنْهُ [2] بأكثر من هذا . وقول أبى عبيدة مشروح . ويقال من هذا : رجلٌ قسيم ورجل مقسَّم ، ووجه قسيم ووجه مقسم [3] . وأنشد البيت .

وقال القالى ( فى أماليه ) : يقولون قسيمٌ وسيم . فالقسيم : الحَسَن الجميل . والقَسَام : الحُسْن والجمال . وأنشد يعقوب بن السكيت :

* يُسَنّ على مَرَاغِمها القَسامُ [4] *

---

(١) القسمة ، بكسر السين وفتحها كما فى اللسان والقاموس ، وإن لم يذكر البغدادى فى تفسيره إلا كسر السين .

(٢) ط : « يتبيّنه » ، صوابه فى ش والكامل ٤٩ .

(٣) ش : « ورجل مقسم » ، تحريف . والذى فى الكامل : « ووجه قسيم ومقسم » .

(٤) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٢٠٢ والمفضليات ٣٣٤ واللآلى ٨٢٩ . وصدره :

* وأبلج مشرق الخدين فخم *

والرواية فيها جميعها : « على مراغمه » ، بعود الضمير إلى الوجه . ويروى : « مراغمها » بعوده على المرأة والمراغم : الأنف وما حولها .

وقال العجاج :

* وربِّ هذا البلدِ المقسَّمِ [١] *

أى المحسَّن . وقال أرقم اليشكرى . وأنشد البيت مع البيت الذى بعده فقط ، ثم قال : والوسيم : الحسَن الجميل أيضاً . والمِيسم : الحُسْنِ والجمال . انتهى .

وفرَّق بينهما الثعالبى ( فى فقه اللغة ) فقال : إنّ المرأة إذا كان حسنُها فائقاً كأنّه قد وُسِمَ فهى وَسيمة ، فإذا قُسِم لها حظٌّ وافرٌ من الحسن فهى قسيمة .

و ( تعطُو ) فسَّره المبرّد ، قال : تعطو : تَنَاوَلُ [٢] يقال عطا يعطو ، إذا تناول . وأعطيته : ناولتُه . انتهى .

وعليه لابدّ من تضمينه معنى تَميل ، لتعدِّيه بإلى . وفى القاموس : العطْوُ : التناول ، ورفعُ الرأس واليدين ، وظبى عطْوٌ مثلثة وكعدوّ : يتطاول إلى الشجر ليتناولَ منه . انتهى . وعليه فلا تضمين .

و ( وارق ) : لغة فى مُورق ، فإنّه يقال : ورَق الشجر يَرِقُ ، وأورقَ يُورق ، وورَّقَ تَوريقاً ، إذا خرج ورقُه . وروى بدله : ( إلى ناضِرِ السَّلم ) من النَّضارة ، وهى الحُسْن . وأراد به خُضرته . و ( السَّلَم ) بفتحتين : ضربٌ من شجر البادية يعظُم ، وله شوكٌ ، واحدته سَلَمة . وقال المبرد : السَّلم شجرٌ بعينه كثيرُ الشّوك ،

---

(١) الذى فى ديوانه ٥٩ :

| | |
|---|---|
| وربِّ هذا البلـــد المحرم | والقاطنات البيتَ غير الرُّيَّم |
| أوالفاً مكة من ورق الحمى | ورب هذا الأثر المقسم |

(٢) الذى فى الكامل : « أى تتناول » .

فإذا أرادوا أن يحتطِبوه شدُّوه ثمَّ قطعوه . ومن ذلك قولُ الحجَّاج : « واللهِ لأحزِمنَّكم حَزْمَ السَّلَمة » .

وقوله : « ويوما تُريد مالنا » إلخ ما موصولة فى الموضعين ، واللام مفتوحة فيهما [١] [ أى [٢] ] تطلب ما فى أيدينا من المال مع مافى يدها من المال ، فإن لم نعطها مطلوبَها آذتْنا وكلَّمتنا بكلامٍ يمنعنا النومَ ، ولم تَنَمْ هى لتحزُننا .قال ابن السيرافى : يريد أنّه يستمتع بحُسنها يوما وتشغله يوماً آخرَ بطلب مالَه ، فإنْ منعَها آذتْهُ وكلَّمته بكلامٍ يمنعه من النوم . والخُصوم : جمع خَصْم ، وهو مصدرٌ ، أى فى مخاصمات ، وهو منوّن . وعرامةً بالنصب ، وهى مصدر عَرَمَ يَعرم ، من بابَىْ نصر وضرب ، وعَرَامة بالفتح ، وهى الشَّراسة . والمآلى : جمع مِئلاة ، قال صاحب الصحاح : والمِئلاة بالهمز على وزن المعلاة : الخِرقة التى تُمسكها المرأة عند النَّوح وتُشير بها ، والجمع المآلى [٣] .

ورأيت ( فى كتاب النساء الناشزات تأليف أبى الحسن المدائنى ) قال : كانت امرأةُ عِلباءَ بن أرقم اليشكرىِّ قدْ فَرِكَتْه فقال :

ألاَ تلكُم عِرسى تصدُّ بوجهها ... وتزعُم فى جاراتها أنَّ مَنْ ظلم
أبونا ولم أظلم بشىءٍ علمتُه ... سوى ما تَرونَ فى القذالِ من القِدَمْ [٤]

---

(١) هذا الضبط يتعارض مع قوله : « من المال » . وضبطت فى الأصمعيات ١٥٨ : « مع مالها » بكسر اللام الثانية .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كذا . ويبدو أنها جمع مألَى ، تكون مصدر ميميًا من ألاَ يألو ألوة بتثليث أوّله ، وألِيّةً أيضا على فعيلة ، إذا حلف . على أن رواية الأصمعيات : « وتسمع جاراتى التألّىَ والقَسَمْ » .

(٤) وكذا فى الأصمعيات ١٥٧ . لكن فى ط : « من الفوم » بالفاء ، ولا وجه له . وفى الأصمعيات : « بشىء عملته سوى ما ترين » .

٣٦٧ نَظَلُّ كأنّا فى خُصومٍ عرامةً تسمَّعُ جيرانى التألِّىَ والقسَمْ

فيوما تريد مالنا مع مالَها ................ إلى آخر الأبيات

وكذا رأيت فيما كتبه ابن السِّيد ( على كامل المبرد ) ، إلا أنّه قال : لِعِلْباءِ ابن أرقم العِجْلىّ . وكأنّه تحريف من الناسخ . وروى البيت الثانى كذا :

* سوى ما أبانت فى القَذالِ من القِدَمْ *

ومَن نُسِبَ إليهم هذا الشعرُ كلُّهم شعراء جاهليُّون .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٧٥ ( فلَسْتُ بآتِيهِ ولا أستَطِيعُهُ ولاكِ اسقِنِى إنْ كانَ ماؤكَ ذَا فَضْلِ )

على أنّ حذف النون من لكنْ لالتقاء الساكنين ضرورةٌ تشبيهاً بالتنوين ، أو بحرف المدّ واللين ، من حيث كانت ساكنةً وفيها غُنّة ، وهى فَضْلُ صوتٍ فى الحرف ، كما أنَّ حرف المدّ واللين ساكنٌ ، والمدُّ فَضْلُ صوتٍ .

وكذا أورده سيبويه ( فى باب ضرورة الشِّعر من أول كتابه ) قال الأعلم : حذفَ النونَ لالتقاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن ، وكان وجه الكلام أن يَكسِرَ لالتقاء الساكنين ، شبَّهها فى الحذْفِ بحرف المدّ واللين إذا سكنَتْ وسكنَ

(١) فى كتابه ١ : ٩ . وانظر المعانى الكبير ٢٠٧ والخصائص ١ : ٣١٠ والمنصف ٢ : ٢٢٩ والأزهية ٣٦ وأمالى المرتضى ٢ : ١١١ وابن الشجرى ١ : ٣٨٥ وحماسته ٢٠٧ والإنصاف ٦٨٤ وابن يعيش ٩ : ١٤٢ والضرائر ١١٥ والمغنى ٢٩١ والهمع ٢ : ١٥٦ والأشباه والنظائر ١ : ٢٠١ والأشمونى ١ : ٢٧١ .

ما بعدها ، نحو يغزُو العدوَّ ، ويقضى الحقَّ ، ويخشَى اللهَ [١] . ومما استُعمِل محذوفا نحو : لم يكُ ولا أَدْرِ . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنجاشىِّ الحارثى . وقبله :

أبيات الشاهد

( وماءٍ كلون الغِسْل قد عاد آجناً ... قليلٍ به الأصواتُ فى بلدٍ مَحْلِ

وجدتُ عليهِ الذئبَ يَعوِى كأنّه ... خليعٌ خلا من كلِّ مالٍ ومن أهلِ [٢]

فقلتُ له : يا ذئبُ هل لكَ فى فتىً ... يُواسى بلا مَنٍّ عليكَ ولا بُخْلِ [٣]

فقال : هداك اللهُ للرُّشدِ إنمّا ... دعوتَ لِمَا لم يأتِهِ سَبعٌ قَبلِى

فلستُ بآتيــــه ولا أستطيعُـــه ... ولاكِ اسقنى إنْ كان ماؤك ذا فَضْلْ

فقلت : عليكَ الحوضَ إنّى تركتُه ... وفى صَغْوِهِ فَضْلُ القَلوصِ من السَّجْلِ

فطـرَّبَ يستعـوى ذِئابـــاً كثيرةً ... وعَدَّيت ، كلٌّ مِن هواهُ على شُغْلِ )

وهذه القطعة أوردها ابن قتيبة ( فى كتاب أبيات المعانى ) ، والشريف المرتضى ( فى أماليه ) ، والشريف الحُسَينى ( فى حماسته ) .

وكان النجاشىُّ عرض له ذئبٌ فى سفرٍ له ، فدعاه إلى الطَّعام وقال له : هل لك مَيلٌ فى أخٍ ، يعنى نفسَه ، يواسيك فى طعامه بغير مَنٍّ ولا بخل ؟ فقال له الذئب : قد دعوتَنى إلى شئ لم يفعله السِّباع قبلى من مؤاكلة بنى آدم ، وهذا لا يمكنُنى فِعلُه ، ولستُ بآتيه ولا أستطيعه ، ولكن إن كان فى مائك الذى مَعك فضلٌ عمَّا تحتاج إليه فاسقنى منه . وهذا الكلام وضَعه النجاشىُّ على لسان الذئب ، كأنّه اعتقد فيه أنّه لو كان ممن يعقل أو يتكّلم لقال هذا القول . وأشار

---

(١) كتبت هذه الأفعال الثلاثة عند الشنتمرى بحذف حروف العلة فى كتابتها أيضا .

(٢) فى المعانى الكبير : « كلون البول » .

(٣) فى المعانى الكبير : « هل لك فى أخ يواسى بلا إثر » .

بهذا إلى تعسُّفه للفلوات التى لا ماء فيها ، فيهتدى الذئبُ إلى مظانّه فيها لاعتياده لها . والغِسْل بكسر الغين المعجمة : ما يُغسَل به الرأسُ من سِدر وخِطمّي ونحوِ ذلك . يريد أنَّ ذلك الماء كان متغيّرَ اللون من طول المُكث ، مخضرًّا ومصفرًّا ونحوَهُما . والآجن ، بالمد وكسر الجيم : الماء المتغيِّر الطعمِ واللَّون . ٣٦٨

وقوله : « قليل به الأصواتُ » يريد أنّه قفرٌ لا حيوانَ فيه . والبلَد : الأرضُ والمكان . والمحل : الجَدْب ، وهو انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ . والخليع : الذى خلعَه أهلُه لجناياته وتبَّرءُوا منه . وعليك : اسم فعل بمعنى الزمْ ، والحوض مفعوله . والصِّغْو بفتح الصاد المهملة وكسرها وسكون الغين المعجمة : الجانب المائل . والسَّجل بفتح السين المهملة وسكون الجيم : الدلو العظيمة . وطرَّب فى صوته بالتشديد : رجَّعه ومدَّده . كذا فى المصباح .

النجاشى الشاعر

والنجاشى اسمه قَيْس بن عمرو بن مالك ، من بنى الحارث بن كعب . قال ابن قتيبة ( فى كتاب الشعراء ) : كان النجاشيُّ فاسقاً رقيقَ الإسلام ، ومرَّ فى شهر رمضانَ بأبى سماكٍ العدوىِّ (١) بالكوفة فقال له : ما تقولُ فى رءوس حُمْلان فى كَرِشٍ فى تنُّور قد أينع من أوّل الليل إلى آخره (٢) . قال : ويحك فى شهر رمضانَ تقول هذا ؟ قال : ما شهر رمضان وشوَّالٍ إلاّ سواء . قال : فما تسقينى عليه ؟ قال : شراباً كأنّه الوَرْس ، يُطِيِّب النفْس ، ويجرى فى العظام ، ويُسهِّل الكلام (٣) . ودخلا المنزلَ فأكلا وشربا ، فلمَّا أخذ فيهما الشراب تفاخرَا وعلت أصواتُهما فسمع جارٌ لهما (٤) فأتى عليَّ بنَ أبى طالب رضى الله

---

(١) فى الشعراء ٣٢٩ : « بأبى سَمَّالٍ الأسدى » ، وهو الصواب . وانظر ما كتب العلامة أحمد شاكر فى حواشيه من تحقيق .

(٢) فى الشعراء : « فى تنور من أول الليل إلى آخره قد أينعت وتهرأت » .

(٣) فى الشعراء : « ويسهل للفدم الكلام » .

(٤) فى الشعراء : « فسمع ذلك جار لهما » .

عنه فأخبره ، فأرسل فى طلبهما . فأمّا أبو سماكٍ فانه شَقَّ الخُصَّ فهرب ، وأُخذ النجاشىُّ فأُتِىَ به علىُّ بنُ أبى طالب فقال : ويحك وِلدانُنا صيامٌ وأنت مفطر ! فضربه ثمانينَ سوطاً ، وزداه عشرين سوطا ، فقال : ما هذه العِلاوة يا أبا الحسن ؟ قال : هذه لِجُرأتِك [1] على الله فى شهر رمضان . ثمّ رفعه للناس فى تُبّان [2] . فهجا أهل الكوفة فقال :

إذا سقى الله قوماً صوبَ غاديةٍ ... فلا سقى الله أهلَ الكوفة المَطراَ
التاركين على طُهرٍ نساءَهمُ ... والناكحين بشطَّىْ دِجلةَ البقرَا [3]

ومن جيِّد شعره فى معاوية :

يأيُّها الملك المبدِى عداوتَه ... روِّئْ لنفسك أىَّ الأمر تأتمرُ [4]
وما شعرتُ بما أضمرتَ من حَنَقٍ ... حتَّى أتتنى به الأنباءُ والنُّذرُ
فإنْ نفستَ على الأقوام مجدَهم ... فابسُطْ يديك فإنّ المجدَ مُبتدَرُ
واعلَم بأنَّ علِىَّ الخَيْرِ من بشرٍ ... شمِّ العرانينِ لا يعلوهمُ بشرُ [5]
نِعم الفتى هو ، إلاّ أنَّ بينكما ... كما تفاضَلَ نورُ الشّمسِ والقمرُ [6]

---

(١) ط فقط : « لجراءتك » .

(٢) فى الشعراء : « ليروه فى تبان » . والتبان ، كرمان : سراويل صغير مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين .

(٣) بعده فى الشعراء ومعجم ياقوت ( الكوفة ) :

والسارقين إذا ما جن ليلهم ... والطالبين إذا ما أصبحوا السورا

وفى البلدان : « والدارسين إذا ما أصبحوا » ، وزاد ياقوت رابعا ، وهو :

ألق العداوة والبغضاء بينهم ... حتى يكونوا لمن عاداهم جزرا

(٤) الشعراء ٣٣٢ ووقعة صفين ٣٧٢ . وفى وقعة صفين : « يأيها الرجل » .

(٥) وقعة صفين : « من نفر مثل الأهلة » .

(٦) الشعراء ووقعة صفين : « ضوء الشمس » .

وما أظنُّك إلاَّ لستَ منتهياً حتَّى يمسَّك من أظفارهم ظُفُرُ[١]
إنِّى امرؤٌ قلَّما أُثنى على أحدٍ حتَّى أرى بعضَ ما يأتى وما يذَرُ
لا تحمَدنَّ أمرأً حتّى تجرِّبَه ولا تَذُمَّنّ مَن لم يَبلُه الخُبُرُ

انتهى .

وقد مضى له خبرٌ مع أُبيّ بن أبى مُقبل ، فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الثمانمائة[٣] :

٨٧٦ ( لَعَاءَ اللهَ فَضَّلكم علينا بشىءٍ أنَّ أُمَّكمُ شَرِيمُ )

على أنَّ ( لَعَاءَ ) لغةٌ فى لَعلّ كما فى البيت . ولم أر من أنشده كذا إلا ابنَ الأنبارىّ ( فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف ) قال : إنّما حذفت اللام الأولى من لَعّل كثيرًا فى أشعارهم لكثرتها فى استعمالهم ، ولهذا تلعَّبت العرب بهذه الكلمة فقالوا : لعلَّ ، ولعلْنَ ، ولَعنَّ بالعين غير معجمة . قال الراجز :

٣٦٩

حتّى يقولَ الراجز المنطِّقُ لَعَنَّ هذا معه معلَّقُ[٤]

ولَغَنّ بالغين معجمة . وأنشدوا :

ألا يا صاحبىَّ قفا لَغَنّا نَرى العَرَصاتِ أَوْ أَثَرَ الخيامِ[٥]

---

(١) الشعراء ووقعة صفين : « وما إخالك » ، و « من أظفاره » .
(٢) الخزانة ١ : ٢٣١ — ٢٣٣ .
(٣) المقرب ١ : ١٩٣ والعينى ٣ : ٢٤٧ والتصريح ٢ : ٢ والأشمونى ٢ : ٢٠٤ .
(٤) ط : « المنعلق » ، وأثبت ما فى الإنصاف ٢٢٥ مطابقا لما فى ش مع أثر تغيير فيها .
(٥) للفرزدق فى ديوانه ٣٨٥ والنقائض ١٠٠٤ واللسان ( لغن ) .

ورَعَنَّ ، وعَنَّ ، وغَنّ ، ولغَلَّ ، وغلَّ [١] ، ولَعَاءَ . قال الشاعر :

لعـاءَ اللهَ فضَّلـه عليكـم بشيءٍ أنّ أُمَّكُمُ شَرِيـمُ [٢]

وقال الآخر :

أرى شِبْهَ القُفول ولستُ أدرِي لَعَـاءَ اللهَ يجعلـه قُفُـولاَ

فلما كثُرت هذه الكلمة فى استعمالهم حذفوا اللام . وكان حذف اللام أولى من العَين وإن كان أبعدَ من الطَّرَف ، لأنَّه لو حذف العين لأدَّى إلى اجتماع ثلاث لامات [٣] . انتهى .

والهمزة من ( لَعَاءَ ) مفتوحة كما فى لعلَّ . ولفظُ الجلالة فى البيتين منصوبة على إعمال لعاءَ عمل إنّ . ولا يجوز جرُّها ، فإنَّ الجارة إنمّا هى : لعلّ ، وعلّ ، بفتح لامهما وكسرهما .

والمشهور فى إنشاد البيت :

* لَعَلِّ اللهِ فضَّلَكُمْ علينا *

وكذا أنشده ابن السكيت بكسر لام لعلّ وجرِّ الجلالة ، وكذا رواه المرادى ( فى الجنى الدانى ) ، وابنُ الناظم ، وابن عَقيل ، وابن هشام ( فى شروحهم للألفِيَّة )

واللغات العشرة التى ذكرها الشارح المحقّق ، غير لعاءَ ، ذكرها ابن مالك ( فى التسهيل ) ، وزاد عليها المرادى ( فى الجنى الدانى ) لغةً أخرى وهى رَعَلَّ

---

(١) ما بعده إلى نهاية الشاهد الأخير فى هذا النص ساقط من نسخة الإنصاف المطبوعة بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين .

(٢) لم أجد له نسبة ، وتخريجه فى معجم الشواهد .

(٣) بعده فى الإنصاف : « فيؤدى ذلك إلى الاستثقال لأجل اجتماع الأمثال » .

بالراء بدل اللام الأُولَى . وأورد ابن الأنبارى فى لغاتها ( لَعَلْنَ ) بإبدال اللام الثالثة نونا . وأورد صاحب القاموس أيضاً فى لغاتها لَوَنّ بفتح اللام والواو وتشديد النون المفتوحة ، فتصير لغاتها أربع عشرةَ لغة [١] .

وقد اختلف أهل المِصْرَينِ فى اللُّغة الأصليّة : فقال البصريون : الأصل عَلّ . وقال الكوفيُّون : الأصل لَعلَّ . ونقل ابنُ الأنباريّ دليلَ الفريقين ورجّح قول الكوفيِّين . ولا بأس بإيراده مختصراً ، قال :

ذهب الكوفيُّون إلى أنَّ اللام الأولى فى لعلَّ أصليَّة ، وقالوا : لأنّها حرفٌ ، وحروف الجرّ كلُّها أصليَّة ، لأنَّ حروفَ الزيادة تختصُّ بالأسماءِ والأفعال . والذى يدلُّ على ذلك أيضاً أنَّ اللام خاصّةً لا تكاد تُزاد بما تجوز فيه الزيادة إلاّ شاذًّا ، نحو : زَيدلٍ وعَبدلٍ ، وفحجل [٢] ، فى كلماتٍ معدودة .

وذهب البصريُّون إلى أنَّها زائدة ، وقالوا : لأنَّا وجدناهم يستعملونها كثيراً عارية عن اللام [٣] ، ولهذا حكمنا بزيادة اللام فى عبدلٍ ونحوه ، لأنّ عبدًا أكثر استعمالا منه . والذى يدلُّ على زيادتها أنَّها مع أخواتها إنمّا علمت النصب والرفع لشبهها بالفعل ، لأنّ أنَّ مثل مَدّ ، وليت مثل ليس ، ولكنَّ أصلها كِنّ رُكبت معها لا كما ركِّبت لو مع لا ، وكأنَّ أصلها أنَّ أُدخِلت عليها كاف التشبيه . فلو قلنا إنّ لعلَّ أصلية لأدَّى ذلك إلى أن لا تكون على وزنٍ من الأفعال الثلاثية ٣٧٠ والرباعية [٤] .

---

(١) ط : « أربع عشر لغة » ، صوابه فى ش .

(٢) فى اللسان ( فحج ) : « والفَحْجَل : الأفحج ، زِيدت اللامُ فيه ، كما قِيل : عددٌ طَيْسٌ وطَيْسَلٌ ، أى كثير .

(٣) فى الإنصاف ٢٢٣ : « عارية عن اللام فى معنى إثباتها » .

(٤) الانصاف ٢٢٤ : « أو الرباعية » .

والصحيح مذهبُ الكوفيين .

وقول البصريِّين : إنّا وجدناهم يستعملون لعلّ بغير لام ، فجوابهم : إنَّما حذفت كثيراً لكثرة الاستعمال .

وأما قولهم : لمَّا وجدناهم يستعملونها مع حذف اللام فى معنى إثباتها دلَّ على أنّها زائدة كلامِ عبدلٍ ، فجوابُهم : أنّ هذا إنمّا يعتبر فيما يجوز أن يدخل فيه حروف الزيادة . وأمَّا الحروف فلا يجوز أن يدخل فيها حروف الزيادة .

وأما قولهم : إنّ هذه الحروفَ إنمّا عَمِلَتْ لشبه الفعل ، فجوابُهم : أنّا لا نسلِّم أنَّها إنَّما عمِلَتْ لشبه الفعلِ فى لفظه فقط ، وإنمّا عملت لأنَّها أشبهَتْه لفظاً ومعنى من عدة وجوه :

أحدُها : أنَّها تقتضى الاسم ، كما أنَّ الفعل يقتضيه .

والثانى : أنَّ فيها معنى الفعل ، فإنَّ وأنَّ بمعنى أكَّدت . وكأنَّ بمعنى شبَّهت ، ولكنَّ بمعنى استدرَكتُ ، وليت بمعنى تمنَّيْتُ ، ولعلَّ بمعنى ترجَّيت . وأنَّها مبنيَّة على الفتح [١] كالماضى . وهذه الوجوه من المشابهة بين لعلَّ والفعل لا تَبْطُلُ بأن لا تكون على وزن من أوزانه ، وهى كافيةٌ فى إثبات عملها بحكم المشابهة . انتهى .

وقول الشاعر:( لعاءَ الله فضَّلكم علينا ) جملة فضَّلكم فى موضع رفع خبرٌ للعاءَ بمعنى لعلَّ . وأما على رواية « لعلِّ اللهِ فضلّكم » بجر الجلالة فلعلّ حرف جرّ لا يتعلّق بشىء ، لأنّه يشبه الزائد ، ولفظ الجلالة فى موضع رفع بالابتداء ، منع

---

(١) فى الإنصاف ٢٢٦ : « و [ الثالث ] أنها مبنية على الفتح » ، بإضافة كلمة والثالث بين معكفين . وهو الوجه .

رفعه حركة الجّر ، وجملة فضّلكم خبر المبتدأ . والشَّرِيم ، وكذلك الشروم [١] : المرأة المُفْضَاة ، وهى التى صار مَسلكاها واحداً .

والبيت لم أقفْ على تتمته ولا على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٧٧** (فقُلْتُ : ادْعُ أُخرَى وارفعِ الصَّوتَ جَهرةً
لعلَّ أبِي المغوارِ مِنْكَ قريبُ )

على أنّ ( لعلَّ ) فى لغة عُقَيل جارّة كما فى البيت . ولهم فى لامها الأولى الإثباتُ والحذف ، وفى الثانية الفتح والكسر .

قال ابن جنى ( فى سر الصناعة ) : حكى أبو زيدٍ أنّ لغة عُقيل لعلِّ زيدٍ منطلقٌ بِكسر اللام الآخرة من لعلّ وجرِّ زيد . قال كعب بن سعدٍ الغنوى :

فقلت ادعُ أخرى وارفع الصَّوت ثانياً لعلِّ أبى المغوار .......... البيت

وقال أبو الحسن : ذكر أبو عبيدة أنّه سمع لامَ لعلّ مفتوحة فى لغة من يجرّ [٣] فى قول الشاعر [٤] :

لعلَّ اللهِ يمكِنني عليها جهاراً من زُهيرٍ أو أُسيدِ انتهى

---

(١) فى ش : « وكذلك الشريم » وعلق عليه الشنقيطى بقلمه : « كذا بخط المؤلف ، والصواب الشروم . قال فى القاموس : والشروم والشريم والشرماء : المرأة المفضاة . اهـ منه . كتبه محمد محمود بن التلاميد » .

(٢) نوادر أبى زيد ٣٧ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٧ والعينى ٣ : ٣٤٧ ورصف المبانى ٣٧٥ والمغنى ٢٨٦ ، ٤٤١ والهمع ٢ : ٣٣ ، ١٠٨ والتصريح ١ : ١٥٦ ، ٢١٣ والأشمونى ١ : ١٢٤ / ٢ : ٢٠٥ والأصمعيات ٩٦ .

(٣) ط : « من يجوز » ، صوابه فى ش واضحا .

(٤) هو خالد بن جعفر ، كما سيأتى . وهو الشاهد ٨٧٨ .

ونقل ابن مالك وغيره اللغتين الأُخريين فى عَلّ كما نقل الشارح المحقّق .
وعُقَيل بالتصغير : أبو قبيلة ، وهو عُقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرِمةَ بن خَصَفة ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة بعدها فاء ، ابن قيس بن عيلان بن مضر . كذا فى جمهرة الكلبى .

وقول الشارح المحقق : « وهى مشكلةٌ لأنَّ جرَّها عملٌ مختصٌّ بالحروف » إلخ أقول : لا إشكال فإنَّها موضوعةٌ بوضعين : فهى موضوعة عند قوم لعمل النصب والرفع معاً ، وعند قوم أُخَر لعمل الجرّ كوضعِ لفظٍ لأمرين مختلفين . فعملُها للرفع والجرّ بوضعين لا بوضعٍ واحدٍ خلافاً للشارح فى قوله : « وكون حرف عامل عملَ الحروف والأفعال فى حالةٍ واحدة مما لم يثبت » ، وإن أراد من الحالة الواحدة كونَها لمعنىً واحد ، وهو الترجِّى فى العملين فلا بِدْعَ ، ولها نظائرُ منها : خلا ، وعدا ، وحاشا فى الاستثناء فإنَّها تكون تارة فعلاً فترفع وتنصب ، وتارة حرفاً فتجرّ ، والمعنى فى العملين واحد . وإن أراد الحرفيَّة فى العملين ، فممنوعٌ أيضا ، فإنَّ لات تعمل عمل ليس وتكون حرفَ جرٍّ أيضا ، وهى حرفٌ فى العملين . بلْ فى عمل لعلَّ الجرَّ إدخالُها فى قولهم : ما اختصّ بقبيلٍ ولم يكن كالجزء منه حقُّه أن يعمل العمل الخاصَّ به . ففيه مراجعةُ أصلٍ مرفوض . وإنّما خرجت مع أخواتها عن هذا الأصل لشبهها بالفعل ، ولذلك قال الجُزوليُّ : « وقد جرُّوا بلعلّ منبِّهةً على الأصل » .

٣٧١

وقول الشارح المحقق : « وأيضا الجارّ لابدَّ له من متعلّق ، ولا متعلّق ههنا » إلخ أقول : هى من جملة حروف جرّ لا تتعلَّق بشىء . قال ابن هشام ( فى المغنى ) : اعلَم أنَّ مجرور لعلّ فى موضع رفع بالابتداء ، لتنزيل لعلَّ منزلةَ الجارِّ الزائد فى نحو : بِحَسبك درهم ، بجامع ما بينهما من عدمَ التَّعلُّق بعامل . وقوله :

قريب ، خبر ذلك المبتدأ . ومثله : لولاى لكان كذا ، على قول سيبويه إنّ لولا جارّة ؛ وقولُك : ربَّ رجلٍ يقول ذلك ، ونحوه . انتهى .

وقد ذكر فى الباب الثالث منه الحروفَ التى لا تتعلَّق بشىء ، قال : يستثنى من قولنا : لابدَّ لحرف الجرِّ من متعلَّق ، ستَّةُ أمور :

أحدها : الحرفُ الزائد كالباء ومِنْ ، فى قوله : ﴿ وكَفَى باللهِ شَهيداً [١] ﴾ ، و ﴿ هل مِنْ خالقٍ غيرِ الله [٢] ﴾ . وذلك لأنّ معنى التعلُّق الارتباطُ المعنوىّ . والأصل أنّ أفعالاً قصُرت عن الوصول إلى الأسماء فأُعينت على ذلك بحروف الجرّ ، والزائد إنمَّا دخل فى الكلام تقويةً له وتوكيداً ، ولم يدخل للرَّبط .

الثانى : لعلّ فى لغة عُقيل ؛ لأنَّها بمنزلة الحرف الزائد . ألاَ ترى أنّ مجرورها فى موضع رفعٍ بالابتداء ، بدليل ارتفاع ما بعده على الخبريَّة ، قال :

* لعلِّ أبى المغوار منك قريبُ *

ولأنّها لم تدخل لتوصيل عاملٍ ، بل لإفادة معنى التوقُّع . ثم إنّهم جرُّوا بها مَنبهةً على أنّ الأصل فى الحروف المختصَّة بالاسم أنْ تعمل الإعرابَ المخْتصَّ به كحروف الجر .

الثالث : لولا ، فيمَنْ قال : لولاى ولولاكَ ولولاه ، على قول سيبويه : إنّ لولا جارّة للضَّمير ، فإنَّها أيضا بمنزلة لعلَّ فى أنَّ ما بعدها مرفوعُ المحلِّ بالابتداء ، فإنّ لولا [٣] الامتناعيَّة ، تستدعى جملتين كسائر أدوات التعليق .

---

(١) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣ من سورة فاطر .

(٣) فى الأصل : « وإن لولا » ، صوابه من المغنى ٤٤١ .

والرابع : رُبَّ [ فى نحو : ربَّ (١) ] رجلٍ صالحٍ لقيتُه ، أو لقيت ، لأنّ مجرورها مفعول فى الثانى ومبتدأ فى الأول ، أو مفعول ، على حدِّ : زيداً ضربته ، ويقدَّر الناصب بعد المجرور لا قبل الجارِّ ، لأنَّ رُبَّ لها الصدر من بين حروف الجر ، وإنمَّا دخلت فى المثالين لإفادة التكثير أو التقليل ، لا لتعدية عامل .

الخامس : كاف التشبيه ، قاله الأخفشُ وابنُ عصفور ، مستدلّين بأنّه إذا قيل : زيدٌ كعمرٍو ، فإن كان المتعلّق استقرّ فالكاف لا تدلُّ عليه ، وإن كان فعلاً مناسبا للكاف وهو أشبَّه فهو متعدٍّ بنفسه . والحقُّ أنّ جميعَ الحروف الجارّة الواقعةِ فى موضع الخبر ونحوه تدلُّ على الاستقرار .

السادس : حروف الاستثناء ، وهى : خلا ، وعدا ، وحاشا إذا خُفضن ، فإنّهنَّ لتنحية الفعل عمَّا دخلن عليه ، كما أنّ إلاّ كذلك ، وذلك عكسُ معنى التعدية ، وهو إيصال معنى الفعل إلى الاسم . انتهى باختصار .

وقول الشارح المحقق وفى البيت (٢) الذى أنشدناه : « إن رُوِى بِفتح اللام الأخيرة يحتمل أن يقال : اسم لعلّ وهو ضمير الشأن مقدَّرٌ » إلخ ويكون لأبى المغوار خبر مقدَّم وقريبٌ مبتدأ مؤخر بتقدير موصوف ، ومنك حالٌ من ضمير قريب ، والجملة خبر ضمير الشأن . وهذا قول ابن عصفور ، قال ( فى شرح الجمل ) : واستَدَلَّ الذى ذهب إلى أنّ لعلَّ مفتوحة اللام من حروف الخفض ، بقوله « لعلّ أبى المغوار » . وهذا لا حجَّة فيه عندى ، لأنّه قد استقّر فى لعلّ المفتوحةِ اللام أن تنصب وترفع.فإن أمكن إبقاؤُها على ما استقرَّ فيها كان أولى . وقد أمكن ذلك بأنْ يكون اسم لعلّ ضمير الشأن محذوفاً ، يريد لعلَّه ، على حدِّ حذفِه فى قول الآخر : ٣٧٢

(١) التكملة من ش والمغنى .

(٢) كذا فى النسختين بإثبات الواو قبل « فى » .

إنّ من لامَ فى بنى بنت حَسّا ن .............. البيت (١)

ويكون أبى المغوَارِ مخفوضاً بحرف جرّ محذوف ، لفَهْمِ المعنى ، تقديره : لعلَّ (٢) لأبى المغوار منك جوابٌ قريب . ونظيره قول الآخر : « لاهِ ابنُ عمك (٣) » ، يريد : لله ابنُ عمك ، ويكون قريب صفة موصوف محذوف . وحَمْله على هذا أولى وإن كان فيه ضرورتان : حذف ضمير الشأن ، وحذف حرفِ الجرّ وأبقاءُ عمله .

واستدلَّ الذى ذهب إلى أنَّ لعلَّ المكسورة اللام حرفُ جر ، بقوله :

لعلِّ اللهِ فضَّلكم علينا ... البيت .

بخفض اسم الله . وهذا عندى ينبغى أن يُحمَل على ظاهره ، لأنّه لم يستقر فى المكسورة اللام عملُ النَّصب والرفع . انتهى كلامه .

وكأنه لم يبلغْه فتح لام الجارَّة عن أبى عُبيدة كما نقلناه (٤) .

وقول الشارح المحقق : « ويجوز أن يقال ثانى لامَىْ لعلّ محذوف » إلخ ، هذا القولُ وما بعده فى رواية كسر اللام للفارسىّ ، قال ( فى كتاب الشعر ، فى باب ما لحق الحروفَ من الحذف ) : يجوز تخفيف لعلّ كما يخفف أنّ وكأنّ . وعلى التخفيف يُعلم ما أنشده أبو زيد : « لعلَّ أبى المغوار » إن فتحت اللام أو كسرت ، فوجهُ الكسر ظاهر . وأمَّا الفتح فلأنَّ لام الجر يفتحها قومٌ مع المظهر كما تُفتح مع

---

(١) للأعشى فى ديوانه ٢١٩ وسيبويه ١ : ٤٣٩ والإنصاف ١٨٠ وابن يعيش ٣ : ١٥ وهو الشاهد ٤٠٧ فى ٥ : ٤٢٠ . وهو بتمامه :

إن من لام فى بنى بنت حسا ن ألمه وأعصِه فى الخطوبِ

(٢) أى مع تقدير ضمير الشأن .

(٣) لذى الإصبع العدوانى ، وهو الشاهد ٥٢٣ فى ٧ : ١٧٣ . وتمامه :

لاه ابن عمك لا أفضلتَ فى حسب عنى ولا أنت دَيَّانى فتخزونى

(٤) انظر ما مضى فى ص ٤٢٦ .

المضمر ، فإنّما خفّف لعلّ وأضمر فيه القصّة والحديث ، كما أضمر فى إنّ وأنّ ، والتقدير : لعله لأبى المغوار قريب ، أى جوابٌ قريب ؛ فأقام الصفة مقام الموصوف . انتهى .

وكذا قال المرادى ( فى شرح التسهيل ) ، وتأوّله الفارسىُّ على تخفيف لعلّ ، وأنّ فيها ضميرَ الشأن ، ووليَها فى اللفظ لامُ الجرِّ مفتوحة ومكسورة . فالجر باللام ولعلّ على أصلها . انتهى .

وكذا لابن هشام ( فى المغنى ) قال : وزعم الفارسىُّ ، أنَّه لا دليل فى ذلك ، لأنّه يحتمل أنّ الأصل لعلّه لأبى المغوار جوابٌ قريب ، فحذف موصوف قريب وضمير الشأن ولامَ لعلّ الثانية تخفيفا ، وأدغمت الأولى فى لام الجرّ ، ومِنْ ثَمّ كانت مكسورة . ومن فتح فهو على لغة من يقول : المال لَزيدٍ بالفتح . وهذا تكلُّف كثير . ولم يثبت تخفيف لعلّ . انتهى .

وقال المرادى ( فى الجنى الدانى ) : وهذا التخريج ضعيفٌ من أوجه : أحدها : أنّ تخفيف لعلّ لم يُسمَع فى غير هذا البيت . والثانى : أنّها لا تعمل فى ضمير الشأن . والثالث : أنّ فتح لام الجر مع الظاهر شاذ . انتهى .

وقد أخذ ابنُ الشجرى قول الفارسىّ وتصرَّف فيه ، ولم يعتبر ضمير الشأن ، قال ( فى أماليه ) : سألنى حَبْشىٌّ بن محمد بن شُعيب الواسطى [1] ، عن قول كعب بن سعد : لعلِّ أبى المغوار ، فأجبت بأنّه أراد لعلّ لأبى المغوار منك مكانٌ قريب ، فخفّف لعلّ وألغاها كما يُلغون إنّ وأنّ ولكنّ إذا خفّفوهن .

---

(١) أبو الغنائم حبشى بن محمد بن شعيب الشيبانى الضرير ، من أهل واسط ، قدم بغداد ، وأخذ النحو بها عن ابن الشجرى ولازمه ، كما أخذ اللغة على الشيخ أبى منصور الجواليقى . وتوفى سنة ٥٦٥ . إنباه الرواة ١ : ٣٣٧ — ٣٣٨ . وضبطه الذهبى فى المشتبه ٢١٠ بفتح الحاء وسكون الباء . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٧ .

ولَمَّا حذف اللام المتطرِّفة بَقِىَ لعلَّ ساكن اللام ، فأدغمها فى لام الجر لاستثقال الكسرة على المضاعف . والقياس فى الخط أنْ تُكتبَ منفصلةً من لعلّ . انتهى كلامه .

٣٧٣ وقيل جرّ أبى المغوار على الحكاية ، نقَله المرادىّ . وهذا كلُّه تكلُّف . وإذا صحَّت اللغة بنقل الائمة كأبى زيد والفرّاء فلا معنى لتأويل بعضِ شواهدها .

قال ابن مالك ( فى التسهيل ) : والجرّ بلعلّ ثابتةَ الأوّلِ أو محذوفتَه ، مفتوحةَ الآخِرِ أو مَكسُورتَه ، لغة عُقَيليَّة . انتهى .

وقول الشارح المحقق « نُقِلَ عن الأخفش أنّه سمع من العرب فتح لام الجر » إلخ ، نَقْلُ هؤلاءِ الجماعة إنمّا هو فى لام كى لا فى اللام الداخلة على الاسم المظهر ، كما يأتى نَقْلُه عن الفارسى فى شرح البيت الآتى .

وقول الشارح المحقق : « ويجوز فى هذه الرِّواية أن يقال : الأصل لعاً » إلخ روايةٌ فى البيت ، أثبتها أبو زيد ( فى نوادره ) . قال : ويروى : « لعاً لأبى المغوار » . قال أبو الحسن الأخفش ( فيما كتبه على نوادره ) : فلعاً على هذه الرواية رفعٌ بالابتداء ، ولأبى المغوارِ الخبر ، ولعاً مقصور مثل عصاً ، وهى كلمة تستعملها العرب عند العثرة والسَّقطة . ويقولون : لعاً لك ، أى أنهضك الله . وإن كان مبتدأ ففيه معنى الدعاء . ألا ترى أنّ القائلَ إذا قال الحمدُ لله وما أشبهه فهو وإن كان مبتدأ ففيه معنى الفعل ، يريد : أحمدُ الله . وعلى هذا يجرى البابُ كلُّه . قال الأعشى :

بذاتِ لَوثٍ عَفَرْناةٍ إذا عثَرَتْ فالتَّعس أدنى لها من أنْ أقول لعا [(١)]

---

(١) ديوان الأعشى ٨٣ والنوادر ٣٧ . وفى النسختين : « أن يقال » ، ووجه الرواية المطابق للتفسير ما أثبت من الديوان والنوادر .

يقول : أدعو عليها أحرى من أن أدعوَ لها . ثم اتَّسع هذا فصار مثلاً حتّى يقال لكل منكوب : لعاً ، ولعاً له . انتهى .

ولكون لعاً فى معنى الدُّعاء أى انتعَشَ ، بالفعل الماضى على وجه الدُّعاء . يقال انتعش العاثرُ من عثرته ، أى نهض . ونَعَشه الله وأنعشه : أقامه . وتنوينه للتنكير كما فى صهٍ . وهو مبنىٌّ على السكون ، وإنمّا جاز الابتداء به مع التنكير لأنّه فى معنى الدعاء . قال ابن هشام فى بحث مسوِّغات الابتداء بالنكرة : السابع : أن تكون فى معنى الفعل ، وهذا شاملٌ لنحو : عجبٌ لزيد . وضبطوه بأن يريد بها التعجّب . ولنحو : ﴿ سَلاَمٌ على آل ياسين [1] ﴾ ، و ﴿ ويلٌ للمطفِّفين ﴾ . وضبطوه بأن يراد بها الدعاء . انتهى .

ولا يجوز أن تكون اللام للتَّبيين ، وهى متعلقة بمحذوف استؤنف للتَّبيين مع رفع لعاً . قال ابن هشام فى بحث اللام المبيِّنة : ومثال المبيِّنة للفاعليّة تبًّا لزيد وويحاً ؛ فإنَّهما فى معنى خَسِر وهَلَك . فإن رفعتهما بالابتداء فاللام ومجرورها خبر ، ومحلُّهما الرفع ولا تبيين ، لعدم تمام الكلام . إنتهى .

ومنه يظهر سقوطُ قول ابن السِّيد ( فى شرح أبيات أدب الكاتب ) : لعاً مبتدأ ، وقوله لأبى المغوار فى موضع الصفة له ، وقريب خبر المبتدأ . وإنما اضطرَّ إلى جعل لأبى المغوار صفة لتنكير المبتدأ ، مع أنّه ليس المعنى على الإخبار بالقرب عن لعاً ، وإنما قريب خبر مبتدأ محذوف ، هو ضمير أبى المغوار . والجملة استئنافية فى مقام العِلَّةِ لقوله : ارفع الصوت .

ونقل أبو زيد ( فى نوادره ) عن أبى عمرو أنه رواه : « لعلّ أبا المغوار منك قريب » بالنصب .

---

(١) الآية ١٣٠ من الصافات . ووردت فى ط : « آل ياسين » وهى قراءة نافع وابن عامر من السبعة . وزيد بن على أيضا . وقرأ باقى السبعة : « إل ياسين » بهمزة مكسورة ، كما قرأ أبو رجاء والحسن : « على الياسين » بهمزة الوصل . تفسير أبى حيان ٧ : ٣٧٣ .

صاحب الشاهد

هذا . والبيتُ من قصيدةٍ مَرْثِيَةٍ جيِّدة لكعب بن سعد الغَنَوىّ ، رواها القالىُّ ( فى أماليه ) ، ومحمد بن المبارك ( فى منتهى الطلب من أشعار العرب ) ، قال : رثى بها كعبٌ أخاه شَبيبا . وقال القالى : قرأت على أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد هذه القصيدةَ فى شعر كعبٍ الغنوى ، وأملاها علينا أبو الحسن الأخفش قال : قُرِئ على أبى العباس محمد بن الحسن الأحول ، ومحمد بن يزيد ، وأحمدَ بن يحيى . قال : وبعض الناس يروى هذه القصيدةَ لكعب بن سعدٍ الغَنَوِىّ ، وبعضهم يرويها بأَسْرِها لسهمٍ الغنوى ، وهو من قومه وليس بأخيه . وبعضُهم يروى شيئاً منها لِسَهمٍ . والمرثىُّ بهذه القصيدة يُكنى أبا المغوار ، واسمه هَرِم ، وبعضهم يقول : اسمه شبيب ، ويحتجُّ ببيتٍ رُوِى فى هذه القصيدة :

٣٧٤

* أقام وخَلَّى الظاعنينَ شَبِيبُ *

وهذا البيت مصنوعٌ ، والأوّل أصحُّ ؛ لأنّه رواه ثقة . وأوَّلها فى رواية الجميع :

قصيدة الشاهد

( تقول سُليمىَ ما لجسِمكَ شاحباً ... كأنَّك يحميكَ الشَّرابَ طبيبُ[(١)]

فقلتُ ولم أُعْىَ الجوابَ لقولِها ... وللدَّهْرِ فى صُمِّ السِّلامِ نصيبُ

تتابُعُ أحداثٍ تَخَرَّمْنَ إخوتى ... وشَيَّبن رأسى والخُطوب تُشيبُ

لَعمرى لئن كانت أصابت مصيبةٌ ... أخى ، والمنايا للرِّجالِ شَعوبُ

لقد عَجَمتْ مِنِّى الحوادثُ ماجداً ... عَروفاً لَرِيبِ الدَّهرِ حينَ يُريبُ

وقد كان : أمَّا حِلمُه فمُروَّحٌ ... علينا ، وأمَّا جهلُه فعَزيبُ

فتَى الحرب ، إن حاربتَ كان سِمامَها ... وفى السِّلم مِفضالُ اليدينِ وَهوبُ

هَوَتْ أُمُّه ماذا تضمَّن قبرُه ... من الجُود والمعروف حين يُثيبُ

جَموعُ خِلالِ الخيرِ من كلِّ جانبٍ ... إذا جاء جَيَّاءٌ بهنَّ ذَهوبُ

(١) عند القالى ٢ : ١٤٨ : « الطعام طبيب » .

هَوت أُمُّه ما يبعثُ الصُّبحُ غادياً   وماذ يرُدُّ الليّلُ حين يَئُوبُ [١]
فتىً لا يبالى أن يكون بجسمِه   إذا نال خَلاّتِ الكِرام شُحوبُ [٢]
مُغيثٌ مُفيدُ الفائدات معوَّد   لِفعل النَّدى والمكرُماتِ كَسوبُ [٣]
غَنِينا بخير حِقبةً ثم جَلَّحت   علينا التى كلَّ الأنامِ تُصيبُ
ولو كان حىٌّ يفُتدَى لفديتهُ   بما لم تكن عنهُ النُّفوسُ تَطيبُ
بعينَىَّ أو يُمنَى يدىَّ وإنَّنى   ببذلِ فِداهُ جاهدًا لَمُصِيبُ
فإن تكن الأيّامُ أحسَنَّ مرّةً   إلىَّ فقد عادت لهنَّ ذُنوبُ
أخى كان يَكفينى وكان يُعيننى   على نائبات الدهر حين تنوبُ
عظيمُ رَمادِ القِدْر رَحبٌ فِناؤه   إلى سَنَدٍ لم تحتجنْه غُيوبُ [٤]
حليمٌ إذا ما الحلم زيَّن أهلَه   مع الحلم فى عين العدوِّ مَهيبُ
إذا ما تراءاهُ الرِّجالُ تَحفَّظوا   فلم يَنطقوا العَوراءَ وهو قريبُ [٥]
أخى ما أخى ، لا فاحشٌ عند بيته   ولا وَرَعٌ عند اللِّقاءِ هَيوبُ
على خير ما كان الرِّجالُ خِلالُه   وما الخير إلاّ قسمةٌ ونصيبُ [٦]
حليف الندى يدعو النّدَى فيجيبه   قريباً ويدعوه النَّدى فيُجيب
هو العسلُ الماذِىُّ ليناً وشِيمةً   وليثٌ إذَا يلقَى العدوَّ غَضوبُ
حليمٌ إذا ماسَوْرة الجهلِ أُطلقَتْ   حُبَى الشَّيب ، للنّفس اللَّجوجِ غلوبُ

---

(١) القالى : « حين ينوب » .

(٢) رواه القالى بعد بيت « جموع خلال الخير » . وترتيب الأبيات عند القالى مخالفة كثيرة لما هو هاهنا .

(٣) القالى : « مفيد مُفيت الفائدات » .

(٤) ش فقط : « لم تحتجبه » .

(٥) القالى : « فلم تنطق العوراء » .

(٦) القالى فى إحدى روايتيه :

على خير ما كان الرجال نباته   وما الحظُّ إلا طعمة ونصيب

٣٧٥ فتىً أريَحىٌّ كان يهتزُّ للنَّدَى كما اهتزَّ من ماء الحديدِ قضيبُ[١]
كعاليةِ الرُّمح الرُّدينىِّ لم يكن إذا ابتدرَ الخيرَ الرِّجالُ يَخِيبُ
حبيبٌ إلى الزُّوّار غشيانُ بيتِه جميلُ المحيَّا شبَّ وهو أديبُ[٢]
كأنَّ بيوتَ الحىِّ مالم يكنْ بها ، بسابسُ لا يُلقَى بهنّ عَريبُ[٣]
وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيب إلى النَّدى فلم يستجبْهُ عند ذاك مجيبُ
فقلت ادعُ أخرى وارفع الصَّوت دعوةً لعلَّ أبا المغوارِ منكَ قريبُ
يُجبْك كما قد كان يفعلُ ، إنّه مجيبٌ ، لأبواب العَلاء طَلوبُ
فإنِّى لَبَاكيهِ وإنِّى لصادقٌ عليه ، وبعضُ القائلين كَذوبُ
إذا ذرَّ قرنُ الشمس عُلِّلتُ بالأسى ويأوى إلىَّ الحزنُ حين تغيبُ[٤] )

وهذا آخر القصيدة ، وحذفتُ منها أبياتاً كثيرة .

وقوله : « هوت أُمُّه ما يبعث الصبح » البيت ، قال القالى : أى هلكَتْ أُمُّه ، كأنَّها انحدرت إلى الهاوية . وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى ﴿ فأُمُّه هاوِيَة [٥] ﴾ ، على أنّه من قولهم إذا دعَوْا على الرجل بالهلَكة ، لأنّه إذا هَلكَ [٦] هوت أُمُّه ، كما فى البيت . والمراد ليس الدُّعاءَ بالوقوع ، بل التعجب والمدح ، كقولهم : قاتله الله ما أفصَحه ! يعنى أنّه مستحقٌّ لأن يُحسَد ويُدعَى عليه

(١) القالى : « كما اهتز ماضى الشفرتين » .
(٢) القالى : « أريب » بالراء .
(٣) ش فقط : « لا يُلفَى بهن » بالفاء .
(٤) لم يرو القالى هذا البيت .
(٥) الآية ٩ من سورة القارعة .
(٦) ط : « هلكت » ، صوابه فى ش والكشاف . وفيه : « إذا هوى ، أى سقط فقد هوت أمه ثكلا وحزنا » .

بالهلاك . وما نكرة موصوفة ، أى أىَّ شىء يبعث الصُّبحُ منه حين يغدو إلى الحرب ، وأىَّ شىء يردُّ الليلُ منه حين يَرجع إلى أهله . وفيه معنى التجريد .

وقوله : « وداع دعا يا من يُجيب » البيت ، الواو واو ربَّ . والداعى هنا السائل ، ويجيب مِن أجابه أى ردَّ جوابه ، ومفعولهُ محذوف أى يجيب الداعى . والنَّدى : الغاية ، وبُعْدُ ذَهاب الصَّوت ، والجودُ . كذا فى الصحاح .

وقوله : « فلم يستجبه » أورده ابن قتيبة فى الأفعال التى تتعدَّى تارةً بنفسها وتارةً باللام ( من أدب الكاتب ) قال : يقال استجَبْتك واستجبتُ لك . قال شارحه ابن السِّيد : كذلك قال يعقوب ، ومن كتابه نقل ابنُ قتيبة أكثرَ ما أورده هنا . وقد يمكن أن يريد فلم يجبْه . ويدلُّ على ذلك أنّه قال مُجيب ولم يقل مستجيب ، فيكون الشاعر قد أجرى استفعل مجرى أفعل ، كما يقال استخلفَ لأهله بمعنى أخلف ، واستوقد بمعنى أوقد .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ فاستجابَ لهمْ ربُّهمْ (١) ﴾ ، على أنَّ الاستجابة تتعدَّى بنفسها كما فى البيت ، وباللام كما فى الآية . واستجاب له ، أكثر شيوعاً من استجابَهُ . هذا فى التعدية إلى الداعى . وأمَّا إذا عدِّى إلى الدُّعاء فبدون اللام أكثر شيوعا ، نحو : استجابَ الله دعاءه . ولهذا قال فى سورة القصص (٢): البيت على حذف مضاف ، أى لم يستجب دعاءهُ . والمعنى ربّ داعٍ دعا هل من أحد يمنح المستمنِحِينَ ؟ فلم يجبْه أحد .

وقوله : « فقلت ادعُ أخرى » ، أى دعوةً أخرى . وقوله : « لعل أبى المغوار » هذا الترجىِّ من شدَّة ذُهولِه من عِظَم مُصابهِ بأخيه .

---

(١) الآية ١٩٥ من آل عمران .

(٢) أى فى الآية ٥٠ منها : « فإن لم يستجيبوا لك » .

وكعب بن سعد الغنوىُّ شاعرٌ إسلامى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين بعد الستمائة [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٧٨ ( لَعَلَّ اللهِ يُمْكِنُنِى عليها   جِهاراً من زُهيرٍ أَوْ أُسيدِ )**

٣٧٦ على أنَّه تتعذَّر هنا تلك التخريجات المتقدِّمة فى البيت قبله ، فيتعيَّن كون لعلَّ فيه حرفَ جرّ ولفظُ الجلالة مجروراً به . ولا يصحُّ أنْ يدَّعَى أنّ الأصل لعاً لله ، وهو ظاهرٌ ، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا . ولا يمكن أن يقال تقديره : لعلَّهُ لِلَّه يُمكننى ، بتقدير ضمير الشأن ، وجرُّ الجلالة إمّا بلامٍ مقدَّرة كما قال ابن عصفور ، وإمَّا باللام المدغمة فى لام لعلَّ المخففة كما قال أبو على ، سواء كانت لام لعلّ مكسورة أم مفتوحة فى لعلّ الله ، فإنَّ ذلك لا وجهَ له لا معنىً ولا صناعة .

أمّا الأوَّل فظاهر . وأمّا الثانى فلأنَّه لا يصحُّ أن يكون لله خبرَ ضميرِ الشأن ، لأنَّه ليس بجملة إذْ لم يقع خبر المبتدأ .

فإن قلتَ : قدِّر له مبتدأً نحو : القدرة لله . قلنا : يجبُ التصريح بجزأى الجملة الواقعة خبراً لضمير الشأن ، ولا يجوز حذف أحدهما .

فإن قلتَ : قدِّرُه مع متعلّقهِ جملة . قلنا : فاعله مَجهول ، ولا يصح أن يكون يمكننى خبره ، لأنّه يبقى لله غير مُتعلّق بشئ ، إذْا لا معنى لتعلُّقه به .

---

(١) الخزانة ٨ : ٥٧٤ .

(٢) سبق فى ص ٤٢٦ . وانظر الأغانى ١٠ : ١٢ والمرتضى ١ : ٢١٢ والتصريح ١ : ٣ .

والعَجَب من أبى على فى تجويزه الوجهين ، قال ( فى المسائل البصرية ) قال أبو الحسن الأخفش : زعم يونس أنّ ناساً من العرب يفتحون اللام التى فى مكان كى . وزعم خلفٌ الأحمر أنّها لغة لبنى العنبر . وقد سمعتُ أنا ذلك من العرب . وذلك أنّ أصلها الفتحُ وكُسرت فى الإضافة للفصل بينها وبين لام الابتداء . وأحفظُ فى كتاب أبى الحسن :

تُواعِدنى ربيعــةُ كلَّ يوم لَأُهلِكَهَا وأقتنىَ الدَّجَاجا [1]

وزعم أبو عبيدة أنّه سمع فتح لام لعلّ فى لغة من يَجُرّ ، فى قول الشاعر :

لعلَّ اللهِ يُمكننى عليها ...البيت

قال أبو علىّ : يكون هذا على إضمار الحديث فى لعلّ مخفّفة ، كإضمارِهِ فى إنّ ، وأضمر مبتدأ والظرفُ فى موضع الخبر ، ويمكننى حال ، كأنّه قال : لعلَّ القصَّة الأمر لله ممكناً لى . وإن شئت جعلت يمكننى فى موضع خبر لعلّ وأضمرت الحديث ، كأنّه قيل : لعلّه يمكننى الأمر لله ، أى لقُوَّةِ الله . هذا كلامه .

ونقله ابن السِّيد ( فى كتاب أبيات المعانى ) ولم يتعقَّبه بشئ . وفيه نظر من وجوه :

أمّا أوّلاً فلأنّه لا مناسبة لذكر فتح لام كى هنا ، فإن اللام التى ادَّعاها داخلةٌ على الاسم الصريح لا على الفعل .

وأمّا ثانياً فلانه لا يجوز حذف أحد جزأىِ الجملة كما تقدّم .

وأما ثالثاً فلأنّه قدَّر ليمكننى فاعلاً ، وهذا ليس من المواضع التى يُحذَف

---

(١) للنمر بن تولب فى ديوانه ٤٧ والحيوان ٢ : ٣٠٥ والرواية فيهما : « لأشريَها » ، أى لأبيعها .

فيها . وإن أراد أنّه تفسيرُ الضمير المستتر فى يمكننى العائد إلى ضمير الشأن ففيه أنّ شرطَ ضميرِ الشأن أن لا يعودَ إليه ضميرٌ من جملةِ خبره .

وأمّا رابعا فلأنّه قدَّر مضافا بعد اللام ، ولا دليلَ عليه .

ثم قال بعد هذا : فإنْ قلت فهل يجوز فى لعلّ فيمن خفَّف أن يدخلها على الفعل بلا شريطة إضمار القصَّة كما جاز ذلك فى إنّ إذا خفّفت أنْ تدخل على الفعل ، نحو : ﴿ إنْ كادَ ليضلُّنا [1] ﴾ ؟ قلت : ينبغي عندى أن يُبعَد إدخال لعلّ على الفعل . ألاَ ترى أنّ إنَّ لا معنًى فيها إلاّ التأكيد ، ومع ذلك فقد أُعملت مخفّفة فى الاسمِ ونُصِب بها . وإذا كان كذلك وكانت لعلّ أشبه بالفعل للمعنى الذى لها ، وجَب أن لا تكون إذا خفّفت إلاّ على شريطة الإضمار ، إذا أدخلت على الفعل . ويؤكّد ذلك أنّ المفتوحةُ المخفّفة ، ألا ترى أنَّها لا تخفّف إلاّ على إضمار القصَّة والحديث . وكذلك كأَنْ فى قوله :

* كأنْ ثدياه حُقّانِ *

٣٧٧ على أنّ كأنَّ إنَّما هى أنَّ أُدخلت الكافُ عليها . فإذا لم تكن إنَّ إلاّ على شريطة إضمارٍ فيها ، وإذا كان كذلك لم يكن قوله لعل أبى المغوار ، ولعل الله يمكننى ، إلاّ على إضمار القصة والحديث ، وما بعده فى موضع الخبر .

هذا كلامه ، وبناؤه على غير أساس ، فإنَّه لم يثبُت تخفيف لعلَّ فى موضع ، وإنمّا كلامه هذا بمجرَّد توهُّم تخفيفها . والله أعلم .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة لخالد بن جعفر. وهذه أبياتٌ من أولها :

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الفرقان .

أبيات الشاهد

( أرِيغُونى إراغتَكُمْ فإنّى وحُذْفَةَ كالشَّجا تحتَ الوريدِ[١]
مُقرَّبَةً أواسيها بنَفْسى وأُلحِفُها ردائى فى الجليدِ[٢]
لعَلَّ اللهِ يُقدِرُنى عليها جهاراً من زُهير أو أُسيدِ[٣] )

الإراغة بالراء المهملة والغين المعجمة : الطلب . فى الصحاح : أريغونى إراغتكم ، أى اطلبونى طَلِبتكم . وأنشد هذا البيت[٤] . وحُذْفة بضم الحاء المهملة[٥] وسكون الذال المعجمة بعدها فاء : اسم فرسِ الشاعر ، وهو جعفر بن خالد . والشَّجا ، بفتح الشين والجيم : ما ينشَب فى الحلق من عَظْمٍ أو غيره . شبَّه نفَسه بالشَّجا . ومُقرَّبةً : مفعول أريغونى . والمقرَّب من الخليل على اسم المفعول ، من الإقراب والتقريب : الذى يُدنَى ويُكرَّم ، والأنثى مُقرَّبة ، ولا تُترك أن تَرُود . قال ابن دريد : إنمَّا يفُعَل ذلك بالإناث لئلا يقرعَها فحلٌ لئيم . والإلحاف : التغطية . والجليد : الصَّقيع ، يريد : فى شدّة البرد .

و ( زهير ) هو ابن جَذيمة بن رَوَاحة العبْسى . وأُسِيد هو أخو زهير ، وهو بفتح الهمزة وكسر السين . وضمير ( عليها ) راجعٌ إلى مقرّبةً .

وسبب الشّعر هو ما رواه صاحبُ الأغانى ، والسيد المرتضى ( فى أماليه ) قالا : إنَّ هَوازن لا ترى زهير بن جَذيمة إلاّ ربًّا ، وهوازنُ يومئذٍ لا خيرَ فيها ، ولم تكثُر

(١) وكذا فى أمالى المرتضى ١ : ٢١٢ . وفى الأغانى ١٠ : ١١ « أديرونى إدارتكم » . وفى حاشية نسختين من أمالى المرتضى : « ويتخيل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر ، وقوله : كالشجا تحت الوريد ، شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ، ومقربة فى البيت الثانى مفعول أريغونى فرسًا مقربة » .

(٢) وكذا عند المرتضى . وفى الأغانى : « مقربة أسوِّيها بجزء » .

(٣) عند المرتضى : « يمكننى عليها » . والأبيات أربعة عند المرتضى وأربعة عشر فى الأغانى .

(٤) لم ينشده الجوهرى فى مادة ( روغ ) حيث فسر الكلمة ، أما الإنشاد فهو فى مادة ( حذف ) .

(٥) ضبطه فى القاموس بأنه « بالفتح » ، وكذا ضبط فى اللسان ضبط قلم بالفتح .

عامر بن صعصعة بَعْد ، فهُمْ أذلُّ من يدٍ فى رحم [١] ، إنّما هم رِعاءُ الشّاء فى الجبال ، وكان زهيرٌ يَعشُرهم [٢] ، فكان إذا كان سوقُ عكاظ أتاها زهيرٌ ، فتأتى هوازن بالإتاوة التى [ له [٣] ] فى أغنامهم ، فيأتونه بالسَّمنِ ، والأقط ، والغَنم ، فجاءت عجوزٌ من هوازنَ بسمنٍ فى نِحْى ، واعتذرَتْ إليه وشكت السِّنينَ التى تتابعَتْ على الناس [٤] ، فذاقَه فلم يرضَ طَعمَه ، فدفعها بقوسٍ كانت فى يده فسقطَتْ ، فبدت عورتُها [٥] ، فغضبتْ من ذلك هوازن وحَقَدته ، إلى ما كان فى صدرها من الغَيظ ، وكانت قد كثُرت عامر [٦] . فآلَى خالدُ بن جعفرٍ فقال : والله لأجعلنَّ ذراعى وراءَ عنقه حَتَّى أُقتَل أو أَقتُل [٧] . وفى ذلك قال هذا الشعر .

واتَّفق نزولُ زهير بالقرب من أرضٍ بنى عامر ، وكانت تُماضر بنت عَمْرو ابن الشريد امرأَةَ زهير بن جذيمة وأُمَّ ولدِهِ ، فمرَّ به أخوها الحارثُ بن عمرو ، فقال زُهير لبنيه : إنَّ هذا الحمارَ طليعةٌ عليكم فأَوثِقوه . فقالت أخته لبنيها : أيزوركم خالُكم فتوثقونه [٨] ؟ ثم حلبُوا له وَطْباً من لبن وأخذوا منه يمينا أن لا يُخبِرَ عنهم ، فخرجَ حتى أَتى بنى عامر فأَخبرهم ، فركب خالد بن جعفر وحُندُج بن

---

(١) أورده الزمخشرى فى المستقصى ١ : ١٣٦ ولم يفسره ، وأورده الميدانى فى باب الذال وقال : « يريد الضعف والهوان . وقيل يعنى يد الجنين . وقال أبو عبيد : معناه أن صاحبها يتوقى أن يصيب بيده شيئا » .

(٢) يَعشِرهم : يجبى منهم العشر ، وفى الأغانى : « يعزهم » ، وما هنا صوابه .

(٣) التكملة من ش والأغانى . وفى الأغانى : « التى كانت له فى أعناقهم » .

(٤) فى الأغانى : « تتابعن على الناس » .

(٥) فى الأغانى : « فاستلقت لحلاوة القفا فبدت عورتها » .

(٦) عند المرتضى : « وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة » . وأمرت ، بكسر الميم ، أى كثرت .

(٧) فى الأغانى والمرتضى : « حتى أقتل أو يقتل » .

(٨) وكذا عند المرتضى . وفى الأغانى : « فتوثقوه وتحرموه » .

البكّاءِ ، ومعاوية بن عُبادة (١) وثلاثةٌ من فوارس بنى عامر ، واقتصُّوا فرأَوْا إبلَ بنى جَذيمة فنزلوا عن الخيل ، فقالتِ النساء : إنّا لنرى غابة رماحٍ بمكانٍ كنّا نرى به شيئاً . ثم جاءت الرِّعاءُ فخبَّرت بهم (٢) ، وأتى أسِيدٌ أخاه زهيراً فأخبره بالخبر وقال : قد رأَتْ راعيتى خيلَ بنى عامر ورماحَها (٣) . فقال زهير : « كلُّ أزَبَّ نَفُور » ، فذهبت مثلا . وكان أُسِيدٌ كثير الشَّعَر . قال : فتحمَّلَ عامَّة بنى ٣٧٨ رَواحة ، وحلَف زهيرٌ لا يبرح مكانَه حتَّى يُصبح . وتحمَّل مَن كان معه غير ابنيه : ورقاءَ ، والحارث . فلم يشعر إلاّ والخيلُ أحاطت به . قال زهير ، وظنهم أهلَ اليمن : يا أسِيدُ ما هؤلاء ؟ قال : همُ القومُ الذين تغضَب فى شأنهم منذُ اللَّيلة . قال : وركب أسِيدٌ فرسَه ونجا ، ووثب زهيرٌ على فرسِه القعساءِ وكانت متمردة ، فلحقه خالدٌ راكباً فرسَه حُذْفة وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا زُهير ! فاعتنق خالدٌ زهيراً ، وخرَّا عن فرسيهما ، ووقع خالدٌ فوق زهير واستغاث ببنيه ، فأقبل إليه ورقاء ابن زهير فضرب خالداً ثلاثَ ضَرَباتٍ فلم يُغْن شيئاً ، وكان على خالد درعانِ . ثم ضرب حُندج رأسَ زهير فقتله . وفى ذلك يقول ورقاءُ بنُ زهير :

رأيتُ زهيراً تحت كلكلِ خالدٍ     فأقبلتُ أسعَى كالعَجُولِ أُبادرُ
إلى بطليْنِ يَنهضانِ كِلاهمُا     يُريدان نصلَ السَّيف والسيفُ داثرُ (٤)

---

(١) فى الأغانى والعقد ٥ : ١٣٦ : « ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرار » . وفى النسختين هنا : « بن عباد » ، صوابه من الأغانى والقاموس حيث ذكر أنه صاحب الهرار . وكذا فى جمهرة ابن حزم ٢٩١ حيث ذكر أن معاوية بن عبادة بن عقيل وَفَد ، وله صحبة . وانظر الإصابة ٨٠٦٦ حيث عده فى الصحابة الذين لهم وِفادة .

(٢) ط : « جاءت الرعاء ثم جاءت الرعاء » وصدر هذا الكلام مقحم لم يرد فى الأغانى ولا فى ش .

(٣) المراد بالراعية الرعاء .

(٤) فى الأغانى : « يريغان » . والداثر : السيف البعيد العهد بالصقال . وفى العقد : « نادر » . وندر السيف : سقط فى جوف شيء فظهر .

فشَلَّتْ يمينى يومَ أضرِبُ خالـداً ويستُره منـى الحديـدُ المظاهَـرُ[١]
فياليت أنّـى قبـلَ ضربـة خالـدٍ ويـومِ زُهيـرٍ لم تَلِـدْنى تُمـاضِرُ[٢]

خالد بن جعفر

وخالدٌ فارسٌ شاعرٌ جاهلى ، وهو ابن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بنِ عامر ابن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

**٨٧٩** ( فلو كنتَ ضَبِّيًّا عرَفْتَ قَرابتى ولكنَّ زنجىٌّ عظيمُ المشافرِ )

على أنّه لا يجوز حذف أسماء هذه الحروف غيرَ ضميرِ الشأن ، إلاّ فى الشِّعرِ على قلّةٍ وضعف ، كما فى هذا البيت . والتقدير : ولكنَّك زنجى .

فى ( الأصول لابن السَّرّاج ) قال سيبويه : النصب أكثرُ فى كلام العرب ، كأنّه قال : ولكنَّ زنجيًّا عظيم المشافر لا يعرف قرابتى ، ولكنّه أضمر هذا . قال : والنَّصب أجود ، لأنَّه لو أراد الإضمار لخفّف ، ولجعل المضمر مبتدأ ، كقولك : ما أنت صالحاً ولكن طالح . انتهى .

---

(١) الأغانى : « وأحرزه منى » . العقد : « ويمنعه منى » ، المرتضى : « ويستره منى » .

(٢) الأغانى : « فياليتنى من قبل أيام خالد » . العقد : « فيا ليت أنّى قبل أيام خالد » .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٨٢ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ١ : ٥٩٨ ومجالس ثعلب ١٢٧ والأصول ١ : ٢٩٩ والأغانى ١٩ : ٢٤ والمحتسَب ٢ : ١٨٢ والمنصف ٣ : ١٢٩ وأسرار البلاغة ٤١ والإنصاف ١٨٢ وابن يعيش ٨ : ٨١ ، ٨٢ والمقرب ١ : ١٠٨ والمغنى ٢٩١ والهمع ١ : ١٣٦ ، ٢٢٣ وديوان الفرزدق ٤٨١ . وهو فى الديوان بيت مفرد منقول عن كتاب سيبويه وإنشاده .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع زنجيٌّ على الخبر ، وحذْفُ اسم لكنَّ ضرورةً . والتقدير : ولكنّك زنجى . والنصب أقيس . انتهى .

وتقييد الشارح المحقق حذفَ الاسم بالضرورة أجود من إطلاق ابن هشام ( فى المغنى ) فى قوله : « وقد يُحذف اسمُها » . وإن كانت ( قد ) تُفيد القِلّة .

وزعم الخفّاف ( فى شرح الجمل ) أنّه يجوز حذف أسماء هذه الحروف فى فصيح الكلام ، إذا كان فى الكلام ما يدلُّ عليها . وأنشد هذا البيتَ وقولَه :

* فليت دفعتَ الهمِّ عنِّىَ سَاعةً [1] *

أى فليتك . إلاّ إنْ كانت ضمير شأن فلا يجوز حذفه إلاّ فى الشِّعر . وروى أيضاً : « ولكنَّ زنجيّاً » بالنصب ، والخبر محذوف . وتقديره عند سيبويه : لا يعرف قرابتى . وقال ثعلب فى أماليه : وقال سيبويه : زنجيًّا غليظَ المشافر تُشبه [2] ، فأضمر الخبر . هذا نقْلُه ، وهو خلاف الواقع مع أنّ هذا التقدير يقتضى أنّ زنجيا مفعول تشبه ، لا اسم لكنّ .

ثم قال : وقالِ الفراء : غليظ المشافر تابعٌ سدَّ مسدَّ الخبر . وقال الكسائى : ولكنَّ بك زنجيًّا ، أى يشبهك . انتهى .

و ( المشافر ) : جمع مِشْفر بكسر الميم وفتحِ الفاء [3] ، وهو شفَة البعير ، واستُعير هُنا لشَفَة الإنسان لِمَا قصدَ من بشاعة الخلقة . ٣٧٩

(١) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٦٢ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* فبِتْنا على ما خيلت ناعمَىْ بال *

(٢) الذى فى مجالس ثعلب : « تشبهه » . وبهذا يزول اعتراض البغدادى .

(٣) ط : « وكسر الفاء » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد

والبيت للفرزدق فى هَجو رجلٍ من ضَبّة ، نفاه عن ضبّة ونسبه إلى الزِّنج . وأمّا القرابة التى بينه وبينه فهى أنّ الفرزدق من تميم بن مر بن أدّ بن طابخة ، وضبّة هو ابن أدّ بن طابخة .

واعلم أنّ قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويِّين ، وصوابه :

* ولكنَّ زنجيا غِلاظًا مشافرُه *

وهو من قصيدةٍ هجا بها أيوبَ بن عيسى الضبّىّ . وبعده :

أبيات الشاهد

( متَتُّ له بالرَّحم بينى وبينَه فألفَيته منــى بعيــداً أواصرُه[١]

وقلتُ امرؤٌ من آلِ ضَبّة فاعتزى لغيرهـمُ لونُ آستِــهِ ومحاجِــرُه[٢]

فسوفَ يرى النُّوبىُّ ما اكتدحَتْ له يداه إذا ما الشِّعر عَنّت نوافرُه[٣]

ستُلقى عليك الخُنفُساءُ إذا فسَتْ عليك من الشّعر الذى أنت حاذرُه

وتأتى ابنَ زُبٍّ الخُنْفُساءِ قصيدةٌ تكون له منّى عَذابا يبـاشرُه )

والسبب فى هذا ما حكاه صاحب الأغانى أن الفرزدق هجا خالداً القسْرىّ وذكر المُبارَكَ : النّهرَ الذى حفره بواسطَ ، فبلغَه ذلك ، فكتب خالدٌ إلى مالك بن المنذر : أنِ احبسِ الفرزدق فإنَّه هجا نهر أميرِ المؤمنين بقوله :

أهلكتَ مالَ الله فى غير حقّه على النَّهَرِ المشئُوم غير المباركِ

---

(١) مت إليه : تقرب وتوسَّل بحرمة أو قرابة . والأواصر : جمع آصرة ، وهى ما يعطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . وفى الأغانى ١٩ : ٢٤ : « أوامره » ، تحريف .

(٢) اعتزى : انتسب .

(٣) يقال هو يكدح لعياله ويكتدح ، أى يكتسب لهم . وفى الأغانى : « ما اجترحت » وهما بمعنى . وفى التنزيل العزيز : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » ، أى اكتسبوها . وعنَّت بالعين المهملة : ظهرت . والنوافر : الشوارد . وفى الأغانى : « غنت » بالمعجمة .

فأرسل مالكٌ إلى أيوبَ بن عيسى الضبّىّ فقال : ائتنى بالفرزدق . فلم يزل يُعمِلُ فيه حتّى أخذه ، فلما قِيل لمالك : « هذا الفرزدق » انتفخَ وريدُه غضباً ، فلمَّا أُدخِلَ عليه قال :

أقول لنفسى حِينَ غصَّت بريقها ألا ليت شِعرى مالَها عند مالكِ[(١)]

لها عندَه أن يُرجعَ اللهُ روحَه إليها وتنجو من عظيم المهالك[(٢)]

فسكن مالكٌ وأمَر به إلى السِّجن ، فهجا أيوبَ بن عيسى الضبّىَّ بتلك القصيدة ، ثم مدح خالد بنَ عبد الله ، ومالكَ بنَ المنذر ، فلمَّا لم ينفعه مدحُهما مدح هشاماً واعتذر إليه :

أَلِكنى إلى راعى البريَّة والذى له العدلُ فى الأرضِ العريضةِ نَوَّرا[(٣)]

إذا قال غاوٍ من مَعَدٍّ قصيدةً بها جربٌ كانت وَبالاً مُدَمِّرا[(٤)]

أينَطقها غيرِى وأُرمَى بجُرمِها وكيف أَلومُ الدّهرَ أن يتغيَّرا[(٥)]

لئن صبرتْ نفسى لقد أُمِرتْ به وخيرُ عباد الله مَنْ كان أصبرا

وكنتُ ابن أحذارٍ ولو كنتُ خائفا لكنتُ من العصماء فى الطَّود أحْذرا[(٦)]

ولكن أتَونى آمناً لا أخافُهم نهاراً وكان اللهُ ما شاء قَدَّرا

---

(١) فى ديوان الفرزدق ٥٩٩ :

أقول لنفسٍ لا يُجادُ بمثلها ألا ليت شعرى مَا لها عند مالكِ

(٢) وكذا فى الأغانى . وفى الديوان : « أن يرجع اليوم روحها » ، و « تنجو من حذار المهالك » . وفى ش فقط : « وينجو » ، وإنما الضمير فى « تنجو » . للنفس أو الروح ، وكلاهما مؤنث . وبعده بيت ثالث فى الأغانى والديوان ، وهو :

وأنت ابن جبَّارَىْ ربيعةَ حلَّقتْ بك الشمسُ فى الخضراءِ ذات الحبائكِ

(٣) فى الديوان ٣٦٥ : « إلى راعى البرية والذى له العدل فى الأرض » .

(٤) فى الديوان : « بها جرب كانت على بزوبرا » .

(٥) فى الديوان : « وأرمى بعيبها فكيف » .

(٦) يقال أنه لابن أحذار ، أى ابن حزم وحذر . والعصماء من الوعول : ما فى ذراعيها أو إحداهما بياض وسائرها أسود أو أحمر .

ثم إنّه مدَحه بقصيدةٍ وأشخص بها ابنَه إلى هشام ، فاعانته القيسيَّة وقالوا : كلَّما ظهر شاعر أو سيِّدٌ وثب عليه خالد !

وكان كتب الفرزدقُ أبياتاً إلى سعيد بن الوليد بن الأبرش ، يكلِّم له هشاماً وهى :

إلى الأبرش الكلْبِيِّ أسدَيتُ حاجتى  تَوَاكَلُها حيًّا تميمٍ ووائلِ [1]

٣٨٠ على حينَ أنْ زلّت بى النَّعلُ زَلّةً  وأخلف ظنِّى كلُّ حافٍ وناعلِ

فدُونكها يا ابنَ الوليد فقُمْ بها  قيامَ امرئٍ فى قومه غير خاملِ

فكلَّم هشاماً فكتب بتخليته . انتهى باختصار .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [2] .

* * *

وأنشد بعده :

إنّ مَنْ لام فى بنى أُخْتِ حَسَّا  نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخطوبِ

وقوله :

إنَّ من يدخلِ الكنيسة يوماً  يلقَ فيها جآذراً وظباءَ

على أنّ ضمير الشأن يجوز حذفه فى الشعر كثيراً بخلاف حذف اسم هذه الحروف ، فإنّه وإن اختصَّ حذفُه فى الشّعر لكنّه بضَعفٍ وقلّة ، وذلك كما

---

(١) فى الأغانى ١٠ : ٢٤ : « أسندت حاجة » . ويقال تواكلا الأمر : اتكل كل منهما على الآخر فيه .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ — ٢٢٣ .

فى البيتين . والتقدير : إنّه مَن لامَ ، وإنّه من يدخل الكنيسة . ومَنْ فيهما اسم شرط جازم ، والجملة خبر ضمير الشأن فيهما .

وتقدَّم الكلامُ على البيت الأوّل فى الشاهد السابع بعد الأربعمائة [1] ، وعلى البيت الثانى فى الشاهد الثامن والسبعين من أوائل الكتاب [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الثمانمائة [3] :

٨٨٠ ( كأنَّ على عِرنينِه وجَبينِه أقامَ شُعاعُ الشَّمسِ أو طلَعَ البَدرُ )

على أن حذف ضمير الشان فى غير الشعر يجوز بقلّة إنْ لم يلِ هذه الأحرفَ فعلٌ صريح كما فى البيت . ومثله فى الكلام جائزٌ بقلّة ، نحو : إنّ بِكَ زيدٌ مأخوذ .

قال ابن عصفور ( فى كتاب الضرائر ) : ومنه حذف ضمير الشأن أو القصّة ، إذا كان اسماً لإنّ وأخواتها ، كقوله :

فلا تشتمِ المولَى وتبلُغْ أذاتَه فإنّ بهِ تُثْأَى الأمور وتُرأَبُ [4]

يريد : فإنّه تُثْأَى الأمور . وقول الآخر :

كأنَّ على عرنينه وجبينه .................. البيت

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٠ — ٤٢٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٧ — ٤٦٢ .

(٣) الهمع ١ : ٣٦ والضرائر ١٧٩ .

(٤) الضرائر ١٧٩ والحماسة ٦٧٠ بشرح المرزوقى مع نسبة البيت إلى قراد بن عباد .

يريد : كأنّه على عرنينه . وقول الآخر : « إنّ من يدخل الكنيسة [(١)] »
يريد : إنّه من يدخل الكنيسة . ولا يجوز أن يكون مَنْ اسمَ إنّ ، لأنها اسمٌ شرط [(٢)] ، وأسماء الشرط لا يتقدَّمها عامل إلاّ الخافض ، بشرط أن يكون معمولاً لفعل الشرط ، نحو قولك : بمَنْ تمررْ أمرُرْ . ومثل ذلك قولُ الأعشى :

إنّ من لام فى بنى بنت حَسَّا ن ............... البيت

يريد : إنّه مَنْ لام . وقول أميّة بن أبى الصَّلت :

ولكنَّ مَن لا يلقَ أمراً ينُوبه بعُدّته ينزلْ به وهو أعـزلُ

يريد : ولكنَّه مَنْ . ومن ذلك قولُ جميل :

ألا ليتَ أيّامُ الصَّفاءِ جديـدُ ودهـرٌ تولَّـى يا بُثيـنَ يعـودُ[(٣)]

فى رواية من رفع الأيام ، يريد : ليتها أيامُ ، فحذفُ هذا الضمير يحسُن فى الشّعر ولا يقبح فى الكلام ، إلاّ أن يؤدِّىَ حذفه إلى أن تكون إنّ وأخواتها داخلةً على فعل ، فإنّه إذ ذاك يقبُح فى الكلام والشعر ، لأنَّها حروفٌ طالبةٌ للأسماء ، فاستقبحوا لذلك مباشرتَها للأفعال . وإنمّا قبُح حذفُه فى الكلام وإنْ لم يؤدِّ الحذفُ إلى مباشرة إنّ وأخواتها للأفعال ، لأنّه مفسِّر بالجملة التى بعدَه ، فأشبهت الجملة الواقعة صفةً فى نحو قولك : رأيت رجلاً يحبُّه عمرٌو ، فى أن كُلّ واحدةٍ من الجملتين مفسِّرة لما قبلها . والجملة الواقعة صفةً يَقْبحُ حذفُ موصوفها وإبقاؤها ، فكذلك أيضاً يقبحُ حذف ضمير الشَّأن والقصّة وإبقاءُ الجملة المفسِّرة له . وأيضاً يُستعمل فى موضع التعظيم ، والحذفُ مناقضٌ لذلك . وأمَّا قول الراعى :

٣٨١

---

(١) تمامه ، وهو من شواهد الخزانة ١ : ٤٥٧ :

إن من يدخل الكنيسة يوما يلـق فيها جآذرا وظبـاء

(٢) ط : « اسم لشرط » ، وأثبت ما فى ش والضرائر .

(٣) ديوان جميل ٦١ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٣٩ . وانظر معجم الشواهد .

فلو أنَّ حَقَّ اليومَ منكم إقامـةٌ وإن كان سرحٌ قد مضَى فتسرَّعا [١]

وقولُ الآخر :

فليتَ دفعتَ الهَمَّ عنِّى ساعـةً فبِتْنا على ما خيَّلَتْ ناعمَىْ بالِ [٢]

فيحتمل أن يكون المحذوف منها ضمير الشأن ، فيكون التقدير : فلو أنَّه حقّ اليومَ منكم إقامةٌ ، وفليته دَفَعْتَ ، ويكون البيتان إذْ ذاك من قبيل ما يقبحُ فى الكلام والشِّعر ؛ لِمَا يلزم فى البيت الأوّل من ولاية الفعل لإنّ ، وفى البيت الثانى من ولايته لليْتَ . ويحتمل أنْ يكون المحذُوف ضميرَ المخاطب فيكون التقدير : فلو أنّكم حَقّ منكم ، وليتكَ دفعت الهمَّ . وحملُها على هذا الوجه أولى ؛ لأنّه لا يلزم فيه من القُبح ما يلزم فى الوجه الأوّل . انتهى كلام ابن عصفور .

والعِرنين بالكسر ، قال صاحب المصباح : هو من كلِّ شىء : أوّلُه ، ومنه عِرنين الأنف لأوَّلِه ، وهو ما تحت مجتمَع الحاجبين ، وهو موضع الشَّمَم ، وهم شُمُّ العرانين [٣] . وقد يطلق العِرنين على الأنف . وقال أيضا : الجبين : ناحية الجَبْهة من محاذاة النَّزَعَة [٤] إلى الصُّدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشِمالها . قاله الأزهرىُّ وابن فارس وغيرهما . فتكون الجبهة بين الجبينين . والجَبْهَةُ : موضع السُّجود بين الجبينين .

ولم أقفْ على قائل البيت ولم أره إلاّ فى كتاب الضرائر ، وهو أحسن من قول عُويف القوافى ، أو ابن عَنْقاء الفَزارىّ [٥] :

---

(١) ملحقات ديوانه ١٨٦ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٦٢ . وهو فى معجم الشواهد .

(٣) ط : « وهو شم العرانين » ، صوابه فى المصباح و ش مع أثر تصحيح .

(٤) النَّزَعتانِ : ما ينحسر عنه الشَّعر من أعلى الجبينين حتَّى يُصَعِّد فى الرَّأس ، والوصف أنزَعُ ، والجَبْهةُ نَزْعاء .

(٥) ط : « وابن » ، صوابه فى ش . وهو أسيد بن عنقاء . وأسيد ، بالتصغير لقب له . واسمه قيس بن بجرة . ويعرف باسم أمه « عنقاء » . سمط اللآلى ٥٤٣ . وفى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٩ : « عبد قيس بن بجرة » .

كأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى جبينِهِ وفى خدِّه الشِّعْرَى وفى أنفهِ القَمَرْ (١)

ومن قول خارجةَ بن فُلَيح المَلَلىّ (٢) :

كأنّ على عرنينه وجبينه شُعاعين لاحَا مِن سِمَاكٍ وفرقدِ

وقد اتَّفقا فى المصراع الأوّل ولم أدرِ السابقَ منهما . وبعده :

هو السَّابق التالى أباه كما تَلا أبوه أباهُ سَيِّدٌ وابنُ سيِّدِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س (٣) :

٨٨١ ( إنَّ محَلاًّ وإنَّ مُرتَحَلاَ وإنَّ فى السَّفْرِ إذْ مضَوْا مَهَلاَ )

على أنَّه إذا عُلم الخبرُ جاز حذفه ، سواء كان الاسمُ نكرةً أم معرفة ، وسواء كرِّرت إنَّ أمْ لا .

فالأوّل كما فى المصراع الأوّل من البيت ، والتقدير : إنَّ لنا مَحلاًّ فى الدنيا ما عِشْنا ، وإنّ لنا مرتحَلا إلى الآخرة .

---

(١) فى الأمالى ٢ : ٢٣٧ : « وفى أنفه الشعرى وفى وجهه القمر » . وفى الأغانى ١٧ : ١١٧ : « وفى خده الشعرى وفى جيده القمر » .

(٢) نسبة إلى ملل ، بالتحريك ، وهو موضع على مقربة من المدنية فى شق الروحاء ، قال البكرى : هو فليح مولى أسلم ، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية . السمط ٦٥ . وقال فى معجم ما استعجم أيضا : « ومن ملل : خارجة بن فليح المللى ، ومحمد بن بشير الخارجى » . وفى النسختين : « المكى » صوابه ما أثبت .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وهو أيضا فى المقتضب ٤ : ١٣٠ والأصول ١ : ٣٠٠ والخصائص ٢ : ٢٧٣ والمحتسب ١ : ٣٤٩ ودلائل الإعجاز ٢١٠ وابن الشجرى ١ : ٣٢٢ وابن يعيش ١ : ١٠٣ / ٨ : ٨٤ والمقرب ١ : ١٠٩ والمغنى ٨٢ ، ٢٣٩ ، ٦٠٩ ، ٦٣١ والهمع ١ : ١٣٦ . وانظر ديوان الأعشى ١٥٥ .

والثانى ما حكاه سيبويه قبل إنشاد ذلك البيت ، قال : ويقول الرجل للرجل هل لكم أحدٌ إنَّ النّاسَ [ أَلْبٌ [1] ] عليكم ؟ فيقول : إنّ زيداً وإنَّ عَمراً ، أى إنّ لنا . انتهى .

٣٨٢

وفيه ردٌّ على الكوفيين فى اشتراطهم تنكيرَ الاسم .

والثالث نحو ما تقدَّم من البيت وحكاية سيبويه .

والرابع [ هو [2] ] كقول ، سيبويه : وتقول إنّ غيرَها إبلاً وشاء ، كأنه قال : إن لنا غيرَها إبلاً وشاء ، وعندنا غيرَها إبلاً وشاء . فالذى تضمر هذا النحوُ وشبهه . وانتصب الإبل والشاء كانتصاب الفارس إذا قلت : ما فى الناس مثلُه فارسا . انتهى .

وفيه ردٌّ على الفراء فإنّه ذهب إلى أنّه لا يجوز حذف الخبر إلاّ مع تكرير إنّ ، سواء كان الاسم معرفة أم نكرة . ويَرِدُ عليه وعلى الكوفيِّين قولُ الشاعر :

أو أنّ الأكارمَ نهشلاً ... البيت الآتى .

فإنّ خبر أنَّ المفتوحةِ محذوف ، تقديره تفضّلوا ،بدَلالة ما قبله ، واسمها معرفة وهى غير مكرّرة . وسيأتى الكلام عليه . وكذلك يَرِد عليهم الحديثُ وأثرُ عُمر المسطورَان [3] ، فإنّ اسم إنّ فيهما معرفة ، وهو اسم الاشارة مع عدم تكرر إنّ فيهما .

---

(١) التكملة من سيبويه . والألب ، بفتح الهمزة وكسرها : القوم يجتمعون على عداوة إنسان . قال رؤبة :

* قد أصبح الناس علينا ألبا *

(٢) التكملة من ش .

(٣) فى النسخة : « المسطورين » ، وهو تحريف ظاهر . وانظر حواشى الصفحة التالية .

قال ابن يعيش : وكان الفرّاء يذهب إلى أنّه إنما يُحذف مثلُ هذا إذا كُرِّرت إنّ [١] ليعلم أنّ أحدهما مخالفٌ عند من يظنُّه غير مخالف . وحُكى أنّ أعرابيًّا قيل له : الزَّبابة : الفأرة ؟ قال : إنّ الزَّبابة وإنَّ الفأرة . ومعناه إنّ هذه مخالفةٌ لهذه . والخلاف الذى بين الاسمين يدلُّ على الخبر ، وهو غير مرضيٍّ [٢] عند أصحابنا ، فإنَّه مردودٌ فى الواحد الذى لا مُخالف معه . قال الأخطل :

ألاَ إنَّ حيًّا من قريش تَفضَّلوا     على الناس أو إنَّ الأكارمَ نهشلا[٣]

وقالوا : إنّ غيرها إبلاً وشاء . فقولهم غيرها اسم إنّ ، والخبر مضمر ، كأنّه قال : إنَّ لنا غيرها ، وانتصب إبلاً وشاء على التمييز . ويجوز أن يكون إبلاً اسم إنّ وغيرها حال . ولا يحسن أن يكون عطفَ بيان ، لأنَّ عطف البيان لا يكون إلاّ فى المعارف. فأمَّا ما حُكى عن عُمرَ بن عبد العزيز [٤] ، أنّه قال لِقرشىّ وقدْ مَتَّ إليه بقرابة : « إنَّ ذلك » . ثم ذكرَ حاجتَه ، فقال : « لعلَّ ذاك » . فالخبر محذوف ، أى إنَّ ذلك مصدَّق ، ولعلَّ مطلوبك حاصل . وإنمَّا ساغ حذف الخبر هنا وإن لم يكن ظرفاً ، لدلالة الحال عليه ، كما يحذف خبر المبتدأ عند الدلالة عليه ، نحو قولك : من القائم ؟ فيقال : زيد ، أى زيدٌ القائم . والجيِّد أنْ يقدَّر المحذوف ظرفاً ، نحو : إنَّ لكَ ذلك ، أى حقّ القرابة ، ولعل لك ذلك ، والمعنى واحد إلاّ أنه من جهة اللفظ صارَ على منهاج القياس . انتهى كلامه .

---

(١) ش : « تكررت إن » ، وما أثبت من ط يطابق ما فى ابن يعيش ١ : ١٠٤ .

(٢) عند ابن يعيش : « وهو قول غير مرضى » .

(٣) عند ابن يعيش : « خلا أن حيا » .

(٤) ما بعده إلى : « لعل ذاك » ، لم يرد فى ابن يعيش ، وإنما هو من صلب متن المفصل . والذى فى ابن يعيش : « فأما ما حكى عن عمر بن عبد العزيز فالخبر محذوف ... إلخ وانظر قصة عمر هذه أيضا فى شرح الرضى ٢ : ٣٢٧ .

وقال قبل هذا : اعلْم أنَّ أخبار هذه الحروف إذا كانت ظرفاً أو جارًّا ومجرورا فإنّه يجوز حذفها والسكوتُ على أسمائها ، وذلك لكثرة استعمالِها والاتّساع فيها » . إلى أن قال : « ولم يأت ذلك إلاّ فيما كان الخبر فيه ظرفاً أو جارًّا ومجرورا » . انتهى .

وقول الشارح المحقِّق : إن الخبر فى الآية محذوف تقديره : هَلَكوا ، قدَّره الزمخشرى بدلالة جواب الشرط عليه ، أى نُذيقهم من عذاب أليم ، فإنّ الآية هى ﴿ إنَّ الذين كفروا ويَصُدُّون عن سَبيلِ اللهِ والمسجدِ الحَرَامِ الذى جَعَلْناهُ للنّاس سَواءً العاكفُ فيه والبادِ ومَنْ يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظُلمٍ نُذِقْهُ مِن عذابٍ أليم [1] ﴾ ، وهى آية سورة الحج .

والعجب من ابن هشام فإنّه قال فى حذف الخبر من بحث المحذوفات من أواخر الباب الخامس ، بعد أنْ أوردَ البيت : وقد مرَّ البحث فى : ﴿ إنّ الذين كفَروا ويَصُدُّون عَن سَبيل الله ﴾ و ﴿ إنَّ الذَين كفروا بالذكر لمَّا جاءهُم [2] ﴾ مستوفىً ، مع أنّ الآية الأولى لم يمرّ لها ذكر ، ولا وقع له عنها بحث ( فى المغنى ) لا مستوفىً ولا غير مُستَوْفىً [3] .

٣٨٣

وأمّا الآية الثانية وهى آية حم فُصّلت ، فقد مرَّ منه البحث عنه مفصّلاً مستوفى فى المِثال الأوّل من أمثلة الجهة الرابعة .

وقوله : ( إنّ مَحَلاًّ ) إلخ المحلّ والمُرتحَل : مصدران ميميَّان بمعنى الحلول والارتحال ، أو اسمَا زمان ، أى وقت حلول ووقت ارتحال . والحلول بالمكان : النزول

(١) الآية ٢٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٤١ من سورة فصلت .

(٣) الحق أنه أوردَ طرفا من الآية لا دخل له فى البحث هنا ، وهو « ومن يرد فيه بإلحاد » وذلك فى فصل الباء المفردة وزيادتها مع المفعول .

به . والارتحال عنه : الانتقال عنه . وبالأوّل فسَّرها صاحب التلخيص . أى إنّ لنا فى الدنيا حُلولاً ، وإنّ لنا عنها ارتحالا . قال السَّعد : حذف المسند وهو هنا ظرف قطعاً ، لقصد الاختصار والعدول إلى أقوى الدليلين ، أعنى العقل مع اتّباع الاستعمال لاطراد الحذف [(١)] ، فى نحو : إنّ مالاً وإنَّ ولدا ، وإنَّ زيداً وإنَّ عمرا . وقد وضع سيبويه لهذا باباً فقال : هذا باب إنّ مالاً وإنَّ ولدًا . قال عبد القاهر : لو أسقطت إنَّ لم يحسُن الحذف أو لم يجزْ ، لأنَّها الحاضنةُ له والمتكفِّلة بشأنه ، والمترجمةُ عنه . وفيه أيضاً ضيقُ المقام والمحافظةُ على الشعر . انتهى .

وقوله : « أقوى الدليلين » : إلخ أشارَ إلى أنَّ قرينة الحذف فى البيت حاليّة ، بخلاف ما قبله من الأمثلةِ فإنَّ مقالتها لفظية . قال ابن يعيش : قولهم إنّ مالاً وإنّ ولداً وإنَّ عدداً ، كأنَّه وقع فى جواب : ألهُمْ مالٌ وولد وعدد ؟ فقيل : ذلك ، أىَ إنَّ لهم مالاً وإنّ لهم ولداً . ولم يُحتجْ إلى إظهاره لتقدُّم السؤال عنه .

وقول السَّعد : « وقد وضع سيبويه لهذا بابا فقال : هذا بابُ إنّ مالاً » أقول : ليست ترجمة الباب ما ذكره ، وإنمّا هى : « هذا باب ما يحسُن عليه السُّكوت فى هذه الأحرف الخمسة لإضمارك [(٢)] ما يكون مستقرًّا لها وموضعاً لو أظهرتَه . وليس هذا المضمر بنفِس المظهَر . وذلك إنّ مالاً وإنّ ولداً وإنّ عددًا ، أى إنَّ لهم مالاً » إلى آخر ما ذكره . وتقدير الخبر مقدّماً فى البيت وغيره إنمّا هو الأولَى ، وليس بواجبٍ ، لتنكير الاسم ، لأنَّ الإخبار عن النَّكرة فى باب إنّ جائز كما قاله ابن مالك ، وتبعه الشارح هنا .

وكأنّ ابن المُلاّ لم يمرَّ به هذا ، لأنّه قال ( فى شرح المغنى ) : وإنما جعل التقدير إنّ لنا حلولاً ، دون إنّ حلولاً لنا مع أنّه الأصل ، لِمَا أنَّ هذا الخبر لو ذُكر

---

(١) ط : « فالحذف » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « لإضمار له » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٨٣ .

لكان واجبَ التقديم لكون الاسم نكرة ، وكلُّ مقدَّر صناعةً إنّما يقدَّر فى الموضع الذى يليق به . هذا كلامه .

وقوله : ( وإنَّ فى السَّفْر ) هو جمع سافر ، قال صاحب الصحاح : سَفرتُ أسفِر سُفوراً : خرجت إلى السَّفر ، فأنا سافرٌ وقومٌ سَفْر مثل صاحب وصَحب ، وسُفّارٌ مثل راكب وركّاب . والسَّفَر ، بفتحتين : قَطْع المسافة . انتهى .

وإليه ذهب السعد فقال : السَّفر : جمع سافر . قال : والسَّفْر : الرِّفاقُ قد توغَّلوا فى المُضِىِّ لا رجوعَ لهم . ونحن على إثرهم عن قريب .

وقد غفل صاحب القاموس عن كلام الصّحاح فقال : السَّافر : المسافر ، ولا فعل له . وتبعه ابن المُلاّ فقال : السَّفْر اسمٌ مفرد وُضع لمعنى الجمع عند سيبويه ، بدليل تصغيره على لفظه ، فهو اسمُ جمعٍ لسافر بمعنى مسافر ، لا فعلَ له كما نصَّ عليه صاحب القاموس ، أو جمعٌ مكسرٌ له عند الأخفش . وهذا الخلاف جارٍ فى كل ما يجىء من تركيبه اسمٌ يقع على الواحد كصاحب من صحب ، وراكب من ركب ، بخلاف نحو غَنَم ورَهْط ، فإنّه اسم جمعٍ اتّفاقا . والسافر : الخارجُ إلى السَّفَر . والسَّفْر : الخارجون إليه . هذا كلامه .

٣٨٤

وإنمّا قدَّر الشارح المحقِّق مضافا قبل السَّفْر تبعا لابن يعيش ، ليصحَّ الحمل ؛ فإنَّ الظرف خبر عن قوله : مَهَلا بفتحتين . قال ابن يعيش : يقول : فى رحيلِ مَنْ رحلَ ومَضَى مَهَلٌ ، أى لا يرجع . والمَهَل : السَّبْق [(١)] . انتهى .

---

(١) فى اللسان : « قال الجوهرى : المهل بالتحريك : التؤدة والتباطؤ » . وفيه أيضا : « والمهل والتمهل : التقدم . وتمهل فى الأمر : تقدم فيه » . وفيه كذلك : « وفلان ذو مَهَل ، أى ذو تقدم فى الخير ، ولا يقال ذلك فى الشر » .

ومجيئه بهذا المعنى معروفٌ . قال السكرى ( فى شرح ديوان الأخطل ) عند قوله فى عبد الله بن معاوية (١) :

قَرْمٌ تمهَّلَ فى أُميَّةَ لم يكُنْ فيها بذى أُبَنٍ ولا خَوَّارِ (٢)

المَهَل : السَّبْق والتقدُّم . والأُبَن : العُقَد تكون فى العود . والخَوَّار : الضعيف .

ولم يُذكر هذا المعنى فى الصحاح ولا فى القاموس ، إلاّ أنّه فيه : المهل : التقدُّم بالخير . وأراد بالسَّبْق والفوت عدمَ الرجوع . وسبقهما الأعلم قال : أراد بالسَّفْر مَنْ رحَلَ من الدنيا . فيقول : فى رحيل من رحل ومضى مَهَلٌ ، أى لا يرجع . انتهى .

وذهب ابن الحاجب ( فى أماليه ) إلى أنَّ المهل فيه بمعنى الإمهال والتأنّى . قال : معناه أنَّهم يقولون إنّ لنا محَلاًّ فى الدنيا وارتحالاً بالموت ، وإنّ فى مُضىٍّ مَنْ قَبْلَنا ، يعنى موتَ من يموت ، مهلةً لنا ، لأنَّا نبقى بعدَهم ، وهو معنى الامهال .

وتبعه ابن هشام ( فى المغنى ) فقال : أى إنَّ لنا حُلولاً فى الدنيا وارتحالا عنها إلى الآخرة ، وإنّ فى الجماعة الذين ماتوا قبلَنا إمهالاً لنا ، لأنَّهم مضَوْا قبلنا وبَقِينا بعدهم .

قال ابن الحنبلى ( فيما كتبه على المغنى ) : فيه تنبيهٌ على أنَّ المهلَ هو الإمهال المتعدِّى بمعنى الإنظار .

---

(١) عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان ، قال الطبرى ٥ : ٣٢٩ : « وكان عبد الله محمقا ضعيفا » .

(٢) ديوان الأخطل ٧٨ . والقرم ، بالفتح : السيد ، وأصله للفحل الكريم . وفى ط : « قوم » ، صوابه فى ش والديوان . وقبل البيت :

لأَحَبِّرَنْ لابن الخليفة مِدحة ولأقذفــنَّ بها إلى الأمصار

ولم أر فى كتب اللغة مَهَلته مَهْلاً بالفتح : أنظرته . ولكن مَهَلَ مَهْلاً بالفتح : ضدُّ عَجِل . وأمهلته : أنظرته . وفى الحديث : « إذا سِرْتم إلى العدُّو فمَهْلاً مَهْلاً ، وإذا وقعت العَين على العين فمَهَلاً مَهَلا » (١) . فالأوَّلانِ بالسكون بمعنى التأنى ، والآخِرانِ بالفتح بمعنى التقدُّم . أى إذا سِرتم فتأنَّوْا ، وإذا لقيتم فاحملوا . انتهى .

ونقل ابن المُلاّ عن أبى عبيدة أنّه قال : المعنى : إنَّ منّا مقيماً وإنّ منَّا مُسافرا ، وإنَّ فى السَّفْر إذا مَضَوْا مهلا ، أى ذَهاباً لا يرجعون بعده . ويجوز أن يكون مَهَلا بمعنى عِبرة . يريد : إنّ فيمن مات عبرةً للأحياء . وإذْ هنا ظرفٌ عاملُه ما بعده .

وظاهر كلام ابن الحاجب السابق أنّها بدل من قوله « فى السفر » . وقيل : هى للتعليل هنا . وهل هذه حرف بمنزلة لا م العلّة ، أو ظرفٌ والتعليل مستفادٌ من قوة الكلام لا من اللفظ ؟ قولان .

قال ابن هشام ( فى المغنى ) : وممَّا حملوه على التعليل هذا البيت . انتهى .

ورواية سيبويه :

* وإنّ فى السَّفْر ما مضَى مَهَلا *

وعليها يكون السَّفْر مفرداً وصفا كصَعْب ، بمعنى المسافر . قال فى القاموس : يقال رجل سَفْر .

ورُوِى فى كتابه أيضا :

---

(١) رواه الزمخشرى فى الفائق ( مهل ) من حديث على ، وفسره بنحو من هذا . وأورده ابن الأثير بعده فى النهاية من حديث على أيضا ، وفسره بتفسير الفائق وزاد بعده : « أى إذا سرتم فتأنوا ، وإذا لقيتم فاحملوا . كذا قال الأزهرى وغيره » . وهو من كلام على رضى الله .

* وإنّ فى السَّفر ما مضَى مثلا *

قال الأعلم : أى فيمن مضى مثَلٌ لمن بَقِىَ ، أى سيفنَى كما فنىَ هذا .

صاحب الشاهد — والبيت مطلع قصيدةٍ للأعشى ميمون ، مدح بها سلامةَ ذا فائشٍ الحميرىَّ. وبعده :

أبيات الشاهد
أستأثَرَ اللهُ بالوفــاء وبالــ ـعَدْلِ وولَّى الملامَـة الرَّجُـلا

إلى أن قال :

٣٨٥
أصبحَ ذو فائشٍ سَلامَةُ ذو التَّفـ ـضال هشًّا فؤادُه جَذِلا
أبلـجُ لا يرهبُ الهُـزالَ ولا ينقُضُ عهداً ولا يخون إلا (١)
يا خيرَ مَنْ يركب المطىَّ ولا يَشْرَبُ كأساً بكفِّ مَنْ بَخِلا
قلّدتُك الشِّعَر يا سلامةُ ذا الـ ـتَّفضالِ والشِّعرُ حيثُما جُعِلا (٢)
والشِّعرُ يَستنزِلُ الكريمَ كما اسـ ـتَنزَلَ رَعْدُ السَّحابة السَّبَلا (٣)

روى صاحب الأغانى بسنده إلى سِمَاك بن حرب ، أنَّ الأعشى قال : أتيتُ سلامةَ ذا فائشٍ وأطلتُ المُقامَ ببابه ، حتَّى وصلتُ إليه بعد مدّة ، وأنشدتُه هذه القصيدةَ ، قال : صدَقت ، الشعرُ (٤) حيثُما جُعِل . وأمر لى بمائةٍ من الإبل ، وكسانى حُللاً ، وأعطانى كرِشاً مد بوغة [ مملوءةً ] (٥) عنبرا ، فبعتها بالحِيرة بثلثمائة ناقةٍ حمراء .

---

(١) وفى ديوان الأعشى ١٥٧ واللسان ( ألا ٤٦ ) :

أبـيض لا يرهب الهزال ولا يقطــع رحما ولا يخون إلا

والإلى : واحد آلاء الله أى نعمه ، ويجوز أن يكون مخففا من الإل الذى هو العهد .

(٢) فى الديوان : « والشىء » . وفى الأغانى ٨ : ٨٢ : « الشعر قلدته سلامة ذا فائش والشىء » .

(٣) السبل ، بالتحريك : المطَر والقطر .

(٤) فى الأغانى : « الشىء » مطابقا لما ورد فى إنشاده للبيت .

(٥) التكملة من ش والأغانى .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [١] .

واستأثر الله بكذا ، أى اختصَّ به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الثمانمائة [٢] :

**٨٨٢** ( خَلَا أنَّ حيًّا من قُرَيشٍ تفَضَّلُوا      على النَّاس أو أنَّ الأَكارِمَ نَهشلا )

على أنَّ هذا البيت يردُّ على الكوفيين فى اشتراطهم لحذف الخبر تنكيرَ الاسم ، وعلى الفراء فى اشتراطه تكرير أنّ ، فإنَّه حذف خبر أنّ المفتوحة الهمزة الثانيةِ ، وبدَلالة ما قبله ، تقديره : تفضَّلوا . واسمها معرفةٌ وهى غير مكرّرة . وأمّا أنّ الأُولى المفتوحة الهمزة أيضا فخبرها مذكور .

وقول الشارح : « وقال الشاعر » معطوف على قوله : « رُوى أنَّ المهاجرِينَ قالوا : يارسول الله [٣] » إلخ .

قال ابن جنى ( فى باب شجاعة العربية من الخصائص [٤] ) : قد حُذِف خبر أنّ مع النكرة خاصّة نحو :

* إنّ محلاًّ وإنَّ مُرْتَحلاَ *

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ – ١٧٨ .

(٢) المقتضب ٤ : ١٣١ والخصائص ٢ : ٣٧٤ وابن الشجرى ١ : ٣٢٢ وابن يعيش ١ : ١٠٤ والمقرب ١ : ١٠٩ . وليس فى ديوان الأخطل .

(٣) تمامه فى شرح الرضى ١ : ٣٢٧ : « قالوا : يا رسول الله ، إن الأنصار نصرونا ووصلونا وآوونا وفعلوا بنا . فقال عليه السلام : ألستم تعرفون ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . فقال عليه السلام : إن ذلك » .

(٤) يعنى بذلك الحذف ، والزيادة ، والتقديم والتأخير ، والحمل على المعنى ، والتحريف . الخصائص ٢ : ٣٦٠ .

وأصحابنا يجيزون حذف خبَرِ إنّ مع المعرفة ، والكوفيُّون يأبَوْن حذف خبرها إلاَّ مع النكرة . فأمَّا احتجاج أبى العباس عليهم بقوله :

خَلاَ أنّ حيًّا من قريشٍ تفضّلوا على النّاس أو أنَّ الأكارمَ نهشَلا

أى وأنَّ الأكارم نهشلا فضلوا [1] . فقد قال أبو على : هذا لا يلزمهم ، لأنّ لهم أن يقولوا : إنمَّا منعْنا [ حذف [2] ] خبرِ المعرفة مع إنّ المكسورة ، فأمَّا مع أنّ المفتوحة فلا نمنعه [3] . قال : ووجه فَصْلهم فيه بين المكسورة والمفتوحة أنَّ المكسورة حُذف خبرها كما حُذف خبر نقيضِها ، وهو قولهم : لا بأس ولا شكّ ، أى عليك ، وفيهِ . فكما أنَّ لا تختصُّ بالنّكرات [4] فكذلك إنمّا يشبهها نقيضتها فى حذف الخبر مع النَّكرة أيضا . انتهى .

وقد أجرى الخلافَ بين البصريِّين والكوفيين ولم يُجرِ للفرَّاء ذكراً ، وأفاد أنَّ أو بمعنى الواو ، وخلا من أدوات الاستثناء ، وأنَّ فى الموضعين مفتوحة .

و ( الحىّ ) : القَبيلة . وكأنَّه أراد بتنكيره بنى هاشم . و ( من قُريشٍ ) صفة لحىّ . و ( تفضّلوا ) خبر أنّ . ومعناه رَجَحوا على النّاس بالفَضْل والمزيَّة . و ( الأكارم ) : جمع أكرم . و ( نهشلا ) بدل من الأكارم . ونَهشل هو أبو قبيلة ، وهو نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . كذا فى الجمهرة .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه ابن يعيشَ إلى الأخطل . وله فى ديوانه قصيدةٌ على هذا الوزن والروىّ ، ولم أجده فيها . والله أعلم .

---

(١) فى الخصائص ٢ : ٣٧٤ : « أى أو أن الأكارم نهشلا تفضلوا » .

(٢) التكملة من ش والخصائص .

(٣) فى الخصائص : « فلن تمنعه » .

(٤) فى الخصائص : « تختص هنا بالنكرات » .

وكذا نسبه ابن الشجرى ( فى أماليه ) إلى الأخطل وقال : أراد : أوْ أنَّ الأكارم نهشلا تفضَّلوا على النـاس . والبيت آخر القصيـدة . ٣٨٦ هذا كلامُه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [1] :

**٨٨٣** ( ليتَ شِعْرِى مسافرُ بنَ أبى عَمْـ ـرٍو وليتٌ يقولُها المحزونُ )

على أنَّ الاستفهام بعد ( ليت شعرى ) قد يحذف ، كما فى البيت ، وتقديره : ليت شعرى أنجتمع أمْ لا .

وهو فى هذا تابعٌ لابن الحاجب ( فى شرح المفصل ) ؛ وهو مبنىٌّ على رواية صاحب الأغانى والسُّهيلى لهذا الشعر ، فإنَّهما روَيا بعده :

( بُورِكَ الميِّت الغريبُ كما بو رِكَ غُصنُ الرَّيحانِ والزَّيتونُ )

وليس فيه استفهام . وأما على رواية أبى هِفَّان عبد الله بن أحمد المِهزمىّ [2] ، فإنَّ بعده :

( أىُّ شىءٍ دَهاكَ أم غالَ مَرآ كَ وهل أقدمَتْ عليكَ المنونُ [3] )

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣٢ . وانظر الأغانى ٨ : ٤٨ والروض الأنف ١ : ١٠٢ وديوان أبى طالب ٧ مخطوطة الشنقيطى .

(٢) هو راوى ديوان أبى طالب نسخة الشنقيطى ٣٨ أدب ش بدار الكتب المصرية .

(٣) ديوان أبى طالب الورقة ٧ . وفى الديوان : « أو غال مرآك » .

فهذا هو الاستفهام الذى يأتى بعد ليت شعرى ، فلا حذف فيه . غايته أنَّه فصل بينهما باعتراضٍ بجملتين : إحداهما : مُسافرَ بنَ أبى عمرٍو ، والثانية : وليتٌ يقولها المحزون . وكأنَّهما لم يقفا عليه .

وقول الشارح المحّقق : « ومسافر منادى » يعنى أنّه مبنى على الضم . ويجوز فتحه لوصفِه بابن لأنّ ابناً مضاف إلى ما هو كالعَلم لشُهرته به .

قال النحاس : مسافر نداء ، وهو مضموم فيما قرأتهُ على أبى إسحاق . وقد قيل إنّه مفتوح كما تقول : يا زيدَ بنَ عبد الله . انتهى .

ومراده الردُّ على الأعلم الشنتمرى . من وجهين ، فإنّه قال : نصب مسافر على معنى شِعرى خبر مسافر ، أى ليتنى أعلم خبره ، فحذف الخبر المنصوب بالمصدر ، وأقام مسافر مُقامه . ويجوز رفعُه على خبر ليت . انتهى .

ولغَفلتِه عن كونه منادى توهّم الفتح أنّه مفعول شعرى على حذف مضاف . وفيه غفلةٌ أخرى عن أنَّ مفعول شعرى هنا إنمّا يكون جملة استفهام ، وتوهَّم الضمَّ أنّه خبر ليت . وفيه غفلة أخرى عن أنَّ خبرها يكون واجبَ الحذف .

وقول الشارح : « وهذا الاستفهام مفعول شعرى » إلخ هذا التحقيق لابن جنّى كما يأتى .

وقوله أيضا : « وقال المصنف : الاستفهام قائم مقام الخبر » هذا القول ليس له ، وإنمّا هو تابع . قال المرادى ( فى شرح التسهيل ) وغيرُه : وذهب المبِّرد والزجاج إلى أنَّ جملة الاستفهام هى الخبر ، وموضعها رفع ، وشعرى ملغًى . ورُدَّ بأنَّ الطلب لا يكون خبراً لليْتَ ، وبأنَّ الجملة لا رابطَ فيها . ونسبه ( فى الإفصاح ) إلى سيبويه قال : وتحقيقه أنّ شِعرى بمعنى مشعورى ، فالجملة نفس المبتدأ ، فلا يحتاج إلى رابط . انتهى .

قال الدماميني ( فى شرح التسهيل ) بعد نقل هذا : قلتُ : ينبغى أن يكون أصل التقدير : ليت مشعورى جوابُ هل قام زيد ، فالجملة مرادٌ بها لفظها ، أى جوابُ هذا اللفظ ، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . والمعنى : ليت معلومى قيامُ زيد أو عدُم قيامه ، لأنّ أحد هذين الأمرين جواب الاستفهام ، فلو لم يُعتبر هذا الحذفُ لم يستقم ظاهراً . انتهى .

وقوله أيضا : « وقال ابن يعيش الاستفهام سادٌّ مَسدَّ الخبر » ، هذا أيضاً ليس لابن يعيش ، وإنّما هو لغيره . قال ابن جنّى عند قول الحماسى [١] :

ليتَ شِعرى ضَلَّةً أىُّ شىٍء قَتَلَكْ

٣٨٧ اعلم أنّ خبر ليت فى نحو هذا محذوف ، وصار طول الكلام بمفعول شعرى نائباً عن خبر ليت . وذلك أنّ قوله : أى شىءٍ قتَلَك جملةٌ استفهاميّةٌ منصوبةُ الموضع بشعرى ، الذى هو مصدر شَعَرت . تقول : شعرت به شِعرةً ، فهى فِعلة كالدِّرْية [٢] ، والفِطْنة ، غير أنّ الهاء حذفت مع الإضافة ، كقولهم : هو أبو عُذْرها وإنما هى العُذْرة . قال :

دماؤهــم ليس لها طالبٌ مَطلولـةٌ مثـل دمِ العُـذرَهْ

فهو كقولك : ليتنى أشعر أى شىء قتلك ، كقولك : قد علمت أىُّ شىء قتلك ، والخبر محذوف تقديره : ليتَ شعرى أىّ شىء قتلك واقعٌ أو كائنٌ ، أو نحو ذلك . فحُذِف الخبر وصار طول الكلام بمعمول شعرى بدلاً فى اللفظ منه ، وساداً بطولِه مسدَّه . وانتصب ضَلَّة بما دلّ عليه ليت شعرى : ألا ترى أنّه إذا

---

(١) نص ابن جنى التالى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣٥ .

(٢) وكذا فى ش مع أثر تصحيح . والدرية ، بالياء المثناة : الدراية والعلم . يقال درى الشىء دَريا ودِريا ، بالفتح والكسر ، ودرية بالفتح والكسر أيضا ، ودراية ككتابة ، ودِرْيانا ككتمان . وفى ط : « كالدربة » تحريف ، وهى بالضم لا غير بمعنى العادة والتجربة .

تمنّى عِلْمَ الشّئ فقد اعترف بضَلاله عنه . والتقدير : ضللتُ عن معرفةِ قاتِلكَ ضَلَّة (١) . انتهى .

فصاحبُ هذا القول اعترَف بحذف الخبر لِطول الكلام (٢) بجملة الاستفهام ، وجملةُ الاستفهام نائبةٌ عن الخبر ، فورد عليه ما ذكره الشارح المحقّق .

فإن قلت : أليس هذا مثل ضربى زيداً قائماً ، فإنّ الحال سدَّت مسد الخبر كما ذكره الشارح قبلُ بأسطر ، وهى من جملة ذُيول المصدر ؟

قلتُ : الخبر يقدَّر قبلها ، وليست حالاً من زيد . والتقدير عند سيبويه والجمهور : ضربى زيداً إذا كان قائما ، فالخبر زمانٌ مضاف إلى فعل صاحِبها المستتر فى كان . وعند الأخفش : ضربى زيداً ضربُه قائما . فالخبر ضربه المحذوف ، وصاحبها الهاء . فليست الحال فى التقديرين من ذيول المصدر المذكور . فظهر وجه اعتراض الشارح المحقق .

هذا . وقد أورد سيبويه البيتَ فى باب تسمية الحروف والكلم التى تُستعمل وليست ظروفاً ولا أسماءً ولا أفعالا .

قال الأعلم : الشاهد فى إعراب ( ليتٌ ) وتأنيثها ، لأنَّه جعلها اسماً للكلمة وأخبر عنها كما يُخبَر عن الاسم المؤنَّث .

صاحب الشاهد

والبيتان المذكورانِ أوّلاً من تسعةِ أبياتٍ لأبى طالبٍ عمِّ النبى ﷺ ، رثى بها مُسافراً المذكور. وبعدهما :

---

(١) جعل الضلال هنا لنفس الشاعر . لكن فى تفسير المرزوقى ٩١٥ : « وهذا الضلال يجوز أن يكون لنفسه فيما استبهم عليها من حال المتوفى ، كأنه ضل عن العلم ضلة ، ويجوز أن يكون للمتوفى نفسه . كأنه عد غيبته وخفاء أمره ضلالا له . والمعنى : تمنيت أنى أعلم أى شيء أهلكك ، وهذا لضلالى عن معرفة حالك وذهابى عن العلم به . هذا على الأول . وعلى الثانى يكون المعنى : ما الذى قتلك حتى ضللت هذا الضلال » .

(٢) ط : « بطول الكلام » ، صوابه فى ش .

أبيات الشاهد

( أنا حامِيكَ مثلُ آبائىَ الزُّهـ ـرِ لآبائك التى لا تَهُـونُ
مَيْتَ صِدْقٍ على تَبالةَ أمسيـ ـتَ ومِنْ دُونِ مُلتقاك الحَجُونُ
بُورِكَ الميِّتُ الغـريبُ كما بو رِكَ نَضْحُ الرُّمَّـان والزيتـونُ
كنتَ لى عُدَّةً وفوقَك لافَوْ قَ فقد صرتَ ليس دونَك دون[1]
كانَ منك اليقينُ ليس بشافٍ كيفَ إذْ رجَّمتك عِندى الظُّنونُ
كنتَ مولىً وصاحباً صادق الخُبـ ـرة حقًّا وخُلّـةً لا تخونُ[2]
فعليكَ السَّلامُ منِّـى كثيراً أنفدَتْ ماءَها عليك الشُّئونُ )

هذا ما فى ديوان أبى طالب . وروى صاحب الأغانى ما بعد البيت الأوّل كذا :

( رجَعَ الركبُ سالِمينَ جميعاً وخَلـيلى فى مَرمسٍ مدفـونُ
بُورِكَ الميِّت الغـريبُ كما بو رِكَ غُصنُ الرَّيحانِ والزَّيتـونُ[3]
ميتُ صدقٍ على تَبَالَةَ قَدْ حا لت فيافٍ من دونه وحُزونُ[4]
مدرهٌ يدفـع الخصوم بأيـدٍ وبوجـهٍ يزينـه العِرنيـنُ
كم خليـلٍ رُزِئتُهُ وابـنِ عمّ وحَميمٍ قَضَتْ عليه المنونُ[5]
فتعزَّيت بالتـأسِّ وبالصَّبْـ ـرِ وإنِّى بصاحبى لَضَنِينُ

٣٨٨

---

(١) ط : « لى مرة » ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٢) الخبرة ، بالضم والكسر : العلم ، والاختبار أيضا .

(٣) الذى فى الأغانى ٨ : ٤٨ : « نضح الرمان والزيتون » .

(٤) فى النسختين : « على تبالة » ، صوابه فى الأغانى ومعجم البلدان ( هبالة ) حيث ذكر قصة موت مسافر بهبالة ، وهى بالضم ماء من مياه بنى نمير . وفى الأغانى : « بيت صدق على هبالة » ، وفى معجم البلدان : « ميت ذرء على هبالة » ، هذه محرفة .

(٥) فى النسختين : « كم خليل يزينه » ، تحريف ، صوابه فى الأغانى . ورزئته : أصبت به وفقدته . والرزء : المصيبة .

ونسب السُّهيليُّ هذا الشعر لأبى سفيان [١] ، وأورد بعد البيت الأول :
بورك الميت الغريب إلخ وقال : قاله فى مسافر بن أبى عَمرٍو بن أميَّة ، واسم أبى عمرو ذَكْوان ، وكان مسافرٌ مات فى حُبِّ صعبة بنت الحضرمىّ .

وهذا بخلاف ما أورده [٢] صاحبُ الأغانى ، قال : إنَّ مسافر بن أبى عمرٍو كان من فتيان قُريشٍ جمالاً وسخاء وشعراً ، عشِق بنتَ عُتبة بنِ ربيعةَ ، فعشقته واتُّهم بها ، فحملت منه فلما بان حملُها أو كاد قالت : اخرُجْ . فخرج حتَّى أتى الحيرة . ثمّ إنّه لقى أبا سُفيان فسأله عن حال قريشٍ والناسِ فأخبَره ، وقال فيما قاله : وتزوَّجتُ هندَ بنتَ عتبة . فدخَله من ذلك ما أعلّه حتّى استسقى بطنُه ، فدُعِىَ له بالأطبَّاء فقالوا : لا دواءَ له غير الكىّ ! فأُحمى الذى يُعالجه المكاوِىَ ، فلما صارتْ كالنار قال : ادعُ أقواماً يُمسكونك . فقال مسافر : لست أحتاج إلى ذلك . فجعلَ يضعُ المكاوِىَ عليه ، فلما رأى جَلَدهُ ضرَط الطَّبيبُ فقال مسافر : « العَير يَضرِطُ والمِكواةُ فى النَّار ! » ، فذهبت مَثَلا . فلم يزدد إلاّ ثِقَلا ، فخرج يريد مَكَّة ، فلَّما انتهى إلى موضعٍ يقال له هُبَالة [٣] مات فدُفن بها ونُعِىَ إلى قريش ، فقال أبو طالب هذا الشّعر .

وقال النَّوفلى فى خبره : وحدَّثنى أنَّه إنَّما ذهب مسافرٌ إلى النعمانِ بن المنذر يتعرَّض لإصابة مالٍ يَنكح به هندًا ، فأكرمه النُّعمان واستظرفَهُ ونادمَه ، وضَربَ عليه قُبَّةً من أدَم ، وكان الملك إذا فعل ذلك برجلٍ عُرِف قدرُه منهُ ومكانُه عنده . وقدم أبو سفيانَ بنُ حربٍ فى بعض تجاراته فسأله مسافرٌ عن حال النَّاسِ بمكّة ، فذكر أنَّه تزوَّج هنداً ، فاضطرب مسافرٌ واعتلّ حتَّى مات . قال بعض الناس : إنّه استسقَى بطنُه فكُوِىَ ، فمات بهذا السبب .

---

(١) الروض الأنف ١ : ١٠٢ . وفيه : « من حب صعبة بنت الحضرمى » .
(٢) ط : « ما رواه » . والخبر فى الأغانى ٨ : ٤٧ – ٤٨ .
(٣) فى النسختين : « تبالة » ، وهو تحريف كما سبق التنبيه عليه . وصوابه من الأغانى .

ثم أورد صاحبُ الأغانى حكايةَ هندٍ بنت عُتبة وطلاقِها من زَوجها الفاكِهِ ابن المغيرة ، وتزوُّجِها بأبى سُفيان . انتهى .

وكذا أورد الحكايةَ المفضَّل بن سَلَمَةَ ( فى كتاب الفاخر [١] ) قال : رَوَى أبو الحسن الدِّمشقىُّ أنَّ مسافرَ بن أبى عمرِو بن أميّة بن عبد شمس ، كان يهوَى هندًا بنت عتبة ، وكانت تهواه ، فقالت له : إنّ أهلِى لا يزوِّجوننى منكَ لأنَّك مُعسِر ، فلو وفَدْتَ إلى بعض الملوك لعلَّك تُصيبُ مالاً . فرحل إلى الحِيرة وافداً إلى النعمان ، فبينا هو مقيمٌ عنده . إذْ قدم عليه قادمٌ من مكة فسأله عن خبر أهل مكّة بعدَه ، فأخبره بأشياءَ كان فيها أنّ أبا سفيان تزوَّج هنداً . فطُعِن من الغمّ ، فأمر النُّعمانُ به أن يُكوَى ، فأتاه الطبيبُ بمكاويه فجعلَها فى النار ، ثم وضع مِكواةً منها عليه ، وعلجٌ من علوج النُّعمان واقف ، فلما رآه يُكوَى ضَرط فقالَ مسافر : « قد يضرِطِ العَير والمكواة فى النار ! » . ويقال إنّ الطبيب ، ضرط . انتهى .

وأثنى عليه الزبير بن بكار فى أنساب قريش ، قال : كان أزواد الركب من قريش ثلاثة : مسافر بن أبى عمرو بن أمية ، وزَمَعَة بن الأسود بن المطلَّب بن أسد ابن عبد العُزّى ، وأبو أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بنِ مخزوم [٢] وإنمّا قيل لهم أزواد الركب لأنّهم كانوا إذا سافرُوا لم يتَزَوَّد معهم أحد . ٣٨٩

وقوله:« أىُّ شىءٍ دهاك » مِن دهاه الأمْرُ يَدهاهُ دَهْياً ، إذا نزلَ به مالا يُطيق دفعَه ، بغتة . ومنه الداهية ، وهى النائبة والنازلة . وغاله غَوْلاً ، إذا أهلكه على غفلة . والاسم الغِيلة [٣] بالكسر . والمرأى بفتح الميم : المنظر الحسن . والمنون ، بفتح الميم : الموت .

(١) فى النسختين : « المفاخر » تحريف . وانظر الفاخر للمفضل بن سلمة ٧١ — ٨٢ ، ١٥٥ .

(٢) فى النسختين : « عمرو » ، صوابه من جمهرة ابن حزم ١٤١ — ١٤٢ وسائر كتب النسب .

(٣) ط : « القلة » صوابه فى ش .

وقوله : « أنا حاميك » إلخ حَماه يَحمِيه ، إذا دفع (١) عنه ما يكرُه من سُوء المقال . والزُّهْر : جمع أزهر ، وهو الأبيض ، يريد به النقىَّ من الذمّ والعيب . واللام بمعنى مِنْ أجْل . وتَهُون : مضارع هان هُوناً (٢) بالضم ، إذا ذلّ وحقُر . والمَهَانة : الذُّلّ والضَّعف .

وقوله : « مَيْت صِدقٍ » إلخ قال الصاغانى : كلّ ما نسب إلى الصَّلاح والخيْر أضيف إلى الصِّدق فقيل رجلُ صِدق وصَديقُ صِدقٍ . قال تعالى : ﴿ ولقد بوَّأْنَا بنى إسرائيلَ مُبَوَّأً صِدقٍ (٣) ﴾ ، أى أنزلناهم مُنزَلاً صالحا . وتَبَالة بفتح المثناة الفوقية بعدها موحّدة : اسم قريةٍ بالطائف . وقال أبو هِفّان : تبالةُ عُرْضٌ من أعراض مكة . وأمسيتَ بالخطاب . والحَجُون ، بفتح الحاء المهملة وضم الجيم : جبلٌ مشرف بمكة .

وقوله : « بورك الميِّت » إلخ جملة دعائية . والبرَكة : الزيادة . والنَّضْح بفتح النون وسكون الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة ، قال أبو هفان : النضح : القليل ، والنضخ:الكثير . فى الصحاح : الأصمعىّ : نضح الشجرُ ، إذا تفطَّر ليخرج ورقُه . وأراد به اسم المفعول ، أى الفروع المنشقَّة عندما يخرج . والزَّيتون معطوف على نضح .

وقوله : « كان منك اليقينُ » إلخ قال أبو هِفّان : يقول : لا أصدِّق باليقين فى موتك ، استعظاماً لموته . ورجَّمتك بتشديد الجيم : مبالغة رَجَمه بالغيب ، أى ظنّ فيه من غير دليل .

---

(١) ش : « دافع » .

(٢) ط : « مضارع وهن » ، تحريف . وفى ش : « مضارع هونا » ، وفيه نقص ، والصواب ما أثبت .

(٣) الآية ٩٣ من سورة يونس .

وقوله : « كنت مولىً » إلخ قال أبو هِفّان : المولى : ابن العم . والخُلَّة بضم الخاء المعجمة : الصديق ، وأصله المصدر ، أُطلق مبالغة .

وقوله : « فعليك السَّلام » إلخ هذا سلامُ مودِّع . وأنفدَتْ بالدال المهملة ، بمعنى أفنت . وماءَها مفعول مقدَّم . والشُّئُونُ : مَواصِلُ قبائل الرأس ومُلتقاها ، ومنها تجيءُ الدموع . وقوله فى الرواية الثانية : « فى مَرمسٍ مَدفون » المرمس ، كالمدفن وزناً ومعنى .

وقوله : « مِدرهٌ يدفع » إلخ المِدره بكسر الميم وآخره هاء ، قال الجوهرى : درَهتُ عن القوم : دفعت عنهم ، مثل درأت ، وهو مُبدَل مِنه . والمِدره : زعيم القوم والمتكلِّم عنهم . والأيدِى : جمع يدٍ ، وهى القُوَّة .

ومسافرٌ المذكور ماتَ فى الجاهلية . وتقدَّمت ترجمة أبى طالب فى الشاهد الحادى والتسعين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

( فإنّ شفاءً عبرةٌ مهَرَاقة )

على أنَّه يجوز فى باب إنّ الإخبارُ عن نكرة بنكرة ، كما فى هذا المصراع . وتمامه :

( فهل عندَ رسمٍ دارسٍ من معوَّلِ )

وتقدّم شرحُه مفصّلاً فى الشاهد الحادى والأربعين بعد السبعمائة (٢) .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٧٥ . وفى ش : « الواحد والتسعين » .
(٢) الخزانة ٩ : ٢٧٧ — ٢٨١ .

وأنشد بعده :

( أظَبْىٌ كان أُمَّكَ أم حِمارُ )

على أنّه يجوز فى باب كان الإخبارُ عن النكرة بالمعرفة ، كما فى هذا المصراع . وهو عجزٌ ، وصدره :

( فإنَّكَ لا تُبالي بَعْدَ حَولٍ )

وتقدَّم شرحُه هناك فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة (١) .

* * *

٣٩٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٨٤ ( فليتَ كِفَافاً كانَ خيرَك كلَّه وشَرَّكَ عنِّى ما ارتوَى الماءَ مُرتوِى )

على أنّه يجوز أن يكون ( كِفافاً ) اسم ليت ، وجملة كان خبرها ، واسمها الضمير المستتر فيها الراجعُ إلى كِفاف ، وخبرها خَيْرَك بالنصب ، فيكون اسم كانَ أيضاً نكرة كاسم ليت لكونه راجعا إلى كِفاف . وهذا كما قدَّمه فى باب النكرة والمعرفة ، وفى باب كان : أنَّ الضمير العائدَ إلى نكرة نكرة .

وهذا مذهبُ بعض النحويِّين . وعند الجمهور معرفة مطلقا .

وقد تكَّلم على هذا البيت أبو على ( فى تذكرته ) ، وتلميذه أبو طالبٍ العبدىُّ ، وابن الشجرى ( فى مجلسين من أماليه ) ، ولخّص منها ابنُ هشام ( فى المغنى ) ، وابن الحاجب ( فى أماليه ) ، وأبو حيان ( فى تذكرته ) وغيرهم . ولم يذكر

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٢ — ١٩٧ .

(٢) حماسة البحترى ٢٢٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ والإنصاف ١٨٤ والمغنى ٢٨٩ والأشباه والنظائر ٤ : ١٣١ .

أحدٌ منهم رواية نصب خيرك إلاّ ( صاحب اللباب ) ، قال فيما علَّقه عليه : ذكر عبدُ القاهر فى هذا البيت وجهاً آخر يُخرِجُه عمَّا نحن فيه من إضمار الشَّأن : أنّ كفافاً اسم ليت ، وفى كان ضميره ، وخيرك منصوب بالخبرية . وكذا « شرَّك » على معنى : فليت شيئاً مكفوفا كان هو خيرَك كلَّه وشرَّك . انتهى .

وأفاد فائدتين : إحداهما : أنّ قوله وشرَّك منصوبٌ فى رواية نصب خيرك .

والثانية : أنّ كِفافاً مصدر مؤوَّل باسم المفعول على تقدير موصوف .

و ( فى مسائل الخلاف لابن الأنبارىّ ) ما يشير إلى رواية النَّصب أيضاً ، ولكنَّ المعنى عليها يكون على القلب ، كما يشهد به الذَّوق السليم . وعلى هذه الرواية يكون عنِّى متعلِّقا بمحذوف على أنّه حال من شرّ ، أى حال كونه منفصلا عنّى . ولا يجوز أن يتعلَّق بالضمير فى كان العائدِ على كِفاف ، كما ذكروا أنَّ الظرف يتعلَّق بالضمير فى قوله :

وما الحربُ إلاّ ما علمتم وذُقتُمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ[1]

ولا بِكفاف المذكور أيضاً ، لأنَّ المبتدأ لا يعمل بعد مضىٍّ خبره ، ويكون مرتوى فاعل ارتوى ، والماء منصوب بنزع الخافض ، وما مصدريَّة ظرفية ، أى مدَّة دَوَامِ المرتوِى بالماء .

وقول الشارح المحقق : وإنْ رُوِىَ برفعه أى برفع خيرِكَ ، فاسم ليت ضمير شأن محذوف . وهذا على ما تقدَّم منه قريبا من أنّ أسماء هذه الحروف لا يجوز حذفُها فى الشِّعر إلاّ إذا كانت ضمائر الشأن . وهو مذهب صاحب اللباب ، قال : ولا يُحذف اسمُها إلاّ إذا كان ضمير الشأن . وكذا قال ابن الحاجب ( فى أماليه ) على هذا البيت .

(١) البيت لزهير فى معلقة . وهو من شواهد الخزانة ٨ : ١١٩ .

وجوَّز غيرُهم أن يكون المحذوف ضميرَ المخاطب . قال ابن الشّجرى ( فى المجلس الأوّل ، وهو المجلس الثامن والعشرون ) وتبعه ابنُ هشام : إنّ اسم ليت ضميرٌ محذوف . وحَذْفُ هذا النّحوِ مما تجوِّزه الضَّرورة . فإن شئت قدَّرته ضمير الشأن والحديث ، وإن شئتَ قدَّرته ضمير المخاضب . و كِفافاً معناه كافّا ، وهو خبر كانَ ، وخيرك اسمها ، والجملة خبر اسمِ ليت . والتقدير على الأوَّل فليته كان خيرك كفافا ولا يحتاج إلى الضمير الرابط ، لأنَّ الجملة نفسَها ، هى الشأن . وعلى التقدير الثانى : فليتك كان كفافا خيرُك ، والعائد على اسم ليت الكاف من خَيْرك . ومثله فى حذف الضمير على التقديرين قول الآخر :

٣٩١ فليتَ دفعتَ الهمَّ عَنِّىَ ساعةً    فَبِتْنَا على ما خيَّلَتْ ناعِمَىْ بالِ [١]

أراد : فليتَه أو فلَيتك . انتهى .

وظاهر كلام هؤلاء أنّه لا يجوز جعل كِفافا اسم ليت مع رواية الرفع . وهو مسلَّم إن كانت كان تامَّة .

قال ابن الشجرى ، وتبعه ابن هشام : فإن قلتَ : هل يجوز أن يُنصبَ بليت [٢] ، وتجعل كان مستغنيةً بمرفوعها بمعنى حدث ووقع ، ويخبر بالجملة التى هى كان وفاعلُها عن كفاف . فالجواب : أنَّ ذلك لا يصحُّ لخلو الجملة عن عائد . فلو قلت : ليت زيداً قام عَمْرٌو لم يجز ، لعدم ضميرٍ فى اللفظ وفى التقدير .

فإن قلت:إليه أو معه أو نحو ذلك،صحَّ الكلام . انتهى .

وأمّا إن كانت ناقصةً فجائز . قال أبو حيان ( فى تذكرته ) : يصحُّ جعل كفافا اسم ليت ، وخيرك اسم كان ، وتضمر الخبر عائداً على كفافا ، والتقدير :

---

(١) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٦٢ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) فى الأمالى : « أن تنصب كفافا بليت » .

كأنَهُ خيرُك . ونظيره أحد قولَىْ سيبويه فى : إنَّ أفضلَهم كان زيد . ومنع الفارسىُّ من هذا ( فى التذكرة ) وقال : لقبح الابتداء بالنكرة ، ولأنّه ليس بعده فى الجملة ذكرٌ يعود عليه ، ولا هو هى . ويالَهَا غفلةً من إمام حَبْر . وإضمار خبر كان لا يُحصَى ، وحذفه كحذف سائر الضمائر إذا كان فى حكم الموجود ، مثل إنّ زيداً ضربَ عمرٌو ؛ وإن كان ضعيفاً . فأمّا نصب هذه الحروف المنكرات فلا ينحصر . انتهى .

وقد تبع ابنُ الحاجب أبا علّيٍ فقال ( فى أماليه ) : ولا يستقيم أن يكون كفافاً اسماً لليت ، لأنّه نكرةٌ : فلا يصلح ، ولو صلح لم يستقم المعنى ، لأنَّ قوله كان خيرك وما بعده لا يصلح خبراً . انتهى .

وقول الشارح : « وقوله خيرك وشرّك اسم كان وكفافا خبرها ، ولم يثنَّ لكونه مصدراً فى الأصل » . ومثله [1] لابن الحاجب ( فى أماليه ) ، قال : كفافا خبر عن الخير والشر معاً ، أى ليت خيرك وشرّك بالنسبة إلىّ لا يفضُل أحدهما عن الآخر ؛ لأن الكِفاف هو الذى ليس فيه فَضْل . يريد : إنّ شرَّك زائدٌ على خيرك ، فأنا أتمنّى لو كان غير زائد . انتهى .

وفيه ردٌّ على ابن الشَّجرى ، فى زعمه أنّ كفافاً إنما هو خبر خيرك ، وخبر شرك محذوف مدلولٌ عليه بالمذكور .

وقال ( فى المجلس الثانى ، وهو المجلس السادس والثلاثون ) : ومن روى وشرُّك رفعه بالعطف على خيرُك ، فدخل فى حيِّز كان ، فغير أبى علىّ يقدّر خبر كان المضمر محذوفاً دلَّ عليه خبر كان المظهر ، ويقدَّر المحذوف بلفظ المذكور ، وهو القياس . ونظير ذلك قوله :

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « مثله » بطرح الواو .

نحنُ بما عندنــــا وأنت بما عِندَك راضٍ والرأىُ مختلفُ [١]

أراد : نحن بما عندنا راضُوان . انتهى .

وتبعه ابن هشام ( فى المغنى ) .

وتنبَّهَ الدمامينى من كلام الشارح [٢] فقال معترضا عليه : لا حاجةَ إلى هذا التقدير ؛ فإنّ كفافاً يصحُّ كونه خبراً عنهما ، إذ هو صالح للإخبار عن الاثنين وغيرهما .

وقول الشارح : وعنِّى متعلّق بكفافا . لأنّه خبر كان ، فهو متأخِّر فى التقدير إلى جنبه ، والمعنى عليه .

وقوله : « والماء على هذا الوجه منصوب » على وجه أن يكون كفافاً خبراً عنهما . أى ويكون مرتوى فاعل ارتوى ، وهو مطاوع أرويته ، ورويته من الماء فارتوى منه وتروَّى . يقال رَوِىَ من الماء بكسر الواو ، إذا شَبع منه ، يَروَى بفتحها ، رَيًّا ؛ والاسم الرِّىُّ بالكسر ، فهو رَيّانُ والمرأة ريًّا ، كغضبان وغضبى . ويعدَّى بالهمزة والتضعيف كما تقدَّم . كذا فى المصباح .

٣٩٢ وقال ابن الشجرىّ : ارتوى بمعنى رَوِى ، جاء افتعل بمعنى فعل ، كقولهم : رقِىَ وارتقى . ومثله من الصَّحيح خطف واختطف . انتهى .

ونصب الماء بنزع الخافض . قال ابن الشجرى : يقال ارتويت منه أو به .

وإليه أشار الشارح بقوله : أى ما ارتوى من الماء مرتوٍ . والمراد من هذا التأبيدُ ، كقوله تعالى : ﴿ خالدِينَ فيها ما دامَتِ السَّموات والأرض [٣] ﴾ ، الآية .

---

(١) لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٧٣ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) ط : « وتنبه الدمامينى قوله من كلام الشارح » ، بإقحام « قوله » .

(٣) من الآية ١٠٧ ، ١٠٨ من سورة هود .

قال ابن الشّجرى : وأمَّا نصب الماءَ فبتقدير حذف الجار ، أى ما ارتوى من الماء أو بالماء . وحذفُ الجارّ وإيصال الفعل إلى المجرور به ممّا كثُرَ استعمالُه فى القرآن والشعر . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ واختار مُوسَى قومَه سبْعين رجلاً [١] ﴾ ، أراد من قومه . ومِن حذف الباء قوله تعالى : ﴿ إنمّا ذلكُمُ الشيْطانُ يُخوِّفُ أولياءه [٢] ﴾ ، أى يخوِّفكم بأوليائه ، فلذلك قال : ﴿ فلا تَخافُوهُم ﴾ .

وقول الشارح : « وقيل شرُّك مرتوٍ بتقدير مرتوياً » إلى آخره . هذا قولُ أبى علّي ( فى تذكرته ) ، فيكون على قوله كفافا خبراً لقوله خيرك فقط ، على معنى أنّه ما بلغَ ذلك إلى أن يكون فيه كفاف ، كما تقول : ليت نَفقتك كفافا ، أى ليتها مقدارُ الحاجَة . تريد أنّها أنقص ، فكذلك ههنا ، ويكون العطف على الأوّل من عطف مفرد على مفردٍ شاركه فى خبره . وعلى قول أبى علّيٍ من عطف الجمل ، أخبر عن كل مفرد منهما بخبر خاصّ .

قال ابن الشجرى : وأمَّا قوله وشرّك فمن رفعَه فبِالعطفِ على اسم كان ، ومرتوى فى رأى أبى على خبره . وكان حقُّ مرتوى أن ينتصب لأنّه معطوف على كفافا ، كما تقول : كان زيد جالسا وبكر قائما ، تريد : وكان بكر قائما ، فكأنّه قال : ليتك أو ليت الشأن كان خيرك كفافا وكان شرك مرتوياً عنّى . وأَسكن ياء مرتوى فى موضع النصب لإقامة الوزن ، كقول بشر :

* كَفَى بالنأىِ من أَسماءَ كافى[٣] *

وكانَ حقُّه : كافياً .

---

(١) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٧٥ من آل عمران .

(٣) تمامه فى ديوان بشر ١٤٢ والخزانة ٤ : ٤٣٩ — ٤٤٠ :

* وليس لحبها إذْ طال شاف *

وقال فى ( المجلس الثانى ) : وذهب أبو على على رواية رفع وشرُّك ، إلى أنَّ الخبر مرتوى ، وكان حقّه مرتوياً ، ولكنَّه أسكن الياء لإقامة الوزن والقافية ، وهو من الضرورات المستحسَنة ؛ لأنّه ردّ حالةً إلى حالتين . أعنى أنّ الشاعر حملَ حالة النصب على حالة الرفع والجر ، وحَسُن الإخبار عن الشر بمرتوى لأنّ الارتواء يكفّ الشاربَ عن الشرب ، فجاز لذلك تعليق عنّى بمرتوِى . انتهى .

وكلُّهم حمَلَ تسكين مرتوى على الضرورة ، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه وقف على لغة ربيعة ، فإنّ لغتهم الوقف على المنصوب المنوَّن بالسكون .

قال ابن الحاجب : ولا يجوز أن يكون شرُّك مرتوى مبتدأ وخبراً ، كقولك : كان زيد قائماً وعمرو منطلق ؛ لفساد المعنى ، لأنّه يكون حينئذ جملةً مستقلّة منقطعةً عن التمنّى فى المعنى ، مثلها فى قولك : ليت زيداً قائم وعمروٌ منطلق ، لأنَّ عمرو منطلق فى مثل ذلك مُثبَتٌ له الانطلاقُ ، غيرُ داخلٍ فى حيِّز التمنى ، بخلاف ليت زيداً قائم وعمراً منطلق . وإذا ثبتَ ذلك كان جعلُك « وشرُّك مرتوى » مرفوعاً على الابتداء يُوجب أنْ يكون مخبراً بإثبات ، فيوجب إخباره بأنّ شرَّه منكفٌّ ، فيفسُد المعنى ، إذ المعنى أنَّ شرَّه زائد ، وأنّه يتمنى أن لا يكون كذلك ، فكيف يُحمَل على وجهٍ يثبت ما مقصود المتكلّم نفيُه . انتهى .

وقول الشارح « ويكون الماء على هذا الوجه مرفوعا » ، أى على وجْهِ جعل مرتوى خبراً لقوله : وشرُّك .

وقوله : « فاعل ارتوى أى ما دام الماء ريّان » ، هذا أحدُ وجهين فيه . قال ابن الشجرى : وعلى مذهب أبى علىٍّ فى كون مرتوى خبراً لكان رفعُ الماء بتأويلين : ٣٩٣

أحدُهما : تقدير حذفِ مضاف ، أى ما ارتوى أهلُ الماء ، كما جاء :

﴿ واسْألِ القرية [١] ﴾ أى أهل القرية ، و ﴿ حتَّى تضعَ الحربُ أوزارَها [٢] ﴾ أى يضع أهل الحَرْب أسلحتَهم . ومن كلامهم : صلَّى المسجدُ ، أى أهل المسجد . وقد كثُر حذف المضاف جدًّا .

وثانيهما : ما أجازه بعضُ المتأخِّرين ، وهو أنْ يكون الماء فاعل ارتوى من غير تقدير مضاف . قال : وجاز وصفُ الماء بالارتواء للمبالغة ، كما جاز وصفُه بالعطش ، لذلك قال المتنبى :

* وجُبْتُ هَجِيراً يتركُ الماءَ صاديا [٣] *

وقد تكلَّف بعضُ المتأخِّرين نصبَ الماء ، فى القول الذى ذهب إليه أبو على ، وذلك على إضمار فاعل ارتوى ، قياساً على ما حكاه سيبويه من قولهم : إذا كان غداً فأْتني ، أى إذا كان ما نحن فيه من الرخاء أو البلاء غداً . فقدَّر ما ارتوى الناس الماءَ . وأنشد عَلَى هذا قولَ الشاعر [٤] :

إذا كان لا يرضيك حتَّى تردَّنى ... إلى قَطَرِيٍّ ما إخالُكَ راضيَا

أراد : إن كان لا يرضيك شأنى أو ما أنا عليه ، فأضمر ذلك للعلم به .
وأقول : إنّ الإضمار فيما حكاه سيبويه حسن ، لأنَّه معلوم . وتقدير إضمار الناس فى قوله ما ارتوى الماءَ ، بعيدٌ . انتهى .

ولا يخفى أنَّ هذا القول تعسُّف من وجهين : أحدُهما حذف الفاعل من غير الصُّور المعدودة . وثانيهما : حذف الباء ، وحرفُ الجر لا يحذف إلاّ سماعا .

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٢) الآية ٤ من سورة محمد .
(٣) ديوان المتنبى ٢ : ٤٦٨ ومعجم الشواهد . وصدره :
* لقيت المروري والشناخيب دونه *
(٤) هو سوَّار بن المضرَّب . وانظر معجم الشواهد .

ثم قال ابن الشجرى : وغير أبى علىّ ومَن اعتُمِد على قوله ، رَوَوْا نصب الماء ، ولم يروُوا فيه الرفع ، فلزموا ظاهر اللفظ والمعنى ، فذهبوا إلى أنّ الفاعل لارْتَوَى مرتوى . وأبو طالبٍ العبدىُّ منهم ، وذلك أنّه ذكر لفظ أبى على فى تعريب البيت ثم قال : وأنا مطالِب بفاعل ارتوى . ثم مثَّل قوله ما ارتوى الماءَ مرتوى بقوله : ما شرب ، أى أبدًا . فدلَّ كلامُه على أنّه لم يعرف المعنى الذى ذهب إليه أبو على ، مِن نصب مرتوى على أنّه خبر كان ، أو رفعِه على أنّه خبر ليت . والقول عندى فيه أنّ الالتزام بالظاهر على ما ذهب إليه العبدىّ أشبَهُ بمذاهب العرب فيما يريدون به التأبِيد ، كقولهم : لا أفعل كذا ما طار طائر ، ولا أكلِّمك ما سمَر سامر . وقد مرَّ بى كلامٌ لأبى علىّ ذهب عنِّى مكانُه ، يتضَّمن تجويز [ رفع [(١)] ] مرتوى بارتوى . وأنا منذ زمان أجيل فكرى وطرفى فى تعرُّف الكلام الذى سنح لى فيه كلامه ، فلا أقف عليه . انتهى .

وقال أبو حيّان : جعل ابن بابشاذَ مرتوى منصوباً على المصدر ، أى ارتواء ، ورُدَّ عليه بأنَّ اسم الفاعل فيما زاد على الثلاثة لا يكون مصدراً ، وإنّما يكون ذلك فى اسم المفعول ، نحو ضاربته مُضارَبا . قال :

أُقاتلُ حتى لا أرى لى مُقاتَلاً وأنجو إذا لم ينجُ إلاَّ المكيَّسُ [(٢)]

وكأنّه قاسه على الثلاثى نحو : قم قائما ، وأقائما وقد قعد الناس . انتهى .

أقول : تجويز هذا إنمّا يتصوَّر فى رفع الماء وجعلِ المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه فى خبرِه .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) لزيد الخيل ، كما فى معجم الشواهد ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٥٠ بولاق .

بقى على الشارح المحقق توجيهُ وشرّك فى رواية نصبه . قال ابن الشجرى : ومن قال : وشرَّك بالنصب ، حمله على ليت ، ولا يجوز أن يكون محمولاً على ليت المذكورة ، لأنَّ ضمير الشأن لا يصحُّ العطف عليه لو كان ملفوظاً به ، فكيف وهو محذوف . وإذا امتنع حملُه على ليت المذكورة حملتَه على أخرى مقدَّرة . وحسُنَ ذلك لدلالة المذكورة عليها ، كما حسُن حذف كلّ فيما أورد سيبويه من قول الشاعر [1] : ٣٩٤

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ توقَّدُ باللَّيلِ نارا

أراد : وكلَّ نار ، فكأنه قال : وليت شرَّك مرتوٍ عنّى .

وقال ابن هشام : يروى بنصب شرَّك ، إمَّا على أنّه اسمٌ لليت محذوفة ، وإمَّا على العطف على اسم ليت المذكورة إنْ قدِّر ضمير المخاطب [2] . انتهى .

وقد غفل صاحب اللباب ( فيما علَّقه عليه ) عن عدم جواز العطف على ضمير الشأن فقال : شرك بالنصب عطف على اسم ليت ضمير الشأن .

ثم قال ابن الشجرى : فمرتوى فى هذا التقدير على ما يستحقُّه من إسكان يائه لكونه خبراً لليت . وعلى مذهب أبى على فى كون مرتوى خبراً لكان أو لليت يجوز فى الماء الرفع والنصب ، وتقدَّما . وأبو طالب العبدىُّ لم يعرف إلاّ نصبَ الماء ، ولم يتَّجهْ له إلاّ إسناد ارتوى إلى مُرتوٍ ، وذلك أنّه قال : معنى ما ارتوى الماء مرتو : ما شربَ الماء شاربٌ .

ثم قال : وأمَّا ما ذكره الشيخ أبو على من قوله : وإن حملت العطف على

(١) هو أبو دُوَادٍ الإيادى . ديوانه ٣٥٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٣ .

(٢) ط : « على اسم ليت المقدر إن قدر ضمير المخاطب » ، صوابه فى ش والمغنى ٢٩٠ .

كان كان مرتوى فى موضع نصب . وإنْ حملته على ليت نصبتَ قوله وشرّك ومرتوٍ مرفوع ، فكلامٌ لم يفسِّره رحمه الله .

ثم قال : ومرَّ بى بعد هذا فى تعليقي كلامُ الشيخ أبى على ، أنا حاكيه على الوجه ، وهو أنَّه أورد البيت ثم قال بعد إيراده : ليت محمولٌ على إضْمار الحديث ، وكِفافاً خبرَ كان . فأمَّا قوله : وشرُّك عنى ما ارتوى الماء مرتوى ، فقياس مَنْ أعمل الثانىَ أن يكون شرُّك مرتفعاً بالعطف على كان ، ومرتوى فى موضع نصب ، إلاّ أنَّه أُسكِن فى الشعر ، مثل :

* كفى بالنَّأى من أسماء كافى (١) *

ومن أعمل الأوّل نصب شرَّك بالعطف على ليت ، ومرتوى فى موضع رفع لأنّه الخبر ، وما ارتوى الماءَ فى موضع نصب ظرفٌ يعمَل فيه مرتوى . هذا ما ذكره أبو على . ثم قال العبدى : وقد تقدَّمت مُطالبتى بفاعل ارتوى ، وإذا ثبت ما ذكرتُه عُلم أنّ الأمر ما قلتُه ، والمعنى عليه لا محالة . انتهى .

فمُلخَّصُ ما تقدَّم : أنه يجوز أن يكون كِفافاً اسم ليت مع نصبِ خيرك وشرَّك عنى عند عبد القاهر ، ومع رفعهما بتقدير خبر كان ضميراً عند أبى حيّان . ويجوز أن يكون اسم ليت ضميرَ شأن أو مخاطب ، واسم كان خيرك وشرّك ، وكفافا خبر كان ، عنهما أو عن أوَّلهما وخبر الثانى محذوف ، وعنِّى متعلِّقهُ ، وجملة كان خيرك وشرك كفافاً عنِّى خبر ليت عند الجمهور ، ومرتوى فاعل ارتوى ، والماء مفعوله عند الجميع . وعند أبى علىٍّ جملةُ : كان خيرك كفافا ، خبر ليت ، وشرُّك عنى مرتوِيًا معطوفانِ على خيرك كفافا . وإنْ نصب شرَّك بتقدير ليت فجملةُ وشرُّك عنى مرتوىِ معطوفةٌ على جملة ليت المتقدمة . وعنِّى فى الوجهين عنده متعلِّقة بمرتوى . وكذلك الماء فى الوجهين عنده يجوز رفعُه ونصبه .

---

(١) سبق الكلام عليه قريبا .

هذا تحرير الأقوال فى البيت ، وتمييز ما لكلِّ قولٍ عن الآخر .

وقد لخَّص ابنُ هشام ( فى المغنى ) كلام ابن الشجرى فى غير وجهِه ، فإنّه لم يبيِّن ما ينبنى على كلِّ قولٍ من الأقوال . قال : فى البيت إشكال من أوجه :

أحدها : عدم ارتباط خبر ليت باسمها ، إذِ الظاهر أنّ كِفافا اسم ليت وأنَّ كانَ تامَّة ، وأنَّها وفاعلها الخبر ، ولا ضمير فى هذه الجملة [١] .

٣٩٥

والثانى : تعليق عنِّى بمرتوٍ .

الثالث : إيقاع الماء فاعلاً بارتوى ، وإنما يقال ارتوى الشارب .

والجواب عن الأوّل أنّ كفافا إنمّا هو خبرٌ لكان مقدَّم عليها ، وهو بمعنى كافٍ ، واسم ليت ضمير الشأن أو المخاطب [٢] ، وخيرك اسم كان وكلُّه توكيد له ، والجملة خبر ليت . وأما شرّك فيروى بالرفع عطفاً على خيرك ، فخبرُه إمّا محذوف تقديره كفافا فمرتوى فاعل بارتوى ، وإمّا مرتوى على أنّه سكن للضرورة . ويروى بالنَّصب إمّا على أنّه اسم لليت محذوفة ، وإمَّا على العطف على اسم ليت المذكورة إن قدِّر ضمير المخاطب ، ومرتوٍ على الوجهين مرفوعٌ خبر لليت المحذوفة أو المذكورة .

وعن الثانى أنّه ضمَّنَ مرتوٍ معنى كافٍ ، لأنَّ المرتَوِىَ يكفُّ عن الشرب .

وعن الثالث أنّه إما على حذف مضاف أى شارب الماء ، وإمَّا على جعل الماء مرتوياً مجازا . ويروى بالنصب على تقدير مِنْ [٣] ، ففاعل ارتوى على هذا مرتوٍ . هذا تلخيصه .

---

(١) ش : « فى هذه » فقط خلافا لما فى ط والمغنى .

(٢) عبارة المغنى : « واسم ليت محذوف للضرورة ، أى فليتك ، أو فليته ، أى فليت الشأن » .

(٣) بعده فى المغنى : « كما فى قوله تعالى : واختار موسى قومه سبعين رجلا » .

ولا يخفى أنَّ تضمين مرتو معنى كافٍ ورفع الماء ، يختصَّان بقول أبى علىّ . ونصب الماء مع جعل مرتو فاعلاً إنمّا هو على غير قوله كما ذكرنا .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ ليزيدَ بنِ الحَكَم ، وتقدَّمت مع ترجمته فى الشاهد الثمانين بعد المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٨٥ ( فلو أنَّ واشٍ باليمامة دارُه )

على أنَّه حذف النصب من ( واشٍ ) لضرورة الشعر ، وكان القياس أنْ يقول : فلو أنَّ واشيا ، لأنَّ إعراب نحو القاضى يقدَّر فى الرفع والجر ، لِثقَل الضمة والكسرة على الياء ، ويُلفَظ به فى النصب لخفَّة الفتحة . وإسكانُ الياء ضرورةٌ ، قيل إنّه من أحسن الضرورات ، وقد حُذفت هنا لالتقائها ساكنةً مع سكون نون التنوين . وروى : « فلو كان واشٍ » فهو على القياس .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدةٍ لمجنون بنى عامر ، وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

( خليلىَّ لا واللهِ لا أملِكُ الذى قَضَى اللهُ فى ليلى ولا ما قَضَى ليا
قضاها لِغَيرِى وابتلانى بِحُبِّها فهلاَّ بشىءٍ غير لَيْلَى ابتلائيا
فلو كان واشٍ باليمامة دارُه ودارى بأعلى حَضْرَمَوْتَ اهتدى ليا
وماذا لَهُمْ لا أحسنَ اللهُ حِفظَهمْ من الحظِّ فى تصريم ليلَى حِباليا )

---

(١) وردت قصيدته فى الخزانة ٣ : ١٣٢ – ١٣٤ مع تخريجها . أما ترجمة يزيد بن الحكم فقد مضت فى الخزانة ١ : ١١٣ – ١١٦ لا فى الشاهد الثمانين بعد المائة كما ذكر البغدادى هنا .

(٢) ديوان المجنون ٢٩٤ والأغانى ٢ : ٦ وتزيين الأسواق ٦٩ وابن يعيش ٦ : ٥١ والضرائر ٩٣ وشرح شواهد الشافية ٧١ ، ٤٠٥ والمغنى ٢٨٩ والهمع ١ : ٥٣ والأشمونى ١ : ١٠٠ وحاشية يس على التصريح ١ : ٩٠ .

وهذه أشهر قصائده ، وهى طويلةٌ جدا .

وقوله : « قَضَاها لغيرى » البيت روى صاحب الأغانى بسنده ، أنَّ المجنونَ لمَّا قاله نُودِىَ فى الليل : أأنت المتسخِّط لقضاء الله وقَدرِه ، والمعترضُ فى أحكامه ! واخُتلِس عقلُه وتوحَّش منذُ تلك الساعة ، وذهب مع الوَحْش على وَجهِه .

و ( الواشى ) : الذى يزوّق الكلام ليُفِسد بين شخصين ، وأصله من وَشَى الثَّوبَ يشِيه وشياً ، إذا نَقَشه وحَسّنه . و ( اليمامة ) : اسم بلدٍ ، وكان اسمها فى الجاهليَّة الجوّ ، بفتح الجيم وتشديد الواو . واليمامة : اسم جاريةٍ زرقاء ، كانت تُبصر الراكَب من مسيرة ثلاثة أيام ، سمِّى البلدُ باسمها لكثرةِ ما كان يضاف إليها ، فيقال جوّ اليمامة . و ( حَضْرَموت ) بفتح الميم وضمها مدينةٌ باليمن . وقوله ( اهتدى ليا ) اللام بمعنى إلى . وروى بدله :

* وداري بأعلى حَضْرموتٍ أتى ليا *

بتنوين حضرموت للضرورة . ٣٩٦

وقوله : « وماذا لهم » استفهام ، والضمير للوُشاة ، وجملة لا أحسَنَ الله حِفظَهم : دعاءٌ عليهم . ومن الحظّ متعلق بما تعلَّق به لهم . وتصريم : تقطيع ، وهو مصدرٌ مضافٌ إلى فاعله ، وهو ليلى : اسم عشيقته . وحِباليا مفعوله : جمع حَبْل ، وهو مستعارٌ للوُصلة والألفة بين شخصين .

وترجمة مجنونِ بنى عامر تقدَّمت فى الشاهد التسعين بعد المائتين [1] .

* * *

نهاية الجزء العاشر من تقسيم محقّقه

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٢٩ – ٢٣٣ .



# الفهارس

( ا ) فهرس التراجم

( ب ) فهرس الشواهد





# ( ب ) فهرس الشواهد

## بقية باب حروف الجر

## باب الحروف المشبَّهة بالفعل